THE MAKING OF FRIEDRICH NIETZSCHE

تأليف
دانيال بلو

ترجمة
محمد الفشتكي

تشكّل فريديريك نيتشه

السعي للهوية، 1844 - 1869



تشكُّل فريدريك نيتشه

السعي للهوية، 1844 ـ 1869

تشكُّل فريدريك نيتشه

السعي للهوية، 1844 ـ 1869

THE MAKING OF FRIEDRICH NIETZSCHE

The Quest for Identity, 1844-1869

دانيال بلو

ترجمة: محمد الفشتكي

طُبع في لبنان، 2018

This translation of The Making of Nietzsche is published by arrangement with Cambridge University Press

تمت ترجمة هذا الكتاب بالتنسيق مع مطبعة جامعة كامبريدج

First published 2016



لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
دار الرافدين@daralrafidain_1

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 389 - 6

دانيال بلو

تشكُّل فريدريك نيتشه

السعي للهوية، 1844 ـ 1869

ترجمة:

محمد الفشتكي



الفهرس

تشكُّل فريدريك نيتشه

كيف جاء (نيتشه) الفيلسوف إلى حيز الوجود؟ إن (نيتشه) المعروف اليوم لم يتطور (بشكلٍ طبيعيٍ) من خلال النضج التدريجي لطابعٍ فطريٍ ما. وبدل ذلك، ومنذ نعومة أظفاره انهمك في صراعٍ خجولٍ ليسترشد بتوجيهه الخاص، وبالتالي صقل قدراته الانتقادية ورؤيته الذاتية والتي ظهرت جليةً في كتبه. وكنتيجةٍ لذلك، فإن أعماله المنشورة مشبعةٌ بالقيم التي اكتشفها قبل وقتٍ طويلٍ من تحقيق نتائجها. وبالفعل، قد يقول المرء إن العمل الأول الذي ألّفه لم يكن كتاباً على الإطلاق ولكنه كان شخصيته الخاصة.

وبناءً على دراسةٍ متاحةٍ سابقاً فقط باللغة الألمانية، فإن هذا الكتاب يتحرى طفولة (نيتشه) غير المستقرة، وعزمه على الترقي عبر صياغة ذاته، والأساليب التي أثّرت بالتناوب وأعاقت بها بيئته جهوده لإيجاد طريقه الخاص وخصوصاً نظام التعليم البروسي. ستكون هذه دراسةً أساسيةً لكل مهتمٍ بـ(نيتشه).

لـأدريان فريد بلوك

التي قالت لي أن أكتب ذلك مرةً أخرى

النصوص والاستشهادات

بما أن هذا العمل يقتصر على أعوام (نيتشه) المبكرة فإن الاستشهادات في النص تشير بشكلٍ يكاد يكون حصرياً لطبعاتٍ مجمّعة من أعماله. أما طبعات الكتب المنفردة لـ(نيتشه) مذكورةٌ فقط للاستشهادات التي وردت في النص وتم ذكر معظمها لإيجاد مصدر الترجمات. وأي ترجماتٍ غير منسوبة ستكون للمؤلف نفسه.

اختصارات أعمال (نيتشه) المجمّعة

BAW

Historisch _ kritische Gesamtausgabe: Werke. 5 vols. Hans Joachim Mette، Karl Schlechta، and Carl Koch eds. Munich: C.H. Beck'sche Verlagsbuchhandlung. 1933 1940 _. Reprinted 1994.

KGW

Kritische Gesamtausgabe: Werke. Begründet von Giorgio Colli und Mazzino Montinari. Weitergeführt von Volker Gerhardt، Norbert Müller، Wolfgang Müller _ Lauter und Karl Petalozzi. Erste Abteilung. Johann Figl، Hans Gerald Hödl، Ingo W. Rath et al. eds. Berlin: Walter de Gruyter. 1967 _ .

KGB

Kritische Gesamtausgabe: Briefwechsel. Giorgio Colli and Mazzino Montinari eds. Berlin: Walter de Gruyter. 1975 _ .

KSA

Sämtliche Werke: Kritische Studienausgabe. 15 vols. Giorgio Colli and Mazzino Montinari eds. Berlin: Walter de Gruyter. 1988.

KSAB

Sämtliche Briefe. Kritische Studienausgabe. 8 vols. Giorgio Colli and Mazzino Montinari eds. Berlin: Walter de Gruyter. 1986.

اختصارات أعمال (نيتشه) المنفردة التي استشهد بها في النص

UO

Unfashionable observations. Richard T. Gray tr. Stanford University Press. 1995.

HAH I

Human all too human I. Gary Handwerk tr. and Afterword. Stanford University Press. 1995.

HAH II

Human all too human II. And unpublished fragments from the period of Human all too human II. (Spring 1878—Fall 1879). Gary Handwerk tr. And Afterword. Stanford University Press. 2013.

D

Dawn: thoughts on the presumptions of morality. Brittain Smith tr. Afterword by Keith Ansell _ Pearson. Stanford University Press. 2013.

GS

The gay science with a prelude in rhymes and an appendix of songs. Walter Kaufmann tr. and commentary. New York: Random House. 1974.

Z

Thus spoke Zarathustra, a book for all and none. Adrian Del Caro tr. Adrian Del Caro and Robert B. Pippin eds. Cambridge University Press. 2006.

BGE

Beyond good and evil: prelude to a philosophy of the future. Walter Kaufmann tr. New York: Random House. 1966.

GM

On the genealogy of morality: a polemic. Maudemarie Clark and Alan J. Swensen tr. with notes. Indianapolis، IN: Hackett Publishing Company. 1998.

TI

Friedrich Nietzsche. Twilight of the idols in The Anti - Christ, Ecce hom, Twilight of the idols and other writings. Judith Norman tr. Aaron Ridley and Judith Norman eds. Cambridge University Press. 2005.

EH

Twilight of the idols، and other writings. Friedrich Nietzsche. Ecce homo in The Anti - Christ, Ecce homo, Judith Norman tr. Aaron Ridley and Judith Norman eds. Cambridge University Press. 2005.

CW

Friedrich Nietzsche. The Case of Wagner in The Anti - Christ, Ecce homo, Twilight of the idols, and other writings. Judith Norman tr. Aaron Ridley and Judith Norman eds. Cambridge University Press. 2005

تمهيد

إنّ نتاج الفيلسوف هو حياته (أولاً، قبل أعماله). تلك هي تحفته الفنية[1]

1

إن هذه السيرة الذاتية لـ(فريدريك نيتشه) تقليدية، بمعنى أنها تقدم سرداً روائياً لسنواته الأولى وتبدأ قبل ولادته وتدون تطوره حتى سن الرابعة والعشرين. كما أنها تنظر لتلك الحياة ضمن سياقاتٍ فكريةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ أكبر، وتُظهر كيف شكلت هذه السياقات وأحياناً أعاقت تقدمه بطرقٍ لم يكن مدركاً لها بشكلٍ دائم. وفي حين أن المعالجة في هذا الكتاب أوسع نطاقاً بشكلٍ ملحوظٍ من أي محاولاتٍ سابقة، فإن القصد منها تقليديٌّ أيضاً.

وقد لاحظ العديد من كتاب السيرة الذاتية أهمية البيئة في حياة (نيتشه) وحاولوا التعامل معها بإنصاف.

إن ما يجعل هذا الكتاب مميزاً هو أنه يتناول الطموح المميز وغير الملاحظ عملياً للفترة المبكرة من حياة (نيتشه)، ويسعى إلى منحها مكانةً بارزةً تتناسب مع ما منحه هو نفسه لها. فمنذ سن الثالثة عشرة على أقل تقديرٍ سعى لتوجيه تطوره، وقد فعل هذا برسوخٍ في عزيمة ومرونة رؤيته الفكرية والتي قد تكون صعبة التصديق لولا توثيقها بشكلٍ مكتوب.

لحسن الحظ فإن (نيتشه) كان أمين أرشيفٍ عتيداً، بمعنى أنه سجل كثيراً من الأحداث. فقد سجل في خمسة مجلداتٍ تطوره الفكري والنفسي في مرحلة الصبا، وثلاثة مجلدات من الأدب المبكر، أو أربعة إذا احتسبنا التعليقات، التي تدون حياته حتى سن الرابعة والعشرين. كانت هذه الحقبة حيويةً وخصبةً في تطوره، وعند دراسة الوثائق نلاحظ عمليةً متماسكةً وكاملة من التعليم الذاتي بشكلٍ ملفتٍ للنظر. كما تشهد هذه الكتابات أن (نيتشه) المعروف

---

(1) KSA VII: 712

اليوم لم يصبح كذلك (بشكلٍ طبيعيٍ) من خلال النضج اللطيف لطابعٍ فطريٍ ما. وبدل ذلك فقد انهمك في صراعٍ خجولٍ ذاتي التنظيم ليسترشد بتوجيهه الخاص، وبالتالي صقل قدراته الانتقادية ورؤيته الذاتية والتي ظهرت جليةً في كتبه. وكنتيجة لذلك، فإن أعماله المنشورة مشبعةٌ بالقيم التي اكتشفها واستوعبها قبل وقتٍ طويلٍ من تحقيق نتائجها. وبالفعل، قد يقول المرء إن العمل الأول الذي ألّفه لم يكن كتاباً على الإطلاق، ولكنه كان يمثل الشخص الذي كتبه. يمكن للمرء رؤية كيف يتم بناء هذه الشخصية الصنعية نوعاً ما في ملاحظاته وأدبياته خطوةً بخطوة، حين حدد الصبي الناشئ ومن بعده الشاب موقفه تجاه عائلته، أصدقائه، السلطة، وأحياناً نفسه.

2

على الرغم من أن (نيتشه) مارس العديد من الفنون الأدبية، إلا أن هذا الكتاب سوف يركز غالباً على النوع الذي يمثل التحدي الأكثر مباشرةً لكاتب السيرة، ألا وهو السير الذاتية الشخصية، التي كتبها بنفسه خلال عمر الرابعة والعشرين. لم تكن هذه الكتابات مجرد سردٍ صحفيٍ للحقائق، على الرغم من أنها تمدنا بالكثير من المعلومات التي يمكن استخدامها لملءِ فجوات السيرة الذاتية. بل عملت كأدواتٍ استراتيجية استخدمها (نيتشه) محاولاً فهم جانبٍ معينٍ في الذات، ليقدم من خلال تصوير الذات نفسيته وقيمه، وأحياناً ليقرر ماذا يجب أن يفعل تالياً. ولنكون أكثر تحديدا فإن (نيتشه) بين سن الثالثة عشرة والرابعة والعشرين أنتج على الأقل ست سيرٍ ذاتية شخصية، اعتماداً على كيفية احتساب المرء لها.[1]

«من حياتي» تم تأليفه في أوغست عام 1858 (KGW I ـ 1: 281 ـ 311).

« مسار حياتي»، ثلاث محاولاتٍ تعالج أثر البيئة، تم تأليفه في ربيع عام 1861 (KGW I ـ 3: 189 ـ 192).

(1) كتب (نيشته) في الواقع أكثر من ست سيرٍ ذاتية شخصية بين عامي 1858و1869 (Sommer 2013: 325 يحتسب عشرة). بعضها يمر دون اعتبارٍ كونها لا تقدم معلومات جديدة ويبدو أنها تتطفل على محاولات سابقة لها (كمثال KGW I - 2: 3 - 4). وفي حالاتٍ أخرى عندما كانت تكتب عدة مخططات بنفس الوقت وتسير بالتوازي مع بعضها البعض [تكون عن نفس الموضوع]، تعتبر كلها واحدة، وهكذا تعتبر الثلاثة التي كتبت عام 1861(كلها تدعى «مسار حياتي») كواحدة، وكذلك المسودات التي كتبت عام 1869.وتجدر الإشارة إلى أن (نيتشه) ربما يكون قد كتب سيرة ذاتية سابعة، تغطي إقامته في (بون)، إذا كان الأمر كذلك، فربما تكون هذه السيرة قد فقدت. انظر الفصل 10 القسم 1.

«حياتي» تم تأليفه في سبتمبر عام 1863 (KGW I ـ 3: 189 ـ 192).

«الوداع» (يدعى أيضا «حياتي») ألّفه نيتشه مودعاً مدرسته (شولبفورت) ويعود إلى أكتوبر عام 1864 (KGW I ـ 3: 417 ـ 419).

«ذكريات سنتيّ إقامتي في لايبزيغ» تم تأليفه في أواخر صيف وأوائل خريف عام 1867(KGW I ـ 4: 506 ـ 530)

النسخ الأولية من سيرة حياة (نيتشه) الذاتية يناير عام 1869 (KGW I ـ 5: 40 ـ 42, 44ـ 50, 52 ـ 54).[1]

وتميزت كل واحدةٍ من هذه السير ليس فقط بالمحتوى وإنما بالمشاكل التي تناولتها، وأحياناً كانت تختلف بالشكل. وقام بإصدارها بانتظامٍ ملحوظ فقد ألّفها في عمر الثالثة عشرة، السادسة عشرة، الثامنة عشرة، التاسعة عشرة، الثانية والعشرين، والرابعة والعشرين، أي على فتراتٍ تتراوح بين عامين وثلاثة أعوام خلال فترة المراهقة والشباب، ولم يكن نهج هذه السير مجرد سردٍ للأحداث بل كان عرضاً مفاهيمياً. وبالإضافة إلى وصف حياته فقد عرضت تصوراً نفسياً وحتى فلسفياً مفعماً لتشريع طموحاته الفتية. وخلافاً لمذكراته، فإن البيانات المتنوعة والخواطر الموجزة التي تملأ دفاتر ملاحظاته حاولت إلقاء الضوء لرسم مسار وجوده ليس كتتابعٍ للأحداث ولكن كتطورٍ متسلسلٍ لذاتٍ مستقلة.[2]

وقد أخذ (نيتشه) هذه السير على محمل الجد. في حين أن بعضها تم تأليفه عند الطلب ولتلبية متطلباتٍ خارجية (على الأقل اثنتان كتبتا ليقدمهما للمدرسة وواحدة وفرت الأساس للسيرة الذاتية) وقام بتأليف الاثنتين الأكثر طولاً وشموليةً لنفسه فقط، وقد وضع بعضها لاستخدامٍ محدد. وفي بعض الأحيان يبدو أنه عامل السيرة الذاتية الشخصية كنوعٍ من بطاقة التقرير لتقييم تقدمه. وفي مناسباتٍ أخرى وظفها لوضع ميزانٍ عام لميوله عند مواجهة قرارٍ حاسم. وواحدة منها على الأقل ألقته في هاويةِ معضلةٍ فلسفيةٍ

(1) النسخة الأخيرة (KGW I - 5: 55 - 57، وأيضا موجودة في KSAB II: 366 - 368) متحفظة جداً بالتالي هي ذات فائدة رديئة.

(2) في حين أن هذا المنهج في حياة (نيتشه) قد بدأ وتطور كثيراً بشكلٍ مستقل، فقد تأثر فيما بعد بإصرار كلٍ من (شميدت Schmidt) و(كيير Kjaer) على أن عمل (نيتشه) المبكر يؤدي وظيفةً تحرريةً في مواجهته مع قوى التنشئة الاجتماعية، ويستدعي (هودل Hödl) هذا البرنامج التدريبي لـ(نيتشه) «Bildungsprogramm» ويناقضه مع التعليم الخارجي ((Bildung)) الذي تلقاه في المدرسة وفي أي مكان أخر. انظر «Schmidt 1991 - 1994, Kjaer 1990, and Hödl 2009: 132 - 133».

استغرقته قرابة عامٍ لحلها. كل هذا سمح له أن يرسم صورةً موضوعيةً نوعاً ما لنفسه، صورةً من منظورٍ خارجي، وبالتالي يرى نفسه كشخصٍ في مواجهة العالم الذي عاش فيه (وإلى حدٍ ما يختلف جوهرياً مع هذا العالم).

تشير الحقيقة إلى أن سير (نيتشه) الذاتية كان لها استخدامات، فهي لم تكن مجرد أطروحات نظرية لينظر إليها بمعزلٍ عن الحياة التي وصفتها. لقد كانت خرائط قيد التقدم ومخططاتٍ لتضاريس نفسية سمحت له أن يتقدم أبعد قليلاً، ومن ثم يعيد بناء وجهات نظره في ضوء مزيدٍ من الخبرة. مما سبق فإن هذا الكتاب سوف يحدد السير الذاتية لـ(نيتشه) ضمن السياقات التي ظهرت فيها أول مرة، كما سيظهر انخراطه في معركته مع محيطه. وسيُظهر أيضاً أن افتتانه بالذات وبمسار تطورها أجبره على مواجهة قضايا نفسية وفلسفية كان من الممكن أن تمر دون ملاحظةٍ لولا ذلك.

تحاط السير الذاتية السليمة بإدخالاتٍ مرافقة تدرس هذه الأفكار من خلال وسائل التحليل الفلسفي اللاسردية. وكما سيتضح فإن مقالات (نيتشه) الفلسفية الأولى الموجودة وهي «المصير والتاريخ» و«حرية الإرادة والمصير» وأيضاً «في الأمزجة» و«المراقبة الذاتية» يمكن تفسيرها بشكلٍ مفيدٍ على أنها ملاحق لمشروع السيرة الذاتية الشخصية الخاص به.

وعلى الرغم من أهمية هذه السير، فليست السير الذاتية الشخصية بذاتها وإنما المشروع الجاري الذي تجسده كان وراء هذا الكتاب. وإن بعضها سوف يُذكر بشكلٍ عابرٍ فقط، وأهميتها هنا ليست فيما تخبرنا به ولكن فيما تمثله، وهي أيضاً محاولةٌ أخرى للفيلسوف لدراسة القواعد التي عاش بها. بالإضافة إلى ذلك ـ كما سيتم شرحه لاحقاً في النص ـ فقد اعتبر (نيتشه) أن السيرة الذاتية الشخصية مهمة، ليس بسبب المحتوى الصريح لها وبالتأكيد ليس بسبب الحالات الفردية التي ألّفها، ولكن لما آمن به. إن هذه السير كشفت بأنه يملك ذاتاً كامنةً مفسرةً في أسطرٍ (همبولدية) [تابعة لـهمبولد] وبأنها مزيجٌ من الدوافع والمواهب، ومن ورائها شخصية فطرية ليست مفسرة من قبل محيطه وأحياناً خارجة عن سيطرته الخاصة.[1]

في محاولاته الأولى، رأى (نيتشه) في سيرة حياته مرآةً (هو استخدم هذا المصطلح)، من

---

(1) لقد استخدم مصطلح «believed» «آمَن» لأن مصطلح «self» «الذات» فلسفياً هو مصطلح إشكالي. ولا يهدف هذا الكتاب إلى تأييد (نيتشه) ولا إلى انتقاده لمفرداته وعوالمه المتافيزيقية والفلسفية التي تصورها. لقد كان قادراً على انتقادها بنفسه، كما سيظهر لنا تالياً في هذا الكتاب. انظر خصوصا ختام القسم 2.

خلالها انبثقت شخصيته الخفية إلى الوجود.[1] وهو فعلًا قد أعاد سرد بعض أعماله، ولكن فقط لأن هذه الأحداث كانت توضيحات ـ أحيانا غامضة ـ لذاتٍ مخفية، وعملت السيرة الذاتية الشخصية كسجلٍ لتطورها الغامض. قد تلبي السيرة الذاتية الشخصية حاجاتٍ أخرى أيضاً، كما ذكر سابقاً، ولكن هذا الإحساس بالوحي التلقائي كان دائم الحضور، وأحياناً كان هو الأمر الأساسي. لقد كانت السيرة الذاتية الشخصية كتاباً قام بتأليفه ليعرف نفسه من كان.

وعلى الرغم من أن (نيتشه) قام بأول محاولةٍ له من هذا النوع الأدبي بطريقة عفوية نوعاً ما، فإنه كتب محاولاته اللاحقة متأثراً بأيديولوجياتٍ ونظرياتٍ متنوعة. كما سنرى لاحقاً فإن المفهوم الـ(همبولدي) في التعليم ((Bildung)) هو أساسٌ روحي لنظام التعليم البروسي، وسوف يعزز هذه الرؤية ويزود الصبي بميتافيزيقية الإكتشاف التي ستتيح له تعميق تقديره وتلهمه توجيهها في اتجاهاتٍ جديدة، لاسيما نحو منحة دراسية.[2]

خلال فترة المراهقة حقق (نيتشه) اكتشافين جديدين فيما يتعلق بالذات وتجلياتها. كان أولها في السابعة عشرة وتم تأليفه في أعقاب مقالين عن الأنثروبولوجيا، حيث شدد (نيتشه) على أهمية البيئة في ظهور شعوبٍ مختلفة، وقد طبق نفس المنهج على نفسه، وكان جزءاً من أن أثر محيط المرء سوف يكبح وربما يشوه التعبير عن الذات التي يفترض أنها مستقلة. وللمرة الأولى أخذ في الإعتبار إمكانية أن يكون مجرد دمية يحرك خيوطها العالم الذي عاش فيه. وقد أرّقه هذا التصور وشرع في واحدةٍ من أولى أعتى المواجهات مع القضايا الفلسفية، وقد سهّل الأمر عليه بشكلٍ كبير اطلاعه على كتابات (رالف والدو إمرسون Ralph Waldo Emerson).

وإذا كان (إمرسون) قدم بلسماً لقلق (نيتشه) من جهة، فإنه من جهةٍ أخرى عمّق تقديره لجانب الوحي الذاتي والذي كان يدركه بالفعل. تميل الذات إلى العمل خارج نطاق الوعي، فهي لا تكشف أغوارها ولا تترك نفسها متاحةً للاختبار المتعمد، ولا يمكن تعقبها إلا من خلال تعبيراتها، أي بأثرٍ رجعيٍ عبر أفعالها. كل ما استطاع الشاب (نيتشه) أن يفعله هو ملاحقة أفعاله مثل مراسل متحمس، ملاحظاً ما قد حدث وأحياناً متنبئاً بما يعنيه. وكما ستبين الخاتمة فقد أصبح (نيشته) في النهاية مرتاباً حتى بخصوص هذا النهج المنحرف، وفي أثناء ذلك نمى

(1) بالنسبة لتشبيه المرآة، انظر الفصل 4، القسم 5. وفي أواخر السنة الصافية الأخيرة [قبل تشوش عقله] تصور عملاً دعاه (المرآة / محاولة / للتقييم الذاتي). «.KSA XIII: 633, cited in Hödl 2009: 166»

(2) سيظهر المفهوم الهمبولدي في التعليم ((Bildung)) في الفصول 5، 12، 13

لديه الشك في مقدرة المرء على معرفة الذات تماماً. وربما كنتيجة لذلك توقف عن كتابة الصور الذاتية من هذا النوع بعد عام 1869، واستمر في استحضار ماضيه، حتى أنه كتب سردياتٍ يمكن أن تعتبر بشكل ما سيراً ذاتيةً شخصية. كانت هذه الجهود الأخيرة مختلفة وأقل توجهاً نحو الواقع وأقل ملائمةً لاستخدامها في تشكيل الذات وموجهةً لاستخداماتٍ غير التي عبر عنها في شبابه.

بعد أن قلنا كل ما سبق، فإنه يجب على المرء أن ينتبه إلى قضيةٍ هامة، وهي أن مشروع السيرة الذاتية لـ(نيتشه) يلعب دوراً كبيراً في هذا الكتاب، ومع ذلك هو في حد ذاته ليس محور الكتاب. وهذا لكي نحلل ممارسةً واقعيةً بطبيعتها ونجعل السيرة الذاتية ذات غرض. إن كلاً من الحياة والتاريخ لا يفسحان المجال للتبسيط الفكري، وباقتراح أن استخدام (نيتشه) للسيرة الشخصية كنظرية عامة، شاملة التفسير، فإن ذلك سيزيف الطريقة التي فاوض بها العالم في الواقع، ومن شأنه أيضاً أن يسيء التعبير عن أفق طموحاته. وفي نهاية المطاف ـ كما سنرى لاحقاً ـ كان اهتمام (نيتشه) مركزاً على الذات، ليس فقط لأنها له، ولكن أيضاً لما يستطيع أن يفعل بها.

عندما حدد (نيتشه) قدراته واهتماماته المميزة أراد أن يطورها ويظهرها للعالم. إن السيرة الذاتية قد تظهر طبيعة مثل هذه القدرات، لكنها في حد ذاتها لا تستطيع تحريك أو تطبيق هذه القدرات. وبناءً على ذلك، بعد كل إلهام، تأتي فترة الحمل وما يترتب عليها تالياً، حيث خط مضامين اكتشافاته ووضعها موضع التطبيق. إن هذه التأملات المتجددة كانت على الأقل بأهمية بدء عملية اكتشاف الذات، ولكنها مع ذلك كانت أبعد ما يمكن عن تصنيفها ووصفها لأنها أُنجزت لغرضٍ خاص وتحت تضييق ظروفٍ معينة وتحت تأثير حاجاتٍ عاجلة.

لهذه الأسباب، فإن مواضيع مثل اكتشاف الذات والسيرة الذاتية الشخصية سوف تظهر بشكلٍ متقطعٍ في هذا الكتاب، وحتى حين تفعل فإنها سوف تكون وسط خليطٍ من مواد أخرى، ومع ذلك فإن هذه المواضيع تبقى جوهرية لأنها تقدم المبادئ التفسيرية التي استخدمها (نيتشه) نفسه لفهم أفعاله وتوجيه حياته. وهي تسمح لهذا الكتاب بأن يصور تطوره كما رآه نيتشه، أو على الأقل حسب المبادئ التي عرفها وارتضاها. إلى هذا الحد يطمح هذا الكتاب ليكون السيرة الذاتية التي ربما قد ألّفها (نيتشه) نفسه لو امتلك الرغبة والوقت.

3

لو كان (نيتشه) يملك قصةً لحياته كما تمت تغطيتها هنا، لربما وصفت بأنها سيرته الذاتية الضائعة، ولكن هناك فعلاً سيرة ذاتية لنيتشه يطمح هذا الكتاب لإبعادها، ونعني بها ما كتبته أخته (إليزابيث فورستر ـ نيتشه Elisabeth Förster ـ Nietzsche)، وليس هذا المكان المناسب لنشرح بالتفصيل نقاط الضعف في العرضين اللذين قدمتهما لحياته، وعدم موثوقيتها كما هو معروف.[1] ولابد من الإشارة إلى أنها لم تكن باحثة وتجاهلت بفاعليةٍ أي معرفةٍ خالفت تصوراتها المسبقة.[2] وفوق هذا فقد نشرت قصة أخيها وأوصاف الشخصية المعطاة في السير الذاتية لغاياتٍ شخصية: أولاً لتمجيد أخيها وزيادة شعبيته، وثانياً للتقليل من المشاركات وأذية سمعة أناسٍ لم تكن تحبهم، وذلك يشمل الجميع ممن قد ينافسون ادعاءها بأنها أقرب شخصٍ موثوقٍ لأخيها. وكما قالت (رينات مولر باك Renate Müller ـ Buck) فإن (إليزابيث) قد سعت بشكلٍ خاص إلى تشويه سمعة أولئك الذين قد يكشفون تدهور علاقتها مع أخيها خلال سنواته المثمرة الأخيرة، أي كل من والدتها و(فرانس أوفربيك Franz Overbeck) و(لو أندرياس سالومي Lou Andreas ـ Salomé).[3]

بالإضافة إلى ذلك فقد ملأت كتبها بحكاياتٍ مشكوكٍ فيها، يجب أن تُدرس منفردةً لإظهار لا معقوليتها ولمسة الخيال المشتركة بينها. ونوجه القرّاء المهتمين إلى قراءة الاتهامات التي وجهها (كارل شليشتاKarl Schlechta) و(كيرت بول جانز Curt Paul Janz)، أو ملخص الاتهامات الوارد في مقال (رينات) عام 1998.[4] ويمكن ببساطة أن نراجع ملاحظات (كارول ديث Carol Diethe) وهي كاتبة السيرة الذاتية الرئيسية لأخت (نيتشه) باللغة الإنجليزية: «لا يستطيع المرء أن يأخذ اقتباساً من قلم (إليزابيث فورستر ـ نيتشه) على محمل الجد».[5]

---

(1) انظر Podach 1932: 7 - 8; Blunck 1953: 32; Schlechta 1956 III: 1408; Janz 1972: 60; 17 - 20; 63 - 101, 151; Pernet 1989: 27, 51 ولمزيد من المحاكمات العالمية انظر Müller - Buck 1998 and Niemeyer 2014. (« Paul Loeb» جلب انتباهي إلى المقال النهائي).

(2) انظر ردها على أدلة (هانز فون مولر Hans von Müller) بأن (نيتشه) ليس له أسلاف بولنديون Müller 2001: 260 - 264, 266 - 268

(3) Müller - Buck 1998: 322

(4) انظر الحاشية رقم (1) أعلاه. وأيضا Däuble 1976: 325 - 326, 328. إن معظم هذه الإنتقادات وجهت إلى نسختها من الرسائل وإساءة استخدامها للوثائق، وعلى كل فإن معظم النقد وجه إلى سيرها الذاتية التي كانت وباستثناءات نادرة غير مدعومة بأي وثائق على الاطلاق.

(5) Diethe 2003: 24

سيعتبر معظم القراء أن هذا الدحض لا لزوم له، فهم لم يقرؤوا السير التي كتبتها (فورستر ـ نيتشه) وليس لديهم النية لفعل ذلك.

ومع ذلك فإن كل السير غير المختصة التي كتبت عن (نيتشه) مدينة لعملها بطريقتين، أولاً تستشهد بالعديد من تصريحاتها وقصصها كحقائق لا تقبل النقض، وحتى أنهم لا يزعجون أنفسهم بنسب هذه التصريحات لها، حتى لا يعرف القارئ مصدر إشكالية استشهاداتهم.[1]

وفي حالاتٍ أخرى يستشهدون بكتب (فورستر ـ نيتشه) في الحواشي، كما لو حملت ادعاءاتها نفس ثقل ادعاءات الباحثين ذوي الضمير الحي، وهي مساواةٌ لا يمكن القبول بها. وإذا أخطأ كتاب السير بقبول (فورستر ـ نيتشه) كمصدر حقيقي فهم قد فاقموا الضرر، وذلك بأخذها بالاعتبار بشكلٍ عام كقالبٍ ونموذجٍ لهم. وإذا قرأ أحدهم أي سيرةٍ ذاتيةٍ لـ(نيتشه) فهو على الأرجح يقرأ ضمنياً وجهة نظرها.[2]

إن كتّاب السير لا يفعلون ذلك عمداً، لكلٍ منهم أسبابه وتفسيراته ومصادره المتنوعة، ومع ذلك فإن التهرب من إغراء اتباع نموذجٍ سابقٍ قوي ومنجز يتطلب قدراً كبيراً من الإرادة، وهناك عددٌ قليلٌ من الكتّاب الذين جمعوا المصادر أو حتى رؤوا الحاجة إلى التخلص من الروايات السابقة الزائفة.[3]

ونتيجةً لذلك، وبغض النظر عن النية الشخصية، فإن كل شيءٍ تقريباً يؤكد على الشخصيات التي أكدت عليها (فورستر ـ نيتشه) وهي (والد نيتشه «القديس»، جدته لأبيه، جده لأمه) وإعادة تشكيل الشخصيات التي مارستها، مثلاً (الجدة المتعاونة، بيت (نامبورغ) السعيد، التجانس الثقافي في (نامبورغ) و(شولبفورت))، والتقليل من شأن أشخاص همشتهم أو

---

(1) كل فقرة ابتدأها (هايمن Hayman) بقوله: «Fritz was sent» أسقطت من كتاب «Förster - Nietzsche».

Hayman 1980: 20 يسجل (كيت Cate) قصة (فورستر - نيتشه) عن تعليم (نيتشه) دون استشهاد.

Cate 2002: 11 وقد استمدت فقرة (يونغ Young) في أسفل الصفحة 13 بشكلٍ كبير من (فورستر - نيتشه) Young 2010: 13.

(2) اثنان من كتاب السيرة تجنبوا (فورستر - نيتشه) هما (بلونك Blunck) 1953 (أدرج لاحقاً مع تغييرات طفيفة في Janz 1978) و(روس Ross) 1980. واثنان من الكتاب المختصين مثل (بيرغمان Bergmann) 1987 و(باركز Parkes) 1994 استشهدا أحياناً بها.

(3) قارن (Janz 1972: 151): «لا يمكن لإليزابيث أن تقوم بعملها إلا بحبكة ضخمة، وما فعلته في هذا العمل كان له أكثر العواقب الوخيمة»

تجاهلتهم، مثلا (والدة نيتشه، فريدريك رايتشل Friedrich Ritschl، عائلة موشاك Mushacke family). وتكررت نفس الحكايات وقُبلت نفس التفسيرات، وشدد كتّاب السيرة على نفس الأحداث التي شددت عليها (إليزابيث). ويمكن لهم أن يقوموا بإكمال قصتها، وقاموا بذلك ولكنهم لم يغيروها بشكلٍ جوهري، ويطمح هذا الكتاب إلى إنهاء هذه الظاهرة. ليس في نية الكتاب فقط تصحيح الإصدارات السابقة من سيرة (نيتشه) ولكن إعادة النظر فيها على أسسٍ جديدة، وإذا كان هدفه الأول هو إعادة صياغة سيرة (نيتشه) حسب تصور (نيتشه) نفسه فإن الهدف الثاني هو أخذ سيطرة كيفية سردها من أيدي (فورستر ـ نيتشه) وإعادتها إلى أخيها، مستخدمين في ذلك سيرته الذاتية الشخصية كدليل.

وبعد هذا الادعاء الفخور، يجب القيام بتنازلٍ ما، فغالباً ما تم الاستشهاد بـ(فورستر ـ نيتشه) في سير (نيتشه) لسببٍ وجيه فعلاً، وهو أنها الفرد الوحيد في العائلة الذي سجل انطباعات حياة (نيتشه) المبكرة.[1] ويبدو أنه ليس بمصادفةٍ، حيث انفصلت عن أفراد عائلتها الذين انتقدوا روايتها الخاصة،[2] وسرعان ما أسكتت شهيتها للدعاوي القضائية (يبدو أنها استمعت فيها بنجاحٍ كبير) كل الذين احتجوا أو راودتهم الشكوك.[3]

إذاً فإن لهذا الكتاب القليل من الموارد، وسوف يلجأ أحيانا إلى الاستعانة بقصصها، ومع ذلك لا ينبغي بأي حالٍ من الأحول إدراج اسمها في الحواشي كما لو أنها تستحق نفس احترام الباحثين، بدلاً من ذلك فإن النص الرئيسي يُقر صراحةً ودائماً إلى أن الاقتباس تم أخذه منها حتى يتوخى القارئ الحذر. ولا يملك المرء إلا أن يأمل بأن يستطيع باحثٌ بارع في المستقبل أن يلتف عليها كلياً. وفي هذا الوقت تمت إعادة النظر في حياة (نيتشه) بشكلٍ أساسي، وتم ترتيبها وفقاً لمبادئ غير مستمدةٍ من (فورستر ـ نيتشه). وهذه الاعتبارات تتضمن الاعتماد على مفاهيم (نيتشه) الخاصة في تنمية الذات والسيرة الذاتية الشخصية، وإعادة الإعتبار

---

(1) كتبت والدتها روايتها الخاصة لطفولة ابنتها ولكن لم تنشرها أبداً، وأنهتها مع زفافها، Goch 1994: 32 ـ 64

(2) لرفض (فورستر - نيتشه) لعائلة (شنكل Schenkel) انظر Franziska Nietzsche 1984: 51, 85 ولمشاجرتها مع (أوسكار أولر Oscar Oehler) و(لاشويرز Lachauers) انظر Franziska Nietzsche 1984: 81, 85

(3) Müller - Buck 1998: 321, 322 سيكون من المفيد دراسة وثائق الدعوى القضائية لفهم كيف استطاعت (إليزابيث فورستر - نيتشه) الفوز عمليا في كل الدعاوى وخاصة التي كانت فيها كل الأدلة ضدها.

للأشخاص الذين سبق إهمالهم وبخاصة (فرانسيسكا نيتشه Franziska Nietzsche)، والتركيز على الحوادث التي لم تعرها (فورستر ـ نيتشه) اهتماماً مثل الوضع المالي لعائلة (نيتشه)، والافتراضات التعليمية في ذلك الوقت، وأساليب دراسة (نيتشه) للفيلولوجيا [علم اللغة] التي أثرت على مواقفه وطرقه الفكرية.

4

وعلى الرغم من ملاحظاته العديدة على محيطه، فإن كلمات (فريدريك نيتشه) غير كافيةٍ لتؤسس أرضية روايةٍ عن حياته. على الأقل يجب مراعاة الدقة في تقييم صحة ادعاءاته، وغنيٌ عن الذكر أيضاً حقيقة أقوال أخته ومذكراتٍ أخرى، لذلك فإن هذا الكتاب يعاني ليوضح العالم التاريخي الذي سكنه (نيتشه)، والعادات والمواقف والقيود الفعّالة التي رافقت حياته. إن (نيتشه) لم يعش في فراغ، وإذا كان هو سعى لفصل نفسه عن مواقف مجتمعه، فمن المهم أن نعرف ماذا كانت هذه المواقف ولماذا قد تضطهده. وقبل أن يتفوق (نيتشه) على زمنه، كان يجب عليه بدايةً أن يخاطبه، وأن ينقل إفاداته أيضاً بحيث يستطيع معاصروه فهمها. وبالتالي فإن هذا الكتاب يستدعي مصادر التاريخ والعلوم الإجتماعية ليملأ الفراغات ويبحث في الأمور التي لم يفكر (نيتشه) أن يسجلها، ولم يستطع أحياناً إدراكها، وهي ديناميكيات وحدود العالم الذي عاش فيه. وبغض النظر عما إذا رأى هذه العوامل عدائيةً أو مفيدة، فإنها كانت جزءاً من بيئته، وأثرت حتماً في شخصيته وآرائه. وإذا كان هذا الكتاب يتضمن خلفيةً تاريخيةً أكثر مما هو مألوفٌ في سير (نيتشه)، فهو يضع مزيداً من الضغط على موضوعه الأساسي. يشتكي القرّاء أحياناً من أن السير الشخصية للفنانين والمفكرين تصور الإنسان في حياته اليومية، ولكنها لا تبحث في الذات الثانية، وهي المخلوق الصامت، بشكلٍ متناقض، الذي تتحرك يده بصمتٍ فوق الصفحة.

تطمح هذه السيرة إلى عرض الشخصيتين، وإظهار كيف تتشابكان وتؤثر إحداهما على الأخرى. تعرض الابن الخجول المطيع الذي تابع دراسته وكانت له مجموعاتٌ صغيرة مختارة من الأصدقاء، وهي أيضاً تظهر الشاعر والمفكر المكتئبين، المنحنيين فوق مخطوطاتهما الكتابية. وفي حين أننا لا نستطيع القول إن هاتين الشخصيتين هما مخلوقان منفصلان، ولكنهما أيضاً ليستا نفس الشخص، ولا يحاول هذا الكتاب أن يعدل بينهما فقط، ولكنه أيضاً يريد أن يظهر كيف تحتاج كل واحدة منهما إلى الأخرى، كيف واجه الصبي والشاب الألغاز

في حياته وكيف حلها بوسائل مبتكرة، وكيف أنتج الكاتب والمؤلف أعمالاً ذات آثارٍ انعكست على حياته بعيداً عن المكتب الذي كُتبت عليه. يمكن للمرء أن يدعو هذا بـ«الجانب المزدوج لفريدريك نيتشه the double aspect of Friedrich Nietzsche»، ويكمن ذلك في قلب هذا الكتاب.

إنّ حياة (نيتشه) غنيةٌ جداً والمعلومات الحالية عنها كثيرةٌ جداً، ولهذا فإن أي دراسةٍ عنها يجب أن تخضع لمجموعة من المحددات والمبادئ. وتبعاً لذلك فإن هذا الكتاب يحدد إطاره الزمني بالسنوات التي سبقت عام 1869، ويركز على التأثير المتبادل بين طموح (نيتشه) والعالم الذي تطور فيه. بين إرثه الثقافي الذي تلقاه والسبل التي حوّل بها هذا الإرث لاستخداماته الخاصة. وكان من الممكن أن يركز الكتاب على موسيقاه، ولكن آخرين سبق وفعلوا ذلك.[1] وكان يمكن أن يتم ايلاء اهتمامٍ أكبر بكتاباته بشكلٍ عام ولكن (هيرمان جوزف شميدت Hermann Josef Schmidt) خصص أربع مجلدات كبيرة لهذا المشروع، على الرغم من أنه توقف قبل بلوغ (نيتشه) العشرين.[2] وكان من الممكن أن تغطي هذه السيرة تطوره الفلسفي بمزيدٍ من التفصيل وهو نهجٌ لا يقدر بثمن، وتم توخيه في نسخةٍ سابقة. ولكن هذا سوف يحتاج إلى كتابٍ بحد ذاته، ويبدو من الأفضل هنا التركيز على الشيء الأكثر ارتباطاً بهذه السيرة. إن موضوع تنظيم هذا الكتاب هو محاولة (نيتشه) توجيه حياته الخاصة وبالتالي تطوير وإظهار شخصيته الخاصة. وبمجرد أن بدأ صراحةً بهذه العملية (في عمر الثالثة عشرة)، بدأت أمورٌ أخرى تدخل في الإعتبار بشكلٍ كبير كما أنها أثّرت على هذا المسعى.

ينتهي هذا الكتاب مع بلوغ (نيتشه) الرابعة والعشرين لثلاثة أسباب: أولاً في هذا السن انتُزع الفيلسوف قسراً من الدراسات العليا، ومنح الدكتوراه وعُيّن في منصبٍ أكاديميٍ بعيداً عن موطنه، وأصبحت حياته منذ ذلك الوقت وصاعداً مختلفةً جذرياً. ثانياً عند بلوغه الرابعة والعشرين تحرر من إشراف الوصي، مما سمح له بإدارة أموره المالية، وبالتالي مُنح الاحترام كبالغ. وأخيراً، والأهم، نظراً لتركيز هذا الكتاب عليه، فإن (نيتشه) قد اعتبر سن الرابعة والعشرين سن الذروة، لأن شخصية المرء عندها تكون قد أخذت خصائصها المميزة. قد تتطور لاحقاً وتنتج أعمالاً مميزةً لنفسها، ولكن بوصولك إلى الرابعة والعشرين فإن ذلك قد

---

(1) انظر Love 1963; Janz 1972: 113 - 142; Janz 1976، انظر أيضاً Liébert 2004

(2) Schmidt 1991 - 1994

حدد نوعية ذاتك، ولن تتغير بشكلٍ جذريٍ بعد الآن.[1] ومن وجهة نظر (نيتشه) أنه كان مصيباً بشكلٍ قاطع.

سوف ينزعج بعض القراء من استخدامنا لكلماتٍ ألمانية أحياناً في حين يبدو أن الإنجليزية تفي بالغرض. أنا أصر على استخدام ((بيلدانغ Bildung)) و((ويسنشافت Wissenschaft)) من بين العديد غيرها، لأن هذه الكلمات متشابكة جداً مع افتراضات الثقافة التي أنتجتها ولا يمكن ترجمتها، ومن المضلل أن نستبدلها بشكلٍ إنجليزي. والأسوأ من ذلك فإن أي ترجمةٍ مستعارة لن تتواصل مع تغيرات المعنى التي خضعت لها هذه الاصطلاحات خلال فترة القرن التاسع عشر، هذه التغييرات التي كان لها أثرٌ في تحول مواقف (نيتشه).

يعتمد هذا الكتاب بشكلٍ كبيرٍ وبالحقيقة بشكلٍ شبه حصري على العمل الأرشيفي لباحثين أوروبيين، معظمه كُتب بالألمانية. وفي الواقع إذا كان هذا الكتاب يقدّم أي فكرة مبتدعة رائدة خلف استخدام التحليل الذاتي لـ(نيتشه) فهي اعتماده على جمعٍ من المخطوطات التي لم تمس من قِبل أي سيرةٍ كتبت بالإنجليزية قبل ذلك. إن رواية (مارتن بيرنيت Martin Pernet) الرائدة في تنشئة (نيتشه) الدينية مليئةٌ بمعلوماتٍ لا تقدر بثمن عن (روكن ونامبورغ وبفورتا وبون Röcken, Naumburg, Pforta, and Bonn) خلال منتصف القرن التاسع عشر.[2] ويجب أن نضيف إليها التحريات الخاصة لـ(جوهان فيغل Johann Figl) عن تطور (نيتشه) الديني، والمقالات العديدة التي كتبها عن جوانب متفردة في حياة الفيلسوف المبكرة.[3] لقد قمت باستخدام (فيغل) أقل مما كنت أتمنى، ولكن دَيني له كنموذجٍ لباحث في كتابة السير هو أمرٌ أساسي. وقد أنتج (كلاوس غوتش Klaus Goch) تاريخاً متيناً عن والدة (نيتشه) وبحثاً ممتازاً عن أبيه.[4] كما حقق (جوليانو كامبيوني Giuliano Campioni) وزملاؤه في العمل أخيراً ما لم يستطع (رودولف شتاينر Rudolf Steiner) ولا (ماكس أولر Max Oehler) أن يحققاه، وهو دراسةٌ كاملةٌ متبحرةٌ لكتب (نيتشه) الموجودة في مكتبته الخاصة.[5] وقد درس (هيرمان جوزيف شميدت) كتابات (نيتشه) ووجهات نظره الدينية في

(1) KGW I - 5: 45 انظر الفصل 14، القسم 1.

(2) pernet 1989

(3) Figl 1984

(4) Goch 1994 and 2000

(5) Campioni et al 2003

المجلدات الأربعة لـ(نيتشه) الغامض.[1] وفي حين تبدو بعض تفسيراته محل تساؤل، فقد شدد بحقٍ على أهمية أعمال الصبا لـ(نيتشه) واستكشفها بمزيجٍ من المثابرة والاحترام حيث أصبحت تذهل القارئ أيضاً.[2] وأخيراً قام (توماس بروبير Thomas Brobjer) وهو الكاتب الوحيد بالإنجليزية هنا، بدراسة الكتب التي قرأها (نيتشه) واستعان لذلك بقراءة سجلاته المدرسية.[3] أيقظني عمل (بروبير) على إمكانية بناء سيرة تستند إلى الحقائق بدلًا من المذكرات، إن ديوني له لا تحصى.

وفي حين أن هذا الكتاب مدينٌ بشكل أساسي للدراسات المتخصصة السابقة، فإن المؤلف على درايةٍ بسيرٍ ذاتية أكثر عمومية لـ(Hollingdale)، (R.J)، (Ronald Hayman) (كلتا الدراستين)، ((Graham Parkes)، (Peter Bergmann)، (Julian Young)، (Curtis Cate ((Carl Pletsch)، من بين آخرين، وبالألمانية (Curt)، (Richard Blunck)، (Erich Podach)، (Paul Janz)، (Werner Ross)، (Jørgen Kjaer)، (Ulf Heise)، (Anacleto Verrecchia)، (Christian Niemeyer)).[4]

وفي حين أن كل هذه الدراسات بدون شك قد مارست تأثيراً مبطناً على الدراسة الحالية ـ وهي بالتأكيد تشكل نقطة الانطلاق لأبحاثها ـ فإن الدراسة الوحيدة بالإنجليزية القابلة للمقارنة، والتي أعلم أني أدين لها بالكثير هي «نيتشه الشاب: يصبح عبقرياً Young Nietzsche: becoming a genius» للكاتب (كارل بليتش Carl Pletsch).[5] ويؤكد (بليتش) على محاولات (نيتشه) لملاحقة أحلامه ولاسيما سعيه لـ(أن يصبح عبقرياً)، وفي حين لا أستطيع موافقته على تركيزه على (عبقري)، فأنا أفترض أن (بليتش) كان مصيباً بادعائه أن

---

(1) Schmidt 1991 - 1994

(2) للحصول على ملخص لمواقف (شميدت) انظر Hodl 2009:73 - 74

(3) لقد كان (بروبير) خصباً ولكن القطعتين اللتين كان لهما أكبر الأثر في هذا الكتاب هما Brobjer 1999 و2001b

(4) Hayman 1980; Hollingdale 1973 and 1999; Cate 2002; Young 2010; Bergmann 1987; Parkes 1994;
Pletsch 1991; Podach 1930 and 1932; Blunck 1953; Janz 1978; Ross 1980; Kjaer 1990; Heise 2000;
Verrecchia 1986; and Niemeyer 1998

(5) وانا مدين لـ(بول لوب Paul Loeb) على إشارته إلى أوجه الشبه بين آرائي وآراء (بليتش Pletsch)

(نيتشه) سعى بنشاطٍ لتوجيه حياته نحو غاياتٍ محددة. ونحن لا نختلف إلا بموضوع هذا الطموح، على الرغم من أن آثار هذا التحول كانت هائلة. لقد كان كتاب (بليتش) ملهماً عندما قرأته للمرة الأولى، ولقد حاولت أن أبقى وفياً للعناصر الهامة في رؤيته.

وإنه لمن دواعي سروري أن أختم مع قائمة ديوني الشخصية. أولاً، يجب أن أشكر (بول لوب Paul Loeb) الذي كان دائما مشجعاً لي في هذا المشروع، ووفّر لي المنابر لأظهر أمام الجمهور، وغالباً ما عرض نصائح لاتقدر بثمن. دينٌ كبير أيضاً لـ(كريستا ديفيس أكامبورا Christa Davis Acampora) التي أوصت بعملي للآخرين، وأتاحت لي الفرصة لوضع أفكاري على الورق. التقيت مع (لورانس لامبرت Laurence Lampert) وغالباً ما التقت أفكارنا وكان بلطفه وحماسه وكتبه المحفزة، داعماً وملهماً لي. وقد جاء (مارك أندرسون Mark Anderson) لمساعدتي فيما يخص نقطةً باليونانية، كما حسن (ديفيد تينسليDavid Tinsley) كثيراً في الترجمة. وطلب مني (رينر ج هانش Rainer J. Hanshe) أن أكتب مراجعة للكتاب وأجري مقابلاتٍ على الموقع الالكتروني «دائرة نيتشه The Nietzsche Circle » عندما كان هذا المشروع في بدايته. وقام شخصان لا أعرفهما بمراجعة كل المشروع وقدما توصياتٍ هامة. وكثيراً ما ناقشت (نيتشه) مع (دان فينك Dan Fincke). وكلٌ من (ميجور وولارد Major Woolard وديفيد بلو David Blue وكارين بول Karen Ball وآنا إلياسن Ana Eliasen وصوفي أبيل Sophie Appell) قرؤوا مسودات المشروع أو قدموا مساعدةً قيمة. وظهرت (لي كينبي Lee Quinby) عندما كان الكتاب على وشك الإنتهاء وقامت بقراءته بمجمله وقدمت نصائح ممتازة وإني أتساءل كيف كان يمكن أن أنهي الكتاب من دونها. إن كلاً من (هيلاري غاسكين Hilary Gaskin وروزماري كراولي Rosemary Crawley وكريستوفر نزالانكازي Christofere Nzalankazi وبرونتي رولينغز Bronte Rawlings وإليزابيث دافيسون Elizabeth Davison وبربارة دوشرتي Barbara Docherty) من مطبعة جامعة كمبردج، كانوا شديدي التهذيب ومتعاونين بشكلٍ كبير. وأخيراً، يجب أن أشكر المخلصة لهذا الكتاب (أدريان فريد بلوك Adrienne Fried Block) الرئيس الأسبق لمشروع «موسيقى في غوثام Music in Gotham» وهي نفسها كاتبة السيرة الموقرة لمؤلفة هذا العمل (آمي بيتش Amy Beach). إن (أدريان) كانت أول جمهورٍ لي وأكثر النقاد سخاءً. وبالرغم من أنها لم تعش لترى اكتمال المشروع أتمنى أن تكون سعيدةً بما تم إنجازه وأنا أفكر بالمشروع، بشكلٍ ما، على أنه لها.

الفصل الأول

الإرث

أحببنا ذلك أم لم نحبه، فنحن نِتاج أجيالٍ سابقة، نِتاجٌ لانحرافاتها أيضاً، شغفها، أخطائها، بل جرائمها، ومن غير الممكن أن نحرر أنفسنا كلياً من هذا القيد.[1]

لقد رُبيّ (فريدريك نيتشه) على توقير والده. توفي الرجل مبكراً ولكن تم استحضاره بشكلٍ مستمرٍ كنموذجٍ لابنه، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن العائلة كانت تحب أفرادها الراحلين حقاً، ولكن أيضاً لأن (نيتشه) كان الصبي الوحيد الباقي على قيد الحياة في عائلته، وفي تلك الأيام من الهيمنة الذكورية كان أيضاً محل آمال وطموحات العائلة. وكان مفهوماً بين الأقارب أن الصبي سيبدأ من حيث توقف أبوه ويستعيد شعلة الرجل الساقطة.

من شأن ميراثٍ كهذا أن يكون مرهقاً تحت أي ظروف. وكان أكثر من ذلك في حالة (نيتشه) لأنه قد رُبي لينظر إلى أبيه كسلفٍ قديس «الصورة المثالية للكاهن في الريف».[2]

وكانت أخته (إليزابيث فورستر ـ نيتشه) مجتهدةً في نقل هذه الصورة للأجيال اللاحقة، والعديد من كتّاب السير الذاتية قد أخذوا بكلامها. ولأن الابن مشهورٌ جداً فقد تم نفض الغبار عن حياة الأب، واليوم يرجع الشكر إلى جهود (كلاوس غوش) حيث جعل القرّاء يعرفون عن (كارل لودفيغ نيتشه Carl Ludwig Nietzsche) أكثر مما كان يمكن لابنه أن يكتشفه.[3]

وفي السير العملية قد تعلمون بشكلٍ غير مفاجئ أن الرجل الحالي كان أكثر هشاشةً وضعفاً مما تسمح به الأسطورة. وهذا لا ينفي أنه كان بطرقٍ عديدةٍ بطولياً ويستحق احترام

(1) UO II: 3; KSA I: 270

(2) KGW I - 1: 282

(3) .Goch 2000

عائلته ولكنه ببساطةٍ ـ كما أي إنسانٍ ـ لا يمكن أن يكون الشخصية المثالية التي قدمت كنموذجٍ لابنه.

تبدأ هذه السيرة الذاتية بدراسة مهنة والد (نيتشه)، لأن الأحداث التي حصلت خلال طفولة الفيلسوف (تلك المتعلقة بأبيه على وجه الخصوص)، اعتبرت بحقٍ من قبله محوراً مهماً جداً في حياته.[1] علاوةً على ذلك فإن عبارة «بنفس انحناء الأغصان تنمو الأشجار» ينطبق على العائلات كما الأفراد. لقد لعب (كارل لودفيغ نيتشه) دوراً حاسماً في تكوين الأسلوب والديناميكيات السلوكية لعائلته. وهذه العادات التي أسسها كانت كائناً حياً بذاتها وسوف لن تختفي بمجرد موت السلف. إن اللياقة والأسلوب العاطفي اللذين غرسهما المتوفى في المقربين منه، والتوترات الإجتماعية الذي تحاصر زوجته، سوف تستمر في إبلاغ أفعالهم وتشكيل الأطفال الذين تركهم خلفه.

1

إذا كان التشكل المبكر لـ(فريدريك نيتشه) متجذراً في تاريخ عائلته، فقد نشأ والده في ظروف تاريخية جليلة، حيث لفت (نيتشه) الانتباه لهذا في واحدة من النسخ لآخر سيرةٍ شخصيةٍ كتبها، عندما قال إن أباه قد ولد في (إيلنبورغ، ساكسونيا)، في 10 أكتوبر من عام 1813، بعد ساعاتٍ قليلةٍ فقط من دخول (نابليون) وقواته إلى المدينة.[2] وفي ذلك الوقت فإن (نيتشه) استطاع الاعتماد على القرّاء لإدراك أهمية هذا الحدث، ومع ذلك فعلى الأرجح أن جمهور اليوم لن ينتبه إلى ملاحظة (نيتشه) هذه، ولن يكون مدركاً أن الإمبراطور في ذاك التاريخ كان يفكر في قرار مواجهة العدو في معركة (لايبزيغ Leipzig). في هذه المعركة كانت كلٌ من القوات البروسية والروسية والسويدية والنمساوية في مواجهة الجنرال الفرنسي حيث هُزم هزيمة نكراء لم يستطع التعافي بعدها أبداً.

من خلال ربط ولادة والده مع الحدث الذي أدى لسقوط (نابليون)، لم يكن (نيتشه) يربطه فقط بشخصيةٍ مهيبةٍ ومعركةٍ تاريخية، بل لقد كان يضع ذلك الحدث ضمن سياقه التاريخي، أي كنقطة تحول لأوربا، ونهاية العصر الثوري، وبداية عصر جديد، العصر الذي نطلق عليه العصر الحديث.

(1) KGW I - 3: 417.

(2) KSA 14: 472 في الحقيقة وصل نابليون في وقتٍ متأخرٍ من التاسع من أكتوبر، وولد (كارل لودفيغ نيتشه) في الساعات الأولى من العاشر من أكتوبر، ولهذا فإن ما قاله ابنه صحيح.

لم تكن هذه أوقاتاً سهلة، سواء لمواطني (إيلنبورغ) وكذلك لوالدي الطفل. لقد كانت مدينتهم تقع على مسافة 25 كيلومتراً شمال شرق (لايبزيغ)، في منطقةٍ استباحتها جيوشٌ معسكرةٌ في العراء والتي يفترض أن تكون قواتٍ صديقة، ولكنهم أقاموا على الأراضي وذبحوا مواشي السكان ونهبوا منازلهم واستخدموا خشب بيوتهم حطباً.[1]

في خضم هذا الكم من الاضطرابات كان لوالدي الطفل فرصة ضئيلة للإحتفال بوليدهم أو حتى لتعميده. خدم الأب (فريدريك أوغست لودفيغ نيتشه Friedrich August Ludwig Nietzsche) كمشرفٍ في الكنيسة اللوثرية، ولم يقتصر عمله على إسداء النصح لكهنته، بل تضمن التعامل مع السلطات أيضاً، وإرشاد أعضاء بائسةٍ من أتباعه.[2] كان عمره سبعةً وخمسين عاماً، وهو عمرٌ متقدمٌ ليحتمل مثل هذه الضغوط، وفي خضم واجباته الرسمية كان عليه أن يحمي ويرعى زوجته الأصغر سناً والجديدة نسبياً (إردموث ني كروس Erdmuthe née Krause). (كان الزواج الثاني لكلا الزوجين بعد وفاة شريكيهما السابقين). بعمر الرابعة والثلاثين ومنهكة من الولادة، لم تكن قادرةً إلا على رعاية الطفل الوليد، والمراقبة في حالتها الضعيفة للجيوش بجوارها وقد بدأت زحفها جنوباً. وفي الفترة ما بين 16 إلى 19 أكتوبر من عام 1813 تجمع نصف مليون جندي فيما وصفه مؤخراً أحد المؤرخين بأنه «أعظم حشدٍ عسكريٍ واحدٍ إلى ذلك اليوم في تاريخ القارة الأوروبية وربما في تاريخ الإنسانية العسكري».[3] كان قصف المدافع في (لايبزيغ) شديداً بما يكفي لهز الأرض وقرقعة النوافذ حتى في (إيلنبورغ).[4] سوف لن تتعافى (إردموث) تماماً من الناحية النفسية. ووفقاً لحفيدتها، فقد عانت من رعبٍ أثّر عليها لباقي حياتها.[5]

لقد كان (فريدرك أوغست لودفيغ نيتشه) فيما يبدو رجلاً مؤسساتياً بشكلٍ كبيرٍ قبل الحرب، وصاحب مرونة سياسية بعد الحرب. فبالرغم من أنه أقسم يمين الولاء لملك ساكسونيا، إلا أنه قبِل المعاهدات الجديدة التي منحت المدينة إلى (بروسيا) ووضع مصيره مع المنتصرين. وبالطبع ستمضي عقودٌ حتى يستطيع الشعب الشفاء من

(1) Goch 2000: 4، انظر أيضا Colson 2013: 35
(2) Goch 2000: 46 - 47
(3) Clark 2006: 367 قارن مع Esdaile 1995: 251
(4) Goch 2000: 4
(5) Förster - Nietzsche 1912: 2

اضطراب كهذا، ومن المحتمل أن معظم الجيل الذي تأثر بشكلٍ مباشرٍ لن ينسى أبداً ما عاناه من دمار.[1]

ومع ذلك تغيرت الظروف بسرعة خلال العامين القادمين، فقد تنازل (نابليون) عن العرش وتم التفاوض على معاهدة سلام واستأنف العديد من الحكام السابقين سلطاتهم السابقة وتم منح مدينة (إيلنبورغ) التي كانت حتى هذه اللحظة جزءاً من مملكة (ساكسونيا) كجائزة ترضيةٍ إلى عدوها البغيض [أي بروسيا]. وبالتالي كان على (فريدريك أوغست لودفيغ نيتشه)، كممثلٍ للسلطة المدنية، إقناع أتباع كنيسته بالقبول بالحكومة الجديدة والتمتع بالفوائد الاقتصادية التي يمكن أن تقدمها (بروسيا).[2]

ومما لا شك فيه أن جهود المشرف (نيتشه) لم تكن صعبةً بسبب الإحساس العام بالإنهاك من الحرب والراحة بعد انتهاء القتال.[3] وبعد ربع قرنٍ من العنف فإن معظم القارة الأوربية عادت إلى أحضان المحافظين المتدينين. وخلف كواليس الأمر الواقع، كان الملوك ورعاياهم يعلمون أن الأمور ليست كما تبدو، لقد رأت الشعوب ملوكها تفر أمام الجيوش الغازية. شاركت الجماهير في الانتصار عسكرياً في نهاية المطاف وعرفت أن بإمكانها إدارة السلطة.[4]

وفوق ذلك تعرضت هذه الجماهير إلى أيديولوجيةٍ تحريضيةٍ علمانيةٍ وسياسية (يرمز لها بالشعار «حرية، مساواة، أخوة»)، والتي قد ترفضها ولكنها لن تنساها تماماً. وبشكلٍ مشابهٍ فقد برزت إيديولوجيةٌ جديدةٌ وأكثر خطراً ألا وهي القومية والتي بدأت تنتشر بين الجماهير بشكلٍ كبير.[5]

(1) لمزيد من المعلومات عن الشعور بالوهن الناجم عن المعاهدة انظر Blue 2007

(2) Goch 2000: 5 - 11

(3) تستند هذه الفقرة إلى العديد من الدراسات التاريخية، والتي أثبتت أنها مفيدة بشكلٍ خاص في هذا الموضع من الكتاب ولاحقاً:

Brose 2013; Carr 1991; Clark 2006; Nipperdey1996; Schulze 1998; Sheehan 1989; and Simms 1998

ومن الواضح أن هذا العرض مبسط، ولكنه مصمم فقط لحالة عائلة (نيتشه) وحالتها التاريخية الجديدة.

(4) يبدو أن رأي الجماهير في المشاركة بالعمل العسكري كان مجرد أسطورة، ولكنها أسطورةٌ انتشرت بشكل واسع وكانت مصدراً لفخرٍ كبير، انظر على سبيل المثال Clark 2006: 379 - 38

(5) لمناقشة «الاستعادة» المفعمة أيديولوجياً للملكية في (بروسيا) وأماكن أخرى، انظر Barclay 1995: 16 - 4. لأجل نقاشٍ جغرافيٍ دقيق حول الأثر في (ساكسونيا) ودول أخرى انظر Green 2001: 62 - 96 وخصوصا 62 - 67

في هذا العالم المسالم بحزم مع القيد المحكم على غير المنطوق [حرية الكلمة]، ترعرع (كارل لودفيغ نيتشه) أو (لودفيغ كما كان يُعرف)، نشأ كفردٍ من الجيل التالي للحرب، الجيل الملتزم بشدةٍ بالقيم المحافظة. وخلافاً لبعض الملامح السياسية المضطربة التي بدأت بالظهور فإن (لودفيغ) قبِل العالم الذي نادت به السلطة، ونشأ ليكون صبياً متديناً بصدق، مجتهداً في دروسه ومدركاً أن إلهه كان قاضياً مخيفاً يجب إطاعته في كل الأمور، صغيرها وكبيرها.[1]

إن (فريدرك أوغست لودفيغ نيتشه)، كرجل أيّد التعليم طوال عمره قد أشرف بنفسه على تعليم ابنه بعنايةٍ خاصة. وأظهر الطفل ضعفاً في الرياضيات ونبوغاً في الدراسات الأدبية، كما أظهر أهليةً للموسيقا. ولعلّ والده أخذ علماً بمهاراته اللفظية، وافترضت العائلة أن لودفيغ في طريقه ليصبح كاهناً (ومما لا شك فيه أن لودفيغ دُفع ليعتقد ذلك).

وكان هذا الدفع المبكر ليتخذ مهنةً بضغط لأسبابٍ اقتصادية. وعندما بلغ (فريدرك أوغست لودفيغ نيتشه) أواخر الستينات وبدأ يُحس بدنو أجله، أدرك بأن المصير المالي لأرملته المستقبلية وابنتيه الصغيرتين سيقع على عاتق ابنه، حيث أن أبناءه السبعة من زواجه الأول الذين بقوا على قيد الحياة كانوا الآن بالغين مستقرين نسبياً.[2]

وهذا بالكاد ما يمكن أن يقال عن ذريته الحالية، الذين كانت أعمارهم في عام 1826، خمسة عشر، اثني عشر، وعشرة أعوام على التتالي. حيث كانت ابنتاه بشكلٍ خاص ضعيفتين، لأنهما لا يمكن أن تتمتعا بحمايةٍ مالية إلا إذا ارتبطت الواحدة منهما بذكرٍ محميٍ مالياً. وما لم تتزوجا فإن المصدر الوحيد للتمويل مستقبلاً سوف يأتي من (لودفيغ) نفسه.

ويبدو أن الابن المطيع قد فهم التزامه وقبِل به، وفي سن الثانية عشرة كتب أول موعظةٍ له.[3] وفي 16 مارس 1826، عن عمرٍ ناهز السبعين عاماً، توفي (فريدرك أوغست لودفيغ نيتشه)، تاركاً أسرته في وضعٍ ماليٍ حرج.[4]

أما زوجته (إردموث نيتشه) الأصغر منه سناً (ستكون الآن في السابعة والأربعين) فكان

(1) قام وهو طفل برسم واحدٍ يمثل رجلًا شرساً يلوح بعصاً ويقف بجانب إنجيل كتب عليه: «يجب على المرء ان يوقر كلمة الرب». Goch 2000: 89.

(2) بكلامٍ نسبي، فابنته الصغرى لينا على سبيل المثال، لم تتزوج أبدا وعاشت مع أشقائها

(3) Goch 2000: 69 - 70

(4) لسيرة مختصرة عن «فردريك أوغست لودفيغ نيتشه» انظر Pernet 1989: 37 - 42 وGoch 2000:41 - 55

معاشها عن زوجها الراحل 100 تيرل سنوياً،[1] وهو مبلغٌ زهيدٌ بشكلٍ غير طبيعي مقارنةً بما تحتاجه أي عائلةٍ برجوازيةٍ محترمة، وهو ستة أضعاف هذا المبلغ.[2] ولم يساور زوجها الراحل أي شكٍ حول قدرتها على الصمود في المستقبل، ويبدو أنها كانت عند حسن ظنه. في الواقع لقد كانت (إردموث) محنكةً مع المصائب، وبعضها كان أسوأ بكثيرٍ من المعركة التي سبق ذكرها. لقد تزوجت لأول مرةٍ في سن الثالثة والعشرين، وأنجبت طفلها الأول الذي توفي لاحقاً بعد فترةٍ بسيطةٍ من عيد ميلاده الأول.[3] وبعد ذلك بقليلٍ، عندما كانت تعيش في (فايمار weimar)، نهب اللصوص الفرنسيون تلك المدينة، مرتكبين جرائم الاغتصاب والقتل والحرق.[4] وتوفي زوجها الذي عانى من السل لفترة طويلة بعد هذه الحادثة بشهر، وربما سرعت وحشية الفرنسيين في هلاكه.[5] وهكذا وجدت (إردموث) نفسها في سن الثامنة والعشرين قد فقدت عائلتها الأولى وعلى الأرجح تبخرت كل أحلامها الشابة.[6]

بعدها غادرت إلى (نامبورغ) القريبة حيث كان شقيقها واعظاً في الكاتدرائية، وهناك صنعت لنفسها صداقاتٍ متينة. وكان في هذه المدينة أن التقت وتزوجت الرجل الأكبر منها سناً (فريدرك أوغست لودفيغ نيتشه) وبدأت حقبة من سبعة عشر عاماً من الاستقرار الذي انتهى للتو. وها هي قد فقدت كل هؤلاء الذكور في حياتها (كلا الزوجين، ابنها الأول، والأخ الحامي)، وبحكم الضرورة وضعت نصب عينيها صبي العائلة المتبقي لها وبدأت باحتساب الاحتمالات.

---

(1) Goch 2000: 60 - 61, n. 126 وفيما يتعلق بالقوة الشرائية Turnerو McClelland 1980: 210 - 211 1980a:132 - 133

(2) لتعرف عن مالية (إردموث) انظر Bohley 1989: 385, n. 48.وتشير (فورستر نيتشه) إن الأسرة ورثت المال من الأخ غير الشقيق الذي مات بدون أطفال Förster - Nietzsche 1912: 4، ويبدو أن هذا الأخ غير الشقيق المطابق لوصفها كان موجوداً فعلا وربما يكون قد ترك بعض الأموال، ويحتمل أن (إردموث) ورثت من وصية زوجها الأول (كريستوف كروجر Christoph Krüger)

(3) كل المعلومات عن عائلة (إردموث نيتشه) الأولى مأخوذة من « Rosmiarek et al. 2003: 35 وBohley 1989: 380، وبالمصادفة، كان زوج (إردموث) الأول (كارل كريستوف هاينرش كروجر) ابن عم الكاتب المسرحي المعروف (أوغست فون كوتزيبو August von Kotzebue). لمعرفة أكثر عن تأثيرات هذه القرابة انظر الفصل 9، القسم 2. إن قصص (نيتشه) عن معرفة مفترضة بين جدته و(جوته Goethe) هي محض خيال، Goch 2000: 61, n. 128; 65 - 66, n. 135

(4) تقص (فورستر - نيتشه) بعض الحكايات الميلودرامية « Förster - Nietzsche 1895: I 63 - 64وربما تكون (إردموث) فعلاً قد شهدت العنف، انظر « Safranski 1989: 76 - 78

(5) وقعت معركة جينا في 14 أكتوبر 1806. توفي زوج (إردموث) الأول في 16 نوفمبر بالسل. Rosmiarek et al. 2003: 351

(6) Goch 2000: 130

2

في سن الثانية عشرة، كان (لودفيغ نيتشه) حسن النية ولكنه غير ناضجٍ بعد. طفلٌ مريضٌ ومنفعل، ويبدو أنه يظهر القليل من الطموح وراء الرغبة في اتباع خطى أبيه في أن يصبح رجل دين، ورغبةً واضحةً للبقاء بجانب أمه الحبيبة. وكانت هذه الرغبات غير متوافقةٍ كما أدركت (إردموث). فليصبح رجل دين، كان يجب عليه أن يتعلم الفرنسية وأن يبرع في اللاتينية (وهي متطلبات القبول في المدرسة التحضيرية لتعليم اللاهوت)، وأن يشق طريقه خلال عشر سنوات من التعليم الصارم بقليلٍ من الدعم المالي، كل هذا وهو بعيدٌ عن المنزل. وهذا يتطلب إجراءاتٍ بطولية، وسوف يتطلب (لودفيغ) معاملةً صارمةً إذا كان سيعيش وفقاً لمعاييرهم.[1]

بجميع المقاييس كان (لودفيغ) متعلقاً على نحو غير عاديٍ بوالدته، وقد استغلت (إردموث) هذا التعلق.[2] وكانت خطوتها الأولى هي إرسال الصبي بعيداً، وإبقاؤه بعيداً، بحيث يراها غالباً في العطل، وقد جعلت لم الشمل كمكافآتٍ للسلوك الجيد. وأرسلته في البداية إلى أقارب في (هاله Halle) لدراسة الفرنسية، ثم رتبت له لحضور مدرسةٍ تحضيريةٍ على مسافةٍ أبعد في (روسلبين Rossleben). عانى لودفيغ من الحنين للبيت بينما كان عند أقاربه وشعر بالتعاسة الشديدة في (روسلبين)، ولكن تعليمات (إردموث) له كانت أن يتحمل هذه المحنة من أجله ومن أجلها على السواء. لقد عرفت أن الحياة صعبة وقد أوضحت لابنها أن النجاح لا يأتي دون مشقة. «ثق بالله وابذل جهدك»، هذه كانت توجيهاتها له، مشيرةً إلى أنه يمكن أن يكسب حب والدته من خلال الدراسة بشكلٍ صارم، وفوق كل شيء تعهدت بأن تقدم له النصيحة وتساعده خلال مسيرته، كما فعلت في رسائلها. وفي الواقع، كما أشارت المراسلات بين الأم وابنها، فإن تعليم الصبي كان في بعض جوانبه مشروعاً مشتركاً، حيث يرسل (لودفيغ) تقارير إنجازه، وترسل (إردموث) نصائحها ووصاياها. وعلى الرغم من أنه كان لهذه الشراكة جوانبها المتلاعبة والمقلقة نفسياً، وهذا ما أشار له كاتب سيرة (لودفيغ) كثيراً، ومع ذلك فإنه من غير المنصف لأي طرفٍ التغاضي عن السياق الديني الأكبر. فمن جانبٍ كانت (إردموث) تجمل طلباتها بوعدها أن تعطي (لودفيغ) قبلةً كمكافأةٍ له على علاماته

(1) مالم يذكر خلاف ذلك، هذه الدراسة عن حياة (كارل لودفيغ نيتشه) مأخوذة من Goch 2000 انظر ايضاً Bohley 1987

(2) Goch 2000: 59 - 60, 130, and passim; Pernet 1989: 44; Schmidt 1991 - 1994 II: 863

الجيدة، ومن جانبٍ آخر كانت قد لجأت إلى النسخة التنويرية من المسيحية والتي شددت على التضحية بالملذات العابرة والاكتفاء بالغرض الأسمى. في عيون الأم وابنها، كانا قد شرعا في رحلةٍ روحيةٍ مشتركة تضمنت الإحساس بأهمية المسؤولية، وقادت إلى نجاح عملي وعززت الامتثال لأوامر الرب.[1]

لمدة عشرة أعوامٍ تحمّل (لودفيغ) البؤس الديكنزي (الشتاءات المتجمدة، التنمر التافه، الفئران في الفراش)، وكانت (إردموث) غير متعاطفةٍ استراتيجياً لمعظمها. لقد كان ولداً وحيداً مع قليلٍ من المهارات الإجتماعية، ومكروهاً من قبل زملاء الدراسة بسبب سلوكه التقي.[2]

وفي مناسباتٍ قليلةٍ عندما حاول تكوين صداقاتٍ، كتبت له أمه بالرفض لأنها كانت تخشى أن تسبب له العلاقات الإجتماعية متاعب أو تلهيه عن دراسته.[3] وعندما أراد أن يأتي للمنزل في العطلة، شعرت بقلقٍ سببه المصاريف.[4] وفي أحد الأعوام رفضت بشكلٍ قاطعٍ عودته لحضور عيد الميلاد وكان هذا قراراً مدمراً للصبي.[5] وعندما عانى من صداعٍ مؤلمٍ واضطرابات في المعدة، وصعوبة في التنفس، قالت إنه ربما جلب هذا لنفسه بعدم ارتدائه الملابس المناسبة في البرد.[6] وبسبب حالة الإنزعاج والإذلال التي عانى منها (لودفيغ) فقد وجد في سن الثامنة عشرة أن عموده الفقري كان ينحني، وكانت الحالة شديدةً بحيث سببت له فقدان توازنٍ وسقوطاً على الأرض.[7] وخلال السنتين القادمتين على الأقل اضطر لارتداء مشدٍ جلديٍ رفع صدره وضمن وضعيةً جيدةً لظهره. وعلى الرغم أنه في النهاية تمكن من التخلص من هذا السرج، فقد استمرت معاناة الصعوبات في ظهره ووركيه في عشرينياته وربما فيما بعد أيضاً.[8]

---

(1) Goch 2000: 128 - 132, 65, 77, 116 لفهم فلسفة (إردموث) في الحياة انظر Goch 2000: 66 - 70, 162 - 163

(2) Goch 2000: 114 - 115, 139 - 140, 170 - 172.

(3) Goch 2000: 218 - 219 انظر أيضا 99 (140 - 139 ,136 - 134 ,(nn. 23, 24 رفضت إردموث أيضا توجهات ابنها الفنية خوفاً من أن تشتت ابنها Goch 2000: 168

(4) Goch 2000:131

(5) Goch 2000: 130 - 132

(6) Goch 2000:81, 82, 133

(7) على الرغم من أن (لودفيغ) عولج للمرة الأولى من حالته عام 1831 (في عمر السابعة عشرة)، فقد كانت قد شخصت الحالة في بداية فبراير 1828 عندما كان في الرابعة عشرة Goch 2000: 82, 153 - 154

(8) خلال دراسته الجامعية (في 1833 و1836) أعفاه الجيش مرتين من الخدمة العسكرية بسبب عدم ملائمته جسدياً، وسجل أحدهما بسبب «الوركين الملتويين» Goch 2000: 259

خلال هذه الأوقات الصعبة، كان (لودفيغ) مدعوماً بإيمانٍ مزدوج: بأنه كان يخدم الرب وأنه كان يجعل أمه سعيدة.

في الواقع، لقد أبرزت الأزمة فيه الجانب العنيد، الصبور، المثابر، وهذا مالم يكن يُشتبه به عندما كان بجانب أمه في (إيلنبورغ).

كانت (المثابرة والعمل الشاق) ((كونستانتيا إت لابوري Constantia et labore)) شعاره،[1] وقد نجح في كل مهامه. فلقد أتقن الفرنسية عند أقاربه وتخرج مع مرتبة الشرف في (روسليبن)، وأثار إعجاب أكثر مدرسيه صرامةً ومناكفةً في المعهد اللاهوتي المرموق في (هاله). وقد اقترح (كلاوس غوتش) كاتب السيرة الرئيسي لـ(لودفيغ) أن هذه الإنجازات جاءت بتكلفة.[2] وفي رأيه فإن (لودفيغ) نجح بشكلٍ أو بآخر بنزع نفسه من قيَمه الشخصية، وإلى أجلٍ غير مسمىً، مؤجلاً أي حياةٍ غير التي أمضاها باتباع القواعد والحصول على الدرجات الجيدة.

كان قد نذر نفسه للمسيح (الذي كان في السماء) ولوالدته (في إيلنبورغ البعيدة)، وفي سعيه لهدفٍ كان (حتى هذه اللحظة) على مسافة عدة سنوات. كان بالتالي غير مستعدٍ لليوم الحتمي عندما يتخرج من المدرسة وينطلق في العالم معتمداً على نفسه.

وإذا كان الأمر كذلك، فقد كانت هناك دلائل أن (لودفيغ) أدرك هذه المخاطر وأنه ناور بهدوءٍ ليجد طريقه الخاص. ومرةً، عندما طلبت منه والدته أن يرتدي معطفاً ثقيلاً في سبتمبر، كتب لها باحتجاجٍ لطيف أنه إذا حزم نفسه في سبتمبر فماذا سوف يرتدي في ديسمبر؟[3]

خلال أيام دراسته الجامعية في (هاله)، لم يسجّل (لودفيغ) فقط في دورةٍ للرقص بل غنى في جوقةٍ مختلطةٍ ضمّت من أربعين إلى خمسين امرأة. ووجد نفسه منجذباً إلى إحداهن ونمَت في نفسه أحلامٌ رومانسية بالرغم من أنها سُحقت فيما بعد بسرعة. «هكذا نساءٌ لا ينجذبن للأشخاص غير المتوازنين»[4]، هكذا أخبر والدته ويبدو أنه كان يقصد حالة عموده الفقري، هذه التحولات وعلى الرغم من أنها تبدو لطيفةً مقارنةً بتصرفات أي فتىً مشاكسٍ في عمره، إلا أنها تشير إلى أنه بدأ بفصل نفسه عن سيطرة والدته.

(1) Goch 2000: 230.

(2) انظر كمثال Goch 2000: 35 - 36, 59 - 60, 93 - 94.

(3) Goch 2000: 157.

(4) Goch 2000: 220.

ويبدو أنه قد انتقل من نسختها العقلانية للـ(التقويّة Pietism) [مذهب ديني] إلى إقناعٍ أكثر حماسةً يدعى في الألمانية ((إرويكونزبويغونغ Erweckungsbewegung حركة الصحوة))[1].

كان ذلك خطوةً أكثر راديكاليةً لتأكيد قيَمه، لأنها تتعلق بما هو ليس أقل أهميةً من الدين الذين حكم كلاً من حياته وحياة والدته. رفضت والدته هذه التوجه الديني الجديد، ولم يعلن (لودفيغ) من جهته على الملأ إيمانه الجديد ربما من منطلق احترام آراءها.[2] ومع ذلك فإن أكثر القادة الدينيين تأثيراً فيه إن كان في أعوامه الأخيرة في (هاله) وما بعد ذلك كانوا من حركة الصحوة.[3]

الأكثر غرابة من رؤية مثابرته السابقة كان تقاعسه الواضح عن التخرج، حيث كان عليه أن يخضع لامتحانين فقط للتخرج، وانتظر سنةً كاملة ليقوم بالامتحان الأول.[4] ربما كان محبطاً لأنه أنهى دراساته في وقتٍ حيث كانت فرص العمل لرجال الدين قليلة.[5] وإذا كان الأمر كذلك فقد فشل في أخذ والدته، التي تدخلت مرة أخرى، بالحسبان. فقد كتبت إلى أحد أقاربها وهو نقيبٌ في مدينة الدوق في (إلتنبورغ)، ليستخدم ابنها في تدريس أبنائه وبناته الثمانية. وكان هذا كثيراً على (لودفيغ) ولاسيما أنه لا يعرف شيئاً عن التعامل مع الأطفال، ومع ذلك فقد التحق بالعمل متسلحاً بتفانيه العملي، وصبره، ورواقيته، وعلى ما يبدو فقد نجح في مهمته وكان النقيب سعيداً. وبفضل مهارته في الوعظ والمهارة السياسية لأحد الأصدقاء تمكن (لودفيغ) من مفاوضة عمله الحالي لمنصبٍ مع (جوزيف) دوق (ساكس ـ إلتنبورغ)، الذي كان يبحث عن شخصٍ لإرشاد بناته الثلاث الصغريات، وخصوصاً ابنته البالغة من العمر الخامسة عشرة، والتي بدأت بأخذ تعاليم التثبيت [مرحلة دينية].[6] وبحلول نوفمبر عام 1838 وجد (لودفيغ) نفسه موظفاً بارزاً في القصر، وهو منصبٌ سيشغله لثلاثة أعوامٍ قادمة.

---

(1) ستبحث هذه الحركة بتفصيل أكبر في الفصل 2 القسم 3

(2) ويجمع ثلاثة من كتاب سيرة (لودفيغ نيتشه) على هذه النقطة ;Pernet 1989: 11, 17 ff., 22, 2644 Bohley 1987: 172; Goch 2000: 271 - 278, 300 - 303

(3) Goch 2000: 241 - 245, 271 - 278, 300 - 303

(4) Goch 2000: 256, n. 171 وربما كان التأخير أيضا بسبب ظروف صحية Goch 2000: 256 - 260، لمزيد من التفاصيل انظر Bohley 1987: 176 - 177 وخصوصاً n. 75

(5) Goch 2000: 267, n. 5

(6) كان للدوق ابنة رابعة، (ماريا ألكسندرين ويلهلمين كاثرين فوغ ساشن - إلتنبورغ Maria Alexandrine Wilhelmine Katherine von Sachsen - Altenburg). التي أكملت تعليمها بالفعل، وستتزوج بالنهاية من (جورج الخامس دوق هانوفر George V of Hannover) Goch 2000: 287, n. 41

انبهر الجميع في العائلة الملكية بهذا الموظف الجديد، بما فيهم الدوقة الصعبة المراس، هذا الموظف الذي كان تواقاً لإرضاء كل من حوله ومجتهداً في عمله. وعلى ما يبدو فقد تمتع (لودفيغ) بطبيعةٍ دافئة وحنونة، وهي صفةٌ أثارت، فيما يبدو، إعجاب اثنتين من الأميرات على الأقل، واللاتي سيبقين على اتصالٍ مع عائلته لعقودٍ قادمة.[1] لقد اتضح أنه يملك شعبيةً لدى العائلة الملكية، إلى الدرجة التي جعلته يحلم بالبقاء في (إلتنبورغ) لفترة أطول، حتى أنه طلب من المجلس الكنسي تأجيل امتحانه الثاني، ولكن لسوء حظه فقد استشعر مشرفه واعظ البلاط (فريدرك هاينرش ساشس Friedrich Heinrich Sachse) الغيرة تجاه هذا المساعد الشاب وعارض استبقاءه. وبعد انتهاء ابنة الدوق من التثبيت في أوغست 1840، قام (ساشس) بإبلاغ (لودفيغ) أن خدماته لم تعد مطلوبة.[2]

أصيب الشاب بالإحباط، ويبدو أيضاً أن الدوق قد ندم لتحول الأحداث هذا. وعندما أدرك أنه لم يعد بإمكانه الاحتفاظ بموظفه، اتخذ خطوةً استثنائيةً بإرساله إلى (برلين) مع رسائل توصية إلى ملك (بروسيا) المتوج حديثاً (فريدرك فيلهلم الرابع Friedrich Wilhelm IV)، وإلى غيره من رجالات البلاط. قابل الملك الشاب، ويبدو أنه وجده ملائماً ليكون رجل دينٍ بروسي. وكان (لودفيغ) قد أعاد تقديم طلبٍ لإجراء امتحان الكهنوت ونجح به مع مرتبة.[3] وفي خريف 1841 استلم مهمةً كنسيةً بالتوجه إلى أربعٍ من بلدات الريف (أساساً روكن Röcken، أضيف إليها ميكليتز Michlitz، بوثفيلد Bothfeld، شويسنيتز Schwessnitz)، وكلها كانت تبعد 30 كيلومتراً جنوب (لايبزغ).[4]

3

في 9 يناير 1842، عندما صعد المنبر ليقدم موعظته الاستهلالية في (روكن)، أعرب (لودفيغ) عن امتنانه للرب وللملك، شعورٌ صادقٌ بالشكر مما لا شك فيه. وأخيراً أصبح كاهناً بالفعل ووصل إلى المستقبل الذي تخيله لنفسه وهو في الثانية عشرة. ومع ذلك فمع إقامته في القرية لابد أنه شعر ببعض خيبة الأمل إزاء الواقع، فلقد نشأ في مدينة، وخدم دوقاً، وعلّم أميرات، وقابل أحد أهم ملوك أوروبا. والآن يعيش في مجتمعٍ ريفيٍ غالباً ما يغرق بمياه

(1) Goch 2000: 293, n. 51

(2) Goch 2000: 304

(3) أجر الامتحان الثاني في 15 يوليو1841، بعد أربع سنوات من الامتحان الأول Pernet 1989: 21

(4) Pernet 1989: 112, n. 65

الأمطار، فيه تقريباً ثمانيةٌ وعشرون منزلاً و202 نسمة،[1] حيث رفض القس السابق (الذي أهمل رعيته وترك بيت القسيس في فوضى) أن يتقاعد حتى دُفع له مبلغٌ كبيرٌ من مال (لودفيغ).[2] وكانت رعيته في الغالب من المزارعين الذين يتوقع منهم أن يساهموا في إعانته للطعام بمنتجاتهم الزراعية، لأن الحكومة البروسية المشهورة ببخلها لا تقدم الكثير كراتب.[3] وعلاوةً على ذلك وجد (لودفيغ) نفسه مثقلاً بمدير المدرسة المحلي (غوستاف داثي Gustav Dathe) والذي صادف أيضاً أن يكون عازف الأرغن في الكنيسة، ويمثل (لودفيغ) عند غيابه في رحلاته. ويبدو أن (داثي) كان شرساً في التعامل مع طلابه، متنمراً على زوجته وأحد عشر طفلاً، ومساعداً وقحاً للرجل اللطيف (لودفيغ).[4] وذات مرةٍ قام (داثي) بإزعاج (لودفيغ) إلى الدرجة التي جعلته يذرف الدموع ويرتجف خلال تأديته لإحدى المراسم، ما جعله يترك المراسم حتى يستعيد توازنه ثم عاد ليكمل.[5] إن شراكة الكاهن اللطيف مع هذا الرجل المتبلد الإحساس لا بد أنها سببت الألم في الغالب.

ولم يكن أيٌّ من هذه العوامل سيؤثر على رجلٍ تمرس على البؤس مثل (لودفيغ نيتشه). ومع ذلك وبعد أن شغل المنصب الذي طالما سعى له، فقد عانى من حالةٍ غريبةٍ من فقدان الثقة بالنفس.

في الظاهر كان (لودفيغ) يمارس واجباته بشكلٍ جيد. عرف كيف يكون عملياً، وكيف يعمل بجد، وكيف يستلهم ويرعى المثل العليا. لقد كان بكل المقاييس شخصاً أفضل بما لا يقارن من الرجل الذي كان عليه. وأعرب كلٌّ من رعيته والمشرف عليه عن الرضا والسرور من عمله.[6]

سراً، اعترف (لودفيغ) بأنه كان مرعوباً، وحتى قبل وصوله كتب لصديق قائلاً: «أسمع في أذني وقلبي أصواتاً تقول: /من يعطى كثيراً سوف يطلب منه الكثير/، تُرعش وتُضعف قلبي، أشك بكفاءتي، وهذا الرعب يجتاحني، يكاد يمنعني من تسلم العمل».[7] إن نقص

(1) Pernet 1989 123, n. 9

(2) كانت العادة أن يدفع القس الجديد مبلغاً من المال للقس الذي سبقه لدعمه مالياً، ولكن القس القديم طالب بمبلغ كبير كان (لودفيغ) قادراً على مساومته إلى حدٍ ما Goch 2000: 330

(3) Oehler 1940: 47

(4) Reich 2004: 51 - 52, Goch 200: 331 - 336

(5) Goch 2000: 377 - 378. لقد تم إخبار هذه القصة في الأصل في Bohely 1987: 177

(6) Pernet 1989: 25 - 26; Goch 1994: 368, n. 148; Goch 2000: 331 - 336

(7) Goch 2000: 329الاقتباس من John 12:48

ثقة (لودفيغ) بنفسه ربما كان بسبب صحته. لقد عانى من صداع نصفي، بالتزامن مع تعبه وإرهاقه، بالإضافة إلى رسالةٍ من إحدى الأخوات أشارت إلى أن شائعات موته بدأت تنتشر.[1]

وتُخبر ابنته عن شائعاتٍ انتشرت بين رعية (لودفيغ)[2] بأنه في النهاية سوف يترقى من مهمته الأولى وحتى أنه سيستدعى ليشغل منصب قسيس البلاط في (برلين).[3] ولكن تبدو هذه الاحتمالات غير مرجحةً بالنظر إلى واقع الحال، ولم يكن لدى القس (لودفيغ) أي أوهامٍ من هذا القبيل. وفي رسالةٍ أخرى صرّح بشكلٍ قاطعٍ أن حياته المهنية بدأت وستنتهي في تلك القرية الريفية: «لقد تخليت منذ زمنٍ بعيدٍ عن آمالي في الانتقال إلى مدينة كبيرة».[4] لم يُعطِ (لودفيغ) أي مبرراتٍ ليأسه هذا، ولكن لابد أن يكون هذا عائداً في جانبٍ إلى ندرة المناصب الشاغرة، وفي جانبٍ آخر إلى الضرر الذي حصل لحياته المهنية بسبب تأجيله لامتحانه الثاني، وربما أدرك أنه بين مرضه وافتقاره للشدة، لن يكون قادراً على الخروج من وضعه المزري.

مهدداً بالاكتئاب والصحة السيئة، التفت إلى المرأة التي اعتمد عليها في البداية. لقد كتب إلى والدته طالباً منها أن تنضم إليه.

كانت (إردموث) قد استقرت لمدة ثلاثين عاماً في (إيلنبورغ)، وربما قد مانعت أن تترك الرفاهية والهيبة اللتان تمتعت بهما هناك لتنتقل إلى مذلة العيش في قرية ريفية. لكنها وافقت في النهاية على الانضمام لابنها، ولكنها حذرته أنها إذا انتقلت فعليه أن يقبل انتقال شقيقتيه أيضاً، لأنهما لم تتزوجا وتعتمدان كلتاهما على والدتهما. لم يجد (لودفيغ) مشكلةً في الترحيب بـ(أوغست) الشقيقة الصغرى، على الرغم من مرضها المزمن، وفواتير أطبائها التي أثقلت كاهل (إردموث).[5] إلا أن (أوغست) على الأقل كانت شخصيةً قنوعة، وهي مدبرة منزلٍ مذهلة. لكنه كان أقل ترحيباً بـ(روزالي)، شقيقته الكبرى، لأنها كانت عصبية المزاج، مشاكسة، ومصدراً مؤكداً للمتاعب. بشكلٍ ما تم التوصل إلى اتفاقٍ يقضي بانتقال (إردموث) و(أوغست) إلى (روكن)، في حين تم اقناع المشاكسة ابنة الثالثة والثلاثين عاماً بأن تنتقل

(1) للصداع والانهاك انظر Goch 2000: 332 ولشائعات الموت انظر 331.

(2) Goch 1994: 96 - 97; Goch 2000: 335

(3) Förster - Nietzsche 1912: 7 في سيرته الذاتية عن (فرانسيسكا نيتشه) يقترح (أدالبرت أولر Adalbert Oehler) احتمالاتٍ مماثلة، على الرغم من أنه لا يذكر (برلين) Oehler 1940: 41

(4) Goch 2000: 335 - 336

(5) عالج الطبيب (أوغست) أسبوعياً Franziska Nietzsche 1994: 173

للعيش مع أقارب في (بلاوين، ساكسونيا). وعلى كل حالٍ فإن (روزالي) لم تكن من النوع القابل للإخضاع.

وفي حملةٍ من الرسائل المتملقة والزيارات المتكررة (التي يبدو أن كل واحدةٍ منها كانت تدوم لفترة أطول) تمكنت (روزالي) في 1844 من أن تحل على بيت الكاهن بشكلٍ دائم، وتم إخبار العائلة في (بلاوين) أن ترسل أمتعتها إلى (روكن) بشكلٍ نهائي.[1]

4

مع وصول الأم والأخوات، أعادت العائلة القديمة تجميع نفسها على الهيئة التي كانت عليها قبل سبعة عشر عاماً، قبل أن يتم إرسال (لودفيغ) بعيداً إلى المدرسة.

حتماً كان هناك توتر. وبرهنت (روزالي) صحة التوقعات، فكانت شديدة العصبية وميالةً للشجار. في حين كانت صحة (أوغست) تتطلب زيارةً أسبوعيةً للطبيب.[2] ورغم ذلك يبدو أن كلتا الأختين قدستا أخاهما، واتحدت العائلة في محبةٍ وسعادة. وكما كان (لودفيغ) يعرف، فقد كانت نساء عائلة (نيتشه) مدبرات رائعات، وعلى الأرجح لم يدَر بيت القسيس في (روكن) بمثل هذه البراعة.[3]

الآن وقد أصبح ذا منصبٍ ودخل، كان يُتوقع من (لدوفيغ) أن يتزوج. وقد بدأ الطوافَ في أرجاء الريف بحثاً عن عروس. ومن بين العائلات التي زارها كانت عائلة (دافيد إرنست أولر David Ernst Oehler) وهو كاهن في (بوبلز Pobles) في قريةٍ أصغر حتى من (روكن). (تتألف من 18 بناءً و130 نسمة).[4]

وكان (أولر) ذا طباع متحررة أكثر من (لودفيغ) وفي الحقيقة أكثر من أي كاهنٍ محلي، مما كان يزعج المشرف ويجعله ينتقده طوال الوقت.[5]

كان الرجل يدير مزرعةً ويقدم البيرة، لقد كان ماسونياً، وحاضر مرةً في مالك أراضٍ محلي

(1) Goch 2000: 337 - 339; Bohley 1989: 388

(2) Franziska Nietzsche مقتبس من Goch 1994: 173

(3) Goch 2000: 339 - 340

(4) Goch 1994: 66 كان (أولر) أيضاً قس (سوسن Sössen) و(غوستاو Gostau) و(ستوسويتز Stösswitz). Pernet 1989: 46

(5) أنظر النصوص الواردة في Goch 1994: 72 وPernet 1989: 48

(أعلى منه في المرتبة الإجتماعية، وهو من كان يصرف راتبه) بخصوص توزيع أموال الحصاد. (وقد دفع مالك الأرض ولكنه لم يرجع أبداً إلى كنيسة أولر).[1] وبالإضافة لكونه مزارعاً ونحّالًا، كان هذا الشخص المُجد شغوفاً بالموسيقا (عندما كان طفلاً غنى بشكلٍ جيدٍ لدرجة يستحق أن يُدفع له على غنائه)، شغوفاً بالأدب (كان على كل واحدٍ من أبنائه أن يلقي قصيدةً غيباً كل أسبوع). وغالباً ما تراه غارقاً في كتبه، والتي لم تكن بأي حالٍ من الأحوال مقتصرةً على اللاهوت.[2]

إن عائلة (أولر) التي تملك العديد من الكلاب وأحد عشر طفلاً والعديد من الضيوف (كونها من النوع المضياف) كانت عائلةً صاخبة وكما صرحت (فورستر ـ نيتشه)،[3] نوعاً ما مشاكسة، ولم تكن من النوع الذي يجذب (لودفيغ نيتشه).

لعله كان قلقاً بسبب هذا الاختلاف، وبالإضافة إلى ذلك فقد واجه خمس بناتٍ من ضمنهن ابنة السادسة عشرة (فرانسيسكا)، أو كما اشتهرت باسم ((فرانزشن))، سرعان ما رتب مقابلتها مع والدته، وبعد عامٍ من التفكير تقدم للزواج منها. حتى خلال هذه الفترة تفاجأ الكثيرون بأن رجلاً في التاسعة والعشرين من عمره اختار فتاةً بنصف عمره كزوجة، ولاسيما أن لها ثلاث أخواتٍ في سن الزواج بعمر الخامسة والعشرين، الرابعة والعشرين، والثالثة والعشرين. وكانت (فرانسيسكا) ملائمةً بشكلٍ حساسٍ مشكوكٍ فيه، فقد نشأت بين عشرة من الأشقاء الغليظين وجاء ترتيبها في منتصف خمسة أخوةٍ ذكور، وكانت الفتاة تميل للصراحة والمباشرة. (كانت ماهرة في التزحلق).[4] وقليلة التعليم كما هي حال معظم فتيات الريف في هذا الوقت.[5] جميلة ولكن عديمة الخبرة ـ لقد توقفت للتو عن اللعب بالدمى ـ[6] وهي بالتأكيد لا تعرف إلا القليل عن اللباقة الإجتماعية التي تُجلّها عائلة (نيتشه). ربما كان سلوكها غير المتحفظ والجموح هو ما سحر (لودفيغ) الخجول، ولكن هذا بالضبط أثار تعجب كلا العائلتين والأصدقاء. (على الأقل أحد زملاء (لودفيغ) أشار إلى أن الزواج من عائلة (أولر) هو ارتباطٌ غير موفقٍ بشكلٍ كبير).[7] كان من الواضح أن اختياره لن يساعده سياسياً، وإذا كان زواج

(1) Goch 1994: 69, 78 - 79, 81 - 82, 358 - 359, n. 80 انظر أيضاً Oehler 2002: 276 - 277
(2) Goch 1994: 75, Oehler 1940: 10
(3) Förster - Nietzsche 1912: 9 - 10
(4) Goch 1994: 32 - 64, Oehler 1940: 15
(5) Goch 1994: 94 - 95, Oehler 1940: 8 - 10
(6) Oehler 1940: 17 - 18
(7) Goch 2000: 345

(لودفيغ) مقرراً من أجل السياسة فقد اختار الزواج من أجل الحب. يبدو أنه لم يكن لديه أي علاقة عاطفيه من قبل ـ على الأقل على حد علمه ـ وثبت أن عاطفته تجاه (فرانسيسكا) كانت حقيقيةً ودائمة. «فتاتي (فرانسيسكا) ربما لا تملك ثقافةً عاليةً وفكراً نيراً... لكنها تملك... قلباً منفتحاً لكل شيءٍ في الحياة» هكذا كتب لأحد الأصدقاء.[1] أما بالنسبة لـ(فرانسيسكا) فهي بالتأكيد لم تختر (لودفيغ) ولم تكن لديها أي رغبةٍ بالزواج قبل أن يتقدم لها. على أي حال لم تعترض على هذا الشرف المفاجئ، ومهما حدث فإنها لن تبدي أي ندمٍ في المستقبل.[2]

وجرى الزواج تبعا لأعراف القرية واستمر ثلاثة أيام، وجرى تبادل العهود في عيد ميلاد العريس الثلاثين، في 10 أكتوبر 1843. قضى العروسان شهر عسلها في (بلاوين ـ ساكسونيا)، بالقرب من المكان الذي نشأت فيه والدة (لودفيغ) المحبوبة، وحيث يقيم أفراد من عائلة أبيه الأولى. ثم عادا إلى (روكن) ليستقرا فيها. كانت هذه لحظةً حاسمةً في حياة (فرانسيسكا) البريئة. ربما لم تتخيل (إردموث) أن ترخي قبضتها على ابنها. ولم تتوقع بناتها أي تدخل في إدارة المنزل. من الآن وصاعداً ستحمل (فرانسيسكا) لقب الزوجة، ولكن في عمر السابعة عشر (عمرها عند الزواج) لم تكن نداً لمواجهة اتحاد ثلاثٍ من نساء (نيتشه).[3]

شعرت (فرانسيسكا) قليلاً بالخوف من العائلة وكانت واعيةً تماماً بجهلها. لقد اعترفت لأمها بشعورها أنها صغيرة جداً على الزواج، مما دفع أمها لتجيب: «هذا يا ابنتي هو الخطأ الذي ستصححه الأيام»]في إشارة إلى أنها سوف تنضج مع مرور الوقت[.[4]

حريصة على إثبات أنها تستحق زوجها المميز، حاولت (فرانسيسكا) جاهدةً أن تكون مطيعةً بقدر ما يسمح به مزاجها. ومع ذلك فإن قبولها لم يكن سهلاً لأيٍ من الأطراف بجميع المقاييس، وبشكلٍ خاص (روزالي) التي أظهرت تعجرفاً ونزقاً (كانت فرانسيسكا تدعوها «العصبية المخيفة»).[5] وعلى ما يبدو فإن (روزالي) كانت امرأةً تحب فرض عاداتٍ فكريةٍ معينة على الرغم أننا نملك فقط شهادة (فورستر ـ نيتشه) على هذا.[6]

(1) Pernet 1989: 29

(2) Goch 1994: 55 - 60, 99 - 100

(3) من الواضح أنه حتى الخادمة عرضت النصيحة Oehler 1940: 41

(4) Goch 1994: 59

(5) Goch 1994: 172

(6) Förster - Nietzsche 1895: I 26; 1912: 29

تولت (روزالي) زمام قيادة النساء في المسائل الروحية وربما قدمت النصائح إلى (فرانسيسكا) أيضاً. وعلى النقيض من ذلك فقد كانت (أوغست) مدبرة المنزل بهدوء، وشاركت (فرانسيسكا) واجبات الطبخ، ولكن حسب أقوال ابنة أخيها فقد أصرت على تنظيف بيت الكاهن لوحدها.[1]

وإذا كانت نساء (نيتشه) وحّدن جهودهن ضد الفتاة الدخيلة، فإن (فرانسيسكا) بدورها شعرت بالاستغراب من خصوصيات عائلتها الجديدة. فعندما كانت (روزالي) التعبة تشتكي من أعصابها، شعرت الفتاة الريفية بالحيرة لأنها لم تسمع قبلاً بالمصطلح الذي تستخدمه (روزالي). «لم أكن أملك أدنى فكرة عن معنى ذلك»، كانت مشوشة واضطرت أن تسأل والدتها (فيلهلمين أولر Wilhelmine Oehler) التي أجابتها بحزن: «أظن أنه نوع من الضعف العام».[2] إن «مرض الأعصاب» مع متطلباته حمل معه العديد من التبعات. فوفقاً لـ(غوش) فقد عنى ذلك أن كل الشجارات يجب أن تكبت وأن البيت يجب أن يبقى منظماً هادئاً.

وكانت (فرانسيسكا) قد نشأت وسط صخب أحد عشر طفلاً، وأبوين حادي الطباع، وعادات الريف. (وصف أحد أخوتها نشأتهم بـ« الفوضى المنظمة»).[3]

وفي الحقيقة عندما كانت والدتها (فيلهلمين) تعيّن المهام المنزلية لأولادها الأحد عشر، كانت توصيهم بأن يغنوا بنشاطٍ وحماسة، وذلك كي تتمكن من ملاحقتهم عبر السمع أينما كانوا.[4] مثل هذه القسوة ربما كانت معروفةً في بيت الكاهن المحترم في (روكن)، حيث من غير المتوقع لأي شخصٍ ـ عدا (فرانسيسكا) ـ أن يتكلم سوى بنبرةٍ منخفضة.[5]

تقبلت (فرانسيسكا) (إردموث) الأمومية كوالدةٍ بديلة وسعت للامتثال لتضييقاتها. وقد كتب (لودفيغ) لصديقٍ أن زوجته الجديدة «خضعت بتواضعٍ ساحرٍ وإخلاص... ليس لي فقط ولكن بطفولةٍ ساحرةٍ أيضاً لوالدتي الجيدة».[6] على كلٍ فمهما كانت لطيفةً في إذعانها

(1) Förster - Nietzsche 1895: I 26; 1912: 29 لقد شاركت (فرانسيسكا) بالطبخ (Goch 1994: 64) وكانت تشرف على الحديقة Oehler 1940: 43

(2) Goch 1994: 54

(3) Oqoted in Goch 1994: 90

(4) Oehler 1940: 13

(5) Goch 1994: 54: 120, Oehler 1940: 43 - 44

(6) Ouoted in Pernet 1989: 28

لـ(إردموث)، فإن القادمة الجديدة وجدت صعوبةً في أن تنحني أمام (روزالي) الأقل لباقةً. وقد عزت (فورستر ـ نيتشه) ذلك في إحدى المرات إلى أن (لودفيغ) لم يكن قادراً على الدفاع عن نفسه فضلاً عن أن يدافع عن زوجته. وبدلاً من الفصل أو أخذ جانب زوجته فقد كان يحبس نفسه في مكتبه رافضاً الطعام والشراب حتى تتوصل النسوة إلى السلام.(1)

مهملةٌ من قبل مصدر الدعم الوحيد لها، استغلت (فرانسيسكا) أي فرصةٍ لتزور بيت أهلها، الذي كان يبعد عدة كيلومترات فقط عن بيت الكاهن في (روكن). وهذا من غير الممكن أن يساعد الزواج ولا أن يسهل العلاقات بين العائلتين، وقاد (لودفيغ) إلى كره عائلة (أولر). وكتب لصديق: «كلما عرفتهم أكثر كلما قل احترامي لهم». «إنه يضايقني ويؤلمني بشكلٍ رهيب أني أشعر بالخجل من عائلة زوجتي... ولسوء الحظ فإن هذا الخلاف معهم قاد إلى ساعاتٍ من سوء الفهم مع عزيزتي (فرانسيسكا). لأنه يؤلمها أيضاً أني لا أستطيع احتمال والديها».(2)

بقي لهذه المرأة المحبطة والمهمشة أمر وحيدٌ مناسب، أن تنجب أطفالاً وتعتني بهم. ومن ثم كان من المؤكدِ تقريباً أن خبر اكتشاف حملها قد أثار الارتياح، وفي 15 أكتوبر 1844 أنجبت طفلاً ذكراً. وصادف أن يكون هذا اليوم هو عيد ميلاد ملك (بروسيا)، وعادةً يحتفل بمناسبة كهذه بطلقات المدفعية، مراسم دينية، خطب عامة و(في المدن الكبيرة) بالحفلات الراقصة.(3) وبعد مداولاتٍ معتبرة اختار لودفيغ لابنه اسماً على اسم مليكه المحسن ـ (فريدرك فلهلم) ـ وقد شعر بالسعادة لأن الاسم (فرتز Fritz) وهو صيغة التصغير من (فريدريك) سيسعد والدته التي كان ابنها الأول المتوفى يحمل نفس الاسم.(4).

وبعد الولادة بقيت (فرانسيسكا) في الفراش لفترةٍ بسبب التهاب في الصدر، وفوّتت معمودية ابنها.(5)

(1) إن المصدر الوحيد لهذه القصة عن سلوك (لودفيغ) المزعوم هي (فورستر نيتشه) التي تفسره إيجابياً كإشارةٍ على حساسية والدها
Goch 1994: 125 - 126 قارن Förster - Nietzsche 1912: 15

(2) Pernet 1989: 29 تم كتابة هذه الرسالة في 22 فبراير 1844 تماماً بعد أربعة أشهرٍ ونصف من الزواج ولأسباب هذا النفور انظر Pernet 1989: 48, Goch 2000: 349, Goch 1994: 127 - 129, Bohley 1980: 389 - 390, n. 37

(3) Barclay 1995: 112 - 113

(4) Bohley 1980: 386, Goch 2000: 61, n. 127

(5) عجل (لودفيغ) بالمناسبة بحيث يمكن تعميد ابنه بنفس تاريخ معمودية (لودفيغ) نفسه 24 أكتوبر Hödl 2009: 31

ربما بسبب هذا المرض، أو ربما بسبب كونها غير مؤهلةٍ وعديمة الخبرة، وجدت أن الكثير من القرارات المتعلقة بتربية ابنها أُخذت منها وأُسندت إلى (إردموث). وفوق ذلك كان المتوقع من (فرانسيسكا) القيام بالأمور الأقل قيمة، ويبدو أنها أخذت الأمومة على محل الجد بقوة وحماسة امرأة شابة أعطيت أخيراً شيئاً لتقوم به. وحسب رواية ابنتها، فقد مارست أمومتها بعنادٍ بحيث أن الولد لم يتعلم الكلام حتى عمر السنتين ونصف. (يفترض أنها كانت تقفز بسرعة لتلبية احتياجاته ولم تترك له فرصةً لطلب العون). وقد ذكرت هذه القصة هنا فقط لأنها ذكرت كثيراً من قبل، ولكنها على الأغلب غير صحيحة. بغض النظر عن عدم معقوليتها المتأصلة ـ فإن هذه ليست الطريقة التي يتعلم بها الأطفال الكلام ـ وقد أنكرتها (فرانسيسكا) بنفسها: «إنه هراء» هكذا ردت عندما قرأت ما كتبته ابنتها. وعلاوةً على ذلك فقد كتب (لودفيغ) رسالةً بعد عيد الميلاد الثاني لابنه بفترةٍ وجيزة، يُفهم منها أن الصبي كان يتكلم بالفعل.[1]

ومع ذلك يبدو أن (فرانسيسكا) تركت أغلب مسائل الصبي التأديبية لزوجها وذلك لسبب وجيه هو أن (فريدريك) لم يكن يقبل أن يعنف، وكان يوصف على أنه «طفل صاخب»، فعندما كان يغضب كان يرمي نفسه على الأرض فيما كان من الواضح أنه نوبة غضب.[2] ووفقاً لـ(فوستر ـ نيتشه) (وأيدها في هذا أدالبرت أولر Adalbert Oehler الذي كانت تأتمنه على أسرارها لفترة من الوقت). فإن والدي الطفل اكتشفا طريقةً سريعةً لتهدئة الطفل، فقد كان (لودفيغ) رجلاً محباً للموسيقا ـ كانت التسلية الوحيدة التي سمح لنفسه بها خارج الدراسة ـ وكان يستطيع العزف مرتجلاً بشكلٍ استثنائي. الآن وجد أنه كان عليه فقط لمس مفاتيح البيانو ليبدأ الطفل بالنمو «بشكلٍ هادئ».[3] ومن وقتها كلما بدأ الطفل بالغضب كانت (فرانسيسكا) تتوسل زوجها ليعزف على البيانو.[4] طبعاً، مارس (لودفيغ) أيضاً أساليب أكثر تقليديةً في التربية كالعقاب البدني، التحذير من الغضب الإلهي، وأخيرا إعطاء الطفل النموذج الجيد الذي يحتذيه.[5] لقد عمل (لودفيغ) مرتين كمعلمٍ في (إلتنبورغ)، وربما كان يملك مهاراتٍ جيدة

---

(1) Franziska Nietzsche 1994: 34 - 35 ولرسالة (لودفيغ) التي ترخت في 15 ديسمبر 1846 انظر Bohley 1987: 171 تمت الاشارة إلى هذا التناقض في Schmidt 1991 - 1994 II: 840

(2) Franziska Nietzshe 1994: 38

(3) انظر Förster - Nietzsche 1912: 16, Oehler 1940: 44

(4) Goch 1994: 135 - 136

(5) Goch 2000: 358 - 9

في التعامل مع الأطفال. ويبدو أن الطفل (فريدريك) قد استجاب لتوجيهات معلمه برغبةٍ وهذا ما وجدته العائلة مريحاً ومطمئناً، لقد كان بلا شك طفلاً استثنائياً، جيداً ذا عزة نفس، وفوق هذا كله طفلاً يستطيع التحكم بتصرفاته، لقد كان عيبه الوحيد هو ما ذكر سابقاً وهي نوبات الغضب والعناد في بعض الأحيان.

سرعان ما تقاسم طفلان آخران اهتمام (فرانسيسكا) الفرحة، وقد سميا أيضاً كأخيهما بأسماءٍ ملكية. ولدت الابنة في 10 يوليو 1846 وعمدت باسم (تيريز إليزابيث ألكساندرا Therese Elisabeth Alexandra) تيمناً بأسماء الأميرات الثلاث، وولد ابنٌ آخر في 27 فبراير 1848، وسمي (لودفيغ جوزيف Ludwig Joseph)، الاسم الثاني كان تيمناً باسم الدوق.[1] وبوصول هؤلاء القادمين الجدد، يمكن للمرء أن يتوقع حدوث تنافسٍ بين الأخوة، ولكن إذا كان هذا قد حدث فلم تنج أي سجلاتٍ تثبته. وقد كتب (فريدرك) لاحقاً أنه كان يحب أن يتجول بمحاذاة البركة خارج المنزل، وأن يلعب في المقبرة التي جاورت بيت الكاهن.[2] وصنع أيضاً صداقاتٍ مع أطفالٍ محليين، وتذكرهم لاحقاً بمزيجٍ من الحزن والشوق. لقد تنزه مع أبيه لمسافاتٍ طويلة (في كثيرٍ من الأحيان إلى لوتزن المجاورة والتي كانت ساحةً لمعركتين فيما مضى).[3] وبدأ يتطور عنده حب الطبيعة الذي سوف يغذيه ويلهمه طوال حياته.

5

وفي هذه الأثناء، وبعيداً عن هذا المنعزل الريفي، كانت الاضطرابات السياسية تجتاح أوروبا. إن الزعم بأن ملوك أوروبا يمكنهم أن يستمروا بممارسة سلطاتهم الاستبدادية بعد هزيمة (نابليون) أصبح أمراً لا يمكن الاستمرار في قبوله، وبدأ رعايا هؤلاء الملوك الإحساس بقوتهم. وانتشرت أعمال الشغب في (برلين) عام 1847، وفي عام 1848 أطاحت الثورات بالملكية في (فرنسا)، وأبعدت المستشار المحافظ (كليمنس فون ميترنيتش Klemens von Metternich) عن (فيينا). وفي (إلتنبورغ)، حيث كان (لودفيغ) يعيش بسعادةٍ بالغة، اضطر

(1) وفقاً لـBohley 1987: 167 وRosmiarek et al. 2001: 373 فإن الاسم (تيريز) يسبق (إليزابيث).Cf. Goch 2000: 359

(2) KGW I - 1: 283

(3) لوتزن كان موقع معركتين، المعركة التي جرت بين السويديين والإمبراطورية النمساوية عام 1632 حيث قتل فيها الملك السويدي (غوستافوس أدولفوس Gustavus Adolphus). وموقع المعركة التي انتصر فيها (نابليون) على التحالف البروسي الروسي في عام 1813.

صاحب عمله المحبب الدوق (جوزيف) للتنحي، وتوفيت زوجته الدوقة المهيبة.[1] في حين أصبح راعيه الثاني الملك البروسي (فريدريك فيلهلم الرابع) رهينةً بيد رعاياه. ومما أثار رعب جيشه أن ملكهم اضطر إلى التحلي بشريط الثوريين على القبعة خلال مسيره في شوارع عاصمته. ويبدو أن هذا الحدث الأخير قد أثار غضب (لودفيغ) الذي استمر على ولائه حتى هذه الحادثة، وكتب إلى صديق له: «أندب أن ملكنا قد مات»، «إن الملك فريدريك فيلهلم الذي يسير في شوارع برلين [مرتدياً شعار الثورة]، لم يعد الملك الذي كنت أكن له أعمق التقدير». (لودفيغ من قام بالتأكيد).[2]

وبما أن (روكن) كانت منطقةً منعزلة، فقد مرت الثورة منها بدون حوادث تذكر، على الرغم أن (فريدريك) يزعم أنه يتذكر حوادث متفرقة.[3] وبرغم كل شيء، كان (لودفيغ) موالياً للملكية، ناهيك أنه قضى بعض أجمل أيام حياته في بلاط الدوق. وفي صيف عام 1848 مع انهيار النظام الاجتماعي التقليدي، أصابه الاكتئاب بشدة.[4] ناهيك أن الصداع الذي كان مزمناً منذ فترة الصبا أصبح أشد سوءاً، وبدأت نوبات من التصرف الغريب تحير عائلته، ورعيته، وحتى تثير استغراب (لودفيغ) نفسه. خلال العامين الماضيين أصبح أكثر فأكثر في حالةٍ من الاضطراب والقلق، وقضى معظم وقته في الهواء الطلق، لأنه لم يعد يحتمل أن يجلس في غرفته للدراسة.[5] وكان مريضاً في أيام الآحاد، وأصبحت خطبته التي كانت مصدراً للفخر،[6] مصدراً للخوف. كتب إلى صديق: «يجب أن أفعل شيئاً لأعصابي».[7]

كانت أسرة (نيتشه) من المؤمنين بالمعالجة التجانسية أو المثلية [وهو شكلٌ من أشكال الطب البديل ويعتمد مبدأ المثل يعالج المثل]، ولكنهم جربوا طرقاً أخرى، دون جدوى.[8]

---

(1) Goch 2000: 286, n. 39, 376 انظر أيضاً Pernet 1989: 110, n. 52.

(2) Goch 1994: 139; Goch 2000: 376 توجد اختلافات في نسخ هذه الكتب

(3) يستذكر في KGW I - 1: 284 مجموعات على العربات يلوحون برايات ويغنون. ويستذكر في KGW I - 2: 258 أن الجنود جرى تجميعهم في القرية.

(4) عن اكتئاب لودفيغ انظر Goch 2000: 375 عن أسباب اكتئابه انظر Goch 1994: 109 - 110

(5) غوش 2000: 378.

(6) عن قدرة لودفيغ في الخطابة، انظر Pernet 1989: 19 ويؤكد Goch 2000 هذه المقدرة بشكل متكرر. انظر مثلاً 246.

(7) Goch 2000: 378

(8) انظر علاج (أوغست) في Bohley 1989: 387, n. 53 استشارات لوفيغ مع الاطباء التجانسيين (وهو نوع من الطب البديل اشتهر في ألمانيا القرن التاسع عشر) (Goch 2000: 378, 381)، وأشار أيضا أنه حاول أنواعاً أخرى من التداوي، Bohley 1987: 177 انظر أيضا رسالة)فرانسيسكا(Oehler 1940: 42،

ولاحظت عائلته نوبات الذهول التي يمر بها عندما يتوقف عن التحدث ويحدق في الفضاء.[1] وأصبحت هذه النوبات تتكرر بشكلٍ حاد، وعانى من الأرق والدوخة. وفي النهاية أصبح الكلام صعباً، وفي 17 سبتمبر 1848 ألقى ما تبين فيما بعد أنها موعظته الأخيرة. تلا ذلك نوباتٌ من القيء مترافقة مع صداع مؤلم، ومن ثم فقد الإبصار، وبقي سبب المرض مجهولاً. وقد شخّص الأطباء علته بأنها «ترقق في الدماغ» وهو تشخيصٌ يبدو أنه كان مقبولاً للمجتمع الطبي في ذلك الوقت.[2] ويبدو أن ما يعاني منه من أعراض يتوافق مع أمراضٍ مختلفةٍ مثل السكتة الدماغية، ورم، ارتجاج، إلتهاب، سل في الدماغ، وحتى الزهري قد كان من ضمن الإحتمالات.[3] ومهما كان السبب فإن تأثير ما حدث على (فريدريك) الذي لم يدخل المدرسة بعد كان مزعجاً ولا بد. خلال الفترة التي كان فيها دماغ (لودفيغ) يترقق (قد قيل إن تشريح الجثة كشف أن ربع الدماغ قد تضرر)،[4] عانى من ألمٍ شديدٍ مترافقٍ مع تدهورٍ في قدرته الحركية نتيجةً لتلف الأعصاب.

كان (فريدريك) مازال في الثالثة عندما بدأت هذه المعاناة، وبدأ في سنته الرابعة مباشرةً بعدما وعظ والده خطبته الأخيرة. ولم يكن بالإمكان إخفاء مشهد وصوت التدهور السريع للوالد في البيت الصغير والمزدحم،[5] وبعد ثلاثة عشر عاماً سوف يتذكر الصبي: «معاناة والدي المتفاقمة، إصابته بالعمى، وجهه وهيئته الشاحبين، دموع والدتي، سحنة الطبيب

(1) Goch 2000: 377

(2) على أية حال لم يكن الطبيب (أوتو بينزوانجر Otto Binswanger) راضياً بذلك التشخيص، وهو رئيس عيادة الطب النفسي في جامعة (جينا Jena)، وهو الذي تولى (نيتشه)، Volz 1990: 35

(3) يقترح (بليتش) الارتجاج والسكتة الدماغية والورم. بليش 26 - 25 :Pletsch 1991 فيما يقترح (بلونك) عدم وجود تشخيص 33 - 31 :Blunck 1953 ولكن يقدم (جانز) في إعادة كتابته امكانية السل في الدماغ 47 - 46 :Janz 1978 I ويقترح (غوش) التهاب الدماغ انظر Goch 2000: 384, n. 119 وانظر أيضاً Goch 1994: 369 - 370, n. 183 واقترح (هاينريش كوسليتز Heinrich Köselitz) ورماً في المخ. انظر Goch 2000: 384 - 385, n. 119 ويروي (هايمان) أن (كارل لودفيغ) كان يعاني من السفلس وأصاب (فرانسيسكا) بالعدوى ومرر العدوى إلى (فريدريك) Hayman 1980: 24

(4) Blunck 1953: 32 تأتي هذه المعلومة الدرامية والمثيرة من رسالة تمت كتابتها من قبل غير العارفة بالطب (فريدريكا دايشل) وهذا إلى حدٍ ما مشكوكٌ فيه، إن تقرير التشريح نفسه والمكتوب من قبل الطبيب أوبولزر Oppolzer وطبيب الجيش قد اختفى. Volz 1990: 33

(5) تقول (فرانسيسكا) في مذكراتها أن المناطق من منزل القسيس المتاحة لحياة العائلة القريبة كانت فقط غرفة المعيشة وغرفتي نوم

Oehler 1940: 36 وتخبر أحد اصدقائها أنها ترسل الأطفال خارج المنزل قدر الإمكان Bohley 1987: 179

الهادئة، بالإضافة إلى بعض التعليقات الغافلة من بعض القرويين، كل ذلك ألقى في نفسي شعوراً بالموت الوشيك».[1]

وفي حين تناوبت ساعات اليقظة المؤلمة وساعات غياب النوم على (لودفيغ)، حاولت العائلة أن تتعامل مع الوضع بأفضل ما يمكنها، متقلبةً بين الأمل بشفاء المرض، وبين الاعتراف بأن الابن، الأخ، الزوج، والأب، سوف يرتاح قريباً من آلامه، في نهاية المطاف.

استشاروا أطباء في كل من (لوتزن)، (نومبورغ)، و(لايبزيغ)، وحاولوا الحفاظ على نمط حياتهم الطبيعي، احتفلوا بتوزيع هدايا عيد الميلاد على ما يبدو أنهم أطفال سعداء بينما كان (لودفيغ) متروكاً في منعزله بالطابق العلوي.[2]

وفي هذه الأثناء تولى قساوسةٌ محليون واجبات (لودفيغ) المتوقفة، وطلب المشرف عليه من السلطات الكنسية أن تنتظر قبل استبدال القسيس العاجز، ليجنبوا الأسرة مزيداً من الحزن والأسى.[3]

استمرت هذه المأساة بإلقاء ظلالها عليهم لنصف عامٍ آخر حتى 30 يوليو 1849، عندما جاءت النهاية.[4] هناك عدة رواياتٍ لساعات لودفيغ الأخيرة، ولكن ربما كان أكثرها تداولًا هي التي روتها أخته غير الشقيقة، (فريدريكا دايشل Daechse Friederike): عندما وقفت (أوغست) بجانب سريره وهي تنتحب، كانت ردة فعل لودفيغ بأن قال لها: «لا تبكِ»، ولم يكملها حتى انهار هو في البكاء. ليدخل في حالة هدوءٍ بعدها، ثم بدأت العوارض المرعبة للنهاية تأخذ مجراها، وتتذكره (أوغست) يقول: «استمعي»، ثم «والدتي ـ يا إلهي»، ثم تبعتها رجفة مؤلمة، ثم نوم ثم خرخرة الموت المبكية واللحظات الأخيرة.[5]

---

(1) KGW I - 2: 259 على الرغم من أن القراءة السريعة قد تفسر هذا على أنه تقرير شهود عيان، لا ينبغي للمرء أن يغفل الكلمات المؤهلة «يجب أن يكون» إن (نيتشه) لا يصور نفسه كما كان يتذكر فعلاً، بل هو يسجل احتمالية.

(2) ولقصة (فرانسيسكا) انظر Goch 2000: 382

(3) Goch 2000: 386 - 387

(4) انظر Goch 2000: 388 الذي يقتبس (أوغست) و(روزالي)، و390, n. 131 التي تشير إلى سجل وفيات (لايبزيغ). يعطي (نيتشه) التاريخ بشكلٍ غير صحيح 27 يوليو في مذكراته «من حياتي (From my life KGW 1 - 1: 285

(5) ولقصة (فريدريكا دايشل) انظر Goch 2000: 389, n. 128 ولقصة (أوغست نيتشه) انظر Goch 2000: 388

ويستذكر (فريدريك) الصغير: «عندما استيقظت في الصباح سمعت الجميع من حولي ينتحب ويبكي. جاءت إليّ والدتي والدموع في عينيها وهي تصرخ: «يا إلهي، زوجي الطيب لودفيغ قد مات!» وبالرغم من أنني كنت صغيراً جداً عديم الخبرة، ما زلت أملك بعض التصور عن الموت، استوقفتني فكرة أني سأنفصل عن والدي الحبيب، وجعلتني أبكي بمرارة».[1]

كانت الكآبة تخيم على الجنازة بشكلٍ واضح، ليس لأن الأسرة فقدت فرداً محبوباً فقط بل أيضاً لفقد حجر الزاوية الاجتماعي والاقتصادي. كان التشتت واضحاً بشكلٍ خاصٍ على (فرانسيسكا)، وعلقت إحدى أخوات (لودفيغ) غير الشقيقات بشكلٍ قاسٍ: «كان الوضع هو الأصعب عليها لأن عمرها الأطول سيكون أمامها، مليئاً بالحزن والعوز».[2]

وأما بالنسبة لرد فعل (فريدريك)، فلا توجد أي سجلات، ولكنه كان واعياً بما فيه الكفاية ليعي انحدار أبيه من المحسن العطوف، وصاحب السلطة الصارم، إلى حالة المعتل الأعمى والمثير للشفقة. وسوف تعتمد الكثير من الأمور على رد فعل العائلة تجاه الحدث، ولكن التأثير سيدوم وسيكون عميقاً.[3]

مثّلت الأشهر التالية مرحلة إعادة التأهيل للعائلة. فقد حاولت (فرانسيسكا) جهدها لتعلم ابنها القراءة والكتابة،[4] ولكن الأسرة لم تكن راضيةً بهذا، وتقرر إرسال الصبي إلى مدرسة القرية التي يشرف عليها الرجل الرهيب (داتي).

في أكتوبر، عاد (فريدريك) إلى البيت من يومه الدراسي الأول، ليتلقى من جدته قرطاساً مليئاً بالحلوى، وهي عادةٌ ألمانية، تقديم الحلوى للأطفال في يومهم الدراسي الأول. وكما صرح لاحقاً، فإنه لم يختبر مثل هذا الفرح في حياته.[5] وكان عيد الميلاد كئيباً على البالغين، على الرغم من أن الأطفال تمتعوا به وتلقى (فريدريك) هديته الموسيقية الأولى وكانت عبارة

(1) KGW I - 1: 285

(2) Goch 2000: 389

(3) يرى العديد من المعلقين أن الانحدار وموت والده هو صدمة لنفس (نيتشه) الصغير الذي لن يتعافى منها كلياً. أنظر كمثال
Volz 1990: 28; Schmidt 1991 - 1994: passim

(4) Franziska Nietzsche 1994: 35 انظر أيضاً Figl 1999: 25 - 29 ولمزيدٍ من التفصيل انظر الفصل 2 القسم 2.

(5) من رسالةٍ كتبتها (فرانسيسكا) Goch 1994: 144

عن هارمونيكا [آلة موسيقية نفخيه بحجم الكف].[1] وفي يناير 1850، بعد خمسة أشهر من وفاة (لودفيغ) أصيب شقيق (فريدريك) الذي لم يبلغ العامين بتشنجاتٍ وتوفي لأسباب غير معروفة.[2] وثكلت (فرانسيسكا)،[3] وكان هذا بالتأكيد ضربة قاسمة لكامل العائلة. مع العلم أن فريدرك نادراً ما أتى على ذكر ذلك،[4] وهذا يوحي بأنه كان أقل تأثراً بهذا الحدث، ولكن كان لهذا الحدث عواقب من الصعب على ابن الخامسة أن يقدّرها. لقد جعلته وفاة (جوزيف) آخر الذكور الباقين لهذه العائلة.

وبالتزامن مع هذا الوقت، كان على العائلة أن تخلي بيت الكاهن من أجل القسيس الجديد. وقررت (إردموث) الانتقال إلى (نامبورغ)، حيث تعافت فيها من وفياتٍ سابقة، وتزوجت كلا زوجيها، وما زالت تملك أصدقاء،[5] كلٌ من (أوغست) و(روزالي) سيرافقانها، وقد قُدم عرضٌ ليشمل (فرانسيسكا) والأطفال. وقد وافقت (فرانسيسكا) وهذا سيعني مزيداً من التبعية لعائلة (نيتشه)، قد يبدو هذا مفاجئاً نظراً إلى الصعوبات الماضية ولكن من المحتمل أن الأم الشابة اعتقدت أن لديها القليل من البدائل. لقد تقوضت نفسياً بسبب الأعوام التي قضتها تحت سيطرة أهل زوجها، ووجدت نفسها بين ليلة وضحاها تتراجع من زوجة شخصيةٍ بارزةٍ إلى حالةٍ خيرية.

وبوجود طفلين صغيرين، لم يكن بإمكانها أن تعيش على راتب زوجها المتوفى،[6] كما أنها لم ترغب في أن تكون عبئاً على والديها. وكما سنرى لاحقاً فقد تكون أدركت بأن الأطفال سيتمتعون بآفاقٍ اجتماعيةٍ أفضل مع عائلة زوجها. ومهما كانت أسبابها فقد ودعت أهلها في الجوار وانضمت إلى عائلة (نيتشه) للفائدة.

---

(1) Bohley 1987: 184 وقد تعني الكلمة الألمانية أيضاً (أوكورديون accordion)

(2) يعطي (جانز) تاريخ الوفاة 9 يناير Janz 1978 I: 47 حيث أن لتاريخ غير محدد في رواية (بلونك) Blunck 1953: 33 ولا بد أن جانز أضاف التحديد بنفسه. انظر أيضاً Bohley 1987:183 وGoch 1994: 145

(3) انظر روايتها عن كيف أن هذه الأحداث (كسرت) قوتها الجسدية KGB VI - 1: 516 - 517

(4) في»(من حياتي) «التي كتبها عندما كان في الثالثة عشر فإن (نيتشه) يروي الحلم الرهيب بخصوص أخيه ووالده. هذه الذكرى كُتبت بعد الحدث بفترةٍ طويلة، ومع ذلك يترك (نيتشه) أخاه خلاف ذلك دون ذكر. KGW I - 1: 286

(5) تم دفن زوجها الأول هناك Bohley 1989: 381

(6) لمدخول (فرانسيسكا) انظر Oehler 1940: 47 وGoch 1994: 378 - 379, n. 272 ولمزيدٍ عن مصادر دخلها عندما كبرت انظر الفصل 4 ص 103 الحاشية (1)

وكان هذا هو الحال عندما في أبريل 1850 توقفت عربة وقام أفرادٌ من عائلة (نيتشه) بحزم ممتلكاتهم واستعدوا للرحيل.(1)

إن مفارقة مسقط رأسه والموطن الوحيد الذي عرفه كان صعباً على الصبي ابن الخامسة. لقد فقد والده والآن يفقد بيته وتلك خسارةٌ سوف يتذكرها لاحقاً وسوف يشعر تقريباً بنفس الألم. لم يكن قادراً على النوم، تسلل نازلاً السلالم وأمضى معظم الليل مستيقظاً متأملاً في العربة المنتظرة. وفي اليوم التالي حمّلت الأسرة حقائبها وغادرت.(2) تاركةً وراءها قبر (كارل لودفيغ نيتشه)، الذي عمل جاهداً، لينتهي إلى هذه النهاية المؤسفة. ومع ذلك يمكن للمرء أن يجادل بأن ذكرى (لودفيغ) وقبره سيكرسان أهمية (روكن) لجيلٍ كاملٍ من الأفراد الأصغر سناً لعائلة (نيتشه).

لقد عاشوا هناك لسبعة أعوامٍ على الأكثر، ومع ذلك اعتبروها كوطن العائلة الحقيقي. وبهذا الإعتبار فإن شوقه المديد لإحساس العائلة قد ضرب جذوره عميقاً في نفسه. لم يكن (لودفيغ) وحده الذي دفن في مقبرة بيت الكاهن، ولكن لاحقاً عندما توفي كلٌ من (فرانسيسكا)، و(فريدريك)، و(إليزابيث)، فإن كلاً منهم قد دفن في القرية التي غادروها قبل ثمانية وأربعين عاماً، وخمسين عاماً، وخمسةٍ وثمانين عاماً. لقد كانت (إليزابيث) هي التي اختارت في نهاية المطاف هذا المثوى الأخير، وربما كان في بالها صنع أسطورة في العقول.(3)

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الأسطورة تعكس قدراً من الحقيقة. لقد كان لقبر (لودفيغ) حضورٌ دائمٌ في أشعار (فريدريك) المبكرة، وقام بتكريمه مرة أخرى في أواخر 1886.(4) أما بالنسبة لوالدته فقد كان المكان مقدساً بشكلٍ خاص، ونظرت له أخته باحترام، وسيكون بمثابة رمزٍ لجنةٍ مفقودةٍ طوال حياتهم، كمكانٍ كان فيه نوع من السعادة قابل للتحقيق. وبذلك المعنى فإنهم لم يغادروا (روكن)، وإلى (روكن) كانت العودة.

---

(1) وفقاً لمذكرات (فريدريك) الأولى فإن (إردموث) و(روزالي) والخادمة (ماين Mine) كانوا بالفعل في (نامبورغ). وذلك من شأنه أن يترك له (اليزابيث) و(فرانسيسكا) و(أوغست) لا يزالون في (روكن) KGW 1 - 1: 287

(2) KGW I - 1: 287

(3) في الواقع كان قد أخبر (فريدريك نيتشه) والدته بأنه أراد أن يُدفن «في الجنوب، على رأسٍ بحري» Franziska Nietzsche 1994: 70

(4) KSAB VII: 138

الفصل الثاني

نصف يتيم

ليس من المثير للإهتمام فحسب بل من الضروري أيضاً أن نضع الماضي، وخصوصاً أعوام الطفولة أمام أعيننا بأمانةٍ قدر الإمكان لأننا لن نتمكن أبداً من التوصل إلى حكمٍ واضحٍ عن أنفسنا ما لم نحقق عن كثب في الظروف التي نشأنا فيها ونأخذ أثرها بعين الاعتبار.[1]

1

بالنظر إلى الأعوام الأولى من حياة فريدريك في (نامبورغ) من المفيد التذكر بأنه جاء إليها من مكان آخر، فقد كان بعمر خمسة أعوام فقط عندما وصل، وبهذا فإن ذكرياته عن الأوقات السابقة قد تكون ضعيفة، ولكن حداد عائلته والقصص المتكررة ستذكره بما قد ينساه وهو أن الحياة كانت أفضل في مكان آخر. ربما وجد المدينة غير جذابة في مطلق الأحوال، ولكن الظروف التي قدم إلى المدينة تحت وطأتها ستؤكد عملياً ردّة فعله السّلبية تجاه عاداتها، كونها بديلٌ أدنى للحياة كما كانت ينبغي أن تكون.

يبدو وبشكلٍ مؤكد أنه كره (نامبورغ) منذ اليوم الذي وصل فيه فقد كتب «كان أمراً رهيباً بالنسبة لنا بعد معيشتنا في الريف وقتاً طويلاً أن نقيم في المدينة» واعترض بشكلٍ خاص على حجمها.[2] في حين كان يبلغ عدد سكان قرية (روكن) 202 نسمة فإن (نامبورغ) بقاطنيها الـ[3]13500 تصنف كمدينة كاملة بأحياء منفصلة وتشابك شوارع محير. وكان لدى المجتمع مركزان: السوق المتاخم لكنيسة رئيسية (سانت وينسيسلاس) والكاتدرائية المشهورة المتربعة على تلة. وتم تحديد المحيط ببقايا جدار من العصور الوسطى بدأ يتفكك فقط منذ

(1) KGW I - 3: 24

(2) KGW I - I: 287

(3) Bergmann 1987: 13K Pernet 1989: 51

ثلاثة عقود خلت.[1] في حين قد بدت (نامبورغ) ريفيةً لأي شخص يعرف (لايبزيغ) أو (فايمار) القريبة، وجدها فريدريك مدينة نسبياً. صرّح بقوة «لا شيء سوى أشجار عيد الميلاد!».

في المرة الأولى التي رأى فيها الحدائق العامة لم يربكه عدد سكان المدينة الكبير فحسب بل كان مدهوشاً بأنهم بدوا لا يعرفون بعضهم البعض.[2]

إن ملاحظته للحشود واصطناعية الأشجار تخبرنا الكثير عن احتياجاته. ففي (روكن) أحبّ (فريدريك) التجوال في الهواء الطلق ومشاهدة أشعة الشمس تتلاعب على برك المياه. أما في (نامبورغ) فكان لا يلبث أن يخرج من الغرف التي تم تشاركها ليجد نفسه محاطاً بالمباني ومصطدماً بالحشود الناشطة من سكان المدينة. وكونه مجهول الهوية بالإضافة إلى غياب الخصوصية فإن ذلك يدل على عدم وجود مساحة للتنفس، وسيكتب قائلا: «لقد تجنبنا الشوارع المغبرة وبحثنا عن الهواء الطلق مثل طائر يهرب من قفصه».[3] كانت الغرف التي شغلها مظلمةً بشكلٍ خاص. إذ كانت (إردموث) قد استأجرت الشقة، وباعتبارها الوالدة المسؤولة والممثلة الإجتماعية للعائلة فقد استولت على الغرفة الأمامية للشقة بنوافذها المفتوحة بجانب الردهة.[4] وحصلت بناتها على الغرفة المجاورة في حين تم نقل فرانسيسكا والأطفال إلى غرفتين في الخلف مضاءتين في الغالب بالمصابيح الزيتية والشموع.[5] كان هذا التقسيم للمكان هرمياً بناءً على العمر وربما بقصد إبقاء صخب الأطفال بعيداً عن الجهة الأمامية الهادئة، ومع ذلك فقد كان الغرض منه هو التأكيد على الوضع الأدنى للعائلة الأصغر سناً. وتستذكر (فرانسيسكا) «كنا كالطلاب المقيمين ((كوستجانجر Kostgänger))»،[6] أي ذوي قربى مساكين قامت العائلة ببذل الإحسان لهم، فكان يسمح للأطفال بالدخول إلى الغرف الأمامية مرتين في اليوم لتناول طعام الغداء والعشاء. إذ أن «السلام المطلق يجب أن يسود»، وكانوا عرضةً للطرد في حال أساؤوا التصرف.[7]

(1) Biller and Häner 2001: 251 - 252; Schubert 1989: 31, 49. على الرغم من ادعاء (فورستر نيتشه) بأن الجدران كانت سليمة فقد تم تفكيك جميع البوابات باستثناء الـ(مارينتور Marientor) بحلول عام 1830 أي قبل عقدين من وصول (نيتشه).

(2) KGW I - 1: 287 - 288

(3) KGW I - 1: 287

(4) Oehler 1940: 48

(5) Oehler 1940: 48

(6) مقتبس عن Goch 1994: 172

(7) Oehler 1940: 48 الجملة المقتبسة مأخوذة من (Oehler) بذاته.

إن صرامة الترتيبات المنزلية تعكس حالة آل نيتشه المعنوية المتردية، وحتى (فورستر ـ نيتشه) التي تميل في ذكرياتها إلى إضافة بريق مبهج على الضيق تعترف بالقول: «يبدو لي أننا بكينا كثيراً».[1] قبل ذلك بأعوام، كان جميع البالغين ـ باستثناء (روزالي) ـ قد تركوا منزلاً تم تأسيسه منذ أمدٍ طويل ليوحّدوا قواهم مع (لودفيغ) لتأسيس منزلٍ جديد، ولابد أن جسارة التضحية ومتعة تكوين عائلة جديدة في ذلك الوقت قد أعطتهم شعوراً بأمل طائش، وكان الرجل المحبوب بمثابة محور الأسرة والمركز الذي يدورون حوله، وبموته انهار هذا النظام، ومن غير المؤكد أنه تعافى. واصلت النسوة العيش سوياً ولكن يبدو أن كل شخصٍ بالغٍ منهن قد انطوى بصورةٍ عامة على نفسه، فقد سيطرت (إردموث) على المناطق الأمامية وحكمتها كملكٍ منعزل ولكن عطوف، في حين انضمت (روزالي) إلى المنظمات الدينية، وقامت (أوغست) (بمساعدة الخادمة ماين) في تنظيف المنزل، وكرّست (فرانسيسكا) نفسها للأطفال.

وبطريقة ما عمِل هذا الترتيب لصالح (فرانسيسكا)، ففي الأماكن العامة لـ(روكن) شكّك الآخرون بطرقها في تربية الأطفال، وتمّت إحالة الوظائف الهامة إلى والدة زوجها. أما في (نامبورغ) ولكونها محتجزة في السكن الخلفي، لم تعد مثقلة بعبء الإشراف الفوري، وأصبحت الشخص المهيمن على عالم الأطفال الضيق. من غير الواضح إلى أي مدى قامت (إردموث) باتخاذ القرارات النهائية التي تخص حفيدها ـ حيث تشير (فورستر ـ نيتشه) بأنها قد فعلت ذلك، وتحتج (فرانسيسكا) بأنها لم تفعل،[2] ـ ولكن كان للمرأة كبيرة السن بكل تأكيد حق النقض (الفيتو)، وإذا كان لسبب ما فلأنها تمسك بسلاسل المحفظة.[3] وبالرغم من ذلك فقد كانت (فرانسيسكا) مسؤولةً عن تهذيب ورعاية الأطفال اليومية، وفي الغالب كان اتفاقاً أفضل بغض النظر عما إذا كانت مؤهلةً لذلك.

بالتالي يمكن للمرء تقدير المرارة والتبعات المترتبة على ذلك في تعليق أدلى به (نيتشه) في السيرة الذاتية الشخصية والتي كتبها وعمره ثلاثة عشر عاماً، يقول في رثاء موت أبيه «أصبحت الآن يتيماً ((وايزنكايند Waisenkind))» أي في هذا السياق؛ نصف يتيم.[4] لو

---

(1) Förster - Nietzsche 1895: I, 25.

(2) مقتبس عن Goch 1994: 173 - 174. كتبت (فرانسيسكا) هذا في محاولةٍ لمواجهة ما فسرته على أنه محاولة من (فورستر نيتشه) لشطبها من سيرة ابنها نفسه.

(3) لمناقشة ديناميكيات تربية الأطفال في عائلة (نيتشه) انظر Goch 1994: 169 - 172.

(4) KGW I - 1: 285

بقي والده على قيد الحياة لكان (فريدريك) سيخضع لقيادة وتوجيه رجلٍ بمقدوره في ذلك المجتمع الذكوري أن يوجه الأطفال بدرايةٍ أكبر في بيئتهم الإجتماعية والمهنية. وبوفاة (لودفيغ) وقعت هذه المسؤولية على عاتق (فرانسيسكا) التي لقلة تعليمها لم تستطع توجيه ابنها بنفس القدر من المعرفة والسلطة، لاسيما في مدينة كبيرة مثل (نامبورغ) والتي لابد أنها بدت شبه غريبة لها كما بدت لابنها. وإدراكاً منها لقدراتها استشارت الأقارب والأصدقاء باختلاف رؤاهم وحساسياتهم.[1]

يمكن للمرء القول إن (فريدريك) لم ينشأ على يد أيٍ من الوالدين بل على يد لجنةٍ نوعاً ما، والتي كانت فيها والدته المدير الشارد إلى حدٍّ ما. كانت (إردموث نيتشه) تعرض المشورة في بعض الأحيان وأحياناً (ديفيد أولر)، وفي حين آخر، جارٌ يقطن في آخر الشارع. خلال كل ذلك اختارت (فرانسيسكا) الاقتراحات بعناية، وقامت بتقديم رعاية لابنها بأفضل ما أمكنها، ومع ذلك فإن الطبيعة العشوائية لتلك التوجيهات ستصبح لاحقاً مصدراً للأسف بالنسبة لـ(فريدريك) الذي أدرك ـ محقّا نوعا ما ـ أن الكثير كان ليختلف لو أن والده أشرف على تربيته.[2]

2

إنّ منهج هذه اللّجنة يظهر بوضوح في الطريقة التي أُرسل فيها (فريدريك) إلى المدرسة لأول مرة. فقد بلغ الخامسة الآن وحان الوقت للتفكير بالتعليم الرسمي بجدية، وبطبيعة الحال فقد ذهب بالفعل إلى المدرسة لفترةٍ من الزمن في (روكن)،[3] ولكنه لم يذهب سوى ساعةٍ في اليوم. ووفقاً لـ(فرانسيسكا) لم يُرد التعليم الأكاديمي من التحاقه بالمدرسة بقدر ما كانت محاولةً لجعله معتاداً على آلية جدول منتظم وذلك قبل انتقاله إلى (نامبورغ).[4] وكانت أولى دروسه في القراءة والكتابة على يد (فرانسيسكا) شخصياً،

(1) للإطلاع على أمثلة من المشاورات التي أجرتها (فرانسيسكا) مع الأصدقاء والمسؤولين بشأن تربية الأطفال انظر Goch 1994: 179 - 180

(2) سيصبح أمر تربيته بشكل غير ملائم اعتقاداً راسخاً عند (نيتشه) انظر الفصل 5 القسم 3 والفصل 8 القسم 5 والفصل 14 القسم 5.

(3) كان (نيتشه) قد بدأ بالذهاب في عيد ميلاده الخامس (15 أكتوبر 1849). انظر الرسالة من (فرانسيسكا) في Goch 1994: 144

(4) Goch 1994: 144; Bohley 1987: 183 رسالة من (إردموث) تشير إلى أنه تعلم على يد (ديفيد أولر David Oehler) في أواخر فترة ربيع وأوائل صيف عام 1850 KGB I - 1, 302. وبشكل ملحوظ فإن رسالة (فريدريك) الأولى (قصيرة جدا) مؤرخة في 1 يونيو 1850 أي بعد شهرين على الأكثر من مغادرة (روكن) وغالبا تمثل انقلابا تعليميا عن جانب جده KSAB I: 1

التي علّمت كلًّا من (فريدريك) و(إليزابيث) العلاقة بين الأصوات والحروف لفظياً من خلال تشجيعهم على تأليف القوافي ثم كانت توضح لهما الرموز المقابلة لها على الورق.[1] إن هذا التدريس [ذكر الكاتب البيداغوجية التي هي أصول التدريس] الذي قد يبدو مقبولاً اليوم كان غريباً في ذلك الوقت وتلقّته العائلة والأصدقاء بالفزع، وكانوا قلقين من أن الصبي لا يتعلم بالصورة الصحيحة.[2]

وبعد هذه المقدمات بخصوص التعليم، فقد حان الوقت لتسجيل الصبي في مدرسة رسمية ولقد كان انتسابه في نهاية المطاف إلى الـ(جيمنازيوم) ـ وهي مدرسة متوسطة وثانوية مدتها تسعة أعوام ـ أمراً مؤكداً.[3] فقط إذا تخرّج من مؤسسة كهذه يمكن له الحصول على الـ(أبيتور)، وهي شهادةٌ هامة ليتمكن من الذهاب إلى جامعة بروسية.[4] تكمن المشكلة في نوع المدرسة التي سيذهب إليها (فريدريك) قبل الـ(الجيمنازيوم)، فقد كان الفتيان من الطبقات العليا بصفة عامة إما يأخذون دروساً خاصة أو يرسلون إلى مدرسة تحضيرية،[5] ولكن الموارد المالية لعائلة نيتشه كانت محدودة ولعلهم لذلك اختاروا عدم سلوك هذا النهج.

وفي نهاية المطاف سجلوا الصبي في مدرسة تحضيرية، ولكنه سيمضي سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات في مدرسة أولاد البلد،[6] وهي مؤسسةٌ عامة مخصصة لأبناء عمال الأشغال

(1) Franziska Nietzsche 1994: 173; Figl 1999: 24 - 29

(2) Oehler 1940: 59 - 60

(3) Daum 2004: 145

(4) أصبح ال-(أبيتورAbiture) متطلباً في عام 1834.

(5) تلقى أصدقاء فريدريك الأخيرين وهم (فيلهلم بيندر Wilhelm Pinder) و(غوستاف كروغ Gustav Krug) هذا النوع من التعليم التمهيدي في حين تم تهميش الفتيات إلى مؤسسات أخرى كما سنرى في حالة (إليزابيث).

(6) كان (راينر بولي Reiner Bohley) أول من اكتشف مغادرة (نيتشه) لمدرسة أولاد البلد في عيد الفصح 1853 وليس في وقت ما من عام 1851 كما ادعت أخته. Bohley 1987: 167. ولكن يبقى متى دخل (فريدريك) مدرسة أولاد البلد بدقة موضوعاً محرجاً. انظر Pernet 1989: 59;
KGB I - 4: 33 - 34; Bohley 1987: 167; Hödl 2009: 133. تنص رسالة من (إردموث) (2 أغسطس 1850) على وجه التحديد بأن (فريدريك) أصبح الآن «طالبا في مدرسة أولاد البلد/ Bürgerschüler» كما لم يكن من قبل وهذا قد يبدو قاطعاً.

اليدوية والتجار ولكن ليس الفقراء.[1] حيث أن الصبية ذوي تلك الخلفيات لن يتحصّلوا من تعلم اللاتينية واليونانية على فائدة تذكر، وهم عموماً يرتادون المدرسة حتى عمر الرابعة عشرة ثم ينطلقون للعمل إلا إذا ما أظهروا طموحاتٍ أكبر.[2] كثيراً ما تميل مدارس أولاد البلد إلى التركيز على التعليم الديني بالإضافة إلى تعليم الألمانية و«الحساب العملي» والجغرافيا والتاريخ (بشكل خاص التاريخ البروسي) ومعرفة سطحية لبعض المواد الأخرى.[3] ولابد لمنهاج كهذا أن يبدو محدوداً لطالب جامعي محتمل، ومن الواضح أن إرسال (فريدريك) لمثل هذه المدرسة كان تدنياً لمكانته.

وبالفعل، بعد خمسةٍ وأربعين عاماً لا تزال أخته ترى هذا الاختيار صعب التفسير.[4] وكما ذكرنا قد ظنت العائلة على الأغلب أن تعيين مدرسٍ خصوصي جيد أو إرسال الصبي مباشرةً إلى مدرسةٍ تحضيرية يفوق قدراتها المالية. ومع ذلك لم تتمكن (فورستر ـ نيتشه) من قول ذلك لأنها لم تقم بذكر المال يوماً، ومن المحتمل أنها اعتبرت ذكره إهانةً لعائلتها. وعلى الرغم من أن إغفالها هذا الموضوع لهو فعلٌ مشرّف، إلا أن المدى الذي ذهبت فيه في إخفاء الأمر ليس كذلك. ففي كلتا السيرتين الذاتيتين اللتين كتبتهما ادّعت مرتين بما يتعلق بالمدرسة، الأولى أن اختيار المدرسة كان فكرة (إردموث)، والثانية أن (فريدريك) قد وجد إخراجه منها في أقل من عام أمراً مزعجاً.[5] وتقول (فورستر ـ نيتشه) في السيرة الذاتية الأولى أن صديقَي فريدريك الأخيرَين وهما (فيلهلم بيندر) و(غوستاف كروغ) ارتادوا معه مدرسة أولاد البلد.[6] وقد تكررت هذه الادعاءات الثلاثة كثيراً إلا أن اثنان منها بدون شك غير صحيحين والثالث غير مثبت.

---

(1) انظر حاشية المترجم، Cousin 1833: 51 , لم يكن جميع سكان المدينة من المواطنين (برغهرز=مواطنين) ولكن فقط أولئك الذين دفعوا الضرائب. Cousin 1833: xxx وبالتالي سيتم استبعاد الطبقات الدنيا من مدارس (أولاد البلد) ومع ذلك فإن التسجيل في هذه المدارس يتطلب رسوماً تعين على عائلة (نيتشه) دفعها. انظر Müller and Zymek 1987: 40

(2) لعمر الأربعة عشر عاماً انظر Cousin 1833: 517. وللاستفادة من مدارس (أولاد البلد) كتتبع أولي انظر 51.

(3) يقترح (Pernet) أن الموضوعات الأساسية للدراسة ستكون التعليم المسيحي وكتاب الترانيم. Pernet 1989: 59 - 60. ولكن وفقاً لـ(Victor Cousin) يطلب من كل مدرسة (أولاد البلد) تعليم عشرة مواد معظمها علماني. Cousin 1833: 523.

(4) Förster - Nietzsche 1912: 24

(5) Förster - Nietzsche 1895: I, 29. Förster - Nietzsche 1912: 24

(6) من أجل قرار (إردموث) المزعوم انظر Förster - Nietzsche 1912: 24، لأجل مدة التسجيل، 25، لتسجيل (فيلهلم) و(غوستاف) في مدرسة (أولاد البلد) انظر Förster - Nietzsche 1895: I, 31

فالإدعاء المتعلق بأصدقاء فريدريك يبدو بديهياً غير مقبول وتبين لاحقاً أنه غير صحيح.[1] لم يلتحق (فيلهلم) ولا (غوستاف) بمدرسة أولاد البلد ولا ينبغي للقارئ أن يتوقع من أولاد الطبقة الأرستقراطية التعامل مع مؤسسة مخصصة للتجار. كما أن ادعاء (فورستر ـ نيتشه) الثاني أيضاً مغلوط حيث تدلّ سجلات المدرسة أن (فريدريك) بقي فيها على الأقل عامين ونصف ومن المحتمل ثلاثة وليس «أقل من عام» كما زعمت.[2]

أما عن قولها بأن القرار كان لـ(إدرموث) (والتفسير المفترض بأنها أرادت لحفيدها التعامل مع الطبقات الأدنى)، فقد عارضت (فرانسيسكا) نفسها هذا الإدعاء بشدة. كانت الأخيرة مستاءةً جداً عند ظهور السيرة الذاتية لـ(فورستر ـ نيتشه) أول مرة واشتكت من أن الكتاب كان «هراء» حيث أن ابنتها لم تؤلف الخيالات فحسب، بل فعلت ذلك بهدف التقليل من دور الأم في حياة ابنها.[3]

في رسالة إلى ابن أخيها استنكرت (فرانسيسكا) «الأمور التي اخترعتها (ليسشن) [اسم يطلق على إليزابيث للتحبب] عن جدتها عندما تم إرسال فريتز [اسم يطلق على فريدريك للتحبب] إلى مدرسة أولاد البلد، (ليسشن) التي لم تبلغ الرابعة من عمرها آنذاك».[4] وتابعت (فرانسيسكا) بتقديم نسختها الخاصة من القصة عن كيفية اتخاذ القرار كما سيرد في المقطع القادم. وفي الوقت نفسه رأت في حكايات ابنتها محاولةً لتهميشها في سجلات التاريخ، وبالتالي تعريضها مرةً ثانية وبشكلٍ دائم للمهانة التي عانت منها قبل خمسةٍ وأربعين عاماً، عندما انتقلت للعيش مع عائلة (نيتشه). فكتبت أن أسوأ ما في السيرة الذاتية لـ(فورستر ـ نيتشه) كان «يظهر أنه ليس هناك أدنى تأثير فكري من جانب عائلة (أولر) وكل شيء مستمد

(1) Rosmiarek et al. 2003: 357, 349. سحبت (فورستر - نيتشه) الادعاء بهدوء في السيرة الثانية.

(2) انظر ص 57 الحاشية (6). يقترح (أدالبرت أولر Adalbert Oehler) بأن يبقى الصبي في مدرسة أولاد البلد بشكل نهائي حتى يدخل ال-(جمنازيوم) أي طوال فترة التعليم ما قبل ال-(الجمنازيوم). إذا كان الأمر كذلك، عندئذٍ لابد وأن قراراً صريحا قد أخذ لإخراجه منها وهو قرارٌ يفترض أنه مبني على تعاسة الصبي في تلك المدرسة. Oehler 1940: 63

(3) في الفصل الأول من كتاب (فورستر - نيتشه) خصصت تسع صفحاتٍ ونصف لعائلة (نيتشه) وواحدة لعائلة (أولر). كان نصيب (فرانسيسكا) ستاً وثلاثين كلمة. Förster - Nietzsche 1895: I, 12. كانت سيرة (فورستر - نيتشه) الذاتية الثانية أكثر تقديراً لعائلة (أولر) وخاصةً لـ(فرانسيسكا) ولكن يمكن القول بطريقة متعالية نوعاً ما.

(4) Franziska Nietzsche 1994: 35

من عائلة (نيتشه) وحدهم».[1] وفي رسالة أخرى تشكو أن السيرة الذاتية جرّدتها من كل ما فعلته عدا ولادة أطفالها.[2]

وبعد مضي أكثر من مئة عام من الصعب الحكم بين هذه الإدعاءات، بالرغم من معرفتنا أن (فورستر ـ نيتشه) نشرت هذه الأكاذيب عمداً في حين لا توجد تهم ملصقة (فرانسيسكا)،[3] ويتم إخبارنا أيضاً بأنه لاحقاً عندما اختلفت (إردموث) و(فرانسيسكا) على مدرسة الصبي، ترك القرار بدون شك لـ(فرانسيسكا) وكان الفوز لها وحدها ضد جبهة موحدة ضمت (إردموث نيتشه).[4]

في النهاية، حتى وإن بدا أمراً مشكوكاً فيه بأن (إردموث) اتخذت القرارات النهائية فيما يتعلق بالمدرسة، فإن (فرانسيسكا) بالتأكيد قامت باستعلامات خاصة بها، وكانت خلال فترة طفولة ابنها تستعلم من الأقارب والمعارف حول هذا الموضوع وتنسخ مقتطفات عن القضايا التعليمية من الصحف والنشرات الكنسية.[5] وفي هذا الخصوص فقد اصطدمت بنصيحة قدمها لها (برنارد دايشيل) وهو ابن زوج واحدة من الأخوات غير الشقيقات لـ(لودفيغ)، فعندما سُئل لاحظ أنه هو أيضاً قد ذهب إلى مدرسة (أولاد البلد) ووجد تجربته مرضية.[6]

تكلم (دايشيل) بالنفوذ الممنوح له لا لأنه قريبهم بالزواج فحسب، بل لأنه اختير كوصي على (فريدريك) وسيبقى بهذه الصفة حتى يبلغ الصبي الرابعة والعشرين من العمر، ولهذا فإن كلمته لها اعتبارها، وتؤكد (فرانسيسكا) أن تأييده كان حاسماً، وبناءً على هذا النفوذ اختارت أن تسجل ابنها في مدرسة أولاد البلد.[7]

(1) Franziska Nietzsche 1994: 54 في رسالة سابقة كتبت قبل ظهور السيرة تذكر فيها مشاجرةً رهيبة وتقول فيها عن ابنتها أن «الأمر الوحيد الذي لا يمكنها نفيه هو أنني حملت بـ(فريتز)» Franziska Nietzsche 1994: 32

(2) Franziska Nietzsche 1994: 60. تجهد (فرانسيسكا) بالادعاء أن القرار المتعلق بمدرسة أولاد البلد كان قرارها.

(3) للإطلاع على صدق (فورستر - نيتشه) المشكوك بأمره انظر القسم 2 من المقدمة.

(4) انظر الفصل 4 القسم 2.

(5) Goch (1994): 211. كتبت (فرانسيسكا) إلى ابن أخيها بأنها قرأت في ذلك الوقت كتباً عن التعليم لكل من (بيستالوزي Pestalozzi) و(فون شتاين Von Stein). كما تلقت النصح من أخيها الأكبر (إرنست) ومن أستاذ جامعة كبير السن ومن الوصي عليه. Franziska Nietzsche 1994: 36

(6) Franziska Nietzsche 1994: 35. درس (دايشيل) لاحقا في (شولبفورت) وحصل على شهادات جامعية في نهاية المطاف. كانت (فرانسيسكا) مدركة بأن الذهاب إلى مدرسة (أولاد البلد) لن يعيق هذه الإمكانيات.

(7) بالنسبة إلى السيرة الذاتية لـ(دايشيل) انظر Rosmiarek et al. 2003: 346 - 347

بقي الصبي في تلك المؤسسة سنتين ونصف على الأقل وربما ثلاثة أعوام وعلى الأغلب أنه لم يكن سعيداً خلال تلك الفترة ولكن لا توجد أدلة توثيقية كافية لدعم هذا عدا طبعاً عن الحكايات التي روتها (فورستر ـ نيتشه).[1] لم يأت الصبي على ذكر المدرسة بنفسه سوى مرة واحدة في أعوامه الأولى، وهناك أشار فيها عن كونه محبطاً ولكن كان ذلك بسبب طبعه وتجاربه المبكِّرة أكثر من تأثير البيئة المباشر عليه. وبعبارةٍ أخرى، لقد كان حزيناً لكنه لم يوجّه اللوم مباشرةً إلى المدرسة.[2]

من منظور (فرانسيسكا) لم تكن أحوال ابنها جيدة فقد كانت قلقةً من كونه خجولاً وخائفاً فسعت إلى «جعله يصبح صلباً» (بكلماتها حرفياً) وذلك بجعله يقوم بأشيائه بنفسه وبغمره بالماء البارد في الصيف.[3] كما قلقت من تحوله إلى «متحذلق»، وعنت بذلك أنه كان واضحاً التزامه كثيراً بالقواعد.[4] وتروي (فورستر ـ نيتشه) عدة قصصٍ عن أخيها وبالرغم من المبالغة فيها إلا أنها تفسّر ما كان يدور في ذهن الأم. وربما من أهم ما نستخلصه من حكاياتها ما روته عن إحدى الحوادث عندما هطلت أمطارٌ غزيرة في وقت انتهاء الدوام فتسابق حشد من الصبية تحت هطول المطر في حين اجتاز (فريدريك) خلال السيول بوتيرةٍ مهيبة مع قبعته ومنديله المضغوطين بحرصٍ فوق لوحه الخشبي وكتبه، ورداً على سؤاله حول ما كان يدور في ذهنه أجاب بأن قواعد المدرسة تدعو الأولاد إلى عدم القفز أو الركض في الشارع بل أن يمشوا دائماً إلى منازلهم بشكلٍ لائق.[5]

إذا كانت هذه الحادثة صحيحة فإنه بالإمكان النظر لسلوك (فريدريك) على أنه مثيرٌ للإعجاب وعصابي أو على أنه مجرد مرحلة طبيعية في فترة الطفولة، وهو بالتأكيد يعكس نوعاً من الاستقلال الذهني عن أصدقائه وربما والدته التي انحازت للصبية في هذه الحالة. وبخضوعه للسلطة اللاشخصية للقواعد، استطاع (فريدريك) فصل نفسه عن جميع هؤلاء الأشخاص وإظهار الولاء عوضاً عن ذلك للمبادئ التي كانت مجردة. كما لم يكن هذا الالتزام بالقواعد الذي دعته أمه بـ«التحذلق» مقصوراً على المدرسة، حيث تقول (فورستر ـ نيتشه) إنه رفض قبول هدية قدمتها له جدته ورماها على الأرض بسبب أن (فرانسيسكا) منعته من

(1) Förster - Nietzsche 1912: 24 - 25

(2) KGW I - I: 288

(3) Goch 1994: 179 - 180

(4) اقتباس من Goch 1994: 180

(5) Förster - Nietzsche 1912: 25

ذلك، وعلاوة على ذلك عند إعلامه أنه أخطأ التصرف كان (فريدريك) ينسحب إلى المكان المنعزل الوحيد المتاح (الخاص كما تخبرنا فرانسيسكا)، ويفكر في خطئه وبعد ذلك فقط يخرج ليعتذر، وبهذه المناورة أخذ السلطة من أيدي البالغين.[1] ظاهرياً كان يطيع والدته أما في داخله فكان يطيع القواعد وضمنياً كان يطيع نفسه. ومن الوارد أيضاً أنه كان يظهر الطاعة إلى طرف ثالث غير مرئي. في مذكّرة كتبها بعد ذلك بوقت طويل يقول: «بعد ذلك في (نيوغاس) حيث سمعت دائماً صوت والدي التحذيري» ولاحقاً يقول «الحارس ـ صوت أبي التحذيري».[2] إذا كانت تكتيكات الفصل هذه سمحت لـ(فريدريك) أن يؤكد استقلاليته إلا أنها قوّضتها بشكلٍ قاتلٍ أيضاً، تدعو إحدى هذه القواعد إلى العناية بوالدته على الدوام ـ فهذه في النهاية هي الوصية الرابعة ـ [3] وقد نفّذ (فريدريك) رغبات أمه. وهذا الأمر استبعد أي تأكيد فعلي لاحتياجاته وذوقه الشخصي، ومن وجهة نظرٍ خارجية يمكن القول إنه كان بدون شخصيةٍ على الإطلاق. فلم يستطع الرد على الأولاد الذين أغاظوه ولم يتمكن من الإحتجاج عندما أرسلوه إلى مدرسةٍ غير مناسبة. ويبدو أن (فريدريك نيتشه) قضى أعوام تكوينه ـ بين عمر الخامسة إلى الثامنة وإلى حد ما حتى الثالثة عشرة ـ في حالة من الحياة المعلّقة: مثاليٌ على نحو غير عادي على السطح ومتمردٌ عاجز تحته، وكما سيتبين لاحقاً فإن ذلك ليس صحيحاً تماماً ومع هذا فإن السلوك الذي لا تشوبه شائبة كان بمثابة أحد الجوانب الأكثر بروزاً في شخصيته.[4]

3

إن سلبية (فريدريك) الأساسية خلال الأعوام الباكرة من حياته عنت أن محيطه ـ وعلى وجه الخصوص مدينة (نامبورغ) ـ ستَبرز أكثر من أي قوى يمكن أن يحشدها ضدها، فقد عاش في ذلك المجتمع من سن الخامسة إلى الثالثة عشرة، تسعة أعوامٍ مؤثرة من حياته، وحتماً تشرّب سلوكياته بطرقٍ سيصعب عليه إدراكها ناهيك بشكلٍ أقل من صعوبة مراوغتها.

---

(1) انظر Förster - Nietzsche 1912: 12 - 13, 28. القصة الثالثة هي الأكثر موثوقية لأنه قد تم تأكيدها من قبل (فرانسيسكا). Franziska Nietzsche 1994: 38

(2) KSA VIII: 194, 505

(3) Goch 2000: 24

(4) سوف يهتم الفصل الثالث بشكل حصري تقريباً بالطرق التي قاوم بها (فريدريك) محيطه وتجاوزه في نهاية المطاف.

قدمت له (نامبورغ) أول تعليمٍ متواصلٍ في الأخلاق والأعراف فكانت ـ باستثناء قرى المدينة الفظة حيث ولد هو وأمه ـ المصدر الوحيد للتعليم الاجتماعي حتى أصبح في طريقه نحو سن البلوغ. وسيذكر أحد الأصدقاء عندما كانا في التاسعة عشرة من عمرهما بأن (فريدريك) أكد له بأن الأخلاقيات الرفيعة لطبقة المجتمع العليا في (نامبورغ) كانت مثالاً عن «السلوك الراقي والمجتمع الراقي».[1] وعلى الرغم من أنه سيتخطى هذه الآراء في نهاية المطاف، فقد خدمت كمؤشر للرحيل.

إن الإنطباع الأولي الذي يدلي به زائرٌ إلى (نامبورغ) اليوم هو أنها مدينة قديمة وهي بدون شك مشبعة بالتاريخ، وأن العيش هناك سيفرض على سكانها إحساساً بالماضي المستمر. يعود أول ذكرٍ للموقع إلى أوائل القرن الحادي عشر،[2] وإلى يومنا هذا فإن المنطقة التاريخية المركزية تزدحم بالمباني التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر حتى السابع عشر جاعلة إياه في الواقع كمتحف مسكون. وقد يتولد انطباع مشابه عند زيارة (ألمانيا) في وقت كان لازال فيه (نيتشه) على قيد الحياة.

منادياً بإرثها المعماري وبإعفائها من آفات الثورة الصناعية، قدمها العمدة إلى سياحٍ محتملين كمدينة عفا عليها الزمن.[3]

ومع ذلك، فقد حدث تغييرٌ واحد كان حاسماً ليس فقط لـ(نامبورغ) بل أيضاً لتعليم (فريدريك نيتشه)، ففي عام 1815، بعد هزيمة (نابليون) وبعد ما يقارب الألف عام من الولاء للحكام الساكسونيين (إما مباشرة أو عن طريق وسيط من سلطات الكنيسة)، تم تسليم (نامبورغ) إلى الدولة البروسية.[4] وبغض النظر عن الصدمة المدنية بإعادة انتدابها إلى بلد آخر، فقد وجدت (نامبورغ) الآن أن العديد من شركائها التجاريين السابقين يقعون على الجانب الخاطئ من الحدود. وفي محاولة لتعويض الخسارات التجارية (وربما لتعزيز ولاء السكان بإدخال الناس الموالين للدولة)، قامت بروسيا بإنشاء محكمة عدلٍ إقليمية في المدينة. فأدّى مجيء القضاة والمحامين والموظفين والمدّعين المتجولين إلى إحياء اقتصاد

(1) Deussen 1901: 16. وللترجمة الإنجليزية انظر Gilman 1987: 18

(2) Hege 1958: 8

(3) Wagner 2001

(4) كانت (بروسيا) قد طالبت بكامل (ساكسونيا) ولكن قدموا لها ممتلكات كبيرة في (راينلاند) عوضاً عن ذلك.

(نامبورغ) إلى حدٍ ما وذلك بزيادة اهتمامها بالتجارة وبالتركيز على القانون.[1] لقد عدّل هذا التغيير أيضاً في البنية الإجتماعية للمدينة، فبرزت مكانة اجتماعية لم يكن لها مثيل في العالم الناطق باللغة الإنجليزية والتي ربما كان (فريدريك نيتشه) مهيأً لها منذ ولادته وبكل تأكيد منذ حوالي التاسعة من عمره.

ولكي نفهم الموقع الهرمي الذي سيعيش فيه (نيتشه) معظم حياته على المرء أن يأخذ في الاعتبار ما يسمى بالـ(الطبقات المثقفة) ((جيبيلدتن ستاند gebildeten Stände))، أو كما دعيت في منتصف وأواخر القرن العشرين بـ«(الطبقة الوسطى المثقفة ـ أو المتعلمة) ((بيلدونجزبورجيرتوم Bildungsbürgertum)).[2] ومن الصعب تحديد هذه الفئة فهي لم تتحدد بمهن أعضائها ولا بمستوى تعليمهم بل من خلال مزيج من الاثنين وربما كان التعليم هو السمة الأكثر بروزاً. حتى هذا لا يكفي لشرح هيبتها لأن كلمة ((بيلدانغ)) بالألمانية لها ثلاثة معانٍ ذات صلة وهي: التعليم والثقافة والأهم من ذلك الثقافة الذاتية، وهي مزج شخصية المرء ومواهبه، إحساسه ورأيه مع مزيج من الحكمة والرؤية. ومن الأفضل تأجيل مناقشة الجانب الثالث حتى الفصل الخامس، ولكن العاملين الاثنين الأكثر صلةً بالناحية الإجتماعية يحتملان الدراسة هنا.

برزت الطبقة الوسطى المثقفة (أو المتعلمة) خلال حركة التنوير وذلك بفضل بعض التحسينات الاقتصادية والاجتماعية، ولكن أيضاً من خلال تحريرٍ مزدوج، أحدها ضد الكنيسة في تركيزها على الخلاص في الآخرة، فجاءت هذه المجموعة لتبجيل الجمال والسعادة الممكن إيجادهما في هذا العالم خاصةً من خلال ثقافة الفنون، والآخر نظرياً من خلال الإنغماس في إنجازات الرومان واليونانيين. ومن المفارقة أن ظهر هذا التجمع تماماً في الوقت الذي بدأت فيه المعرفة تتحرر من ارتباطها بـلاتينية القرون الوسطى المعقدة، فتم نشرها بأمانةٍ ورقيٍ بلغةٍ يمكن التحدث بها في قاعة الإستقبال.

(1) Pernet 1989: 51

(2) من الصعب ترجمة المصطلحات مثل «الطبقات المثقفة\ جيبيلدتن ستاند gebildeten Stände» و«الطبقة الوسطى المثقفة\ بيلدونزبورجيرتوم Bildungsbürgertum» وينظر لهذا الأمر أحياناً على أنه بسبب منشئها الألماني المميز. Kocka 1989: 15 - 16. ويقول (كوكا Kocka) أيضاً بأن مصطلح «بيلدونزبورجر Bildungsbürger» قد أصبح إشكالية Kocka 1989: 9 - 20. ولم تتم صياغته حتى عام 1920 وكان يستخدم في الأصل كعبارة عامية مهينة على غرار قول (نيتشه): «المتعلم غير المثقف». انظر Engelhardt 1986: 189 - 192

وكأتباعٍ جيدين لسادة تنوير مثل هؤلاء من أمثال (ليسينغ Lessing) و(نيكولاي Nicolai)، ناهيك عن ذكر اللاحقين (جوته Goethe) و(شيلر Schiller)، بدأ أعضاؤها باكتشاف وتمجيد الأدب الخاص بهم واعتباره وسيلةً للثقافة الذاتية والتنمية الذاتية.[1]

من الناحية المهنية، كانت المجموعة مرتبطة بشكلٍ خاصٍ بموظفي الخدمة المدنية وهي مجموعة واسعة النطاق تتبع الدولة البروسية عالية التنظيم، غير أن عضويتها يمكن أن تتجاوز بكثيرٍ هذه المهن، فيمكن بالإعتماد على درجة الثقافة الذاتية أن تشمل ـ على الأقل لاحقاً ـ المحامين والقضاة والأطباء والقساوسة والمدرسين والأساتذة الجامعيين والأشخاص المتفرغين وحتى الفنانين.[2] ومع مرور الوقت أصبح الأعضاء أقوياء ثقافياً بشكلٍ كبيرٍ، وبدؤوا يتطورون إلى أرستقراطيةٍ موازية ولكن دون خسارة ادعائهم بالانتماء إلى الطبقة الوسطى. وبما أن أسهم المتاجرة في هذا «النبل الروحي» كانت المعرفة ولكن ليس بالضرورة المعرفة التطبيقية، فإن هؤلاء المهنيين افتخروا بدقة ومدى تعليمهم. وقد تعزّزت هذه الثقة بالنفس أكثر بوصفهم الضمني للمعارضة، حيث كان هؤلاء أشبه بأرستقراطيين يميلون (لنقلها بكل صراحة، ولأغراض إرشادية فقط) إلى اعتبار أنفسهم أسمى مكانة من المهندسين والتّجار والمصنّعين الذين بغض النظر عن إنجازاتهم كانوا يكرسون أنفسهم لكسب المال متجاهلين ما يمكن أن يدعوه البعض بـ«الأشياء السامية». وعلى النقيض من ذلك افتخرت الطبقات الوسطى المثقفة بكونها من المهنيين المتنورين، فكان هؤلاء الموظفون المتعلمون (في هيئة قضاة ومحامين) مَن أخذ المقر والسلطة في (نامبورغ) جاعلين منها «مدينة موظفي الخدمة المدنية» بحسب كلام (غوتش).[3]

ولقد تمت هذه النقطة لسببين: الأول لأن (فريدريك نيتشه) كما ذكرنا سابقاً، سيكبر ليصبح أحد أعضاء هذه الطبقة المثقفة وسينعم بهذه العضوية على الأقل ضمنياً حتى بعد مغادرته ألمانيا. السبب الثاني أنه كان يدخل هذه الطبقة في الوقت الذي بدأت فيه

(1) كانت هناك العديد من المساعي - لم تكن متسقة - إلى وصف منشأ وتطوّر وخصائص وانحدار هذه الفئة. تم الاستناد فيما سبق وبشكلٍ كبير على 18 - 8 :Lepsius 1992 انظر أيضا Bödeker 1989: 21 - 52 - وللحصول على مرجع جيد باللغة الإنجليزية على الرغم من أنه يركز على التنوير، انظر Zammito 2002: 15 - 41

(2) Lepsius 1992: 8. على الرغم من أن التعليم الذاتي كان أكثر ارتباطاً بالطبقات الوسطى إلا أن الأرستقراطية اعتمدته أيضاً Rosenberg 1958: 186

(3) Goch 1994: 195

سلطتها تتعرض للتحديات، إذ كانت الثورة الصناعية قد بدأت بالفعل بتغيير الولايات الألمانية وبالرغم من أن ذلك لن يبلغ أعداداً حرجة حتى عام 1870 إلا أن الـ((ويرشافتسبورغر Wirtschaftsbürger))،[1] وهم هؤلاء الذين حازوا مكانتهم بسبب الممتلكات والمصانع والأموال، فجأةً لم يعودوا لاعبين ثانويين للتعامل معهم بازدراء متحضّر. وبالتناسب مع مجيء كل من الاقتصاد وإنتاج المواد والتقدم التقني في العلوم الفيزيائية إلى المقدمة، فإن الإنجازات الثقافية وغير الملموسة التي حققها البيروقراطيون المتعلمون أصبحت أقل تقديراً أو على أقل تقديرٍ، أقل مشاركةً.[2]

إن هذا الأمر لن يكون واضحاً في (نامبورغ) حيث كان مواطنوها معزولين بفضل مكانتها القضائية عن الاضطرابات الإجتماعية والاقتصادية التي تهز بقية البلد. ومع ذلك فقد كان يتم إدخال (فريدريك نيتشه) في وسائل طبقةٍ وجدت نفسها تتعرض للتهديد بشكل متزايد، وستكون ردة فعلها إلى حد كبيرٍ تجاه المتآمرين الماديين هي الإنسحاب إلى إيمانٍ هشٍ بالأدلة الإجتماعية والإدعاءات.

إن صدارة الطبقات المثقفة في (نامبورغ) عنت لكل ريفها بأن المدينة لم تكن خالية من النشاط الفني أو الفكري بأي حال من الأحوال. وبالإمكان تصيير المصطلح ((جيبيلديت gebildet)) باللغة الإنجليزية إما إلى (المتعلمين) أو (المثقفين) وكان من واجب هؤلاء المذكورين إظهار كلا الجانبين من تراثهم. فإذا ما تعلموا في أكثر الأحيان كتابة القصائد والغناء والرسم والعزف على البيانو، فلم يكن هذا لمجرد إظهار المواهب أو للتمتع بالفنون بل عنى ضمناً بأنهم كانوا يستكشفون ويعبرون عن إحساسهم من خلال التعامل مع الأشكال الجمالية.[3] وبشكلٍ ملحوظ، برز مصطلح ((ديليتانت dilettante)) [محب الفنون] لأول مرة خلال هذه الفترة، فعكس رغبة الـ((جيبيلدتن Gebildeten)) المفهومة ليشاركوا بأنفسهم في الفنون التي أصبحت راقية الآن.[4] ولهذا فمن غير المحتمل أن تكون مصادفةً ظهور عدة شخصيات مفكِّرة ـ عدا نيتشه نفسه ـ من (نامبورغ) في تلك

(1) غالبا ما تسمى بـ«بيستبورغر Besitzbürger» وهو مصطلح له نفس إشكالية «بيلدونزبورغر Bildungsbürger». انظر ص 64 الحاشية (2)

(2) يصف Ringer 1969 هذه العملية بالتفصيل المملّ. للإطلاع على ملخص سريع انظر 218 - 219 :Wehler 1989

(3) Koselleck 1990: 36 - 37

(4) Bodeker 1989: 37 - 38

الفترة. فكان (كارل ريتشارد ليبسيوس) أحد أشهر علماء المصريات الألمان وحفيداً لعمدةٍ متوفى، وأيضاً (كيرت واشموث) عالم اللغة [الفيلولوجي] (والذي سيكون نيتشه زميلاً له لاحقاً)، كلاهما جاء من هذه المدينة أيضاً. (كانت والدة ريتشارد ليبسيوس وزوجة أبيه من الصحبة المقربين لـ إردموث وعرف نيتشه اليافع عائلتي كلا الرجلين).[1] كان لدى ((جيبيلدتن ستاند gebildeten Stände)) طموحٌ فكريٌ وثقافيٌ للإرتقاء، وبذلوا قصارى جهدهم لفعل ذلك، فتم إحياء الحفلات الموسيقية وإنتاج المسرحيات وتم إنشاء النادي المعروف باسم ((ليتيراريا Literaria)) عام 1821 والحفاظ عليه من قبل أعلى مستويات المجتمع المحلي (الذكوري).[2] ولم يقتصر دور مؤسسي المدينة على المساهمة في محاضرات حول مواضيع مثل (غوته) و(هيغل) فحسب بل جاء وحاضر فيها أيضاً أساتذة من المدرسة المجاورة المرموقة (شولبفورت)، وكانت هذه العروض على الأرجح طنانةً بعض الشيء وعكست تكلفاً أكثر منه رؤيةً ولكن مجرد حدوثها من الأساس يقول الكثير عن طموح قادة المدينة.

في ذات الوقت، وإن كانت (نامبورغ) معزولةً عن الاضطرابات الاقتصادية فهي لم تتمتع بنفس الاستثناء من الجدالات الدينية المعاصرة، وقد سبق أن ذكر بأن والد (فريدريك) قد انحرف عن نهج والدته للدين لصالح تغييرٍ عُرف باسم حركة الصحوة. في الواقع كانت التوترات بين هذه المناهج الدينية شاملة وفي بعض الأحيان تحاربوا بشدة عبر كامل (بروسيا). فمن ناحية ناشدت الطوائف مزاجات مختلفة. وقد أكدت العقيدة العقلانية والتي كانت لها جذور في العقود الأخيرة من القرن السابق على فعالية الفضائل العملية وافتراض بأن الإله يتوقع من البشرية الاستفادة من عملية الخلق لتعزيز الوئام والسعادة على الأرض. وكانت (إردموث نيتشه) من المؤيدين الراسخين لهذا النهج كما كان زوجها العملي والواعي اجتماعياً (فريدريك أوغست لودفيغ نيتشه).[3] ومن المتفق عليه عامةً بين العلماء أن ابنهم (لودفيغ) كان قد بدأ

(1) لمعرفة المزيد عن عائلة (ليبسيوس) انظر Dorgeloh 2003: 16 - 18

(2) Pernet 1989: 56 ومن بين الأعضاء البارزين من (شولبفورت) القريبة يمكن تسمية (ديفيد إلغين David Ilgen) و(كارل كوبرستين Karl Koberstein) و(كارل شتاينهارت Carl Steinhart) و(إدوارد نيس Eduard Niese). في حين أن الأعضاء الرئيسيين من (نامبورغ) يضمون (كارل بيتر ليبسيوس Carl Peter Lepsius) و(بيندر Pinder) و(كروغ Krug) و(واشموث Wachsmuth). للحصول على قائمة بالعروض التقديمية انظر Bohley 2007: 235 - 237

(3) يبدو أن (ديفيد أولر) من أصحاب هذه القناعة ومن المحتمل زوجته أيضا. فيما يتعلق بـ(فرانسيسكا) انظر ص 74 الحاشية (1)

بالانحراف نحو المعارضة من مخيم الصحوة،[1] وهي حركةٌ بدأت تنتشر بعد هزيمة (نابليون) أكدت على حتمية الخطيئة واعتماد البشرية بالنتيجة على رحمة الرب، فأخذ أتباع الصحوة نهجاً أكثر عاطفية في إيمانهم وعُرفوا بتأكيدهم على الخطيئة وما تبع ذلك من احتقار الذات والتضرعات لأجل الغفران.[2]

كان هناك بعدٌ سياسيٌ للجدل، فعلى الرغم من أن أتباع الصحوة كان مشتبهاً بهم سياسياً لبعض الوقت ويعود ذلك بسبب ميلهم إلى التشكيك برجال الدين الرسميين وما يقف وراءهم من السياسات الحكومية،[3] فإن مستشاري الملك (فريدريك فيلهلم الرابع) المحيطين به دعموهم بقوة.[4] وبالفعل كانت (نامبورغ) إحدى بذور الحركة وكان (إرنست لودفيغ فون جيرلاش) أحد المخططين السياسيين الأساسيين لها حيث عمل «وانشق» حين كان هناك في عام 1820، ولاحقاً ناصر هذه العقيدة أمام الملك الجديد. ولهذه الأسباب لعبت (نامبورغ) دوراً جوهرياً في تاريخ حركة الصحوة.[5]

وفي نفس الوقت كان من الممكن للتوترات بين النهجين أن تكون غير سارة خاصةً وأن معتنقي حركة الصحوة كانوا دعاةً متحمسين وفي بعض الحالات لم يراعوا أولئك من مسيحيي المعتقد المنطقي أو الإنتقائي على الإطلاق.[6] وتقول (فورستر ـ نيتشه) أن (إردموث) علقّت إثر عودتها من زيارة للأصدقاء في إحدى المرات بالقول: «لا أدري ما يريده الناس في هذه الأيام، لقد كنا نجد البهجة في فضائلنا وفضائل الآخرين، ولكن الآن فإنهم يبتهجون بخطاياهم وخطايا الآخرين، كلما خطئت أكثر كلما كان ذلك أفضل».[7] في حين تفسّر هذه الشكوى أحياناً على أنها تعبير عن ذوق شخصي أو وضع اجتماعي جيد،[8] إلا أنها تعكس أيضاً نظرةً متعصبة، إذ لم تكن (إردموث) معتدلة، ولو كانت كذلك لما

---

(1) انظر الفصل الأول، ص 36 الحاشية(2).

(2) للحصول على عينة نموذجية من نص «الصحوة Awakened » انظر Goch 1994: 109

(3) Clark 2004: 168 - 172. لمزيد من التفاصيل انظر Clark 1993: 42 - 44, 44, 47, 55 - 57

(4) Clark 1993: 58

(5) Clark 1993: 44 - 45. وعلى الرغم من أن (لودفيغ جيرلاش Ludwig Gerlach) كان متمركزاً في (نامبورغ) في ذلك الوقت إلا أن هدايته كانت من قبل مبشرين في مدينة (باد سولزا Bad Sulza) القريبة. Pernet 1989: 53 - 56

(6) Pernet 1989: 54 - 55; Rosmiarek et al. 2003: 342 - 343

(7) Förster - Nietzsche 1895: I, 65 - 66

(8) Young 2010: 5

احتاج ابنها إلى إخفاء آرائه. أكدت تعليقاتها على ولائها الشخصي المتعصب وعلى تحدي خصومها.[1] وكانت بعيدة عن التعبير عن الحيادية العقائدية فهاجمت بشراسةٍ إحدى الطوائف المسيحية في حين أيّدت الأخرى.[2]

لابد وأن محنة (إردموث) كانت الأكثر إيلاماً بما أنها انتقلت إلى (نامبورغ) بعد وفاة ابنها وذلك لاستئناف الأيام الخوالي، ومن المحتمل أن تعود إلى المكان الذي كانت فيه سعيدةً في يوم من الأيام. يخمّن بعض كتّاب السيرة الذاتية بأنها أملت أيضاً أن تربي حفيدها في مكان سيتعرض فيه لنهج الإيمان الذي كان شقيق (إردموث) ـ وهو واعظ في الكاتدرائية ـ يسعى جاهدا لغرسه.[3] إذا كان الأمر كذلك فلقد أصيبت بخيبة أمل، إذ أن الأزمنة تغيرت وتحوّل عدد من المواطنين البارزين خلال غيابها من المعتقد العقلاني إلى معتقد الصحوة من ضمنهم القاضي البارز (غوتليب إرنست بيندر) زوج إحدى صديقات (إردموث) المقربات.[4]

كان اسم (إردموث) قبل الزواج (كراوس)، وكان نفسه نقطة انطلاق في النزاع بين هذه الفرق، ففي مقالٍ لأحد مرنمي أتباع الصحوة في أواخر عام 1830، اتهم فيه كتاب ترانيم (نامبورغ) (الذي كتبه شقيق إردموث الحبيب من بين آخرين) بأنه أحد أسوأ كتب التراتيل في المقاطعة.[5] وأخذ اثنان من قساوسة نامبورغ على عاتقهما الهجوم فأدانوا الكتاب كونه يضر بالإيمان ومعادٍ للدين المسيحي.[6] واحد منهما على الأقل قد أعيد تكليفه، وبحلول وقت عودة (إردموث) إلى المدينة يبدو أن ما كان يطلق عليه «جدل كتاب الترانيم» قد خفّ ومع ذلك لا يمكن أن تكون الحادثة قد نُسيت بشكل كلي، ولابد أن (إدرموث) ـ الواعية اجتماعياً دائماً ـ بقيت تتألم على التشهير الذي صبّ على اختيار أخيها الحبيب للمواد الشعائرية والتي

(1) Goch 1994: 110. انظر أيضا Goch 1994: 155
(2) فكرت (فورستر - نيتشه) قليلا في هذه المسألة ولكنها تقر بالجانب المتعصب لشكوى (إردموث). Förster - Nietzsche 1912: 35 - 36
(3) Bohley 1989: 381 - 386
(4) Bohley 1989: 384 - 385. وعلى العكس رفضهم ليبسوس صراحة بالقول: «لا أحتاج أية نعمة ولا مصالحة»
(5) كان (رودلف ستير Rudolf Stier) هو المرنم. Pernet 1989: 58. وكان (يوهان فريدريك كروس Johann Friedrich Krause) أخ (إردموث)، واحداً من الأربعة الذين وضعوا كتاب الترانيم عام 1806. Bohley 1989: 383
(6) فيما يتعلق بقضية كتاب الترانيم بشكلٍ عام بما في ذلك استخدامه من قبل (لودفيغ نيتشه)، انظر Pernet 1989: 58, and Bohley 1989: 383, 390 - 392.

بالفعل قد تم استبعادها عن الاستخدام في الكاتدرائية عام 1856 وبعد ستة أعوام فقط من عودتها وبشكلٍ ملحوظ في عام وفاتها.[1] لا يمكن أنها لم تكن على دراية بتاتاً بميل ابنتها (روزالي) نفسها نحو النهج الجديد.[2]

إنّ كل هذا يجعل من الواضح بأن (نامبورغ) لم تكن بأي حال من الأحوال مدينة متجانسة وهادئة كما تبدو على السطح، فبالإضافة إلى التوترات الدينية كان هناك مصدران آخران على الأقل للاضطرابات كلاهما سياسي على حد سواء واللذين من شأنهما تعكير صفو طفولة (نيتشه) وإعاقة اليقين السهل. أولاً وكما ذكرنا فإن سلطات المدينة كانت قد تغيرت قبل مجيء عائلة (نيتشه) بخمسةٍ وثلاثين عاماً وأعيد تعيينها من إدارة أسيادها التقليديين إلى إدارة عدوها التقليدي. كان سيكون من الصعب على الشخصيات العامة التي أقسمت بالولاء للملك الساكسوني أن تنسى هذه العهود وتغير ولاءها بين ليلة وضحاها. ومن المنطقي الإفتراض بأنه خلال فترة طفولة (نيتشه) كان سيواجه أفراداً أكبر في السن يتذكرون الأيام السابقة ويثيرون المخاوف بشأن الحكومة الجديدة نسبياً في (برلين).[3]

وثانياً إن هذا الإحباط عند الساكسونيين السابقين كبار السن سيُستكمل باستياءٍ سياسيٍ بين الشباب. في نهاية المطاف فشلت ثورة 1848 في الولايات الألمانية وأدّى ذلك بالمواطنين النشطين سياسياً إلى فقدان الثقة بكل من اليسار واليمين. وكان النجاح الأولي للثورة قد قوّض الادعاءات المحافظة بجزاءٍ إلهي في حين أن عجز حكومة الشعب عن التمسك بالمكاسب أشار إلى أن الليبراليين عاجزون عن الحكم. وكما علّق (لودفيغ أوغست فون روشاو)، الرجل الذي جعل كلمة ((ريالبوليتيك Realpolitik)) [السياسة الواقعية] نموذجاً، بقوله: «لقد تبخرت القلاع التي بنوها في الهواء، أما حقوق المستضعفين الذين نالوا الإعتراف بها نظرياً، لم يكن لها أكثر من مجرد أثر مرئي على أرض الواقع».[4] وبالتالي كان عامة الشعب بلا هدف، وغير قادرين على الإيمان بأيٍ من الطرفين فلقد تصارعوا لأكثر من عشرة أعوام إلى أن استولى المستشار الجديد (أوتو فون بسمارك) على السيطرة.

---

(1) ولكن تم الاحتفاظ بها في أماكن أخرى من (نامبورغ) حتى عام 1885. 1989: 383; Pernet 1989: 58

(2) هو على الأقل رأي Pernet 1989: 33 - 35 and Bohley 1989: 388 - 389

(3) Blue 2007

(4) اقتبس من Sheehan 1989: 854 قارن الملاحظات التي أدلى بها (كارل بيدرمان Karl Biedermann) (سيصبح لاحقا مدير أملاك نيتشه): Bazillion 1990: 200 - 201

وفي الوقت نفسه سميت الفترة بين أوائل ومنتصف الـ1850،[1] أي الأعوام التي تلت الثورة الفاشلة والفترة التي كان فيها (فريدريك) يكبر بـ«عقد من الفشل العام وخيبات الأمل الشخصية».[2] ولقد عبر عنها (فريدريك) شخصياً بشكل أكثر صراحة فتساءل بعد ذلك بأعوام: «متى كان الألمان أكثر خوفاً ونفاقاً وذلّاً من فترة الخمسينيات التي كنت فيها طفلا»[3]. وفعلًا قد تكون الإجابة «مطلقاً».

4

في حين عملت كل هذه القوى الإجتماعية والثقافية بشكلٍ غير ملموس على تشكيل إطارٍ مرجعي للصبي، كان هناك تأثيرٌ أكثر مباشرةً يقولب آراءه وقيمه متجسداً في شخص والدته، الوالد الوحيد المتبقي، وفي أعقاب وفاة (لودفيغ) يبدو أن (فرانسيسكا) قد انزوت على نفسها كما فعل ابنها. إذ أن أحداث الأعوام السابقة ـ المتمثلة ليس فقط بمحنة زوجها ولكن أيضاً بوفاة طفلها الحبيب الصبي جوزيف ـ قد دمّرتها.[4]

كانت قد بلغت الرابعة والعشرين عاماً من عمرها فقط عندما انتقلت إلى (نامبورغ) فوجدت نفسها دون موارد مالية وعلى ما يبدو بدون مستقبل، بالإضافة إلى مسؤولية تربية طفلين صغيرين دون مساعدة رجل. ومن الواضح أنه بعد فترة قصيرة من وصولها كان عليها التضرع إلى الله ليوقفها عن صرير أسنانها لتتمكن من النوم.[5] وإذ بهذه الفتاة الريفية بطبعها المفعم بالحياة والتي عُرفت يوماً بمهارتها في استخدام المزلقة، تعيش الآن حبيسةً في الغرف الخلفية المظلمة من منزل والدة زوجها ويتمحور يومها حول واجبات الأمومة والتي ستصفها لاحقاً لابن أخيها بالقول: «لم يكن لدي ما أفعله سوى الإهتمام بالأطفال لأن (أوغست) و(ماين) (الخادمة) قامتا بالأعمال المنزلية، فكنت بعد ترتيب غرفنا الصغيرة كل يوم وتجهيز الأولاد للمدرسة أولاً (فريتز) ولاحقاً الصغيرة (إليزابيث)، أجلس على طاولة الخياطة حتى الساعات الأخيرة قبل ظهور الأولاد مجدداً وفي معظم الأوقات أقرأ بصوت عالٍ لوالدة زوجي الصالحة».[6]

---

(1) في أواخر الخمسينيات حمل التابوت نوعاً ما. Sheehan 1989: 861ff.

(2) Stern 1961: 3; Bergmann 1987: 12 قارن2004: 72, Schulze 1991: 79; Bazillion 1990: 208, 238; Green

(3) KSA XI: 209. مقتبسة (وبترجمة مغايرة) في Köhler 2002: 15.

(4) انظر «صلاة (فرانسيسكا) لزوجها الراحل. Goch 1994: 152

(5) Bohley: 187

(6) Franziska Nietzsche 1994: 34. تقول (فرانسيسكا): «لا مجال للشك بوجود تأثير حاسم في تربية

كانت (فرانسيسكا) معزولةً بسبب الترتيبات المنزلية ولابد وأنها كانت الأكثر وحدةً إذ يبدو أنها لم تعرف أحداً في المدينة الجديدة عدا الأشخاص المرتبطين بعائلة (نيتشه) أي الناس الذين نظروا إليها على أنها قريبة أدنى من المستوى وبالتالي موضع للشفقة. وفي الرابع والعشرين من أبريل عام 1850، وبعد أسبوعين من المجيء إلى (نامبورغ) بدأت بحيازة مذكرة يومية[1] وهي حركة تدل على الحاجة إلى التحدث إلى شخصٍ ما حتى ولو إلى صفحة من الورق. كما كان أيضاً ملاذاً إلى الكلمة المكتوبة وهو أمرٌ قد لا يكون متوقعاً من هذه المرأة الشابة غير المتعلمة التي كانت مأمورةً من قبل عائلة زوجها.[2] ولكن خلال فترة ارتباطها الباكرة بعائلة (نيتشه) سعت (فرانسيسكا) إلى قراءة واستيعاب الأعمال الثقافية والفكرية التي تتجاوز توقعات أسرتها وطبقتها الإجتماعية الأصلية،[3] ولعلّ المذكرة اليومية عكست هذا الأمر. وإذا كان الأمر كذلك، فإن بدايتها كانت متواضعة وحفظها غير منظم. لقد بدأتها من دفتر للملاحظات معدٌّ لأغراض الأعمال المنزلية ولأغراض متابعة الميزانية[4] (كما أنها سجلت ملاحظات في ثلاثة كتيبات أخرى) وهي نفسها تفسّر الهدف منها كنوع من التثقيف بقولها: «لقد شرعت في اقتناء مذكرة يومية لأحافظ على سجل لكل يومٍ يمضي عما إذا كان بركةً لي، وقبل كل شيء لأكتب هنا كل ما أثار اهتمامي».[5] واستمر الجزء المسمّى صراحةً بـ(مذكرة يومية) ((تاغبوخ Tagebuch)) لأربع صفحات فقط ولكنها قامت بإدخالاتٍ في أماكن أخرى وأحبت أن تنسخ القصائد والنصائح المنزلية مثل «طرق لتنظيف الزجاج» و«تحذير من السعوط»[مسحوق يتم استنشاقه] و«كيف تحافظ النساء الإنجليزيات على بشرة جميلة».[6] ولقد كانت هذه الدفاتر اليومية مفيدة أيضاً لأنها تظهر محاولة (فرانسيسكا) لفهم العالم المحيط بأطفالها في حين كانت تراه من بعيدٍ فقط، وإلى ذلك الحد تكشف عن غير قصد المسافة المتزايدة بينها وبين ابنها: «يجب على الصبية المساكين تعلم الكثير من العبريّة واليونانية واللاتينية واللغات الميتة

الأطفال من قبل الجدة الحبيبة العجوز الواهنة أو من (روزالي) المفرطة بالقلق أو من قبل المنشغلة دوما (أوغست) الطيبة».

(1) Goch 1994: 210

(2) فيما يتعلق بالمعاملة بالأمر انظر Goch: 1994: 172

(3) Oehler 1940: 58 - 59

(4) Goch 1994: 379 - 380, n. 273

(5) مدخلات المذكرة اليومية مقتبسة من Goch 1994: 210

(6) Goch 1994: 212

كما يطلق عليها، ماعدا طبعاً أن الكتاب المقدس في الأصل بالعبرية واليونانية ولكن تمّت ترجمته من قبل العديد من الرجال الأذكياء أمثال (لوثر) و(آخرين) من العصور الحديثة، ولكن ربما سيرغب كل طالب بأن يقتنع بنفسه».[1]

إن كانت الوحيدة (فرانسيسكا) قد وجدت في صفحة الورق شريكاً للمحادثة، فقد وجدت شريكاً آخراً في العلاقة الكلامية مع إلهها. وعلى الرغم من نشأتها في بيت القسيس فقد أظهرت أدلة قليلة على ما هو أكثر من تقوى تقليدية عبر أعوام طفولتها وزواجها المبكّر.[2] ولكن مرض زوجها وإمكانية وفاته عرفّاها على أبعاد جديدة من الروحانية. قبل رحيل (لودفيغ) بخمسة أشهر كتبت (فرانسيسكا) إلى صديق بأنها فقط مؤخراً قد بدأت «بإدراك وإضمار الحاجة بحقٍ ليكون لها أب سماوي محب».[3] ومع وفاة (لودفيغ) بدأت بالتعامل مع زوجها الراحل على أنه وسيطها الشخصي مع الرب. كما كتبت له بعد أسبوع واحد من دفنه: «انظر إلى أسفل من بعيد لمباركة وحماية المهجورة (فرانسيسكا) مع أطفالها الثلاثة. اطلب (لودفيغ) الوفي من الرب العظيم أن يسمح لك بأن تكون الملاك الجيد الذي يقودني طوال حياتي وبهذا يرشدنا علّنا نربي أطفالنا الثلاثة معاً بما يمجّد الإله العزيز».[4] من الصعب القول إلى أي مدىً استمرت الأم الثّكلى على هذا التصرف في التعامل مع (لودفيغ) على أنه (ملاكها الصالح) وعلى أنه طريقها إلى السماء. ومع ذلك تشير الدلائل على أنها واصلت القيام بذلك إلى أجل غير مسمّى.[5] وهي بالتأكيد كرّمت زوجها الراحل حتى النهاية فزارت القبر كلما استطاعت وتمسّكت بحياته الورعة كنموذجٍ لابنها.[6] ويبدو أنها تحدّثت إلى (لودفيغ) في العديد من الصباحات وبذلك خفّفت من وحدتها وابتكرت نموذجاً شخصياً للغاية من الإخلاص. أنقذتها مثل هذه التصرفات من الشفقة على نفسها، وفي أكثر الأحوال كانت (فرانسيسكا) مرحةً بحزمٍ في الأماكن العامة، وعلى الرغم من أنها ذهبت إلى الكنيسة ودعمت بنشاطٍ مجموعة

(1) Goch 1994: 216. كانت (فرانسيسكا) محترفة في الجملة المتصلة.

(2) يؤكد (مارتن بيرنيت) على أن نشأة (فرانسيسكا) كانت في (بارسونج Parsonage) (بيت القسيس). Pernet 1989: 27 - 28. ولكنها تشير في رسالة إلى (إيما شنك Emma Schenk) بتغيّر نظرتها الروحية خلال العام التي مرض فيها زوجها.

(3) Goch 1994: 148

(4) Goch 1994: 151

(5) Goch 1994: 151 - 153; Franziska Nietzsche 1994: 33

(6) Bohley 1987: 185

متنوعة من المنظمات الدينية، لا يبدو أنها أولت الكثير من الإهتمام للنزاعات العقائدية أو الجماعات السياسية.[1]

سُئل في بعض الأحيان لماذا لم تتزوج (فرانسيسكا) ثانيةً بما أنها كانت في منتصف العشرينات فقط وكانت وفقاً لجميع الإعتبارات جذابةً في المظهر والشخصية على حد سواء.[2] في حين أن الأسباب الأساسية لهذا الإحجام تكمن مختبئةً داخل ذاتها الفردية، يبدو أحد الأسباب واضحاً بما فيه الكفاية: فمع وجود (لودفيغ) الدائم في أفكارها ووجود أبنائهما أمامها، يبدو أنها نظرت إلى العلاقة الزوجية لا على أنها انتهت بل على أنها ببساطة قد تُركت بين يديها كزواجٍ مستمر من أحد الطرفين لوحده.[3] ونتيجةً لذلك، تحمّلت مسؤولية تربية ابنتهما وابنهما كما رغب (لودفيغ) وقامت (فرانسيسكا) بتقوية نفسها لتكون على قدر المهمة. فإن كان قد تم انتقادها في (روكن) لأنها متساهلة كثيراً، فقد أصبحت في (نامبورغ) صارمةً ومتشددة. ستسجّل (فورستر ـ نيتشه): «لم نكن أبدا مدلّلين بحب الأم الأعمى فلقد وجدنا في أمّنا الناقد القاسي لكلماتنا وأفعالنا. فكانت تقول: «من قد يخبركم إن أنا لم أفعل؟».[4] يدعم أحد أبناء أخوة (فرانسيسكا) الأكبر سناً هذه الفكرة قائلاً بأننا: «نحن (الأطفال) كان لدينا خوفٌ شديد من العمة فرانتشن».[5] ومن الصعوبة بمكان معرفة ما إذا كانت (فرانسيسكا) اللطيفة ظاهرياً حتى اللحظة، قد جعلت نفسها صلبةً بلا رحمة لتصبح المؤدِّب الصارم، أم أن الحاجة إلى أن تكون قاسيةً كشفت صلابةً كامنة في شخصيتها. ولعلها كانت مجروحةً جرّاء المأساة التي حلّت بها والظروف المهينة لوجودها الحالي فقسا طبعها وكان على الأطفال تحمّل وطأة هذا التغيير. وبالتأكيد لم تكن هذه هي الطريقة التي رأت فيها (فرانسيسكا)

(1) يشير (Goch) إلى أن الفلسفة الدينية لـ(فرانسيسكا) (وفي المقابل الممارسة الطقسية/ الليتورجيا) تكمن في النظر إلى الحياة الأرضية على أنها إعدادٌ مؤلم لـ«لم الشمل السماوي»، «الذي إليه أتوق». Goch 1994: 162 - 163. ومن الصعب معرفة انحيازها لأي من حركات العقلانية أو الصحوة. قارن Pernet 1989: 11 - 12, 29 - 30; Goch 1994: 159 - 162; Bohley 1987: 189, 195

(2) انظر على سبيل المثال إلى الوصف الذي أعطاه (ريتشارد أولر Richard Oehler) معترفا بأنه طرف مهتم، في Oehler 1940: 70 - 71

(3) كتبت كثيرا عن رغبتها العميقة في لم شملها مع زوجها في السماء.
Goch 1994: 162; Bohley 1987: 185, 186; and KGB II - 6/1: 516

(4) مقتبس من Oehler 1940: 57

(5) (هانز أولر Hans Oehler) - ابن شقيق (فرانسيسكا) - (ثيوبالد Theobald). مقتبس عن Oehler 1940: 58

نفسها فكتبت: «لقد رأيت في واجبات الأمومة المثالية الأسمى لوجودي».[1] ولا يمكن الإنكار بأنها كرّست حياتها اليافعة في خدمتها [هذه المثالية].

وقد تكهّن العديد من كتّاب السيرة الأوروبيين بأن (فرانسيسكا) كانت والدةً متطفّلة تدقق في جميع أفعال ولدها للتأكد من أنها تلبّي حاجاتها ومثالياتها.[2] اقترح (غوتش) بشكلٍ خاص أن ممارسات (فرانسيسكا) في تربية الأطفال كانت غير صحّية وربما حتى مؤذية للأطفال.[3] وينوّه إلى رسالةٍ قامت بإرسالها إلى ابنها تثير الدهشة من دقّة الأوامر المفصّلة فيها:» احرص على أخذ مظلّتك في حال أمطرت»، وتكتب: «إذا حصل وتبلّلت، قم بتبديل الملابس فور عودتك إلى المنزل.» ثم تحدّد بالضبط أية سراويل ومعاطف ليرتديها في كل يوم كما تضيف في حاشية الرسالة: «احمل هذه الصفحة معك... وضعها في مكتبك واقرأها بين حين وآخر... [بما أن] هذه هي ***قواعد السلوك***».[4] (التأكيد في الأصلية). ومن الصعب تقييم ممارسات (فرانسيسكا) اليوم لأن سلوكيات عصرها كانت مختلفة وهناك القليل من الأدلة الدامغة التي يمكن ذكرها. ومع ذلك، بالنظر إلى صباها وضعفها وقلة خبرتها كأم والصدمة والدراما ومعاناة الأحداث الأخيرة فلن يكون من المثير للعجب ألا تتطور ديناميكية الأسرة خلال الأعوام التي جاءت بعدما كان (فريدريك) طفلاً.[5] وفي أواخر عام 1875 كتب شقيقها (إدموند) أنها لا ينبغي أن «تقع كثيراً في حبّ» أطفالها وإلا فإن الانفصال عنهم سيكون مؤلماً جداً «وقد يضرّ بهم نفسياً».[6]

على الرغم من القسوة الواضحة والأسى الذي لا شك فيه لظروفها فقد أظهرت (فرانسيسكا) على العلن الإبتهاج والروح المعنوية العالية والتي بقيت علامةً مميزةً في شخصيتها. وكتب ابن أخ لها أنها أعطت انطباعاً بـ«الشباب الذي لا ينضب» في المظهر والسلوك على حد

---

(1) Franziska Nietzsche 1994: 33

(2) Goch 1994: 167 ff. Kjaer 1990. انظر على سبيل المثال تفسير (كيير Kjaer) للرسائل التي كتبتها (فرانسيسكا) لابنها في طفولته المبكرة. 53 - 58.

(3) انظر على سبيل المثال، Goch 1994: 224 - 226, 252 - 255

(4) اقتبس عن Goch 1994: 188 - 189. KGB I - 1: 321 - 322

(5) انظر على سبيل المثال Kjaer 1990. يلقي (كيير Kjaer) القليل من اللوم المباشر على (فرانسيسكا) مع أنه بالتأكيد يعارض بعض أساليبها في تربية الأطفال. ولكنه يناقش كون علاقة الابن بأمه محورية وإلى حد كبير مؤذية في حياته.

(6) Goch 1994 382, n. 329

سواء،[1] ويتذكر أحد أصدقاء (نيتشه) (بول ديوسن) بأنها كانت مفعمة بالحياة ومرحة وكانت سبباً لبهجة الآخرين.[2] فغنّت ولعبت الألعاب وحملت أطفالها إلى فراشهم كل ليلة على ظهرها. ولقد أحبوا بشكلٍ خاص عندما كانت ترميهم على أغطية السرير فلم تتعب ولم تكلّ من هذا الطقس واعتادت القول لـ(فريدريك): «إذا استمر هذا، سأبقى أحملك إلى الفراش حتى بعد أن تصبح طالباً في علم اللاهوت.»[3] [ذكر الكاتب سيميناري أي طالب في علم اللاهوت] ومن الجدير بالذكر أنها استرخت بشكلٍ كبير عند زيارتها والديها في (بوبلز) وهي رحلاتٌ قامت بها مع الأولاد مرتين في العام على الأقل وربما أكثر غالباً.[4] ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه) كانت الزيارات إلى الحقول والهواء الطلق في الريف تمنح ثلاثتهم إحساساً بالحرية والإنغماس في الطبيعة الأمر الذي كان مغيِّراً لجميع أفراد الأسرة.[5]

في حين علينا دائماً النظر إلى قصة (فورستر ـ نيتشه) بعين الشّك، فمن المحتمل أن الأطفال رحبوا بهذه الرحلات خاصة بالنظر إلى كره (فريدريك) لـ(نامبورغ) وحبه الأبدي للمواقع الخارجية، ومن الواضح أن الجدّين قاما بتدليلهم (نظرا لكدر فرانسيسكا) ولابد أن الصبي والفتاة قد استفادوا من تخلي والدتهم عن حذرها قليلاً واسترخائها بطرقٍ لم تكن لتجرؤ عليها في (نامبورغ). كانت (فرانسيسكا) ترحّب بالعودة إلى عالم طفولتها وإلى الأشخاص الذين لم ينظروا إليها باستعلاء، كما كانت تستقي من أبويها العارفين بالأمور الدنيوية، نصيحةً من النوع الذي لم تكن لتتوقعه من عائلة (نيتشه). إذ كانت قلقةً من أن (إليزابيث) تقرأ كثيراً، وهو سلوك ظنّته (فرانسيسكا) غير ملائمٍ لفتاة لأنه قد يقلل من فرصها في الزواج لاحقاً. ورأت كما ذكرنا سابقاً بأن (فريدريك) خجولٌ جداً، ومن المفارقة أنه كان في الوقت ذاته مستقلاً جداً في تفكيره.[6] ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه) فإن (ديفيد أولر) أعجب كثيراً بذكاء حفيده الأول وفتح

(1) (ريتشارد أولر Richard Oehler)، مقتبس من Goch 1994: 206. ولعل خالص التقدير لبهجة (فرانسيسكا) المتأصلة فيها، يكمن في اتهام ابنها بأنها تأخذ الحياة باستخفاف شديد KSAB II: 94

(2) Deussen 1901: 15. قارن Gilman 1987: 18

(3) Franziska Nietzsche 1994: 39

(4) يذكر (بيرنيت Pernet) أن (فريدريك) قام بزيارة (بوبلز) سبع مرات على الأقل في العطل. Pernet 1989: 123, n. 13. وبالنظر إلى أن الصبي غادر (روكن) في عام 1850 وزار (بوبلز) على أقل تقدير في أواخر عام 1859 فهذا يدل على أقل من مرة في العام وربما هو تقدير أقل من الواقع

(5) Förster - Nietzsche 1895: I, 56 - 57; Förster - Nietzsche 1912: 35 - 36

(6) فيما يتعلق بالخجل الشديد انظر Goch 1994: 179

للطفل مكتبته الخاصة، فعندما لم يكن (فريدريك) يستمتع بالتنزه في الريف، كان يغرق في كتب جدّه وهي مجموعة بمدىً وعمقٍ تجهله رفوف (إردموث) الدينية ضيقة الأفق.[1]

ولأهداف إرشادية، يمكن للمرء مقارنة عائلتي (أولر) و(نيتشه) بعوالم ثقافية متميزة ومتنافسة، حيث يتنافس كلاهما على كسب ولاء (فريدريك) و(إليزابيث). بكل تأكيد كانت هناك توتّرات بين العائلتين كما رأينا سابقاً في عدم محبة (لودفيغ) لعائلة زوجته وأيضاً عدم التشابه الواضح في السلوك والنهج بين عائلة (أولر) وعائلة (نيتشه). في حين كانت عائلة (نيتشه) مهذبة دائماً وتتجنب النزاعات باللجوء إلى الصمت[2] ـ إذ يمكن للمرء أن يتذكر حملة (روزالي) العدوانية السلبية من أجل الانضمام إلى العائلة في (روكن) ـ كان الجدّان (أولر) خشنين في السلوك وصارمين في الآراء، (يصف أحد أخوة فرانسيسكا والدته بأنها برميل من البارود)[3].

استطاع (ديفيد إرنست أولر) سحب نفسه من طفولته الحبيسة باعتباره ابن الـ(حائك) ليصبح القسيس لهذه القرية الريفية. أما زوجته (من عائلة فيلهلمين هان سابقاً) فكانت قد تربّت في ترف على عكسه وربما تصرفت بسلطة امرأة جلبت إلى زفافها عربةً وحصاناً لجرّها.[4] ولكن كلما كان زوجها يرتفع صعوداً، كانت فيلهلمين تتحرك إلى الأسفل.

كانت معاقةً إلى حد ما إذ فقدت عينها بسبب الجدري وتم تقصير ساقها بسبب حادث تعرضت له في طفولتها.[5] ولا بد أن هذه الصعوبات الجسدية لم تجعل طبيعتها لينة، وربما حدّت من إمكانات انخراطها غي طبقتها الإجتماعية. وعندما تزوجت في عمر الواحدة والعشرين من (ديفيد أولر) الصاعد، رأى فردٌ من عائلتها على الأقل هذا الإرتباط مثيراً للريبة.[6] وعلى الرغم من هذا العبور غير الملائم للطبقات الإجتماعية، يبدو أن العلاقة كانت سعيدة أو على الأقل مستقرة فنتج عنها أحد عشر طفلاً ومنزل مزدهر ولو أنه صاخب بعض الشيء.

تقدّم المذكرات المعاصرة والأبحاث اللاحقة (ديفيد أولر) كرجلٍ مضياف ولكن شديد

(1) فيما يتعلق بطرق مبالغة أحفاد (إردموث) لثقافتها الأدبية انظر Goch 2000: 65 - 66, n. 135.
(2) Bohley 1989: 388.
(3) Goch 1994: 86
(4) بالنسبة إلى تعريف عائلة (هان) بـ(أولر)، انظر Oehler 2002: 277
(5) Goch 1994: 86
(6) هو على الأقل رأي (غوتش Goch). Goch 1994: 84

الخصوصية، مدركٍ لمكانته كرجل دين ولكن معادٍ اللادعاء الديني.[1] كان طموحاً بما فيه الكفاية ليضمن مكانته ويتزوج من (فيلهلمين) ولكنه قنوعٌ بما يكفي في الحياة الريفية، إذ بمجرد أن حصل على وظيفة يسيرة ككاهن لم يقم بأي جهد آخر لرفع مكانته أكثر. وكونه رجل عائلي متحمس فقد كان الشخصية الذكورية المشرفة خلال فترة طفولة (فريدريك) وربما الأكثر حزماً بسبب موت والد الصبي وطلب (فرانسيسكا) لمشورته على الدوام. وتقدّمه (فورستر ـ نيتشه) على أنه فطن وبالأحرى صعب المراس، كما تقترح أنه كان مكمِّلا (وبالفعل القطب المعاكس) لشخصية والدها نفسه، الذي كان مثالياً متحمساً.[2] ولكن الفطنة لها، حدودها فمهما كانت نصيحة (ديفيد أولر) مستنيرة وبحسن نية فإنها لا محالة محدودة بخبرته ورؤيته الخاصة. إن إمكانية وجود مثل هذه الطموحات لم تكن معروفة لعائلة (أولر) كما لم تكن معروفة لـ(فرانسيسكا) أيضاً حتى تزوجت وانتسبت إلى عشيرة (نيتشه) وبالإمكان التخمين بأنها لم تبق مع الأخيرة بسبب الحاجة المادية فقط ولكن لأنها أدركت أيضاً أن أقارب (لودفيغ) سيمنحون أولادها إمكاناتٍ اجتماعية أوسع وفرص عملٍ أكثر تميزاً عما تستطيع عائلة (أولر) الريفية تصوره. هذا الإختلاف في وجهات النظر سيبرز عند اختيار إحدى المدارس لـ(فريدريك).

وبصرف النظر عن الصور الذهنية التي أيقظتها كتب جده، فإن الرحلات إلى (بوبلز) ضمنت ألا ينسى (فريدريك) ماضيه أبداً. وستشكّل المناظر الطبيعية للريف بديلاً عن (نامبورغ) ليقوم كل مكانٍ بإبراز محاسن ومساوئ المكان الآخر. قد تكون كلّ من المدينة والريف عبارة عن مقاطعة، إلا أن التنقل بينهما سيجعل الصبي يتمتع بمنظورٍ أوسع مما يمكن أن يحصل عليه من إحداهما فقط، فهو بزيارته للريف لم يعد إلى العالم الذي ولد فيه فحسب ولكن الأطفال والأم سيزورون (روكن) القريبة بفناء كنيستها ويزورون قبر (لودفيغ) وهو الموقع الذي زرعت فيه (فرانسيسكا) شجيرة من الورد وتعاملت معه وكأنه مزارٌ ديني.[3]

وبقدر ما كان منعشاً التراخي في التأديب والاستمتاع بالطبيعة الذي تمتّعت به العائلة في (بوبلز)، كان عليهم حتماً العودة إلى (نامبورغ) وإلى البيت المتديّن المظلم بسكونه،

---

(1) انظر Pernet 1989: 45 - 48, Goch 1994: 69 - 83, Oehler 2002

(2) Förster - Nietzsche1912: 9 - 30

(3) فيما يتعلق بشجيرة الورد التي زرعت في صيف عام 1850 بوجود (فريدريك) إلى جانبها، انظر Schmidt 1991 - 1994 III: 536, n. 33

المناسب لـ(إردموث) المحافظة والواهنة أكثر من أي وقت مضى. هنا سوف يستأنفون وجودهم الصامت والمقيّد، وفي حالة الأطفال سوف يعودون إلى المدرسة.[1]

وفي حين لم يرحّب أيّ منهم على الأغلب بالرجوع إلى النظام لكنهم بالتأكيد اعترفوا بفوائده وإلى حدٍّ ما تقبّلوه. وقد يفتقرون إلى الملاذ الآمن المتمثِّل بالشخصية الرجولية في شكلها المحترف، ولكن (إردموث) عوضت هذا النقص عبر الاستفادة من معارفها النافذة، فهي لم تكن فقط على صداقةٍ جيدةٍ مع (كارولين بيندر) أرملة (إرنست غوتليب بيندر) وهو أحد مؤسسي المدينة، بل كانت أيضاً مقرّبةً من كلا زوجتي (كارل بيتر ليبسيوس) الأولى والثانية، وهو ابن (يوهان أوغست ليبسيوس) نفسه الذي كان عمدة (نامبورغ) ومدير المنطقة والرئيس التنفيذي الإقليمي والرجل السابق الأكثر قوةً في المنطقة.[2] وبهذا تستطيع أن تلفت انتباه أشخاصٍ في قمة الرقي إن لم يكن في ذروة المجتمع المحلي، إلى أحفادها.

وقد دعيت (فرانسيسكا) نفسها إلى شرب الشاي ضمن هذه الأوساط رفيعة المستوى ويبدو أنها عوملت بتقديرٍ كافٍ جعلها تكون مرتاحة خلال هذه الزيارات.[3] وفي هذا السياق لابد وأنها عملت باعتباراتهم وبرغم كل هذا القمع من قبل عائلة (نيتشه) إلا أنها أدركت فوائد مكانتهم العالية لها ولأولادها على حدٍ سواء.[4] لربما أحبّت عائلتها بالولادة ولكن (فرانسيسكا) علمت أن زوجها الحبيب قد استهجنهم وكانت قد شاهدت بارتياح كيف تم دمج (فريدريك) (وبحدٍ أقل إليزابيث) اجتماعياً في بعضٍ من أسر (نامبورغ) الرائدة. ولابد أنها حثّتهم على محاكاة متطلبات المجتمع الراقي والاستفادة من مزاياه، في هذا الأمر كانت عائلة (نيتشه) و(فرانسيسكا) وسكان (نامبورغ) متفقين، فكل ميزة من مزايا التوافق الاجتماعي لها تأثيرها على الأطفال وستكون العواقب واضحة إذا ما فشلوا.

---

(1) قبل بضعة أشهر من بلوغها الثامنة التحقت (إليزابيث) بمدرسة تديرها السيدة (باراسكي Paraski). وقبل ذلك تعلمت على يد أستاذ خصوصي. للحصول على معلومات كاملة عن تعليمها انظر Rosmiarek et al. 2003: 348. تزودنا (كارول ديث Carol Diethe) خلفية قيمة للتعليم الفعلي الذي تلقته. Diethe 2003: 17 - 21

(2) Ebers 1969: ch. 1.

(3) Oehler 1940: 73

(4) في البداية، عندما قابلت (فرانسيسكا) زوجها المستقبلي كانت ملابسه الفخمة هي أول ما لفت نظرها. انظر أيضاً ما ذكر سابقاً عن جهود (فرانسيسكا) لتثقيف نفسها من خلال القراءة.

الفصل الثالث

اكتشاف الكتابة

لا أعرف طريقةً لملازمة الأمور البارزة سوى الهزل.[1]

1

في الفصل السابق تم تقديم (فريدريك نيتشه) على أنه صبيٌ حسن السلوك عاش على قدر توقّعات الآخرين ولكن فقط لأنه هو ذاته كان موافقاً على ذلك وليس لأن إحدى الشّخصيات ذات النفوذ أمرت بذلك.[2] كان نوعاً ما لهذا الشكل السلبي ـ العدواني ـ للطّاعة عاقبتان اثنتان: فقد كان (فريدريك) حقاً حسن السلوك كما تظهر بطاقات التقرير، وكان يحصل بشكل متكرّرٍ على أعلى الدرجات في السّلوك.[3] ومع ذلك قد اشتبه الأساتذة بأنه كان يسخر منهم، ووفقاً لشقيقته فإن هذا قد حدث بالفعل.[4] ولربما انعكس شعوره بأنه دائماً على صواب في سلوكٍ محترم يبدو أنه كان مميّزاً له طوال حياته وكان واضحاً بالفعل في هذه السنوات المبكرة. وفي رسالةٍ إلى شقيقها أشارت (إليزابيث) إلى أنّه كصبي كان «جليلاً كما يكون الجدّ». وذكر (فريدريك) نفسه بأنه قد تصرّف «بسلوكٍ محترم لشخصٍ محافظٍ متكامل».[5] وبصرف النّظر عن وصف رصانة الصبي الحقيقية، فإن آليةً كهذه يمكن أن تفيد كوسيلة دفاعٍ ضد السخرية وضد ادعاءات الأساتذة والأمهات والأقران. وكتوقفٍ من أجل التفكير، أعطته منطقةً منيعةً بإمكانه ضمنها التفكير قبل الاستجابة.

(1) EH, «Clever,» 10; KSA VI: 297

(2) انظر الفصل 2 القسم 2

(3) Brobjer 1999: 308

(4) Förster - Nietzsche 1912: 102 هذه الرواية في (شولبفورت)

(5) KGB I - 3: 68; KGW I - 3: 191

ومع ذلك، كان (فريدريك) لايزال ملتزماً بالقواعد ـ لقد فعل ما قيل له ـ وإن هذه الطاعة المستمرّة جعلته بوجهٍ خاص سلبياً وجامداً. ولحسن الحظ فمع تقدمه في العمر طوّر أنماطاً جديدةً للمواجهة. سيدرس هذا الفصل الاستراتيجيات التي استطاع من خلالها أن يعبّر عن آرائه دون مجابهة السلطات المحلية. وكان هذا الإنجاز ذا أهميةٍ كبيرة جداً بالنسبة إلى مستقبله، إذ سمح له بأن يحافظ على منعته ويقوّيها للوضع الراهن، وأن يبتهج في التعبير عن آرائه الخاصة وبالتالي، إذا جاز التعبير، أن يطلق العفريت من الزجاجة ويحافظ فوق ذلك على استحسانه في المجتمع.

قد يعتقد المرء أن رصانة الصبي ستكون مؤمنةً من قبل الدين، إذ تروي (فورستر ـ نيتشه) العديد من الحكايات التي تصور تقواه بطريقةٍ مسرحية.[1] وكاتب السيرة لا يملك سوى كلمتها عن هذه القصص، ولكن خلال السنوات الأولى لـ(فريدريك) في (نامبورغ) فإنه ليس بالأمر المستبعد ـ بقدر ما أُحبط من كثرة التغيّرات ـ أنه سيلجأ إلى المصدر الوحيد للإستمرارية الروحية الذي يستطيع أن يعتمد عليه، وهي التّعاليم «الأبديّة» لكنيسةٍ مقبولةٍ في المجتمع. ومع ذلك فمن المذهل أن مذكرات (فريدريك) لا تقول فعلياً أيّ شيء عن مشاركةٍ شخصيةٍ في الصّلوات والخدمات، كما لا يذكر هو أي كتابٍ ديني كان قد قرأه أو شخصيةٍ كنسيّة كانت قد أثّرت به. وبالفعل، لولا الجملة الوحيدة غير المباشرة (المائلة) في سيرته الذاتية عام 1858 لم يكن ليعلم القرّاء أبداً بأنه كان معدّاً للكهنوت على الإطلاق.[2] ليس فقط لأنه لا يذكر هذا مطلقاً عدا المرة الوحيدة المذكورة، ولكن لأن العديد من الوثائق التي تمت كتابتها خلال طفولته تشير قطعاً إلى ميول لا دينية. يمكن للمرء أن يقارن، على سبيل المثال، بين رسمٍ قام به وهو طفل مع رسمٍ من صنع والده والذي كان هو أيضاً ملزماً بأن يصبح رجل دين. صورة (لودفيغ نيتشه)، التي سبق ذكرها في الفصل الأول، تظهر رجلاً يلوّح بعصاً وهو واقف إلى جانب كتاب مقدّس بالقرب منه مكتوب: «يجب على المرء أن يبجّل كلمة الرب».[3] وعلى النقيض، فإن (فريدريك) يصور جنازةً ما يبدو وكأن صاحبها ديكٌ روميّ. هذا الطائر برأسه الأصلع وأرجله البارزة ممدّد على نعشٍ أو مذبحٍ موسومٌ بالصّلبان في حين

(1) Förster - Nietzsche 1912: 32 - 34

(2) KGW I - 1: 310 في كثيرٍ من الأحيان قام كلٌّ من عائلته وأصدقائه بالتعبير عن هذا الإفتراض KGB I - 1: 308; Oehler 1940: 66; Förster - Nietzsche 1895: I, 32; 1912: 42

(3) انظر الفصل 1 ص 31 الحاشية (1).

يبكيه شخصٌ بحرارةٍ في منديل.[1] كان الأسلوب هزليّاً وحتى مدنِّساً وبإمكان المتفرّج فقط أن يخمن أن صبي (نامبورغ) هذا كان قد أعطي حيزاً من الحرية أكبر بكثير من والده. كما لم يكن هذا هو الإنحراف الوحيد عن الإحتشام، ففي أثناء هذه الفترة نفسها قدّم ثلاثة قصائد من الصّعب تفسيرها ولكن هي تشمل مقاطع يبدو أنها مقرفة وجنسية.[2]

وعلى الرغم من كل ما أظهره من جلال، فقد بدأ بعد ذلك جانبٌ مكبوتٌ من (فريدريك نيتشه) بالظهور وأدى تغيير المدرسة إلى تحفيز هذا الظهور. وفي عيد الفصح عام [3]1853عندما كان الصبي في الثامنة من عمره تم نقله من مدرسة أولاد البلد إلى منشأةٍ خاصة لها عنوانٌ فخم: «معهدٌ يهدف إلى التحضير الشامل للـ(جيمنازيوم) وغيرها من المؤسسات التعليمية العليا». هذا (المعهد) المؤلف من صفّين على الأقل وستة أعضاء للتدريس كان فعلاً مدرسةً تحضيريةً يديرها (كارل موريتز فيبر Carl Moritz Weber) وهو رجلٌ يافعٌ نسبيّاً يبلغ من العمر واحداً وثلاثين عاماً، وتلقّى تدريب رجل دين.[4] كان (فيبر) يرعى الأطفال الميسوري الحال لذا كان يتم إيصال التعليم في معهده بطريقةٍ لطيفة ويتم تطبيق التأديب بمهارة وكانت مواد التعليم موجّهة نحو التعليم العالي وبشكلٍ خاصٍ نحو (الجيمنازيوم).

إنه لمن الصعوبة بمكانٍ المبالغة في تقدير تأثير هذا التغيير، فبعد قرابة الثلاثة أعوام من النّفي في مدرسةٍ غير موثوقة، انتمى (فريدريك) وأخيراً إلى هيئةٍ طلّابيةٍ تتضمن أطفالاً من نفس طبقته الإجتماعية أي الأطفال الذين من المرجح أنهم موضع ترحيبٍ في منزل عائلته. كان التعليم الذي تلقّاه أكثر تطوراً من الناحية الفكرية وبالتالي أكثر مناسبةً لشخصٍ سوف يستمر في المدرسة.[5] ويبدو أنه في هذا المكان أيضاً تيقظ الصبي للمرة الأولى لمتعة الأصدقاء. كانت سياسة المدرسة تقضي القيام برحلاتٍ ميدانيّة على مدار العام وخاصةً خلال

(1) تمت مناقشة رسم (لودفيغ) في Goch 2000: 30 - 31 وهو يوفر الاستنساخ: 89. وتظهر نسخة من رسم (فريدريك) في Benders et al. 2000: 21

(2) KGW I - 1: 6 - 8 تم دراسة كتّاب السيرة الميالون للشكل التحليلي النفسي عن طريق Schmidt 1991 - 1994 I/II: 175 - 179, 654 - 659, 745 - 750. Köhler 2002: 20 - 21

(3) تم اعطاء التاريخ عن طريق Bohley 1987: 167 وتم تأكيده عن طريق Hödl 2009: 133

(4) يذكر (بروبير) أن معهد (فيبر) اقتصر على صفين Brobjer 1999: 303, n.8 وتشير سجلات المدرسة أن (نيتشه) قد غادر بالفعل في عيد الفصح عام 1855 أي بعد عامين من مباشرته. ومع ذلك هو لم يلتحق بكاتدرائية (الجمنازيوم) حتى أكتوبر من ذلك العام، الذي يترك فجوة تمتد لستة أشهر في تعليمه. انظر See Hödl 2009: 133 - 134, n. 331 vs. Pernet 1989: 60 وKGB I - 4: 38

(5) سوف يقدمه المعهد لدراسة اللاتينية واليونانية KGW I - 1: 289

فصل الصيف، وقام طاقم الهيئة التدريسيّة برعاية رحلاتٍ إلى مواقع محلية مثل (رودلسبورغ Rudelsburg) وهي قلعة من القرون الوسطى بالقرب منهم.[1] يقول (فريدريك) وهو يتذكر مشاركة الهيئة الطلابية بأكملها في أكثر الأحيان: «إن مثل نزهات المسير المشتركة هذه، هي دوماً مبعثٌ لبهجةٍ كبيرة: إذ ردّدنا الأغاني الوطنية ولعبنا الألعاب المسلية، وعندما كان الطريق يمتد عبر الأجمّة كنا نزيّن أنفسنا بالنباتات الخضراء والأغصان، كما ضجّت الجبال بضجيج المشاغبين العالي»، كما لعبوا متظاهرين بأنهم فرسانٌ وقلّدوا «فرسان العصور الوسطى الثملين» على نطاقٍ صغير.

لا يحتاج المرء أكثر من أن يتذكر القصة السابقة عن عودة (فريدريك) من المدرسة ـ ومشيته الكئيبة والوحيدة خلال هطول الأمطار ـ ليدرك الأثر التحولي الذي تركته هذه الرحلات الجماعية. ويعود السبب للجو المبهج بأن تعمّقت أواصر علاقة (فريدريك) مع (فيلهلم بايندر Wilhelm Pinder) و(غوستاف كروغ Gustav Krug) وهم أحفاد (كارولين بايندر Caroline Pinder) صديقة (إردموث). ربما كان (فريدريك) قد التقى بالاثنين عندما وصل إلى (نامبورغ) أول مرة، وهو بالتأكيد كان قد عرفهم قبل الذهاب إلى معهد (فيبر). ومع ذلك فقد تطلّب الأمر سنوات لتنشأ علاقة صداقةٍ متبادلةٍ، وكان وسط الأجواء الإحتفالية لهذه المدرسة المريحة أن نشأت مودّةٌ حميمة بينهم وأصبح الصّبية لا يفترقون عن بعضهم البعض.

لا يوجد دليلٌ على أن (فريدريك) كان لديه صديق من قبل، وربما كانت هذه المرة الأولى التي كان له فيها مدخل إلى صداقةٍ حميمةٍ خارج المنزل وبعيداً عن سيطرة (فرانسيسكا) المباشرة. كما أنه سيصادف أطفالاً نظراً لحصولهم على فوائد التعليم الممتاز، يستطيعون تعريفه على أسرار الفنون، إن قيمة هذا التطور لا تقدّر بثمن لهذا الصبي الحساس والموهوب جمالياً. وعلى الرغم من أن كليهما كانا في عمره (فيلهلم أكبر بثلاثة أشهرٍ ونصف وغوستاف أصغر بشهرٍ واحد)، إلا أن أبناء الأخوة هؤلاء كانوا مختلفين في الطّباع والإهتمامات. فكان (فيلهلم بايندر) معجباً شديداً بالأدب وطالباً متفوّقاً، كما كانت لديه بنية جسمٍ عليلة فكان مريضاً في أغلب الأوقات، وفي بعض الأحيان بشدة، ويظهر في الصور بسلوكٍ لطيف ولكن هادئٍ يدلّ على التربية الراقية لولد من الأرستقراطيين.[2] في حين كان (غوستاف كروغ) أكثر تشنّجاً وسريع الغضب وكان بالفعل عازف كمانٍ ماهراً

(1) KGW I - 1: 289

(2) بدأ مرض (فيلهلم) في مرحلة الطفولة انظر Rosmiarek et al. 2003: 320

ومؤلفاً سابقاً لأوانه. (كتب (فريدريك): «إذا اختلس أحدٌ ما (قطعة موسيقية) منه سيسلبه ذلك نصف روحه.»)[1] ولكن الصبي كان طالباً عادياً وتشير سجلات المدرسة بأن (فيلهلم) عادةً ما حصل على الدرجات الأفضل بين الثلاثة، وغوستاف على الأسوأ، و(فريدريك) على الدرجات المتوسطة أو أقل ليصبح بالقرب من غوستاف. (غالباً ما جلس الصبيان معاً لأن ترتيب الطلاب في الصفوف يتبع الدرجات).[2]

عاش صبيا (نامبورغ) المحليان مع أسرتيهما في سكنٍ مشتركٍ ومتميز. كان مفتوحاً مباشرةً على السوق، وكان (فريدريك) يقضي ساعاتٍ طويلةً هناك ولامحالة أنه سيقع في سحر والدي الصبيين، عمل كلا الرجلين في مهنة المحاماة ولكن والد غوستاف (أدولف كروغ Adolph Krug) كان أيضاً راعياً أساسياً للمسرح الموسيقيّ المحليّ فضلاً عن كونه عازف بيانو وملحّناً هاوياً.[3] يذكر كتّاب السيرة عن معرفته لـ(روبرت وكلارا شومان Robert and Clara Schumann)، ومن المؤكّد أنه رتّب ليصبح (فيلكس مندلسون Felix Mendelssohn) عرّاباً لـ(غوستاف).[4] وبرغم أنه كان متديناً ومال لاحقاً لجماعة الصحوة، لم يبدُ أنه كان ملتزماً حقّاً كما شقيق زوجته.[5] فعلى النقيض منه كان (إدوارد بايندر Eduard Pinder) نشيطاً دينياً وشبه مؤكّدٍ من أتباع طائفة الصحوة.[6] وكان أيضاً مناصراً لتجميل المدينة ومحرِّضاً رئيسياً على ترميم كاتدرائيّة المدينة الشهيرة وهو مشروعٌ لم يكتمل حتى عام 1878.

ومن الجدير بالملاحظة أنه وإن كانت عائلة (فريدريك) قد نأت بنفسها بعيداً عن نهج الصحوة لصالح المسيحية فإن أسر أصدقائه كانت غارقةً في تلك الرؤية. وفي الوقت نفسه تشير (فورستر ـ نيتشه) إلى أن (إدوارد بايندر) كان ميالاً للأدب،[7] ولكنه لم يكن على ما

(1) KGW I - I: 293

(2) Brobjer 1999: 305, 307, 308, 314 يشير (بروبير) أن درجات (نيتشه) للفصلين الدراسيين الأخيرين لم تعد متاحة ولكنه يقترح إلى أن هناك ما يدعو للاعتقاد بأنه تحسن. ويقر (نيتشه) نفسه أنه عادةً ما جلس بجانب (غوستاف)، وتلك إشارة سيئة. KGW K - 1: 293

(3) Pernet 1989: 56 - 57 انظر أيضاً Bohley 1987: 190 - 191

(4) Pernet 1990: 491 - 492, 495 إن كاتب سيرة (كلارا شومان) لا يمكن أن يجد أي إشارةٍ بأن عازف البيانو عرف (كروغ) (اتصال خاص) أما بالنسبة لـ(ميندلسون) لم يستطع أن يحضر المؤلف حفلة التعميد وأرسل وكيلاً لتمثيله.

(5) Pernet 1990: 493

(6) Pernet 1989: 52 - 53 انظر أيضاً Bohley 1987: 189 - 190

(7) Förster - Nietzsche 1912: I, 78

يبدو جزءاً من ولعه الكبير، ولكنه كعضوٍ من أعضاء الطبقات المثقّفة فبلا شك كان على درايةٍ أقلّه بما يسمى «كلاسيكيات فايمار Weimar classics».[1] تذكر (فريدريك) تعليم (بايندر) الأدبي بامتنان.[2]

فمن جانبه، وجد (فريدريك) في قبوله من قبل الفتية (بايندر ـ كروغ) اتّصالاً إنسانياً وحسب اعتباره الخاص غيّر له ذلك مجرى حياته. وفي مذكراتٍ سابقةٍ يصف صراحةً كراهيته للمدينة مستحضراً ذكرى (غوستاف) و(فيلهلم) فيعترف: «من دون (الصداقة) لربما ما كنت قد شعرت مطلقاً بأنني في المنزل في نامبورغ».[3] هذا التصريح يبالغ في وصف الحقائق لأن (فريدريك) لم يكن أبداً ليحب (نامبورغ) ولا حتى علاقته المقرّبة من (غوستاف) و(فيلهلم) قد تستطيع أن تغلب هذا النفور المتأصل. إلا أنه وكامتنان للصداقة فإن هذه العبارة تخلق انطباعاً حقيقياً بصحّتها وتشير إلى مقدار ما وجد أن هذه العلاقات الإنسانية تحويلية. ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه) فإن أحد صديقيه (وغالباً كلاهما) أقرّ بتقديرٍ مشابه. وفي سن الثالثة عشرة أشار (فيلهلم) إلى لقائه الأول بـ(فريدريك) بأنه: «أحد أهم أحداث حياتي» ودعاه بـ«الصديق المفضل والأكثر إخلاصاً في حياتي».[4]

ومع ذلك بقي (فريدريك) يكبت شيئاً ما، إذ يمكن للمرء أن يعتقد أنه بعد أن اكتشف شريان الحياة لمجتمع (نامبورغ) سيستوعب قيَمه بقدر حماسته في إبقائها حتى تلك اللحظة طيّ الكتمان. وفي الواقع فإن نوعاً من السخرية المبدعة ستهبّ لنجدته وسيكتشف نهجاً ثالثاً سيسمح له بأن يدرك هذه القيم دون أن يخضع لها بدون نقد، فيستطيع تقبّل أصدقائه مع الإعتراف بالفارق الموجود.

2

عندما فكّر لاحقاً بالشّروط اللّازمة للصّداقة، وصف (فريدريك) ذلك: «تبنى الصداقة الحقيقية قبل كل شيءٍ من خلال الأفراح والأحزان المشتركة، لأنه فقط عندما تقوم تجارب حياة فردٍ بلمس الآخر تتّحد الأرواح، وكلما زاد تقارب العلاقة الخارجية، كلما ستزداد الداخلية

---

(1) خلال هذه الفترة من القومية السياسية كان يمجد الأدب المناسب وفي صميمه كان (جوته Goethe) و(شيلر Schiller) Mandelkow 1990: 181 - 196

(2) KGW I - 1: 294

(3) KGW I - 1: 295

(4) مقتبس من Förster - Nietzsche 1912: 27 إن الوثيقة التي تشير إليها مفقودة. Hödl 2009: 137, n. 341

متانةً».[1] ولكنه لا يحدّد ما قد تكونه هذه «التجارب الحياتية» المجتمعية ويبدو المصطلح واسعاً نوعاً ما كما لو أن لا شيء أقل من مأساة تفطر القلب قد تحدّد ماهيته. في الواقع فإن هذه التجربة الرابطة بين (فريدريك) البالغ من العمر عشر سنوات وصديقيه الاثنين ستصبح فيما بعد جزءاً غير مباشر من صراعٍ على بعد نصف قارة.

بدأت حرب (القرم) ظاهرياً عبر النزاعات الدينية، بمعنى أن الدولة الأوروبية كان لها «سلطة سيادية» لتمثيل المسيحيين الذين يعيشون في أراضي الأتراك العثمانيين. وادّعت فرنسا بحمايتها للكاثوليك بينما أكّدت روسيا على حقّها في الدفاع عن الأرثوذكس. وفي حين كانت القضية الدينية خطيرة في حدّ ذاتها ومحفِّزا كبيراً لحمّى مؤيدة للحرب بين الأطراف المشاركة، فإن القضايا الجيوسياسية كانت متمثلةً بالأحرى في رغبة (نابليون الثالث) في حشد الدعم المحلي وما كان ينظر إليه على أنه دافعٌ روسيّ للتوسّع الإقليمي.

وهكذا فإن الحرب التي اندلعت رسميّاً في مارس من عام 1854 كانت حرباً بالوكالة، وذلك بتحريض فرنسا وبريطانيا للإمبراطورية العثمانية في محاولة منهما لوقف الزحف الروسي.[2] ولربما كان دعم الصبيان لـ(روسيا) يعكس تحالف (بروسيا) مع ذلك البلد خلال السنوات النابليونية، فضلاً عن الكراهية العامة للفرنسيين.[3] والأكثر إثارة للدهشة هو مقدار الشغف الذي أدخلوه في الصراع الذي لم يشمل دولتهم مطلقاً بشكلٍ مباشر، ربما لأنها المرة الأولى في حياته التي يُسمح فيها لـ(فريدريك) أن يظهر العدوانية، كما أظهر معها حماساً واضحاً تماماً للعيان في دفاتر ملاحظاته.[4] وقد احتفظ كلٌ من الصبية بكتيّبٍ فردي أطلقوا عليه اسم «الخدع الحربية»[5] فقام (فريدريك) بالبحث عن المصطلحات الحربية ورسم الحصون والسفن والخرائط والمدافع، كما لعب على ما يبدو في تحطيم سفن العدو.[6] وقام أيضاً بابتداع الألعاب اللوحية[7] ورسم ببراعةٍ حقول اللعب مدرجاً

(1) KGW I - I: 288

(2) انظر Figes 2010; Rich 1985; Goldfrank 1994

(3) قارن Förster - Nietzsche 1895: I, 60 لأجل (الدوقة Grossfürstin) انظر Goch 2000: 288, n.42

(4) Kjaer 1990: 89 - 90

(5) «Kriegslisten» KGW I - I: 290.

(6) يتم طمس العديد من البنية في رسمه عن طريق من الخربشات الكثيفة التي قام بها الأطفال عند القضاء على هدفٍ ما عن طريق القلم الملون أو الرصاص.

(7) تحصي (فورستر - نيتشه) Förster - Nietzsche 1912: I, 43 .17

معها المكاسب والعقوبات المرتبطة بها مثل: «مستوصف، خسرت أربعة أدوار».[1] لم تقتصر هذه الأنشطة على الورق مطلقاً، فاستخدم هؤلاء الفتية الثلاثة محنة (سيباستوبول Sebastopol)، الميناء المحاصر على البحر الأسود، فعثروا على قطعة أرضٍ وحفروا حوضاً على شكل الميناء ثم ملؤوه بالمياه. وتم بناء الحصون الوهمية ووضعوا قوارب ورقية في المياه والتي قصفت بعد ذلك بكرات المدافع الصغيرة المصنوعة من الزفت والكبريت والملح الصخري.[2] ومن الجدير بالذكر هنا ليس فقط الإبتكار الذي جلبوه لهذه الأنشطة فحسب ولكن مقدار الانضباط والجهد الذي تطلّبه إعداد مثل هذه الألعاب. وقد ملأت تدوينات (فريدريك) عن حرب (القرم) سبعاً وتسعين صفحةً من النسخة المنشورة في صحيفة «نامبورغ» ـ أي ما يقارب الثلث من صفحاتها الـ311 ـ وتم نشرها على مدار عام. كانت هذه الأبحاث موصوفةً ذاتياً إذ لم يشرف عليها أستاذٌ أو والدٌ وقد تكون ما أعطاه المذاق الأول لإمكانات إجراء تحقيقٍ مستقل.[3] في التاسع من سبتمبر عام 1855 سقطت مدينة (سيباستوبولSebastopol) ومن الواضح أن (غوستاف) المستاء هو من جلب الأنباء وانفجر الأولاد غاضبين من عدم كفاءة الدفاعات الروسية.[4] وبالرغم من أنه لن يتم توقيع المعاهدة لسنةٍ أخرى ولكن الجانب الفائز لم يعد موضع شك، ففقدت الألعاب لذّتها ووصلت إلى نهايتها. ومع ذلك لا يمكن قمع مخيلة الأطفال وحاجتهم إلى اللعب. وبعد شهر واحد في أكتوبر عام 1855[5] انتقل الأولاد من معهد (السيد فيبر) إلى (كاتدرائية الجمنازيوم)، حيث سيعيد الانغماس في دراسة اللاتينية واليونانية توجيه انتباههم إلى أساطير الآلهة القديمة. وسرعان ما شرع (فريدريك) و(فيلهلم) و(غوستاف) في محاكاة الشخصيات الكلاسيكية بنفس الحيوية التي منحوها للعبة (محنة سيباستوبول). فربما لم يعد هناك المزيد من المدافع والحصون بعد الآن ولكن تواجدت السيوف، وإذا ما أردنا تصديق (فورستر ـ نيتشه) فكان هناك الرماح أيضاً. كما تدّعي بأن (فريدريك) ألقى بواحدةٍ من تلك الرماح باندفاعٍ كبير مستهتراً بالعواقب المترتّبة على ذلك، حتى أنها اخترقت قدم

(1) KGW I - 1: 97

(2) KGW I - 1: 290

(3) Kjaer 1990: 91

(4) KGW I - 1: 303

(5) Pernet 1989: 60 إن التاريخ مثيِّر للجدل Bohley 1987: 167; Hödl 2009: 133; and Brobjer 1999: 304 مثقفون، على كلٍ أنظر Schlechta 1956: 131, n. 79

شقيقة (فيلهلم) الأصغر سناً واسمها (غريتشن Gretchen). فتمّ من تلك اللحظة فصاعداً إيقاف الألعاب (اليونانية) في منزل أسرة (بايندر ـ كروغ).[1]

وبغض النظر عما إذا وُجد مثل هذا الحظر بناءً على الإعتداء الجسدي فإن الصبية ارتقوا بأنشطتهم إلى مستوى أعلى، فقد أسفرت مرحلة (القرم) فوراً عن نتاجٍ أدبيٍ واحد فقط وهو تقديرٌ غير مكتملٍ لـ(سيباستوبول) كُتب بعد الاستسلام.[2] وعلى نقيض ذلك فقد ألهمتهم المغامرة اليونانية ـ الرومانية مسرحيتين على الأقل، والعديد من الرسوم التاريخية، وكانت أولى محاولات (فريدريك) المنهجية لكتابة القصائد في سلسلة.[3] وقد تشارك (فريدريك) و(فيلهلم) في كتابة إحدى المسرحيات بعنوان: «الآلهة على أوليمبوس The Gods on Olympus»، وبحسب أقوال كلٍ من (فورستر ـ نيتشه) ووالدتها، فقد تم تمثيلها مع بعض الأخطاء العرضية أمام عائلتي (بايندر ـ كروغ).[4] وفي حين أن النص لذلك النتاج مفقودٌ فإن المعلّقين الألمان يعتقدون بأنه كان إعادة صياغةٍ لأجزاء من نص سابق، هو ((دير غيبروفتا Der Geprüfte)) أي «المختبر» الذي لايزال موجوداً.[5] يكاد يكون «المختبر» بشكلٍ مؤكدٍ أول مسرحيةٍ كلاسيكيةٍ للأولاد، وتجسّد قصة (أوفيديان Ovidian) عن (فيليمون وبوسيس Philemon and Baucis) على النحو المعاد الصياغة من قبل ولدين في الحادية عشرة من عمرهما. في هذه المسرحية يتنكّر (جوبيتر Jupiter) [وهو كبير آلهة يوناني] كمتسوِّل، ويزور كوخ البشريّ (سيرينيوس Sirenius) وهناك يجد الإله نفسه قد تلقّى استقبالاً حسناً مما يجعله يقترح بعد مشاوراتٍ مع الآلهة الأخرى بأن يمنح الخلود لهذا البشري الجاهل بالأمر. ونجد أن (سيرينيوس) يثبت همته مرتين: عبر استضافة (جوبيتر) أولاً، وعبر إلقاء نفسه في البحر إثر أمرٍ إلهي ثانياً، بعدها يطلب أن يعيش والده ووالدته وأخته الصغيرة مثله في هذه الحالة نصف الإلهية الجديدة، على الرغم من أنه من غير الواضح إذا ما كانوا قد تلقّوا أيضاً صفة نصف الألوهية.[6] (يبدو أن المؤلفين المشاركين قد تجاوزوا فكرة الأوليمبوس

---

(1) Förster - Nietzsche 1895: I, 48

(2) KGW I - 1: 103 وبحلول فبراير عام 1856 على الأكثر سوف يكتب (فريدريك) قصيدةً مناسبةً حول هذا الموضوع KGW I - 1: 124 - 125

(3) انظر خطته لسلسلةٍ من القصائد ترتكز على التاريخ اليوناني القديم KGW I - 1: 132 - 134

(4) Förster - Nietzsche 1895: I, 46 - 47 تؤكد (فرانسيسكا) على الأداء وتشير على أن ذلك حدث في 8 فبراير عام 1856 بعد أربعة أشهر من ارتياد الصبيان للـ(جمنازيوم). KGB I - 4: 38

(5) Hödl 2009: 98 - 105 يقدم مناقشة متعمقة للأدلة

(6) يمكن ايجاد النص في KGW I - 1: 105 - 108

[منزل الآلهة الرئيسية الاثني عشر، التي تم تحديدها في أواخر العصور القديمة مع جبل أوليمبوس في شمال اليونان] اليوناني والفردوس المسيحي).

ولا يتطلّب الأمر طبيباً نفسيّاً مختصّاً لرؤية أن ديناميكيات المسرحيّة ـ أي تحويل رجلٍ شابٍ ليصبح خالداً من قبل الآلهة والذي بدوره يرفع والديه وشقيقته ـ يمكن أن تعكس تحقيق رغبة واحدٍ على الأقلّ من الكتّاب الأغرار.[1] كما ليس بالضّرورة أنّ خيال (فريدريك) هذا قد اقتصر على الورق، إذ تتضمن عائلة البطل أختاً تدعى (إليزابيث) والتي من المحتمل أن (إليزابيث) نفسها لعبت دورها في المسرحيّة.[2] الأمر الذي يطرح قضيةً مكملةً لسيرة أي شخصيّة فنّية أو فكريّة. ومن الواضح بأنّ مسرحيّة مثل «المختبر» وإن كانت عملاً من مرحلة الطّفولة هي عملٌ فنيٌّ متكامل ومستقلّ بحد ذاته، أي قطعة أثريّة يجب كشف ألغازها بشروطها الخاصّة دون الرجوع إلى خلفيّة السيرة الذّاتية. وإذا ما تم أخذ المؤلفين بعين الاعتبار بالمطلق، فيجب أن ينظر لهم على أنهم مراسلون غير منحازين يختفون فعلياً في ضوء عملهم. ولكن مثل هذا الرأي عن الإبداع الفني لا يخلو من صعوبات، فحالة «المختبر» غير تقليدية من حيث أنها تقدّم عملاً فاضحاً من تحقيق الرغبات، ومع ذلك فإن اهتمامات وقيم (فريدريك) ستخرج غالباً في كتاباتٍ أخرى كما عندما كرّس لاحقاً عشرات القصائد لتأمّلاته على قبر والده، وحتى عندما ألّف الاحتفالات السعيدة بالطبيعة في أوقات معيّنة من السّنة. كما سيكتب (نيتشه) بعد سنواتٍ لاحقة: «إن الشخصيات التي يخلقها الفنان ليست الفنان نفسه ولكن من الواضح أن سلسلة الشخصيات التي يكرّس نفسه لأجلها بأعمق درجات الحب فعلاً تقول شيئاً عن الفنّان نفسه».[3]

يمكن للمرء أن يقارن بين هذه الحِرفيّة الفنّية ومرح ألعاب (القرم) التي قام بها الأولاد. لقد قامت الحرب الفعلية بتوفير الفرصة والحدود الواقعيّة لغزواتهم الوهمية. وضمن هذه الحدود قاموا بوضع الإجراءات ولعبوا الألعاب وقلّدوا أحداثاً وهميةً وأخرى واقعية، وبهذا

(1) على الرغم من أن المسرحية كانت مكتوبة ظاهرياً من قبل (فريدريك) و(فيلهلم) فإن النص الموجود بالكامل مكتوبٌ بيد (فريدريك).
Schmidt 1991 - 1994 II: 800

(2) للحصول على أسماء طاقم الممثلين انظر KGW I - 1: 110 قارن وصف (فرانسيسكا) في رسالة KGB I - 4: 38 وقد أولى (هيرمان جوزف شميدت Hermann Josef Schmidt) اهتماماً كبيراً لهذا الموضوع
Schmidt 1991 - 1994 II: 799 - 802, 924,948, 955
ولتفسيره لـ(المجرب Der Geprüfte) ك-معالجة نفسية درامية انظر 916,953

(3) UO IV: 2 تمت الترجمة من قبل (ريتشارد ت جراي Richard T. Gray) KSA I: 437 - 438

أثارت اهتماماً أكبر بالوضع على أرض الواقع. فعزّز كلّ من الواقع والخيال بعضهما بعضاً في تفاعلٍ مستمر، أحياناً بشكل مباشرٍ عندما كان عليهم إدراج معلومة جديدة ـ كتعيين جنرالٍ جديدٍ أو استسلام مدينة ما ـ في خيالاتهم، في حين في أوقاتٍ أخرى كانت الألعاب والحقائق تعمل على مستوياتٍ متوازيةٍ نادراً ما تقاطعت كما حصل في الألعاب اللّوحيّة. يتضح الأمر نفسه في مسرحية (فريدريك) الأولى، فلم يسبق حقاً أن زار (جوبيتر) الصبي ناهيك عن عرض الخلود عليه ولكنه من الواضح أنه شعر بأحقِّيته لمثل هذه الإمتيازات وقام بترجمة ذلك على شكل سيناريو مستقل عن الإهتمامات الواقعية ويوحي بها على حد سواء. كما سيظهر لاحقاً بأن (فريدريك) ومع جهوده الأدبية المبكرة في بعض الأحيان على الأقل، استخدم الكتابة لإعادة بناء قضاياه في بُعدٍ مختلفٍ وخيالي، وبقيامه بهذا تعلّم اللعب معها وإلى حدٍ ما إتقان تبعاتها دون الحاجة إلى الإنخراط في أعمالٍ تمرديةٍ صريحةٍ يمكن تنفيذها.[1] فالفنون ستسمح له بفرصةٍ بعيداً عن الحقائق المزعجة ولكن أيضاً ستسمح بوسيلةٍ للاستيعاب والقبول وبالتّالي التّوصّل إلى اتفاق معها. الأمر الذي سيبرز واضحاً بشكلٍ خاصٍ في قصائده.

3

أدّى اندماج (فريدريك) في أسرتي (بايندر) و(كروغ) إلى إنهاء الكثير من عزلته وسمح له بتخفيف رفضه الأولي لـ(نامبورغ) وبأن يصل إلى تصالحٍ مع قيَمها. ويبدو أنه تأقلم أخيراً مع العالم الذي كان قد صدّه سابقاً. وإذا كان الأمر كذلك فإن قصته ستصل إلى نهايتها وسيكبر ليصبح مواطناً تقليدياً جيداً نسبياً كما كان مصير أصدقائه. عوضاً عن ذلك، غاص (فريدريك) إلى أعماق الأرض بأسلوبٍ جديدٍ، فيبدو أنه لم يعد يطمس آراءه الشخصية في الأماكن العامة بل طوّر بدلاً من ذلك ملاذاً خاصاً حيث يستطيع رعاية وتنمية أفكارٍ غير مقيّدة بقوى النظام العام، وكان أول تقدّمٍ له هو المسرحيات التي كتبها مع (فيلهلم). وفي نفس الوقت تقريباً ـ في الأشهر الأخيرة من سنة 1855 ـ قام بفتح آفاقٍ جديدة من خلال تأليف القصائد، ويمكن القول بأنه التطور الأكثر أهميةً بين أحداث حياته كلها.

ففي حين كان لـ(فريدريك) أسبابه الشخصية في استكشاف الكلمة المكتوبة ـ كما تبيّن سابقاً في الطرق التي عبرت فيها قيَمه عن نفسها في «المختبر The tested one» ـ إلا أن نشاطاته الأدبية كانت مؤمنةً بالإعتبارات الإجتماعية والعائلية، فكان عضواً في طبقةٍ اجتماعية

(1) Kjaer 1990: 91

عرّفت عن نفسها جزئياً من خلال حساسيّتها للفن وعبر قواها الخطابية الواضحة والمقنعة.[1] وكان من المتوقع من أولاد الطبقات المثقفة في كثيرٍ من الأحيان صياغة الأبيات الشعرية، فكانوا يقدمونها كهدايا في أعياد الميلاد والمعمودية وحفلات الزفاف والأعياد. وكانت تؤدي قصائد المناسبات هذه وظيفةً مشابهةً لما سوف تؤديه بطاقات التهنئة في قرنٍ لاحق، وعلى مثال هذه الأخيرة فقد كانت القصائد عابرةً، تناسب الحدث، ولا ينتظر منها أن تكون صادقةً بشكلٍ مبالغ فيه أو أصلية.[2]

في الواقع، تتضمن مجموعةٌ من قصائد السنة الجديدة التي تم إنتاجها عندما كان (فريدريك) في الثامنة من عمره صفحة غلافٍ مطبوعة مسبقاً حيث بإمكان الأطفال كتابة أسمائهم، وفي ذلك دلالةٌ على أن هذه الممارسة قد انتشرت بشكلٍ واسعٍ جداً حتى أصبحت صفحات العناوين متوفرةً للبيع في المحلات التجارية.[3]

وكانت هذه النزعة الثقافية في أسرة (فريدريك) مؤمّنةً أكثر من قبل (فرانسيسكا) التي كانت قد شاهدت عملية توزيع الهدايا في عائلة (بايندر) في إحدى أمسيات عيد الميلاد فأعجبت بهذا التقليد العائلي.[4] وتجدر الإشارة بأنها كانت قد علّمت الأطفال القراءة صوتياً من خلال إظهارها لهم كيف للكلمات أن تصبح مقفّاةً وبربط هذه التوازيات الصوتية مع أنماطٍ من الكلمة المكتوبة.[5]

وكانت قد سمعت عند عائلة (بايندر) كيف تم تقديم كل هدية مصحوبة ببيت شعر: (مثل «هذه الهدية من]تحت[الشجرة / تأتي مني» This gift from the tree / Comes from me)، [6] فشجعت أولادها على فعل المثل فكانت تدسّ بيت شعر في يد (إليزابيث) قبل أن تفتح الهدية ومن ثم تسمح لها بالإرتجال من تلقاء نفسها.[7] وكما تقول الأم فإن

(1) للمزيد عن ((الجيبلدتن Gebildeten)) (المثقفين) انظر الفصل الثاني القسم الثالث

(2) للمزيد عن الآثار الأدبية لـ(نيتشه) الصغير انظر Goch 1995b

(3) Kjaer 1990: 60

(4) Franziska Nietzsche 1994: 37 انظر أيضاً Hödl 2009: 98 n

(5) الفصل الثاني، القسم الثاني. Franziska Nietzsche 1994: 35

(6) مشارٌ إلى إدخالات دفتر الملاحظات في Goch 1994: 214 انظر أيضاً ذكريات عقودها الماضية لاحقاً في رسالةٍ إلى ابن اخيها:
Franziska Nietzsche 1994: 35 - 37. ربطت (فرانسيسكا) بصراحةٍ هذه الأبيات الشعرية الأخيرة مع تلك الي استخدمتها لتعليم الأطفال كيف يقرؤون Franziska Nietzsche 1994: 36, 35

(7) تذكر (فرانسيسكا) (إليزابيث) فقط ولكن من المفترض أنه تم تشجيع (فريدريك) لفعل الشيء نفسه

هذا العُرف من المقاطع الشعرية المزدوجة]من بيتين[قد طبع عملية توزيع الهدايا بسحرٍ وروعةٍ فريدين.

كان هذا الإصرار على نظم أبيات الشعر المرتجلة منفصلاً عن المطالبة بتقديم قصائد كاملة. غير أن كلاً من الطلبين سيؤدّيان إلى توعية الأطفال على الفرص الكامنة في مثل هذا الخطاب البارز. ونظراً لهذه التهيئة الإجتماعية والأسرية، سيكون من المفارقة التاريخية بعد ذلك أن يُنظر إلى نتاج (فريدريك) الأدبي المبكّر على أنه بالضرورة من العلامات المسبقة لعبقريٍ وشيك. إذ كان مجبراً بشكلٍ أو بآخر على كتابة الأبيات الشعرية، وعلى الأقل بعمر السابعة سيتم إقناعه بإلقاء قصائد المناسبات (مكتوبة من قبل الأقارب إلى حدٍ كبير) كهدايا لـ(فرانسيسكا) و(روزالي) و(إردموث).[1] في بعض الأحيان كانت هذه القصائد مصحوبةً بالهدايا مثل سلة من الزهور. وفي إحدى المناسبات قام بمبادرةٍ أكثر حميميّة، كما سنبيّن فيما يلي: واحدة من أولى القصائد التي كتبها (فريدريك) بنفسه:

أجلب هديّة صغيرة من أجلك

ليست بالكثير ولكن ليكن ذلك

الأشياء التي أملكها، كما تعلمين، قليلة

لذا ليس كثيراً ما يمكن أن يُقدم من قِبَلي

وفي الأبيات التي تلت يتخيّل قائمةً من الهدايا التي يود أن يقدمها لوالدته وهي: أفضل ما في الحياة، الصحة، والفرح، ولكن لأن هذه نِعَمٌ وحده الرب يمكن أن يمنحها فهو يفكّر فيما يقع ضمن حدود مقدرته:

أحبك كثيراً، أود أن أعانقكِ

الأحرى ألا أفعل. فذلك قد لا يعجبكِ

أود أن أعطيكِ شيئاً أكثر بكثير

ولكن هذا سبب وجود البيت الأخير

ربما ترغبين في معرفة

(1) انظر Goch 2000: 355 - 356; Schmidt 1991 - 1994 II: 842 ولأمثلة عن قصائد لاحقة عن الأشباح انظر Goch 1994: 175 - 177

ما أريد أن تشاركيه

أود أن أعطيك قبلةً، لذا

سأعطيك واحدة هنا الآن.[1]

كان لهذه القصيدة على الأغلب مفعولٌ مؤثّرٌ عند إلقائها وكان بإمكان (فرانسيسكا) ترديد سطورها «أحبك كثيراً، أود أن أعانقك / الأحرى ألا أفعل. فذلك قد لا يعجبك» إلى نهاية أيامها.[2]

ولكنها لم تكن القصيدة الوحيدة التي قدمها ابنها بل كانت بالأحرى الأولى (بعد المقدمة) في مجموعةٍ من تسع قطعٍ قدمها كهدية في 2 فبراير عام 1856 في عيد ميلادها الثلاثين.[3] كان (فريدريك) قد بلغ مؤخراً الحادية عشرة وادّعت والدته بأنه كتب المجموعة كاملةً بنفسه.[4] وإذا كان الأمر صحيحاً فإن فخرها مبررٌ بسبب الجودة العالية بالنسبة لمحاولةٍ أولى. وبما أنها ليست مهارةً تعلّمها بين ليلة وضحاها، فمن شبه المؤكد أن الصبي كان يتدرب منذ أشهر.[5]

ويدلّنا هذا المسعى، الذي سيدعمه ويستمر فيه على مدى السنوات الثلاثة المقبلة على أنه قد تيقظ إلى مصدرٍ جديدٍ وأساسيٍ للرؤية. وهو بالتأكيد لم يكن يكتب لوالدته فقط، فبمجرد الانتهاء من تهاني عيد الميلاد حتى قدمت القصائد في هذه المجموعة صوراً مجازية ومواضيع ستظهر مراراً خلال شبابه وأحياناً سيتردد صداها إلى أبعد من ذلك بكثير. قد تكون نقطة انطلاقه حكاية من اليونان أو مكانٍ معروفٍ في العصور الوسطى ولكن المواضيع التي تطرّق لها وفصّلها ـ كالحنين والشعور بالخسارة والحاجة إلى توجيه حياة المرء بفعالية ـ كانت على نحوٍ مميزٍ خاصةً به.

في هذه المجموعة الأولية على سبيل المثال، هناك ثلاث قصائد من أصل تسع (باستثناء المقدمة) تتعامل مع السفن التي تواجه العواصف، وهي سمةٌ ملفتةٌ للنظر لسيناريو بحّارٍ

(1) KGW I - I: 115 - 116

(2) Franziska Nietzsche 1994: 39, Oehler 1940: 61

(3) Gcoh 1994: 177

(4) BAW I: 460

(5) في سيرته الذاتية الشخصية الأولى يؤرخ (نيتشه) العديد من هذه إلى 1855. KGW I - I: 308

يعاني ويكافح للوصول إلى الميناء، وهي استعارةٌ ستبقى في مخزون مفرداته الشعرية في (نامبورغ) كما في المستقبل.[1] تعبّر إحدى القصائد:

أوه ويل للسفينة، عندما بفعل الأمواج مالت

تجد نفسها تأخرت لوقت طويل

ولم تعد قادرةً الوصول إلى هدفها،

تذهب بنفسها معميةً في المياه الضحلة

والآن اصطدمت بتصاعد الأمواج العاتية ربما

ورُميت تجاه جدران الجرف المرتفعة

تتحطم إلى أشلاء وتفقد طاقمها،

هذه السفن التي أعلنت المصائب استحقاقها لها[2]

وقد يتساءل المرء لماذا كان هذا الصبي الذي عاش في مدينةٍ هادئةٍ غير ساحلية مأخوذاً جداً برؤى السفن المعرضة للخطر والعواصف العنيفة. ربما استولت الأحداث البحرية التي وقعت في حصار (سيباستوبول) على مخيلته، كما كان البحارة في البحر استعارةً شائعةً في الأدب الكنسي حيث كان يتم تفسير الروح على أنها محاصرةٌ بالعواصف وتسعى للوصول إلى الميناء في المسيح.[3] وبعيداً عن هذه المصادر النظرية يبدو أن الفتى كان سعيداً حقاً بالطقس العاصف[4] «لطالما تركت العواصف أعظم انطباعٍ علي» وكتب مبرّراً فرحه بالصخب من خلال إسناده إلى التّقوى: «إن فرقعة الرعد على مدى أميالٍ والبرق المشرق السّاطع، زادا من خشوعي أمام الرب».[5] وبينما يمكن للمرء أن يفهم الجاذب لمثل هذا الجو العاصف على صبيٍ يافعٍ في مرحلة ما قبل البلوغ ولكن ما

(1) انظر Large 1995 وخصوصاً الصفحات 163 - 167 عن (كولومبوس Columbus) والصفحات 171 - 174 عن السفن ومناداة البحار المفتوحة

(2) KGW I - I: 117

(3) Hödl 2009: 110 - 111 أيضاً ذكر تلك النقاط

(4) بالإضافة إلى القصائد عن البحر فإن هناك قطعةً تتعامل مع عاصفةٍ كهربائية ترعب المدينة.

(5) KGW I - 1: 288

يلفت النظر أنه مع مرور الوقت تحوّل من العاصفة إلى البحّار المعرّض للخطر وجهود هذا الأخير من أجل تذليل المخاطر بالعزيمة والدهاء.

شكلت هذه المجموعة الأولى من القصائد سابقةً مزدوجةً من نوعها: إذ سيقدّم (فريدريك) مجموعات إلى والدته في عيدي ميلادها التاليين أيضاً.[1] وفوق ذلك، واصل الاستكشاف في هذا التقدم، في محاولةٍ منه لتوسيع مدى كلّ من رؤيته وكفاءة التعبير عنها. ولا ينبغي للمرء أن يعتبر إصراره أمراً من المسلّمات حيث كان من الممكن أن يكون الشعر مجرد لهوٍ آخر تسلّى به قبل الإنتقال إلى اهتمامٍ آخر كما فعل في الألعاب اللوحية والمسرح والرسم.[2] ولكن بدلاً من ذلك يبدو أن المجموعة الأولى قد يقّظته لقوىً وجدها مثيرةً بشكلٍ غامض. لم تكن جميع القصائد التي ألّفها ناجحةً وبدا أن بعضها كانت مجرد تمارين تقنية مارسها شخصٌ يقوم بشحذ مهاراته.[3] إن هذه القصائد الفاشلة تشير بوضوحٍ، أكثر من عمل (فريدريك) الفريد في الشعر، على أنه لم ينتظر لحين قدوم الوحي ولكنه صبّ تركيزه على عمله بمثابرة مثل عازف البيانو الذي يتدرّب على النوتات الموسيقية. واحتفظ عرضياً بقوائم مسجّلاً عليها القصائد التي كتبها، متساءلاً عما إذا ازداد مخزون إنجازاته بشكلٍ تراكمي.[4]

لم تأت هذه التطورات الأدبية بسهولة، ويصرح الصبي في مذكّرة له بأنه غالباً ما سهر كثيراً إلى ما بعد منتصف الليل يعمل بجهدٍ على الواجبات المدرسية والقصائد.[5] وبينما ينبغي التعامل مع مثل هذه الادعاءات بارتياب ـ إذ كان عليه أن يستيقظ في الساعة الخامسة وبشق الأنفس يمكنه الحفاظ على مثل هذا النظام لفترةٍ طويلة ـ فإن هذا التّصريح لربما يعبر عن بعض الأمسيات الطويلة العرضية على الأقل، ويوحي بتفانٍ كبيرٍ ناهيك عن قدرة التحمّل، وذلك في فترة ما قبل المراهقة. وإذا كان لأحدٍ أن يسأل عن الدافع فمن الأفضل أن نبدأ بالواضح: بالاجتهاد الكبير حتى وقتٍ متأخر من الليل استعاد العزلة التي كثيراً ما استعصت عليه في (نامبورغ)، وعلاوةً على ذلك اكتشف من خلال الكتابة أنه يمكن للعزلة أن تكون إيجابية، وليس

---

(1) يبدو أن هذه الممارسة قد اقتصرت على إقامته في (نامبورغ). وعندما انتقل (نيتشه) إلى (شولبفورت) توقف (مع استثناءٍ واحد) عن اعطاء مجموعات عيد الميلاد إلى والدته

(2) من الصعب معرفة كم رسم (فريدريك) حيث أن محرري KGW قد صرحوا بأن أعماله الفنية سوف تنشر في مجلدٍ لاحق. 322 - 321 :Figl 1995a وينصرف (نيتشه) لاحقاً عن الرسم كهوايةٍ عامة مارسها لفترة KGW I - 3: 418

(3) لمثالٍ واضح انظر «سنوات الشباب لـ سايروس The youthful years of Cyrus» في مجموعته الأولى

(4) KGW I - 1: 257 - 258, 275

(5) KGW I - 1: 301

فقط لأنها تحرُّرٌ من التطفل البشري ولكن لأنها مصدرٌ يستطيع من خلاله اكتشاف اهتماماته الشخصية، والتي برزت عبر المواضيع والصور والتحولات غير المتوقعة للتركيب التعبيري. وفوق كل شيء فإن الشعر المتولد في وحدته قد منحه ميداناً دائماً وغير محدودٍ من استكشاف الذات. فمنذ نعومة أظفاره احتضن (فريدريك) نزعاتٍ غير تقليديةٍ أقلقت والدته وعلى الأغلب اعتُبرت محرَّمة في المدرسة. أما الآن فبإمكانه إطلاق سراح هذه النزعات دونما خوفٍ من لوم أو قلقٍ من أنها قد تُحظر. إن روح التّحقيق العدواني التي، حتى تلك اللحظة عبّرت عن نفسها بشكلٍ تدريجيّ وبصورة مؤقّتة، وجدت أخيراً منفذاً مستقراً سمح لها بالنّمو المستمر.

4

في حين أن العديد من قصائد (فريدريك) ـ أقله التّي كانت منها تحيّةً للطبيعة وترانيم للخالق ـ لابد وأنها أسرَت قلوب أفراد الأسرة المتديّنة، كانت الأخرى أقل تعصباً وأوحت باهتماماتٍ أكبر بكثيرٍ من عمره. بعد وقت قصيرٍ من تقديم مجموعته الأولى كتب (فريدريك) قصيدةً من أربعة (أناشيد/أقسام) وأكملها بتعداد السطر الخاص به في الهوامش.[1] هذه السلسلة التي لا تحمل أي عنوان ـ سيطلق عليها لاحقاً اسم «زوال السعادةThe transience of happiness»[2] ـ تروي مسيرة (رحّالة) يزور اليونان ومصر ونينوى، وتتناول الطبيعة المؤقتة للإنتصارات الكبيرة.[3] مرهقاً أكثر من أي وقت مضى بماضٍ لا يستطيع مجاراته وهو ماضٍ بحد ذاته قد انتهى، يستسلم الرحّالة إلى الحزن وشعورٍ باللاجدوى فيموت في حفرةٍ حفرها بنفسه. هذه القصيدة المتماسكة في أسلوب التقدير الرثائي والمبنية بعنايةٍ شديدة، تثير موضوعاً سيعود إليه (فريدريك) اليافع عدة مراتٍ خلال طفولته، وهو الإعتقاد بأن الأزمنة المجيدة من الماضي وأن العصر الحاضر لا يدعو إلى الأعمال البطولية.[4]

---

(1) KGW I - 1: 125 - 129 يبدو أن التعداد مهم بالنسبة له. كان طول كلٍ من الجزئين الثالث والرابع 50 سطراً لكلٍ منهما تماماً وهي مساواةٌ لم يمكن أن تكون محض صدفة، وخصوصاً حيث أن الجزئين الأول والثاني كان مجموع أسطرهما 50 أيضاً. في كل شيء، بعد ذلك، تشمل القصيدة 150 سطراً غير منظوم من السرد المستمر.

(2) لا يظهر العنوان في القصيدة الأصلية. على كلٍ، انظر KGW I - 1: 291, 308

(3) في «من حياتي» يستذكر (نيتشه) أن الرحالة زار أيضاً (قرطاج) وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا القسم لم ينجِ. KGW I - 1: 291

(4) راجع القصيدة في KGW I - 1: 155 التي تنتهي بـ«آه عصر الفرسان قد ولى»«Ach die Ritterzeit ist hin».

لم يكن (فريدريك) قد انتهى من موضوع الرّحالة، ففي عام 1857 عندما كان في الثّانية عشرة من العمر، كتب قصيدةً جديدةً قامت أيضاً بالتّطرق إلى قصة حاجٍ، وطرحت مواضيع من المؤكد أنها قد أقلقت والدته المتدينة.[1] هنا لم يكن بطل الرواية مسافراً مجهول الهوية ولكنه كان (ألفونسو Alfonso) الذي يدعوه هنا بـ(سيد Cid)، وبطل العديد من الأساطير الإسبانية وموضوع عملٍ شهيرٍ جدا لـ(هيردير Herder).[2] وعلى عكس الرّحالة فإن (ألفونسو) يرفض إمكانية أن الأبطال القدامى ربما كانوا سعداء، بل عوضاً عن ذلك كانوا مضطّربي القلب، فهو يهجر قصره ويتجول في الأرض المحلية باحثاً عن سر السعادة، فينصحه كاهنٌ كبير السن بأن أحداً لا يستطيع الوصول إلى تلك الحالة إلا بعد الموت. يستمع (ألفونسو) بأدبٍ ولكنه، وفي انحراف كبير عن اللاهوت المسيحيّ، يفكر: «أن لا يكون سعيداً إلا بعد الموت / لا يمكن أن يقبل بذلك». فيستشير بعض صيادي السمك ثم ناسكاً يعيش في الجبال. هذا الأخير يعطي مشورة «العجائز الحكماء اليونانيين»: ألا يدعو أحداً بأنه سعيد إلا عند الموت، عندما يغدو واضحاً أنه وصل بحياته إلى نهايةٍ ناجحة. وعلى ما يبدو أن هذه هي الإجابة الأفضل بين الجميع ويقدم (ألفونسو) على إثرها للناسك سلسلةً ذهبية.[3] عملٌ يثير الإعجاب بطوله ـ «ألفونسو» بطول 126 سطراً وأقل بـ24 سطراً فقط من سلسلة «الرحالة Wanderer» ـ تتعامل القصيدة مع المشورة المسيحية (التي قدمها الكاهن) كخيارٍ فقط وترفضها لصالح المشورة المقدمة من قبل الآخرين. في حين أن أكثر الإقتراحات استحساناً ليست لا دينيّة بشكلٍ مباشر، لكنّها بالتأكيد لم تُقدّم على أنها مسيحيّة وينسب الناسك رأيه صراحةً لليونانيين.[4]

---

(1) انظر الحاشية (4) أدناه.

(2) كان الاسم الأول لـ(سيد) هو (رودريجو Rodrigo) ومن غير المعروف من أين أتى (نيتشه) باسم (ألفونسو) عن الرغم من أنه في بعض النسخ فإن (ألفونسو) هو أخو (رودريجو). والأكثر اثارة أن السطور الافتتاحية من عمل (نيتشه) تعكس الأبيات الشعرية الافتتاحية لنسخة (هيردر)، التي تقدم الأفكار ليست العائدة لـ(رودريجو) ولكن التي تعود لوالده (دون دييجو Don Diego). إنه هذا الأخير وليس (سيد) هو الذي أُذل علانيةً ويتأمل في فراغ حياته. هذه التنحية لوجهات نظر الأب على حساب الابن مدهشة خصوصاً وأن (رودريجو) الخاص بـ(هيردر) لا يضيع أي وجهات نظر على الفلسفة ولكن يتحرك مباشرة إلى الفعل ويقتل الرجل الذي أذلّ العائلة.

يكرس (شميدت) العديد من الصفحات لـ(ألفونسو) وبديله. Schmidt 1991 - 1994 I: 239 - 269, 274 - 293

إن التفسير المقدم في النص مدين بشكلٍ كبيرٍ لتحليل (شميدت) وعلى كلٍ فإن المقارنة مع قصيدة (هيردر) هي أصليةٌ لهذا الكتاب

(3) KGW I - 1: 175 - 180

(4) قد تكون «ألفونسو» أرعبت أقارب (فريدريك). في نسخةٍ ثانية كان حريصاً على إضافة أسطرٍ مثل ما يلي: «لقد تعلم عن الرب من رجلٍ حكيم واختبر السعادة الحقيقية» KGW I - 1: 185 - 187

لم تكن هذه القصائد الوحيدة التي تدور حول قضايا مشكوكٍ فيها أخلاقياً، وقد لاحظ (هيرمان جوزيف شيمدت)، الذي كتب روايةً من أربعة مجلدات عن كتابات (نيتشه) حتى سن التاسعة عشرة، أنه خلال سنتي 1856 و1857 ألّف (فريدريك) العديد من القطع التي تتطرق إلى التعامل مع الوالدين الإشكاليين الذين إما يضحّون بأولادهم أو يتسببون بموتهم عن غير قصد.

في «رينالدو Rinaldo» تقوم الابنة المعافاة لأبٍ مريضٍ بالتنازل عن حياتها خفية للرجل كبير السن لينجو في حين تُترك ليُستنزف منها شبابها.[1] أما في «أندروميدا Andromeda» يُجبر الملك بأن يربط ابنته إلى صخرةٍ تاركاً إياها فريسةً لوحش بحري.[2] إن هذا الموضوع عن الطفلة التي إما تتمّ التّضحية بها أو تضحّي بنفسها ـ جميع الضّحايا بنات ـ يوحي نفسياً بكلّ من: الإحساس بالظلم نيابة عن الصغار، ولكن أيضاً الإعتراف بالآباء المضطهِّدين الذين تتم معاملتهم برأفة دائماً. يمكن القول بأن (فريدريك) كتب أيضاً أعمالاً يصل فيها الأبناء (الذرية في هذا السيناريو دائماً من الذكور) في اللحظة الأخيرة للدفاع عن الوالد المسنّ ضد قوةٍ ثورية أو أي تهديدٍ آخر.[3] وبقدر ما تبدو هذه الأعمال مختلفةً من الخارج غير أن القصائد عن الأبناء الأبطال والبنات المضحّى بهنّ تتناول شؤوناً مماثلةً وهي أن: الجيل الأكبر سناً يحتاج إلى الإنقاذ ويقع أمر إنقاذهم على الأصغر سناً.

كما تُظهر هذه القصائد (وغيرها)[4] بوضوحٍ أن (فريدريك) قد امتلك وعبّر عن آراءٍ تخريبيّة وشخصيّة للغاية منذ سن مبكرة. ومن اللافت على حدٍ سواء أنه كان يحب كتابة القصائد في سلسلة، ودراسة الشخصيات والمواقف والمواضيع مراراً وتكراراً إلى أن تصبح مستنفذةً مؤقّتاً.

وقد لوحظ بالفعل التّعاقب في قصائد البحّارة كما هو الحال مع عدد القطع التي تتعامل مع الوالدين الإشكاليين. سيكتب (فريدريك) لاحقاً سلسلةً من لوحاتٍ تاريخيةٍ وتأملاتٍ عديدة عن قبر والده وعشراتٍ من القصائد في تحيّة الطبيعة. ويشير (شميدت) بأن هذا الميل تجاه

(1) KGW I - 1: 182 - 185

(2) KGW I - 1: 130 - 131; 136 - 139 ولمثالٍ آخر عن الديناميكية، انظر 150 - 153, 187 - 191

(3) KGW I - 1: 3 - 5, 227 - 230; I - 2: 8 - 9

(4) يولي (شميدت) اهتماماً خاصاً لسلسلةٍ من القصائد عن إغواء (ميديا Medea) لـ(جيسون Jason) وبعضها يتميز بالعناصر الجنسية.
KGW I - 1: 246 - 248, 255, 262 - 264

الكتابة في مواضيع متماثلة سمح له بدراسة المواضيع تحت أضواءٍ مختلفة وبالتالي استيعاب معانيها بشكلٍ أغنى وأكثر فعالية.[1]

إن ملاحظة (شميدت) موحيةٌ وهامّة، فقد سمحت الكتابة للصّبي بتعليق المواضيع مؤقتاً ثم إخضاعها إلى تعديلاتٍ أدبيّةٍ دون إنزالها إلى صيغة الإعتقاد النهائي. في كل مرةٍ كرّر فيها سيناريو كان يخرج بشكلٍ مختلف، فعمل الشِّعرُ كمختبرٍ فنّيٍ وفكريٍ وتحول إلى ملاذٍ مسيطرٍ عليه وفيه استطاع أن يُخضع المواضيع إلى متغيراتٍ مختلفةٍ ويسجل النتائج. لم تكن قصائده عبارةً عن مجرد زياراتٍ متفرقةٍ من الإلهام بل كانت تساؤلاتٍ وإجابات، كانت استكشافاً لمتاهةٍ ذاتية قام برسمها عبر الأخذ والرد بين العقل والصفحة. وفي هذه العملية وسّع (فريدريك) حدود مداركه كما وجد فيها أيضاً المعونة عندما بدا أن أساليب الإحتجاج الأخرى مغلقة الأبواب.

(1) يدعو (شميدت) كتابات (نيتشه) الخاصة بـ(مونولوجاته الداخلية) ويتحدث عن (منطقهم الداخلي). Schmidt 1991 - 1994 II: 574 وكمثال عن هذا الاسلوب في الفعل انظر معالجة (شميدت) لصور السماء المجازية (شمس وطيور) II: 989 - 1072 ولسردٍ عن كتابات (نيتشه) المبكرة كجهدٍ لفهم ومقاومة بيئته، انظر II: 1080 - 1081

الفصل الرابع

اكتشاف الذات

يتأمل كل إنسان حياته الماضية لأنه يجب عليه ذلك ولأنه لا يستطيع قطع الاتصال مع ماضيه ولو لوهلة، وبقدر ما يعمل أكثر متجاوزاً مجرد تأمل ذاته المتغيرة وينظر أكثر إلى هذا الكيان فلسوف يطور حياته نحو مستوى أعلى.[1]

1

كانت حياة (فريديك نيتشه) مستقرة نسبياً من عمر خمسة إلى عشرة أعوام، غيّر مدرسته مرتين ولكنه كان عندما يصنع الصداقات يحتفظ بها وعلى ما يبدو فإن المسكن الذي قبل به على مضضٍ في ذلك اليوم الأول في (نامبورغ) أصبح مألوفاً كالمنزل. ومع مرور السنوات تم تغيير أسرة نيتشه بشكل غير مزعج. قد تكون (فرانسيسكا) قد أبعدت إلى الغرف الخلفية ولكنها كانت تملك صحة فتاة الريف وهو سبب لم يمنحها صفة (ذات مرض مزمن) حسب القوانين، وكانت (إردموث) في أواخر السبعينات ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه) ضعيفةً بما يكفي بحيث توقفت عن مغادرة المنزل،[2] وكانت (روزالي) على الدوام مريضة أعصاب. واشتد المرض على المجتهدة دائماً (أوغست) التي كانت مريضة منذ الطفولة خلال سنوات إقامتها في (نامبورغ) وتم تشخيصها بالسل في نهاية المطاف،[3] وكان من شأن تدهور حالتها المتصاعد أن يجلب لها الإنهاك والألم والعذاب العاطفي والروحي، وعلى الرغم من هذه

---

(1) KGW I - 3: 291

(2) Förster - Nietzsche 1895: I, 26; Förster - Nietzsche 1912: 52

(3) Goch 1994: 200. ذكر (فريدريك) أن فصاً من الرئة قد دمر. KGW I - 1: 300.

المصاعب إلا أن (أوغست)، «أوغست الطيبة بشكل سماوي» كما ذكرتها (فرانسيسكا)،[1] واصلت ترتيب المنزل، إنه الإصرار على العمل في مواجهة المرض المنهك وذلك ما أبهر ابن أخيها الذي سوف يعاني من مشاكل صحية في المستقبل.

ومع ذلك فإن التضحية البطولية بالنفس لم توقف تقدم المرض، فعندما غادر الأطفال لقضاء إجازة الصيف عام 1855 أدركت (أوغست) ذات الأربعين عاماً تماماً أنها لن تراهم مرةً أخرى، كانت تجهش بكاءً بينما تلوح لهم بالوداع. قال فريدريك «كانت تلك آخر مرة أراها فيها»[2] وتوفيت في الثاني من شهر أوغست عام 1855 بينما كان الأطفال بعيدين عنها.

لقد كانت وفاة (أوغست) بمثابة ضربة قاضية بالنسبة لـ(إردموث) التي فقدت في حياتها الطويلة زوجين وابنين والآن انضمت الابنة، التي لم تبارحها إلا لزيارة الأقرباء، إلى الرجال الذين غادروا حياتها، وأحست الأم بخسارةٍ لا يمكن تعويضها. كتب (فريدريك) في إحدى مذكراته أن المرأة المسنة ندبت ابنتها في كثير من الأحيان «يا (أوغست) يا (أوغست)» وتنبأت أنها سوف تنضم إلى الموتى قريباً.[3] وتدعم مذكرات (فرانسيسكا) هذا الكلام «إن والدة زوجي كانت أكثر إدراكاً من أي وقت مضى لعجز الشيخوخة، وقالت في كثير من الأحيان وخاصة بعد وفاة (أوغست) ـ سوف يسامحني الرب العزيز إذا تحسرت وعبرت عن الرغبة لأقول وداعاً ولكن لتكن إرادته ـ ».[4]

ومع ذلك يبدو أن النهاية قد آنت بشكل غير متوقع، وتكتب (فرانسيسكا) في سردها للساعات الأخيرة من حياة (إردموث) أن والدة زوجها كانت مضطربةً خلال الليل عندما استيقظت (روزالي) قبل الفجر بوقتٍ قصير حيث وجدتها تعاني وسألتها بقلق «أمي أنتِ لن تموتي؟ أليس كذلك» أجابت (إردموث): «دعيني أموت في حال كانت تلك إرادة الرب» تبع ذلك نوبة إقياء ونامت بعد ذلك، ثم استيقظت وفي النهاية توقفت عن الكلام. وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر في اليوم الثالث من نيسان عام 1856 انضمت (إردموث كراوس نيتشه) إلى ابنتها الحبيبة. التشخيص الذي تم ذكره من قبل الطبيب المشرف كان سكتة دماغية ورئوية.[5]

(1) Goch 1994: 172
(2) KGW I - I: 300
(3) KGW I - I:300
(4) Goch 1994: 202
(5) بالنسبة لقصة (فرانسيسكا) حول موت (إردموث) وآثاره، أنظر Goch 1994: 200 - 203. وللتشخيص الطبي 201.

أصبحت (روزالي) و(فرانسيسكا) هما البالغتان على قيد الحياة وستضطران لإخلاء المنزل كونه كبيراً جداً ومكلفاً نسبةً لاحتياجاتهما، وهنا ظهرت مسألة فيما إذا كانتا ستواصلان مشاركة المسكن. حتى الآن كانت ترتيبات (فرانسيسكا) العائلية تعتمد على مواردها المالية الضئيلة، ولكن (إردموث) تركت مبالغ كبيرة للأطفال، وبما أن رأس المال كان ملكاً لهم فقد سُمح لـ(فرانسيسكا) أن تنفق الفوائد. كانت علاقتها مع أخت زوجها «العصبية بشكل مخيف» متوترة دائماً، وأعطاها هذا الميراث ما يكفي من المال لتعيش بمفردها.[1] وكانت (روزالي) التي قد شهدت مؤخراً وفاة آخر أفراد عائلتها ذوي الرحم تعيش وحدها مع أنها اتخذت خادمة[2] (لاحقاً سوف تتشارك الغرفة مع أختها ـ غير الشقيقة ـ فريدريكا دايشل). وبما أن النشاطات الدينية كانت عزيزة دائماً على قلبها، فقد وجدت مأوى بجوار كنيسة (سانت وينسيسلاس) وشاركت هناك في الأنشطة الكنسية بحماسةٍ وسخاء، حيث أن اسمها المكتوب على قماش المذبح كان لا يزال مرئياً في تلك الكنيسة حتى أواخر الستينيات.[3]

في تلك الأثناء وجدت (فرانسيسكا) شقةً مع حديقةٍ وأرجوحة في طرف البلدة بجانب الـ(مارين جيت)[4] واستقرت هناك مع الأطفال وعاشت العائلة البيولوجية بشكلٍ مستقلٍ أخيراً، متحررةً من أشراف عشيرة (نيتشه). هذا لا يعني أن أهل (نيتشه) لم يكونوا موجودين بشكلٍ مستمر، لأن (روزالي) أقامت على مقربة كما فعلت الأختان ـ غير الشقيقتين ـ لـ(لودفيغ) (فريدريكا نيتشه دايشل ولينا نيتشه). ومن ناحيةٍ أخرى كان (فريدريك) لا يزال

---

(1) إن الفوائد سوف تذهب للأطفال بمجرد بلوغهم السن القانوني وليس لـ(فرانسيسكا). انظر :Goch 1994 379, n.272

. انظر أيضاً Oehler 1940: 69 - 70. بالنسبة لمصادر الدخل الأخرى بما في ذلك الأشياء المستعملة والمعاشات من الأميرتين، جائزة لمرة واحدة من صندوق كاتدرائية نامبورغ، إعادة حساب معاش الأرملة (فرانسيسكا)، وإيجار الغرف في منزلها، انظر

Goch 2000: 293, n.51. Oehler 1940, n. 1. Nad Goch 1994: 208 - 209, 378 - 379, n. 272
لا يحتاج أطفالها إلى مثل هذه الأعمال الخيرية بل يرثون رأس المال والفائدة وبالإضافة إلى ذلك تلقت (إليزابيث) الوصايا من (أوغست) و(روزالي). Goch 1994: 379, n. 272

(2) انظر رسالة من (فرانسيسكا) في Oehler 1940: 66

(3) Bohley 1989: 389 أنظر أيضاً KGB III - 4: 31 مذكور في Pernet 1989: 117, n. 11, 118, n. 17

(4) تم هدم هذا المبنى خلال القرن التاسع عشر. Schmidt 1991 - 1994 II: 898 وفي تلك الأثناء رأى (فريدريك) الشقة الجديدة قبل انتقال العائلة لها ووصفها برسالة مؤرخة 27 أبريل عام 1856 أي أكثر بقليل من ثلاثة أسابيع بعد موت (إردموث). يجب أن يكون قرار شراء شقة جديدة قد حدث بسرعة كبيرة. KSAB I: 6

تحت وصاية (برنارد دايشل) ـ ابن زوج فريدريكا ـ الذي تولى القرارات النهائية في الشؤون المالية.[1] لكن (فرانسيسكا) كانت من عائلة (أولر) وبمجرد أن أصبحت لديها مساحة كافية قامت بدعوة أخوتها وأخواتها وأخيراً أمها للبقاء في منزلها في وقت واحد لمدة أسابيع. وبما أن عشيرة (نيتشه) كبار في السن فإن أفراد عائلة (أولر) الشباب سوف يؤثرون على العائلة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت عائلة (فرانسيسكا) وليست عائلة المتوفى (لودفيغ)، والتي سيكون لها دور أكبر في تنشئة الأطفال.[2]

2

كان الطفلان يشعران بسعادةٍ وابتهاجٍ بالغين في المنزل الجديد وخصوصاً الإستمتاع بضوء الشمس وكان هناك أيضاً الحديقة حيث يمكنهما اللعب، حيث ذكرت (فورستر ـ نيتشه) لاحقاً «أقمنا أنا و(فريتز) فيها من الصباح حتى الليل، سابحين في أرجوحتنا وصولاً إلى قمم الأشجار وقمنا بأروع الألعاب وأكلنا وشربنا وتعلمنا دروسنا تحت الأغصان المظللة».[3]

ذكر (فريدريك) أيضاً الحديقة بتأثر مستذكراً ظلالها وأشجار الفاكهة والمنظر من نافذته[4] ولربما كان يستمتع كثيراً. انخفض نتاجه الشعري كثيراً في العام التالي حيث كانت مجموعة القصائد عن والدته في فبراير 1857 ضعيفةً من حيث الجودة وغير متقنة الصقل نسبةً للقصائد التي قدمها عامي 1856 و1858، وبصرف النظر عن «ألفونسو» (العمل الذي نوقش في الفصل السابق) فقد كتب عدداً قليلاً من الأمور المهمة حتى عام 1858 عندما قام بالتعويض عن الثغرات.[5]

لعل الندرة النسبية للشعر عام 1857 عكست أكثر الإلحاح على المتطلبات المدرسية. وكانت هذه السنة الثانية لـ(فريدريك) في كاتدرائية (جمنازيوم) حيث كانت المعايير أعلى بوضوح من تلك في معهد (فيبر)، وكما سبق ذكره فقد كتب أنه لم يكن ينام أكثر من خمس أو ست ساعاتٍ ليلاً في ذلك الوقت، ويبدو أن ساعات الدراسة المسائية قد أثرت به فقد عانى من صداعٍ خطير في الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره، وعلى ما يبدو فإنه خلال

(1) بالنسبة لـ(دايشل) كوصي أنظر الفصل 2، القسم 2.

(2) بعد موت (فريدريكا دايشل) عام 1873 يبدو أن عائلة (نيتشه) تختفي من حياة (فرانسيسكا) وطفليها.

(3) Förster - Nietzsche 1912: 61

(4) KGW I - 1: 301 - 302

(5) يقدم (Schmidt) ملخصاً مفيداً للقضايا والتفسيرات المحتملة. Schmidt 1991 - 1994 II 770 - 746:

هذا الوقت قد تغيب عدداً من الأيام عن صفوفه بسبب المرض. مجتهدٌ دائماً، فقد روى أنه عندما كان متغيباً عن المدرسة بسبب الصداع أمضى وقته في كتابة رواية بعنوان «الموت والفساد».[1]

قد يكون (نيتشه) كتب شعراً أقل عام 1857 لأنه كان العام الذي بدأ فيه تأليف الموسيقا بشكل جدي حيث كان الصبي سابقاً قد تلقى دروساً في البيانو (من الصعب تحديد التاريخ) ولكنه ربما كان صغيراً جداً ليستفيد من ذلك حينها، ويبدو أن الدروس لم تثر اهتمامه كثيراً ولم تستمر. وقال في عام 1854[2] إنه قد ألهم من قبل أداء الكنيسة من جوقة «هللويا» من (هاندل) «المسيح» وربما مهارة (غوستاف) المتنامية على الكمان ومن هنا تبنى (فريدريك) الموسيقى بحماس.

شجعت (فرانسيسكا) هذا وعلى الرغم من أنها قد تعلمت العزف على البيانو عندما كانت طفلة[3] فقد أخذت دروساً عن قائد الفرقة الموسيقية في الكنيسة ونقلت ما تعلمته إلى الصبي،[4] وعندما انتقلت إلى المنزل الجديد قرب الـ(مارين جيت) اشترت بيانو جديداً (البيانو الأقدم تم اعطاؤه لـ(روزالي)) وتم تدريس ابنها على يد «أفضل معلم في نامبورغ» وكان المعلم امرأة لم يأت ذكر اسمها أبداً.[5] بدا عند هذه المرحلة أن اهتمامات وقدرات (فريدريك) نضجت على نحو متماسك وبدأ يحرز تقدماً مؤكداً[6] ورغم ذلك يبدو أنه كان قليل الصبر مع دروسه وحاول تعليم نفسه مع نتائج مشكوكٍ فيها. وجد معلم الموسيقا في كاتدرائية (جمنازيوم) أن طموحه الموسيقي ثوري وأفاد «إنه مؤلف دؤوب، لكنه أيضاً مختال ومغرور بشدة».[7] ومع ذلك كان (فريدريك) ذا مهارة كافية ليعزف سوناتات (هايدن)

(1) KGW I - 1: 309 - 310 الوثيقة قد اختفت.

(2) التاريخ معطى من قبل (فيلهلم بيندر Wilhelm Pinder) في اقتباس مقتطف منFörster - 71 Nietzsche 1895: I,
أنظر أيضاً Pernet 1989: 62

(3) Oehler 1940: 12 - 13

(4) Franziska Nietzsche 1994: 35 - 36

(5) للحصول على قصة بدايات (نيتشه) الموسيقية انظر KGW I - 3: 191 - 192; Franziska 36 - 35 Nietzsche 1994:

(6) KGW I - 2: 262

(7) Pernet 1989: 63 لا يقدم (بيرنيت Pernet) أي دليل توثيقي لهذا الإقتباس لكنه يذكر أنه حصل عليه مباشرة (من المحتمل بصورة شخصية) من (رينر بولي Reiner Bohley). Pernet 1989: 133, n. 104

(المؤلفة لتعزف بأربعة أيادٍ) برفقة والدته لعائلة (ليبسيوس)،[1] وبدأ بالتأليف صانعاً قطعاً موسيقية متعاقبة، بعضها بعناوين كبيرة كالـ«سوناتا» وبعضها ذكر فقط بإيقاعه («ميستوسو أداجيو Maestoso adagio»، «أليغرو كون بريو Allegro con brio»).[2] ومن اللافت للنظر كما هو الحال مع الشعر، فإن الصبي ما إن أغرم بميدان ما حتى حاول أن يشارك فيه بنفسه وهو نهجٌ فعال ربما دعاه لتقدير بعض الفنون على الفور أكثر من المشاهد.[3] قد تؤدي هذه التجارب إلى التهور وعموماً إنه خطرٌ سيصبح الصبي مدركاً له بنفسه.[4]

ظهر التوتر حول مستقبل (فريدريك) التعليمي منذ عامه العاشر حتى نهاية عامه الثالث عشر، وكما ذكر سابقاً يبدو أن انتقاله من معهد (فيبر) أدى إلى أزمة تعليمية في منزل (نيتشه).[5] حيث أن جده وإخوة (فرانسيسكا) و(إردموث) نفسها (التي كانت لا تزال على قيد الحياة في ذلك الوقت) تجادلوا بأنه ينبغي نقل الصبي إلى مدرسة للأيتام في مدينة (هاله) حيث سيحصل على منحة تعليمية ويعطى التعليم الديني المتين المناسب لقس في المستقبل. ويمكن للمرء الإعتقاد بأن (فرانسيسكا) التقية قد اغتنمت هذه الفرصة لوضع ابنها في معهد مفرط في التقوى (بايتست). وبدلاً عن ذلك، فجأة وعلى ما يبدو للمرة الأولى في حياتها اتخذت موقفاً شخصياً في وجه السلطة الموحدة (والدها، إخوتها، وحتى إردموث) ورفضت الإنفصال عن ابنها في سنه المبكرة وهي العاشرة ووقفت على وجه الخصوص

(1) Franziska Nietzsche 1994: 36

(2) Janz 1976: 324.. يقول (جانز Janz) إن أولى مؤلفات (نيتشه) الباقية تعود بشكل مبدئي إلى عام 1854، العام الذي انبهر به بـ(هاندل) «المسيح». عموماً إن أول إنتاج مؤكد للموسيقى حدث عام 1857 وخاصة 1858. أنظر Goch 1994: 177 - 178

(3) لم يكن الصبي بدون نماذج، قام كل من (غوستاف Gustav) ووالده بالتأليف، وفي مناسبة واحدة على الأقل عندما كان بسن العاشرة سمع (فريدريك) رباعية وترية لـ(كروغ Krug) الأكبر عزفت في حفل. KGB I - 4: 37 - 38

(4) هذا الاهتمام سوف يشغل (نيتشه) كثيراً من سنواته المتوسطة في (شولبفورت) حتى فترة إقامته في (لايبزغ Leipzig). انظر الفصل 5، القسم 3.

(5) أنظر الفصل 2، القسم 2. حدثت هذه الأزمة بالتأكيد تقريباً في ربيع أو صيف عام 1855. وهذا يتفق مع ادعاء (فرانسيسكا) أن ابنها كان بعمر العاشرة. Goch 1994: 186. يتوافق هذا التاريخ أيضاً مع ادعاءات ابنها بأنه حوالي هذه الفترة قد كتب أولى قصائده.

KGW I - 1: 291 ومن الجدير بالملاحظة أنه في اكتوبر ذلك العام دخل كاتدرائية (جمنازيوم). ويفترض أنه في حال لم تنتصر (فرانسيسكا) فإنه لن يدخل هذه المدرسة على الإطلاق لكنه سيرتاد المدرسة في (هاله Halle) منذ البداية.

في وجه والدها الذي قام بترتيبٍ مع مدير المدرسة الذي سيخبر العائلة بمجرد الافتتاح. وبعد عقود من الزمن وقبل وفاتها بقليل مازالت (فرانسيسكا) تتذكر تصميمها بشأن هذه القضية وكيف أكدت لـ(دافيد أولر) أنه يمكن لـ(فريتز) أن يذهب في النهاية إلى (بفورتا) على أساس منحة دراسية.[1] ولأسباب غير واضحة ولكنها تنطوي على المال بالتأكيد، كانت المنح الدراسية قضية دائماً وأيضاً لم تتخيل (فرانسيسكا) بقاء (فريدريك) في كاتدرائية (جمنازيوم).[2] وبتحفيزها الخاص ولكن ربما بمساعدة (إردموث)[3] بدأت البحث للحصول على منحة دراسية في (شولبفورت) وهي مدرسة داخلية قريبة تمتاز عن المدرسة في (هاله) بكونها تبعد فقط خمسة كيلومترات ـ نزهة جيدة ـ عن (نامبورغ)، وفي حال درس ابنها هناك فإن (فرانسيسكا) تستطيع زيارته بانتظام، وكان لـ(شولبفورت) سمعة أكاديمية ممتازة حيث كان من طلابها السابقين كل من (فيشت) و(رانك) والأخوة (شليغل) ومن (نامبورغ) عالم الآثار (ريتشارد ليبسيوس). ومنذ أن قدمت المدرسة خمس منحٍ دراسية لأولاد (نامبورغ)[4] وبما أن (إردموث) كانت صديقة مقربة لزوجات والد (ليبسيوس)، فإن (فرانسيسكا) كانت في وضع جيد يمكنها من الضغط على (فريدريك) لتلقي واحدة من المنح.[5] ومن الممكن أيضاً أن (فرانسيسكا) صنعت صداقة مع زوجة (روبرت بودنزيغ) وهو معلم في (شولبفورت) كان يعرفه (لودفيغ)[6] والذي أصبح لاحقاً المعلم الخاص لـ(فريدريك)، إذاً فإنه بالتأكيد بإمكان (فراو بودنزيغFrau Buddensieg) أن تقدم تكتيكات ومعلومات مفيدة. وبالنسبة لملائمة الصبي للمنحة فإن درجاته لم تكن استثنائية ولكن (شولبفورت) أو (بفورتا) «كما عرفت في كثير من الأحيان»[7] كانت مكرسة لتعليم أطفال الموظفين المدنيين البروسيين المتوفين.[8]

---

(1) انظر Franziska Nietzsche 1994: 38 - 39

(2) Hödl 2009: 133, n. 331، تشير إلى أن (فرانسيسكا) دفعت رسوم حضور (فريدريك) في كاتدرائية (جمنازيوم).

(3) Goch 1994: 186

(4) للحصول على عدد المنح الدراسية انظر Bohley 2007: 68 الذي يستشهد بتاريخ (كارل كيرشنر Karl Kirchner)، رئيس المدرسة الذي سبق (كارل بيتر Karl Peter).

(5) كان تأثير عائلة (ليبسيوس Lepsius) كبيراً وكان (كارل بيتر ليبسيوس Carl Peter Lepsius) وهو والد (ريشارد Richard) وزوج أصدقاء (إردموث) ذا قوة كبيرة في (شولبفورت) وأشرف على امتحانات المدرسة النهائية. Ebers 1969: 9

(6) Pernet 1989: 116 - 117, n. 119

(7) للإطلاع على الأسماء المختلفة لهذه المدرسة انظر الفصل 5، ص 132 الحاشية (3).

(8) Brobjer 2001b: 325

وبهذا الصدد فإن (فريدريك) مؤهل كثيراً، فقد توفي والده في خدمة الملك. وكان عليه أولاً أن يثبت كفاءته من خلال فحص أولي، ورتبت له (فرانسيسكا) ليقضي عطلته الصيفية عام 1857 في أخذ دروس مخصصة لتدريب الطلاب للقبول في (شولبفورت)، وقد أعطيت هذه الدروس من قبل (غوستاف أدولف أوسوالد Gustav Adolf Osswald) وهو صديق للقس المتوفى (نيتشه) وخلال هذه الدورات التدريبية التقى (فريدريك) بـ(غويدو ماير Guido Meyer) للمرة الأولى، وهو شاب جذاب سوف يلعب دوراً حاسماً خلال فترة مراهقته.[1]

لاحقاً سوف تصف (فورستر ـ نيتشه) قبول أخيها في (شولبفورت) بأنه غير متوقع وأنه بمبادرة من (شولبفورت) نفسها.[2]

بالنسبة لها فإن إدارة المدرسة علمت عن طالب نموذجي في المنطقة، وقدمت منحة دراسية من أجل ضمه لمؤسستهم الخاصة، وقد يكون هذا الرأي مفهوماً لشقيقة محبة ذات اثني عشر عاماً في ذلك الوقت ولديها معرفة ضئيلة بالحقائق، ومما ساعد أنها تريد لاحقاً لوالدتها أن تحصل على أقل قدر ممكن من الفضل في قصة ابنها.[3]

إن الأثر المحزن هو أن العديد من كتاب السيرة الذاتية قد قبلوا تفسيرها واعتمدوه على أنه حقيقة.[4] وعلى العكس من ذلك وكما رأينا للتو، فإن (فرانسيسكا) كانت تفكر في (شولبفورت) منذ عام 1855[5] عندما كان (فريدريك) لا يزال في العاشرة ولم تعارض البدائل فقط بل ناورت بوضوح لوضعه هناك. (هي أيضاً رتبت له أن يأخذ الدروس التحضيرية المذكورة سابقاً)، وكما قال (راينر بولي) بصراحة «ذهب نيتشه إلى (شولبفورت) بمساعدة أمه»[6]، وعلى أي حال فإنه لم يكن هناك أي نقص في الطلاب المتميزين لدى (شولبفورت)

---

(1) كشف (ماير Meyer) بذاته عن هذا في رسالة إلى (ديوسن Deussen) مؤرخة 3 فبراير 1902. وردت في Hödl 2009: 135 - 136. ولمزيد عن (ماير Meyer) انظر الفصل 7، القسم 5.

(2) Förster - Nietzsche 1895: I 89 - 90; Förster - Nietzsche 1912: 66 - 68

(3) عندما وصف (غويدو ماير Guido Meyer) الدروس التحضيرية الصيفية التي شاركها مع (فريدريك) أشار إلى أن أخته كانت تعرف الحقائق وكانت تخفي ذلك عمداً. Hödl 2009: 136

(4) Hayman 1980: 27; Young 2010: 21

(5) ينوه (Schmidt) إلى إدخالات في مذكراتها عامي 1855 و1856 والتي تشير أن المستشارين المحليين ذوي الخبرة (كلاهما شتايغيتين Stadträtin) أوصيا بـ(بفورتا). أشار أحدهما أنه يبغي عليها أن تستفسر عن المنح الدراسية. Schmidt 1991 - 1994 II: 225, 249, n. 185 ومن المثير أيضاً أن رسالة من ابنة (باستور أسوالد Pastor Osswald) تدعى (سيلما Selma) قد كتبت في وقت مبكر من عام 1852 تفترض أن الولد في النهاية سيدخل (شولبفورت). KGB I - 1: 308.

(6) Bohley 1987: 194

وإذا كان (فريدريك) قد لفت انتباههم فلن يكون ذلك بسبب مهاراته الدراسية التي كانت عادية ولكن بسبب أنه كان بلا والدٍ يغطي تكاليفه، فلقد توفي الرجل في خدمة دولة (بروسيا).[1] (لن يضر أن عدداً من عائلات بارزة كـ(ليبسيوس) و(بيندرس) و(كروغس) ربما اقترحته في المقام الأول وقامت بتزكيته بعد ذلك). وبناءً على ذلك ففي ربيع عام 1857 أجرى مفتشون من (شولبفورت) مقابلة مع الصبي، وكما تم ذكره فإنه قد حضر خلال الصيف الدروس التحضيرية التي أعطاها (غوستاف أدولف أوسوالد) بالقرب من (كيرخشيدونجن)، وجرى كل شيء على ما يرام، وحصل على المنحة في بداية العام الدراسي في أكتوبر 1857 أي بعد فترة وجيزة من إنهاء الدروس.

في الواقع كان على عائلة (نيتشه) الانتظار حتى تصبح واحدة من المنح المخصصة لـ(نامبورغ) متاحة إما بتخرج أحدهم أو تركه للمدرسة لسبب ما.[2] وعلى ما يبدو أن هذا لم يحدث حتى أكتوبر عام 1858.[3] ولمدة عام كامل تم تعليق الصبي في جهنم الأكاديمية، وهو عدم الاستقرار الذي كان يسبب قلقاً شديداً لـ(فريدريك).[4]

3

في حال كان في سجل (فريدريك) عددٌ قليل من القصائد عام 1857 فقد كتب عام 1858 عدداً يفوق السنتين السابقتين مجتمعتين. حيث كانت القصائد بمستوى جديد من حيث الجودة وتحوي الأشكال الأولى لتلك السخرية التي غالباً ما ارتبطت بـ(نيتشه) في وقت لاحق. في إحدى قصائده يتخيل (نيتشه) نفسه ممتطياً (الهيبوجريف) [مخلوق أسطوري بجزء أمامي لنسر وخلفي لحصان أو أسد] ويبحر عبر السماوات بشكل مهيب «احملني على أجنحة إلهية» ويوجه لاكتشاف ما يصدر عن هذا السحر: «آه! جلست على التل الصغير / وكان الحصان المقدس خفاشاً».[5]

---

(1) Brobjer 2001b: 325

(2) Schmidt 1991 - 1994 III: 218، يشير إلى أن هذا لم يحدث قبل عيد الفصح عام 1858.

(3) أخذ (نيتشه) المكان الذي أخلاه (ريتشارد واشموث Richard Wachsmuth). Schmidt 2001: 77

(4) ضمّن (فريدريك) مناجاة إلى (شولبفورت) في مجموعة القصائد التي قدمها لوالدته في 2 فبراير من عام 1858 في عيد ميلادها.

KGW I - 1: 221 - 222. ربما لم يكن هذا موضوعاً عفوياً ولكن عبر عن اهتمامه بالمدرسة التي كان يعلم أنه سوف يرتادها في النهاية.

(5) KGW I - I: 214

في هذه الحالة يتم استثمار تغير الأسلوب لأسباب فكاهية تهكمية، ولكن القارئ الواعي سوف يقترب من القصائد المكتوبة في ذلك العام بحذر، وبعضها يتعارض أسلوبه مع معناه، وقد لا يقول الصبي ما يعنيه مباشرة بشكل دائم. وكمثالٍ على ذلك فهو يقدم والدته بقصيدة تصف عاصفة يفر منها سكان البلدة.[1] «الرحمة!» «الرحمة!» بينما يبكون، وعلى نفس الصعيد تصور القطعة بوضوحٍ قدرة الرب. إلا أن (نيتشه) نفسه يبتهج بالعواصف. ووصف هؤلاء الناس المذعورين يفرون مفزوعين من ظاهرة، استمتع هو شخصياً بها، يبدو أنه استهزاء بصورة مريبة.[2] ففي حال كان التناقض في المواقف يميز أثر العديد من هذه القصائد، فهو تناقضٌ يوحي بتعقيدٍ داخل الشاعر. وفي قطعة أخرى (2 فبراير 1858) مهداة إلى والدته في عيد ميلادها، يكرر (فريدريك) موضوعاً محبباً آخر وهو سفينة على سطح البحر. هنا وكما هو من المناسب في قطعةٍ مقدمةٍ إلى أمه المتدينة يمضي بشكل مجازي لينسجم مع مكونات الرحلة البحرية واحداً تلو الآخر لمختلف عناصر العقيدة المسيحية.

أغنية الربّان

العالم مثل البحر

الإنسان مثل السفينة

لكن الذي يجلس على الدفة

ويوجه رحلة المركب

هو الضمير الجيد

يحمله الإنسان في صدره

لنشعر ونعرف

ما هو خاطئ وما هو أفضل

الرياح التي تندفع في الأشرعة

وعبر قمم الصواري تضرب

هذه هي إرادة الرب

---

(1) KGW I - I: 220 - 221

(2) للحديث عن عجب (فريدريك) بالعواصف، انظر الفصل 3، القسم 3.

كل الكائنات تمر عبرها

سفينة غير مجهزة بالصوراي

وغير مزودة بالأشرعة

ستجد نفسها مدفوعة هنا وهناك

ومترنحة فوق البحر الجامح

وسرعان ما ستتكسر إلى أجزاء

في مواجهة قوة المنحدر الكئيب

وبسرعة تغرق داخل البحر

في ليلةٍ أبديةٍ مظلمة

ولكن احترس، يبدو أن هناك

جزيرة باتجاه رؤيتك

قد تظن أنها جميلة جداً

يمكن أن يترتب على ذلك السعادة

لكن هذا سرابٌ كاذب

خيال عقلك

حاول الوصول إليه

الجزيرة التي لن تجدها أبداً

حاول ألا تبتعد عن المسار

ولا عن الهدف الذي تشرد به

وإلا سوف تحيط بك المخاطر

وستضيع طريقك

يجب أن يكون لديك وجهة

انحرف وسوف تصبح

مدفوعاً للأمام بالأمواج

إلى أن تغرق في البحر
ولكن إذا كنت ترسو في ميناء
الميناء الذي أدرت نحوه الدفة
عندها ستجد السكينة
وتكون السعادة لك دائماً.[1]

تجري هذه القصيدة على مستويات متعددة ليست كلها متناسقة بشكلٍ نغمي، وإن مواعظها الصالحة والتي ربما أفرحت قلب (فرانسيسكا) تقبع مشوشة مع سلاسة استعاراتها، كالسفينة ورجل الدفة وحبال الأشرعة والرياح والميناء والجزيرة، حيث أنها كلها غاضبة وكل منها يجد ارتباطاً مناسباً في العقيدة المسيحية. إن الأوامر والتحذير المستمرين ـ «ولكن احترس»، «يجب ألا تنحرف» ـ تبدو كذلك مبالغاً فيها، كما لو أن هذا الصبي الذي على أعتاب البلوغ كان يسخر بصمتٍ من أمه الواعية. كذلك يبدو المقطع الشعري الأخير جامداً فنياً ومخيباً للآمال ولا يمكن للمرء أن يعتقد أن السلام والسكينة منشودان بحماسة من قبل صبيٍ استمتع بوضوحٍ بمشهد السفن الغارقة. وفي الوقت ذاته يجب على القصيدة أن تكون معنية بصدق بموضوعها الأساسي، وهو أن المرء يجب أن يسير عبر الحياة بتصميم وعبر الميادين بعزيمة وبإحساس الحزم، وهي الأمور التي كان (فيلهلم) قد لاحظها في صديقه. إن الفيلسوف المستقبلي الذي كتب بعد عقود من الزمن «صيغة لسعادتي: موافقة، رفض، خط مستقيم، هدف»[2] هو دليلٌ كافٍ هنا، ولا يمكن بأي حالٍ من الأحوال نبذ القصيدة على أنها مخادعة.[3]

ونظراً للاطمئنان برواج «أغنية الربان»، تجدر الإشارة إلى أن (فريدريك) كتب قطعة أخرى ذات صلةٍ بالبحر عام 1858 مختلفة جذرياً في الشكل والطريقة عن العمل السابق. في أواخر ربيع أو صيف 1858 ألف الصبي قصيدةً منظومةً بشكل معقدٍ بثمانيات خماسية التفاعيل بعنوان «كولومبو».[4] ويعنى فيها المستكشف الشهير بمونولوج عدم جدوى طريقه حتى الآن وما إذا كان قد فشل، ففي البداية يبدو أن (كولومبوس) على حافة اليأس فقد سافر لعدة أيامٍ بدون جدوى وكانت شمس صباحٍ آخر تشرق فيتوقع المزيد من خيبة الأمل والوقت ينفذ

---

(1) KGW I - I: 224 - 225

(2) TI Arrows and Epigrams, 44 ترجمة: (جوديث نورمان Judith Norman)

(3) هذه المعالجة للقصيدة هي إلى حد كبير عرض لنقاط قدمها Schmidt 1991 - 1994 I: 324 - 342

(4) KGW I - 1: 273 - 274

وتخبو شجاعته، وفي المقطع الشعري الثالث والأخير، يبصر الطيور التي تجلب معها البشرى باليابسة ويثير شغف نفسه باستبصار أن النجاح قريب والروح هي كل ما يحتاجه، وتنتهي القصيدة بعتاب «الشجاعة وحدها، فقط الشجاعة» الذي يبدو مثيراً كفاية لكنه مشروط بتأثير السطور السابقة.

إن الرسم المنظوم المتقن لـ«كولومبو» جوهري لمعناه، ويجعل القصيدة صعبة الترجمة. وفي وقت سابق من ذلك العام كان (فريدريك) قد كتب قصيدة بعنوان «قبرتان» والتي تفسح نفسها لنسخة بالإنجليزية عبر دافعها المجازي والقصصي. وحيث أنها ليست معقدة جداً في الطريقة مثل «كولومبوس» فإن «قبرتان» تعبر بالتأكيد عن التناقض عدا عن ذكر القوة الشعرية الخالصة، وهي تبرهن على تقدير الصبي المتزايد لمدى وتعقيد التجربة البشرية.

قبّرتان

أصغيت إلى قبرتين تغردان
غردتا ببهاءٍ وصفاء
وحلقتا بمسار مقوس سعيد
في هواء السماء المبهجة

توجهت إحداهما قريباً نحو الشمس
ولكنها أعميت وانكمشت خائفة
ولكن غالباً ما فكرت في عجب
بهذه البهجة الماضية

لأنها لم تجرؤ على المحاولة ثانية
أن تحلق تجاه ذلك الشعاع
خشيت أن ملاحقتها
ستؤدي في النهاية إلى الألم

الأخرى، توجهت بشجاعة
اندفعت مباشرة نحو الشمس
ولكنها أغمضت عينيها مذعورة
بمسارٍ غير مجرب قد بدأ

لم تستطع المقاومة بأي طريقة
شعرت برغبة لا يمكن قهرها
لرؤية الشعاع السماوي
وغافلةً عن العناية بنفسها

نظرت إلى الشمس المتدفقة
دون بكاء من أي نوع
بعجب وفرح سماويين
حتى عميت عيناها في النهاية.[1]

يمكن للمرء أن يتباحث مطولاً حول رمزية هذه القصيدة، فيما إذا كانت الشمس تمثل المعرفة المحرمة، الرؤية الفلسفية، أو كما ناقش أحد الباحثين أنها الخطر على عيون الصبي بسبب القراءة المفرطة.[2] ومع ذلك فإن مهارة الشعر وكثافة خياله ظاهران بشكلٍ واضح. إن التناقض والدافع القصصي وبيان الالتزام الوجدي المشروطين بالمراعاة المتزنة للمضمون، كل ذلك يكشف قدراً كبيراً حول المراهق الناشئ الذي ألّفها. كان (فريدريك نيتشه) قد بدأ في إتيان قوته وفي التفكر أين يتوجه.

4

وجد (فريدريك) بوضوحٍ أن عام 1858 هو عامٌ انتقالي. بدايةً كان يتطور شعرياً منتقلاً من السلس في حال كان مكتوباً بمهارة «أغنية الربان»، إلى القصائد الموزونة والمعقدة

(1) KGW I - 1: 259 - 260. في ختام القصيدة وبعد النقطة يظهر التعاقب التالي من المحارف: « - ؟؟!!»
(2) Schmidt 1991 - 1994 I: 350 - 351. لتأويلات أخرى:
Schmidt 1991 - 1994 II: 623, 663 - 671, 674 - 675, 990 - 1000

أكثر، وخاصةً سلسلة من المونولوجات («كولومبو» مثال واحد) على الأرجح مكتوبة قرب بداية الصيف. ومن ناحيةٍ أخرى فقد كان يدخل سن المراهقة وهو التحول الذي يمكن أن يكون مربكاً، وساهمت والدته في عدم الاستقرار، ففي أواخر الصيف أو أوائل الخريف قررت الإنتقال مجدداً، وهذه المرة استأجرت في الطابق العلوي لمسكن في شارع (وينغارتن Weingarten) في الجانب الجنوبي الشرقي للبلدة في حين لم يبد (فريدريك) أو أخته رأيهما وقد أثبت التغيير في المنازل اضطراباً آخر في حياتهم المتنقلة في ذلك الحين.

سيخسرون حديقتهم المحببة والحقيقة أنه كثيراً ما لم يذكر هذا التنقل وخصوصاً من قبل (فورستر ـ نيتشه) الإيجابية عادةً التي تشير إلى أنه ليس لديهما أي شيء جيد ليقولاه بخصوصه. في تلك الأثناء فإن الإحتمال الذي يلوح في الأفق بأن (فريدريك) سوف يحصل على منحة دراسية إلى (شولبفورت) ويقتلع من (نامبورغ) كلياً يجب أن يضاف إلى شعور التنقل ويسبب الإحساس بعدم الاستقرار. لقد بدأ عام 1858 بقصيدة مطلعها «تتسارع الأعوام على أجنحة الزمن العظيمة/ لذا أتى هذا العام أيضاً إلى نهايته».[1] وفي مطلع قصيدةٍ أخرى «وا أسفاه، لقد مضى كل وقتي...»[2] وأخرى «أحم، أيها الرب، دياري/ أيجب الآن أن أغادركم أيضاً؟»[3]، من الواضح أن الصبي قد عرف أن الحاضر كان زائلًا حتى أن بعض قصائده عن الفصول بدأت بسمةٍ رثائية بينما سلّم أن الفصل السابق لم يعد موجوداً: «يحلّ الشتاء الآن، لقد غادر الخريف...»[4] «لقد وصل الخريف/ غادرت الطيور الصغيرة...»[5].

لو كان في عام 1858 مدركاً تماماً للتنقل لبدأ بتحريض الحاضر الزائل ضد الاستقرار النسبي للماضي المعروف. في وقت مبكر من فبراير، في الثاني منه كتب «إلى أين؟» وهي واحدةٌ من أروع قصائده الغنائية حول موضوع ضريح والده، وهو موضوعٌ سوف يبرز بشكلٍ متكرر في السنوات المقبلة. وكما لو كان مطارداً من قبل فقدانٍ وشيك للديار، في تكرار لصدمة إخراجه من (روكن)، لم يعبر الصبي فقط عن القلق إزاء طبيعة الزمن الزائلة ولكنه مراراً ما عاد إلى الوراء باتجاه قبر والده كعلامةٍ ثابتة ونقطةٍ للإصلاح يمكن منها رسم التطورات اللاحقة. من غير المحتمل أنه كانت لديه العديد من الذكريات الواعية لأيامه الأولى

(1) KGW I - 1: 211
(2) KGW I - 1: 271
(3) KGW I - 1: 249
(4) KGW I - 1: 216
(5) KGW I - 1, 249

في (روكن) ولكن خلال زياراته المتكررة لجديه في (بوبلز)، كان قد زار القرية التي أنجبته لمجرد جولةٍ بالعربة، وبهذا تم الإحتفاظ بإحساس بداياته هناك جديداً. إذاً خلال تغيرات عام 1858 (ومع احتمال المغادرة القريبة لـ نامبورغ) قاده قلقه للتنقل إلى تذكر ما يجب أن يكون بالنسبة له خسارةً أساسية وهو مغادرة قريةٍ صغيرة حيث كان قد عاش أبوه، وحيث أمضى هو أيامه الأولى.

انتهت هذه المرحلة غير المستقرة في خريف عام 1858 عندما تم إعطاؤه منحة (شولبفورت) الدراسية رسمياً، ومن المرجح أن كلاً من (فرانسيسكا) وابنها كانا غير متفاجئين لأنهما كانا يعلمان أن ذلك سيتم عندما تصبح إحدى المنح الدراسية متاحة، وخاصة إذا تم هذا عن طريق حدث متوقع جداً كتخرج شاغل المنحة السابق. مع أن معظم البشر يختبرون مشاعر غير متوقعة عندما يصبح سيناريو متوخى طويلاً حقيقةً واقعة، ويجب على المرء أن يفترض أن عائلة (نيتشه) لم تكن استثناءً. سوف يدرك (فريدريك) أن اللحظة التي توقعها طوال السنة قد حانت: كان على وشك الانفصال عن المدينة والعائلة والأصدقاء المحببين ويبدو أنه وضع قصيدة على الفور مطلعها «وداعاً، وداعاً، موطني».[1] وبالنسبة لـ(فرانسيسكا) كان هذا هو المنعطف الذي كانت ترهبه منذ تخرج ابنها من معهد (فيبر). في حين عملت بجد لضمان هذا الحدث، فإن منزلها سيكون الآن أنقص بطفل واحد، ومما لا شك فيه أنها قد حزنت.

ويبدو أن (إليزابيث) كانت صاحبة التأثر العاطفي الأكبر جهارةً. وصلت الأخبار بينما كانت تزور مزرعة جدها، ووفقاً لقصتها فقد وجدت مكاناً منعزلاً وانفجرت بالنحيب ومرضت كفاية اليوم.[2]

وكبقية قصصها يجب اعتبار هذه القصة مشكوكاً بها. ومع ذلك وكقارئٍ مندفع، وبسبب جنسها الذي لن يتيح لها نفس الفرص التعليمية، وكطفلة وحيدة كان رفيقها المستقر الأوحد هو أخوها (فريتز) فيجب أن تكون بالفعل قد حزنت. بينما استطاع (فريدريك) تعويض شكوكه بالآمال الجديدة واستطاعت (فرانسيسكا) مواساة نفسها بالارتياح أنها قد أكملت مهمتها، فإن (إليزابيث) قد منيت بخسارةٍ خالصة.

(1) KGW I - 1: 277

(2) Förster - Nietzsche 1895: 91 - 93; 1912: 70 - 71

5

كان خلال هذه المتاهة التي تسبق وصول منحته الدراسية أن (فريدريك) ألّف ما يمكن القول إنه تحفة سنين طفولته، وبالتأكيد العمل الأكثر اهتماماً بالنسبة لكاتب السيرة الذاتية. وكما سبق مناقشته يبدو أنه قد تعرض للإرهاق خلال سنته الأخيرة في (نامبورغ) بسبب تنقلات الحياة. وفي نهاية فصل الصيف ـ غالباً وبدون شك قبل حصوله على تأكيد المنحة الدراسية ـ أصبح جزءاً بشكل خاص من أن ماضيه كان يبتعد عنه بالفعل، «لقد تلاشى الكثير من ذاكرتي» وقد ندب «والقليل الذي أذكره تم الإحتفاظ به عن طريق العرف»(282).[1] ولذلك تصور مشروعاً لتسجيل كل ما يستطيع تذكره وفي أسبوعين أكمل مذكرات إقامته في (روكن) و(نامبورغ) مرسخاً بالكتابة ذكرياته المجمعة.

(311 ـ 281)

إن العمل طويل جداً ويُستهل بعنوانٍ جريءٍ لطفلٍ بعمر الثالثة عشرة (سوف لن يبلغ الرابعة عشر حتى أكتوبر):

من حياتي

للكاتب

(ف. ف. نيتشه)

1

أعوام الشباب

1858 ـ 1844

يبدو أن «ف. ف. نيتشه» اعتزم أن يكون في يومٍ من الأيام شخصيةً رائدة وكان هنا يحصد كتّاب سيرته الذاتية. وبعد إصدار هذا التصريح بأنه كان يستحق تدوين حياته، فقد عرض المؤلف الشاب في فقرته الأولى مقدمةً موجزة أسف فيها على تقلب الذاكرة خالصاً إلى «تطاير سيل السنوات من طرْفي كحلمٍ جامح»، وكإجراءٍ بائس ضد تدميرٍ كهذا أعلن أنه سيسجل ذكرياته كيف بقيت، وسيقوم بذلك بمرونةٍ كبيرة، بمعنى أنه سوف لن يكتب فقط ما تذكره، ولكن سيشكله إلى صورٍ مع ضوءٍ وظل، ولكنه قد يكون نسي التواريخ. «ومع

(1) كل اقتباسات «من حياتي From my life» موضوعة بين أقواس وتشير إلى صفحات في KGW I - 1

ذلك تبقى بعض الأمور مشرقةً وحيويةً في روحي ولسوف أحوّلها جنباً إلى جنب مع الأمور المظلمة والكئيبة إلى لوحات».

وبعد هذه المقدمة ينطلق عمل (فريدريك) وببساطة مع وصف (روكن) وقصة وفاة (لودفيغ) حيث قُدمتا بحساسية. (282 ـ 287) ثم يشرع في عرض أطول بكثير للأحداث في (نامبورغ) كأن يتذكر وصوله ويصف كل مدرسةٍ ارتادها ويخصص جولةً سياحيةً للبلدة ويتحدث بحماسة حول الأنشطة التي استمتع بها كالسباحة والتزلج واحتفالات عيد الميلاد ويشير إلى أحداثٍ عابرة مثل زيارة الملك إلى (نامبورغ) ورحلاتٍ خارج المدينة. وبالمقارنة مع القسم الافتتاحي عن (روكن) فإن عرض (نامبورغ) يبدو مبعثراً وغير مركز فقد كان (فريدريك) جديداً على الكتابة النثرية ويفتقر العمل إلى الحس الغريزي للشكل الذي أبرزه في قصائده.

هناك شخصيتان تتكرران خلال السرد القصصي وتساعدان على حبكه بالمجمل، وتشرح المقتطفات المتناثرة حول النص علاقته مع كل من (فيلهلم) و(غوستاف): شخصياتهم وكيف أصبح الثلاثة أصدقاء ونشاطات أباءهم والأعمال الفنية التي استمتعوا بها سوياً.

ومن ناحية أخرى يساعد وجودهم المثبت على جعل القصة المتقلقلة أكثر تماسكاً. ثانياً، يأخذ (فريدريك) تطوره الإبداعي بعين الاعتبار، فهو مسرورٌ بإنجازاته الموسيقية ويصف تقدمه في العزف على البيانو والتأليف ويكتب مطولاً عن الشعر ويشرح الصعوبات التي واجهته في محاولاته المبكرة ويظهر متطلبات القصيدة الجيدة.

ومع تقدم العمل فإن الشعور بخبرته المتنامية يساعد على خلق شعور الإستكشاف المؤكد، وبالتالي حياكة مواد العمل غير المتجانسة إلى مجموعٍ متماسك أكثر. وعلى سبيل المصادفة كما ذكر آنفاً فهو لا يشير إلا في الختام إلى أنه يخطط لدخول الوزارة، ولا يثبت أي اهتمام شخصي بالدين بغض النظر عما يمكن توقعه من صبي معاصر. وفي حال أشير إلى أي مهنة مستقبلية فهي في أحد المجالات الفنية أو الأدب أو الموسيقى.

أيضاً وكما ذكر فإن قصص الأصدقاء وأعمال المؤلف الفنية توفر استمرارية الصفحة، ويمتلك العمل مصدراً ثالثاً ضمنياً للانسجام ألا وهو الراوي الذي يشكل الموضوع الأساسي.

رويداً رويداً يدرك المؤلف أن أحداث تاريخه ليست مجرد أحداثٍ عرضية، فعلى الأقل وفي بعض الأحيان هي كشفٌ عن الشخصية ومناسَبةٌ لإبراز حقيقة عن نفسه. هنا كمثال

قصة عن خلافاته مع أولاد آخرين في المدرسة وهي تجربةٌ لا بد أنها كانت مؤلمةً في ذلك الوقت. «ولكن بالفعل (خلال أيام الدراسة الأولى في نامبورغ) كانت شخصيتي في بداية إظهار نفسها. ففي وقت مبكر من حياتي شهدت الكثير من المعاناة والحزن ولذلك لم يكن هناك الكثير من المرح والحيوية كما الأطفال عادة. كان زملائي عادة ما يضايقونني بسبب جديتي وعلى الرغم من حدوث هذا ليس فقط في مدرسة (أولاد البلدة) ولكن لاحقاً في المعهد وحتى في الـ(جيمنازيوم). سعيت إلى العزلة منذ الطفولة وكنت أسعد عندما أهب نفسي لسبلي الخاصة، بدون إزعاج من أحد». (288) إن قلة من الذين يبلغون عمر الثالثة عشرة قد وصفوا العملية بحياد مفرط. حتى أن (فريدريك) لم يشك أو يلم، وحتى أنه يبرئ مضايقيه بوصف الخلاف كواحدٍ من الإختلافات المزاجية التي لم يكن مناسباً لها. ومع أنه لم يعنف نفسه أيضاً فهو مجرد، يراقب عن بعد راضياً بالمحنة كمناسبة للكشف عن الشخصية.

في هذا المقطع يقدم (فريدريك) في الواقع سببين لاختلافه عن الأولاد الأخرين. فمن ناحية أحداث معينة في الماضي ـ وفاة والده، والمآسي اللاحقة التي حلت بعائلته (وفاة جوزيف، الرحيل عن روكن) ـ أثرت به بصراحة، ويشرح قائلاً إن سلوكه محزن أكثر بالمقارنة مع زملائه المرحين، لكنه يقول أيضاً إنه ببساطة أحب أن يكون لوحده وهو الميل الذي كان من شأنه أن يبعده عن الأولاد بغض النظر عن التجارب السابقة. في هذه الحالة فإن كلا العاملين ـ ردة فعله تجاه البيئة والميول الحقيقية لشخصيته ـ يعززان بعضهما البعض، وهو ما يعلل انعزاله النسبي خلال سنوات دراسته. وفي حالاتٍ أخرى فإن ميوله التنافسية أدت به إلى قطع أحدها لصالح الآخر. وهكذا فإن (فريدريك) ينسب التغلب على كراهيته الأولية لبلدة (نامبورغ) لصداقته مع (غوستاف) و(فيلهلم). فقد قال «بدون الصداقة فإن (نامبورغ) لم تبد يوماً موطناً لي» ويضيف بأهمية «وبقدر ما اكتسبت من أصدقاء يعيشون هنا، فقد أصبحت إقامتي هنا ثمينة لي، وسيكون من المؤلم جداً بالنسبة لي أن أضطر إلى المغادرة». (295) وفي النهاية فإن الجوانب الجوهرية لشخصيته وردود الفعل على بيئته (التي قد تكون أو لا تكون جوهرية) دائماً في تفاعل ديناميكي، في بعض الأحيان أحدها يتغلب على الآخر أو يعدل فيه. ويتجلى ذلك خصوصاً عندما يتناول الفنون مناقشاً محاولاته كطفل لاختبار الأشكال المختلفة من الممارسة (الشعر، الموسيقى، الرسم)، ويعمم «إن المرء في شبابه يقلد بسرور ما يحب. وإن روح التقليد هذه قوية بشكل خاص في الأطفال» بل وكما يلاحظ أن مجالاً معيناً يستجيب له الشخص سوف يعكس طابعه الفردي، فإنه لا يستجيب كل الأطفال لذات الإلهام

ولكن كلٌ سوف يقلد المجالات التي ينجذب لها بذوقه الخاص. «من الصعب للشباب الذي يستخف بالشاعر أو الكاتب أن يقلد طريقة قيامهم بالأشياء». (292)

مثلما تتراكم هذه وغيرها من الملاحظات فإن تاريخه الظاهري من الذكريات ينقل المعنى فما بدأ كسرد لأحداث الماضي يصبح في الواقع صورة لمؤلفها، والذي هو بعد كل شيء بطل الرواية التي نحن بصددها ملتحماً مع العالم الذي يحيط به. يبدو (فريدريك) في كتابة مذكراته قد أدرك أنه لم يكن فقط سلبياً تحت تأثير الظروف بل كان نوعاً ما يستجيب ويشارك بطرق كانت مميزة أظهرت قيمه وشمائله الخاصة.

لقد كان تاريخه انعكاساً استطاع به أن يرى نفسه مصوراً، وبوصف تفاعله مع الأحداث كان يكتشف هويةً كان قد عرفها فيما سبق فقط بطريقة لا شعورية. كان هذا كشفاً وجده مثيراً جداً في الواقع وقد ألحق في تذييله فقرتين ورباعية شعرية للنظر في مدى إنجازه:

«لقد شهدت الكثير بالفعل، السعادة والحزن، الحيوية والبؤس، ولكن الرب قد أرشدني بأمان خلال ذلك كله كما يفعل الأب مع ابنه الضعيف. لقد أرسى عليّ الكثير من الألم ولكن في كل ذلك أدرك بشكلٍ بارٍ قوته النبيلة التي تجعل كل شيء على ما يرام. لقد اخترت بحزمٍ أن أكرس ذاتي في خدمته للأبد. فليعطني رب العزة القوة والثبات لتحقيق نيتي وليحمني في طريق حياتي. طفوليٌ أنا أثق في نعمته: سوف يحمي كل واحدٍ منا لذا لن نحزن لأي كارثة. غير أن قداسته سوف تتم فكل ما سوف يعطيه سأقبله، السعادة والمحنة، الفقر والغنى، وبجرأة أنظر في عين الموت الذي سوف يجمعنا كلنا يوماً ما في فرح وسعادة أبدية. نعم رب العزة دع محياك يشع علينا للأبد! أمين!

وهكذا أختتم كتيبي الأول وأنظر له بفرح. لقد أديته بمتعة عارمة ولم أضن في ذلك. من الممتع بعدئذٍ تمرير السنوات الأولى من حياة الإنسان قبل الروح وبذلك يتم الإعتراف بـتطور الروح. هنا، أخبرت الحقيقة كاملة بدون زخرفة شعرية أو أدبية وفي ضوء طول العمل سوف يسامحني الناس في حال أضفت شيئاً الآن أو بعد ذلك أو أنني سوف أضيف شيئاً لاحقاً. لو أمكنني فقط كتابة عدد أكبر بقليل من مجلدات صغيرة كهذا!»

(311 ـ 310)

وعلى الرغم من أن هاتين الفقرتين متقاربتان بشكلٍ مباشر إلا أنهما تختلفان بشكلٍ لافتٍ للنظر في المفردات والأسلوب. فالأولى بينما هي صادقة بما فيه الكفاية، رسمية من

وجهة نظر أدبية، مصاغة بشكل جميل وأيضاً بشكل عملي، فإن كل سطر يمكن أن يؤخذ من الصلوات والتراتيل التي قد سمعها الصبي كل حياته. ومفاهيمياً يتمثل أثرها في تقديم ماضي الصبي إليه كشيء خارجي وهو مصير مبهم وضعه الرب له.

يتم مسرحة الأمور في الفقرة الثانية بنظرة مختلفة تماماً صارخةٍ بشكلٍ واضحٍ برضا وفرحة نصر. تعالج على الصفحة حصرياً انفعاله حول الكتاب الذي أنجزه للتو. يفكر في نتاج الإنسان المادي الذي يظهر بوضوح أمامه. يتأمل حالته عندما كتبها والأسباب الأعم التي دفعته لأن يجد العملية تثقيفية. وبينما هو لا ينكر قدر الحياة إلا أنه يبدو أكثر فاعلية من الإذعان، ويدرك تطور الروح ضمن تقلبات ماضيه وهي عملية من المفترض أن تكون أقل جوازاً.

مع كل اختلافاتها فإن الفقرة الثانية مرتبطة بحميمية مع سالفتها، حيث أن الرب (البارز جداً في الفقرة الأولى) الذي يخلق ويصون «الروح» (مصطلح فريدريك) ذا تصوير معروف في الثانية. وبسبب الرب يمتلك (فريدريك) هويةً يدركها مسبقاً بشكل مبهمٍ فقط. وهذه الهوية هي التي تعبر عن سحر وأمان لم يدرك أنه امتلكهما فيما سبق. وهكذا فإن القضايا التي أثيرت في بداية المذكرات تجد حلولاً غير متوقعة، حيث أن القطعة التي كانت قد بدأت بتهديد الفقدان المتواصل (زوال الذكريات) والحاجة إلى العلاج (نسخها). رويداً يدرك المؤلف أنه يملك تحت تصرفه ملاذاً من نوع مختلف. ففي «تمرير السنوات الأولى من حياة الإنسان السالفة للروح» يبدأ بذلك حتى «يعترف فيهم بتطور الروح»، هو ليس فقط مجرد مجموعة من الذكريات أو ألعوبةً تحت رحمة الأحداث. إن لديه طبعاً وشخصية يدعوها هناك «روح» وسوف تعني لاحقاً «الذات». قد يكون العالم زائلاً ولكن هذا الرفيق الذي يدوم قادرٌ على أن ينمو ومن المفترض أن يصاحبه في المستقبل.

متمتعاً بهذه الرؤية المجيدة يختم بقصيدةٍ كان قد كتبها في الواقع قبل تسعة أشهر[1] ولكنها تكتسب أهمية أوسع في توظيفها الحالي:

الحياة مرآة
لإدراك ذات المرء فيها
تبدو لي الشيء الأعلى
نحوها ينبغي أن نسعى. (311)

KGW I - I: 212 (1)

إنها الحادثة الأولى في عمله الموجود، أن يناجي (فريدريك نيتشه) «الحياة»، موضوعٌ سوف يختبره لاحقاً بشكل كبير. من غير الواضح بالطبع ما الذي يعنيه بالمصطلح، إن «الحياة» بالأحرى مصطلح كبير وغامض. ففي هذا الحالة من الواضح أنه يعني خصوصيات حياته، أحداثها وتجاربه، الوقائع والمواضيع التي يمكن أن تشملها سيرة ذاتية من النوع الذي يكتبه. ومع ذلك فإن القصد الرئيسي هنا هو ليس تأكيد «الحياة» رغم أن ذلك ضمني، بل هو «اعتراف المرء بها» وذلك لفك الشيفرة الهيروغليفية لقيود وإمكانيات الإعتراف الشخصي والتطور.

فالحياة ليست مجرد ما يحدث له ولكن أيضاً الطريقة الفردية التي بها يهضمها ويستجيب لها.

إلى ذلك المدى إن الحياة والذات تعملان بالتزامن ـ إحداهما انعكاس الأخرى ـ ولذلك السبب هو يستطيع استخدام هذه الصورة الخارجية كمرآة لمن هو. وبالمناسبة، من المثير للدهشة أن هذا الصبي المتعمق والمتدين لا يؤيد الحدس واستنطاق الضمير كمصدر للمعرفة الذاتية. وبدلاً عن ذلك يسعى لفهم الذات من خلال أفعالها على مسرحٍ أوسع. عندما يشير (فريدريك) «الحياة مرآة» فإنه يقترح حيث أنه لا يستطيع رؤية وجهه إلا عن طريق الإنعكاس، بالتالي هو لا يستطيع أن يعرف من هو إلا من خلال استعراض الأحداث في تاريخه. بالتالي هو ما تكشف عنه سيرته الذاتية.[1] وتجدر الإشارة هنا إلى أنه من المحتمل أن (فريدريك) لم يأت إلى هذه الرؤية تماماً من تلقاء نفسه. فهو حتى الآن قد أمضى ثلاثة أعوام في الـ(جمنازيوم) وكما سيوضح في الفصل التالي فإن المرتكز الأيديولوجي لذلك المعهد كان ((بيلدانغ)) أي التشكيل، كلمة تعني اليوم «التعليم» بالألمانية ولكن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حملت دلالة قوية على بناء النفس.[2] علّم المربون (نيتشه) خلال قرن أن كل ذات هي تجمع فردي من المواهب والطاقات يكتشفها الفرد من خلال النشاط. فقد كانت إذاً المهمة الأولى للتعليم هي إيقاظ هذه الإمكانيات والثانية تدريب الفرد على استخدامها عن طريق إنسان مترابط منطقياً ونابض بالحياة. كان السحر المرافق للذات الفردية في صميم التعليم البروسي، وفي وقت كتابة هذه السيرة الذاتية التي كتبها الكاتب عن نفسه فإن (نيتشه) قد سمع بلا شك هذا الموضوع يُشرح في كثير

(1) هو لا يرفض صراحةً البحث عن الروح والاستقصاء المتعمق كمصادر هنا، بالطبع. هو يعترف فقط بمنافع الاستقصاء الخارجي ومأخوذ جداً بالإحتمال الجديد بمجرد الإشارة إلى البدائل.

(2) Vierhaus 1972

من المناسبات. وقد تكون هذه هي المرة الأولى التي يطبق فيها هذه الدروس، لكنها لم تكن المرة الأولى التي يواجهها.

في تلك الأثناء يمكن للمرء أن يلاحظ أن هذا القسم يبدأ بالدين، وطواله يتم الإرتكاز على التضرعات إلى الرب، وهو نمطٌ لا يمكن تجاهله. ومع أنه تم البت في أن (نيتشه) الشاب سوف يهتم بحيوية قليلاً في كل من الدين أو المهمة التي قدّرت له، إلا أن هناك أساساً دينياً على الرغم من ذلك يدعم الكثير مما يقوله هنا.[1]

في الواقع إنّ الإيمان المسيحي هو الذي يسمح له أن يسقط أو ببساطة لا يلاحظ العراقيل التي قد يضعها مباشرة الفيلسوف غير المتدين. ولأن (فريدريك) يعامل الهوية على أنها خلق الرب فهو يميل في الواقع إلى تصور الذات كروح، وبالتالي أن ينظر لها على أنها مستقلة وذات تأثر عرضي بالعائلة أو البيئة هو افتراض قد تستعلم عنه عقولٌ ذات توجه علماني أكثر.

وبالإضافة إلى ذلك فإن تضرعه للعناية الإلهية يلهم الرجاء بما يتجاوز ما قد يسمح به وضعه الحالي. قد يكون مقيداً إلى حد بعيد ببيئته وتأثيراتها ناهيك عن تقلبات الحوادث أكثر مما يعتقد. أراد (فريدريك) معالجة هذه القضايا في سن المراهقة عندما بدأ إيمانه بالمسيحية بالنشوء وبدأت آثار ذلك بالبزوغ.[2] وفي الوقت نفسه كان قد لمس مشروعاً من شأنه أن يسحره من هنا إلى نهاية شبابه: الرغبة في معرفة هو من كان وكيف له أن يسمح لتلك الذات أن توضع في المقام الأعلى.

(1) إن التدين في هذا المقطع لا مثيل له فعلياً في كتابات (نيتشه) النثرية.

(2) أنظر الفصل 6، القسم 4، 6، و7.

الفصل الخامس

بناء الروح: النظرية

التعلم يغيرنا، إنه يقوم بكل ما يقوم به الغذاء وليس لمجرد البقاء ـ كما يعرِف عالم الفيزيولوجيا[1]

1

هناك أدلة قليلة قبل تسجيل (فريدريك نيتشه) في (شولبفورت) على اهتمامه بالتعلم لأجل التعلم نفسه، فعندما وصف البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً تجاربه التعليمية في (نامبورغ) أشار إلى معاشرة الأصدقاء ولكنه لم يقل شيئاً عن تناول المعرفة أو الوظيفة الأساسية للمدارس، ولا حتى ذكر أياً من هذه الأكاديميات بتأثر باستثناء وقته في معهد (السيد فيبر). بالتأكيد لم يكن يستمتع بمدرسة (ابن البلد) حيث كان معزولاً وبائساً،[2] أما بالنسبة لكاتدرائية (جيمنازيوم) فقد قال إنه دخل غرفها «مع رعشةٍ مخفية فالفصول الدراسية الباردة والطريقة الصارمة والعلمية لأساتذتي والكثير من الطلاب الكبار الذين نظروا لي بازدراء... كل هذا جعلني جباناً وخجولاً، وببطءٍ عودت نفسي على المطالبة بمكاني بثقة وهدوء أكبر».[3] كان (فريدريك)، أو (نيتشه) كما يجب أن يطلق عليه الآن بما أنه هكذا سيعرف في (شولبفورت)، الطفل المطيع وتطلع إلى أن يكون جيداً في صفوفه، إلا أنه لم يكن ناجحاً بوضوحٍ أكاديمياً حتى الوقت الحاضر. وتيقظ فقط بعد الوصول إلى (شولبفورت) إلى بهجة التعلم وبدأ يأخذ المنحة الدراسية على محمل الجد.

---

(1) BGE: 231; KSA V: 170

(2) في أحد صور السيرة الذاتية التي كتبها الكاتب عن نفسه فإن (نيتشه) يحذف مدرسة (أولاد البلد) تماماً، معطياً الانطباع أن تعليمه بدأ في معهد (السيدفيبر Herr Weber). KGW I - 2: 262

(3) KGW I - 2: 262

يتطلب مثل هذا التحول ثورةً في مواقفه حيث أنه دخل تلك المؤسسة بهواجس ترافقه، وكطفلٍ حساس يحتاج حميميةً ليكون مرتاحاً فقد شعر (نيتشه) بالقلق عند قبوله كطالبٍ داخلي، وسوف يعيش الآن أربعاً وعشرين ساعةً يومياً في المدرسة، وبما أنه يوجد مئتا طالبٍ وعشرات البالغين (معلمون، زوجات، موظفو الدعم)[1] يشغلون مساحةً باتساع عدد قليل من كتل المدينة السكنية، فنادراً ما سيكون لوحده. يسجل بوضوح أن مزاجه كان متجهماً عند الاقتراب من جدران تلك المدرسة في 5 أكتوبر 1858 وكان ذلك يومه الأول في المدرسة. كان قد فزع من مغادرة عائلته وأصدقائه وأثقله شك أنه قريباً سوف يفقد خصوصيته. كان الوقت فجراً وخرجت المؤسسة من السواد المحيط بها، يقول «بدت لي سجناً أكثر منها مدرسةً أماً»، ولّدت لديه البوابة خوفاً خاصاً حيث تضمن المدخل المرمم مؤخراً نافذةً ناتئة ضخمة ودهليزاً مقوراً حتى نهاية البناء الرئيسي يمر عبره الطلاب تاركين العالم وراءهم. وبينما كان ذو الثلاثة عشر عاماً يمر عبر هذا الممر كان يشعر بالخوف وفيما بعد وجد العزاء في الصلاة.[2] وبمجرد أن أصبح داخل تلك الجدران كان عليه التوجه لإجراء امتحان القبول والذي تضمن ترجمة نصٍ ألماني إلى اللاتينية والإجابة عن أسئلة شفهية بقواعد اللغتين اللاتينية واليونانية وتعاليمهما، فضلاً عن بعض الاستفهامات الرياضية.[3] وبفضل تحضيراته في (كيرخشيدونجن Kirchscheidungen) العام السابق[4] فقد اجتاز الامتحان رغم أنه أعاد فصلًا دراسياً، وكما يبدو فإن الإعادة ليست استثنائية في تلك المؤسسة.[5] بعد نجاحه في امتحان القبول قد

---

(1) كان عدد الطلاب ثابتاً على 200 بما فيهم 180 طالباً داخلياً والـ20 المتبقون ميسورو الحال يقيمون مع أعضاء الهيئة التدريسية. (جيرسدورف Gersdorff وويلامويتز Wilamowitz كانا عنصرين من هذه المجموعة المميزة). تنوع عدد البالغين لا شك. يذكر Benders et al. 2000: 48، ثمانية أساتذة متفرغين وأربعة أساتذة مساعدين وثلاثة موجهين متخصصين بالإضافة إلى مسؤول روحي واحد. (هذا لا يشمل الطبيب). ومن ناحية أخرى كان للأساتذة المتفرغين زوجات وغالباً أطفال، وبلا شك موظفو الدعم الموجودون بشكل عمال، بستانيين، وطباخين. لذلك من الصعب معرفة عدد من ليسوا طلاباً لمن كانوا في المبنى خلال النهار.

(2) KSAB I: 50

(3) Heumann et al. 1994: 87. Deussen 1922: 62، يشيرون أن الترجمة اليونانية كانت متضمنة أيضاً على الرغم من أنه ووفقاً لـ(هيومان Heumann) فإنها كانت مطلوبة فقط لطلاب الصفوف الأعلى.

(4) أنظر الفصل 4، القسم 2.

(5) انظر Förster - Nietzsche 1912: 73 vs. Brobjer 2001b: 326, n. 14 من بين معارف (نيتشه) فإن (بول ديوسنPaul Deussen) تم إرجاعه ثلاثة فصول دراسية و(ويلامويتز) ستة أشهر (في البداية سنة كاملة). Wilamowitz - Moellendorff 1928: 62

تكون مخاوفه هدأت قليلاً ووجد داخل البوابات أن طبيعته المحببة لم تُترك وراءه. كان فرع من نهر (الزاله Saale) يمر تحت الأرض لكن يتم تجميعه فيما يسمى (ميلبوند Millpond) وكان الأولاد يخلعون ملابسهم ويسبحون هناك في الصيف. كما أشار باستحسان إلى أن المنشأة نفسها كانت ذات موقع ممتاز تقبع وسط مروجٍ فسيحة بينما يرتفع جبل معتدل مشجر معروف باسم (كنابنبيرغ Knabenberg) على طول جانبها الجنوبي محدداً المشهد بظله المدور.

من الممكن أن المزج ما بين المحيط الريفي والمباني الكنسية ـ المنشأة كانت فيما مضى ديراً ـ قد ذكره بأيامه الجميلة في (روكن). ربما كان قد ارتد عن جو الزهد الرهباني الذي لم يكن منبوذاً كثيراً كما أعيد توجيهه ضمن القدسية الشاملة إلى التعليم. ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه) فإن جداراً بارتفاع 4 أمتار كان يحيط بالمنشأة مما يجعل كل ساكنٍ فيها سجيناً.

كان (نيتشه) في (بفورتا) يتوقع أن حياته ستكون منظمةً جداً، مكانه في الطابور، كرسيه عند العشاء في قاعة الطعام العامة، ومقعده في الصف، سوف تكون كلها محكومةً ضمن بروتوكولات.[1] وأعطي في يومه الأول سريراً في واحدةٍ من ست قاعات نوم، ثم خصص في واحدةٍ من خمس عشرة غرفة حيث سوف يعيش بشكلٍ عام مع حوالي دزينة من الأولاد الآخرين والجميع يشكلون في ظل ظروفٍ محظوظة «عائلة». في نفس تلك الغرفة سوف يخصص بمقعد على طاولة الدراسة ـ اثنان أو أربعة مكاتب في كل غرفة ـ حيث سيدرس تحت إشراف طلاب الصفوف الأعلى.[2] وبالمثل على الرغم من أن هذا الوصف متنازع عليه فإن منطقة تناول الطعام تحوي خمس عشرة طاولة (لتتوافق مع غرف الدراسة) مع اثني عشر مقعداً لكل طاولة حيث سيجلس الطالب مرة أخرى وفقاً لقواعد وحسابات محددة.[3] سوف يخضع للمراقبة الدائمة ويستجيب لأوامر طلاب الصفوف الأعلى. إن الالتحاق بـ(بفورتا) كان

(1) Schmidt 1991 - 1994 III: 143 - 146

(2) بالنسبة لعدد مهاجع النوم والطاولات، أنظر Deussen 1922: 63. يقول (Schmidt) أنه كان هناك ثلاثة إلى خمسة مكاتب بكل غرفة.
Schmidt 1991 - 1994 III: 142 في تقرير اشراف المفتش الحكومي (كارل غوستاف هيلاند Karl Gustav Heiland) يشير أن أكبر عدد من الطلاب في الغرفة (*Alumnenstube*) سيكون ستة عشر والذي يبدو كثيراً. Gilman 1979: 421. إذا تم توزيع 180 طالباً في خمس عشرة غرفة فإن العدد الوسطي سوف يكون إثني عشر طالباً.

(3) (شميدت Schmidt) إنما يشير تقرير (هيلاند Heiland) (عاكساً الوضع عام 1859) أن الوجبات كانت تقدم على طاولتين طويلتين تتسع كل منهما إلى تسعين طالباً. Gilman 1979: 420

كالإنضمام لأكاديمية عسكرية، حيث كان الأساتذة هم الجنرالات والطلاب المختارون هم الضباط والرقباء. وخلال أيامه الأولى وطوال السنة الأولى سوف يتعرض للمعاملة المهينة المخصصة للمستجدين، ويُتوقع من القادمين الجدد جلب براميل الماء من البئر وقرع الجرس الذي يتخلل اليوم.[1] وقد وصف بعض الطلاب احتفالات السخرية.[2] وفي عام 1860 اشتكى أحد أولياء الأمور (من بين أمور أخرى) من الـ((بيناليسموس Pennalismus)) وهي كلمة ألمانية تعني السخرية.[3]

على كل حال فإن ذلك المصطلح له تاريخٌ طويل في الولايات الألمانية، وقد يكون الأهل عنوا هيمنة الأولاد الأكبر سناً على الأصغر بما في ذلك الإجراءات التأديبية العادية التي يديرها، مشرفو الطلاب وهي سلطة منتشرة بشكل شائع في (بفورتا). وبغض النظر فيما إذا كانت تمت إساءة استخدام ذلك الامتياز، فإن (نيتشه) كان بلا شك يدخل عالم الذكور ـ وربما أحد أنواع العنف غير المعترف به ـ وهو عالمٌ مختلف جداً عن الموطن المتدين الذي كان قد شاركه مع أمه وأخته.

ولكن بعد صدمته الأولى بدا وكأنه يحب المكان ووجد أن النظام ليس سيئاً للغاية كما كان يخشى وكتب في رسالته الأولى إلى المنزل «حتى الآن أشعر إلى حد بعيد بالاطمئنان» مضيفاً «ولكن ماذا يعني ـ إلى حد بعيد بالاطمئنان ـ في مكان غريب؟».[4]

وبعد خمسة أيام تنبأ «أنتظر. سوف أشعر بالحنين إلى الوطن في النهاية».[5] وبعد أكثر من شهر بقليل بعد الوصول وجد نفسه لا يزال يحاول إقناع والدته بأنه افتقدها «غالباً أعتقد أن الحنين إلى الوطن بدأ يحل بي. أشعر من حينٍ إلى آخر بإشارات تدل على ذلك».[6] في الواقع لا يوجد مؤشرات صريحة أن (نيتشه) تاق لرؤية والدته على الإطلاق، فقد كان في طور بلوغه الرابعة عشرة، وهو عمر ينظر فيه المراهق إلى العائلة على أنها تقييد، وتقع (نامبورغ)

---

(1) Wilamowitz - Moellendorff 1928: 68.

(2) لم يذكر (نيتشه) احتفالات السخرية ولم يختبر أياً منها. انظر
Wilamowitz - Moellendorff 1928: 68; Feldhoff 2008: 32; Gilman 1979: 419 - 420; and Heumann et al. 1994: 199 - 200.

(3) للإطلاع على نقاش موجز لهذه الحادثة التي وردت في الصحف أنظر Bohley 2007: 74 - 76. وللحصول على ملخص منفصل ووثائق صادرة عن تحقيقات مفتشين حكوميين أنظر Gilman 1979: 406 - 422

(4) KSAB I: 16

(5) KSAB I: 20

(6) KSAB I: 29

فقط على بعد ثلاثة أميال، وبما أنه مسموح له الخروج لمدة ساعتين كل يوم أحد فباستطاعته رؤية عائلته في قرية (ألمريتش) التي تقع في منتصف الطريق بين البلدة والمدرسة. وخلال شهر كان يسير ذهاباً وإياباً إلى (نامبورغ) خلال هذه الاستراحات، وبالتالي كان باستطاعته اختيار من يريد أن يقوم بزيارته. وفي حال لم يتم الاشتياق لـ(فرانسيسكا) شخصياً فإنه كان لا غنىً عن خدماتها، فرسائل (نيتشه) كانت تزخر بطلبات حاجاتٍ ووسائل راحة مثل نظارات وحبر وسكاكين ومقص ودفاتر وشوكولا وملاعق صغيرة وأحذية وكتب.

وفي حال لم يعترف (نيتشه) بالحنين فإن المطالب المتكررة والتي تكاد تكون جنونية والتي أعرب عنها في رسائله تشير إلى خوف غير مصرّح به بأن تكون والدته غير مشتاقةٍ له وقد تم نسيانه. وكتب (مؤكداً خاصته) «لا تنسي عيد ميلادي!» كما لو كان هذا مرجحاً.[1] رغم أنه من السهل استيعاب قلقه، فإن الرحيل عن (نامبورغ) والأشخاص المحببين من شأنه تأجيج ذكريات إخراجه المؤلم من (روكن). ومن ناحية أخرى فقد غيرت والدته المسكن في 7 أكتوبر أي قبل أسبوعٍ من مغادرته من منزل بجانب (مارين جيت) حيث ذكرياته السعيدة، إلى منزل جديد ذكر مسبقاً في (وينغارتن ستريت) بجانب بلدة لم يعش فيها مسبقاً.[2] والأهم من ذلك أنه في وقت انتقاله إلى (شولبفورت) قامت (فرانسيسكا) بدعوة أخيها ذي التسعة عشر عاماً (أوسكار) للسكن معها خلال العام المقبل، وفي الواقع كان ذلك استبدالَ مراهقٍ بآخر. وكما حدث فقد أحب (نيتشه) (أوسكار) كثيراً واستمتع بصحبته، ومع ذلك فهو لا يستطيع تجنب اعتبار أن الصبي الجديد كان يحتل مكاناً كان فيما سبق ملكاً له، وكان عمر الثالثة عشرة آمناً كثيراً حتى يكون (فريدريك نيتشه) قد اختبر شكوكاً في ظل الظروف الحالية. وفي هذا الوقت وبالانتقال من رسائل (نيتشه) الموجهة إلى (فرانسيسكا) إلى تلك الموجهة إلى (فيلهلم) فنحن بمثابة دخول عالمٍ مختلف.

في حين كان مع أمه آمراً وشديداً، فهو يفضي بهموم نفسه إلى (فيلهلم) بتأثرٍ واطمئنان يظهران أكثر من أي دليل كم عنت صداقتهما بالنسبة له. في حين يقول لـ(فيلهلم) أيضاً أنّه لا يشعر بالحنين ويضيف «سوف لن تصدق من ناحية أخرى كم مرة أتمنى أن أكون في منزلك في (نامبورغ)... انتهت الأوقات الجيدة الآن، ولا أجرؤ على التفكير بها كي لا يزداد حزني».[3]

(1) KSAB I: 18

(2) لمعرفة تاريخ الانتقال انظر Rosmiarek et al. 2003: 323. انتقل (أوسكار Oscar) في نفس اليوم.

(3) KSAB I: 24

يشرح (نيتشه) إلى الأصدقاء والأهل على حد سواء أن جدول أعماله ممتلئ وأنه متعبٌ من العمل، وكثيراً ما استخدم هذا كعذرٍ لعدم كتابته لهم، وبعض هذا التبني لعبء العمل الثقيل لا بد أنه نبع من الفخر الصبياني بأنه يستطيع تحمل الضغط. ومع ذلك كيّف (نيتشه) نفسه سريعاً مع تركيبة (بفورتا) للانضباط والبناء جنباً إلى جنب مع الدراما المحلية الخاصة بها. يقدمهم الأدب الشعبي للمدارس الداخلية الناطقة بالألمانية (النموذج الموجود هو إرباكات الطالب (تورلس) لـ(روبرت موسيل Robert Musil)) كبؤرٍ ساديةٍ من التنمر والتوتر الجنسي. كما يبدو أنه كانت هناك تصرفات غريبة جنسية في (بفورتا) من وقت لآخر ـ لم يتم إقراره فقط في التقارير الرسمية ولكن تم فصل أربعة أولاد عام 1858 (عام وصول نيتشه) بسبب «التصرف الفاسق» ـ.[1] إن التنمر سيكون حاضراً أينما وجد تجمع أولاد، وخمّن أحد كتّاب السيرة الذاتية أن (نيتشه) الذي كتب الرسائل للمنزل مرتدياً البناطيل الممزقة عدداً متكرراً من المرات، كان نفسه (مع أخلاقه الدمثة وبصره الضعيف) ضحية[2] غير أنه لا يوجد دليل موثق على ذلك، وعلى كل حال إذا كان صحيحاً فإن (نيتشه) لم يأت على ذكره أبداً. من البداية يبدو أنه قبل الحياة في (بفورتا) كما هو مبين، وبينما كان بلا شك يواجه صعوباتٍ مع بعض جوانبها فنادراً ما اشتكى. كان بالكاد وحده في إذعانه، وكما يبدو فقد واجه الطلاب الآخرون التحديات المتعلقة بالهيكل والانضباط والتعليم القسري.[3] ومع أن محفزات (نيتشه) قد تكون من دوافع شخصية فإن (بفورتا) تفتخر بنفسها أنها تقوم في مقام الوالدين، وكان رئيس المدرسة من العقد السابق قد دعا المؤسسة «أكثر من منزل الأب ((فاترهاوس Vaterhaus))»[4]. وكما يشير هذا المصطلح لم يكن هناك شك أي شخص هو الوالد الذي قد تم استبداله، حيث أن (بفورتا) كانت موجهة خصوصاً من قبل الولاية البروسية للتركيز على الأولاد الذين كان آباؤهم إما متوفين أو غائبين لقضايا غريبة.[5] إن حاجة (نيتشه) للالتحاق بناءً على منحة دراسية لا تحتاج إلى أي شكوك، ومن الواضح أن نصف زملائه قد

(1) Schmidt 1991 - 1994 III: 203 - 204204. انظر تقرير (بيتر Peter) في Gilman 1979: 405. للمزيد حول الأمور الجنسية في (بفورتا) انظر Heumann et al. 1994: 202 - 204

(2) Schmidt 1991 - 1994 III: 249 - 251

(3) ثمّنها (ويلامويتز - موليندورفف Wilamowitz - Moellendorff) كما هو واضح في قصته. Wilamowitz - Moellendorff 1928: 72 - 73, 74

(4) اقتباس في Blunck 1953: 48

(5) Brobjer 2001b: 325

تمتعوا بنفس المساعدة[1]. لم يضطر ولا حتى مرة واحدة في حياته للشعور بالعزلة بسبب كونه بلا أب، وفي سنته الأولى كان سدس زملائه فاقدي الأب.[2] وأكثر من ذلك، فبسبب أن المدرسة حتى الآن كانت تقوم بالكثير من الوظائف التي كانت تقوم بها والدته، فهي تتيح على ما يبدو للصبي التعليم والإرشاد اللذين كان قد حرم منهما. ومن المهم أنه في السيرة الذاتية الشخصية المكتوبة، بعد أن كان في تلك المؤسسة لمدة سنتين ونصف قد استنتج «لا يسعني إلا أن أتمنى الآن وإلى الأبد وأكثر من أي وقت مضى أن أظهر نفسي لأكون ابناً جديراً بـ(بفورتا)»[3]. (تمت إضافة التأكيد)

مثلما كان اشتياق (نيتشه) الأبوي يُخفف من جهة، فقد عانى أيضاً ضربة من ناحية أخرى، حيث أن (فريدريك فيلهلم الرابع)، العاهل الذي سمي لأجله وشاركه يوم عيد الميلاد، تعرض لسكتة دماغية في السنة الفائتة وفي رأي رعاياه (وبينهم من الواضح نيتشه نفسه) أنه أصبح مجنوناً. ففي 6 أكتوبر عام 1858، وهو اليوم التالي لوصول (نيتشه) إلى (بفورتا) تم عزل الملك رسمياً من عرشه وتم تنصيب أخيه (فيلهلم) كوصي للعرش،[4] وتم إلغاء كافة الاحتفالات بعيد ميلاد الملك في المدرسة، وقد كان هذا بمثابة ضربة لـ(نيتشه) كما لو أنه تم تثبيط حماسة عيد ميلاده الموافق بعد أسبوعين (15 أكتوبر). وكصبي صغير فقد أحب احتفالات عيد ميلاده المرافقة لليوم الذي شاركه مع الملك، ويعتقد واحد من كتاب السيرة على الأقل أنه كان ينظر إلى (فريدريك فيلهلم) كوالد رمزي.[5] وبعيداً عن ذلك ربما كان الطالب الجديد يأمل في أن الأبهة والاحتفالات المرافقة لعيد الميلاد المشترك سوف تكسر الجليد وتساعد على الإشارة إليه كشخصٍ مميز بالنسبة لزملائه، وعوضاً عن ذلك فإن ما يبدو

---

(1) Brobjer 2001b: 325. انظر أيضاً Wilamowitz - Moellendorff 1928: 63

(2) Brobjer 2001b: 325

(3) KGW I - 2: 263

(4) لم يكن من الممكن ظهور هذه الأحداث على أنها مباغتة كما قدمت في بعض الأحيان. لقد عانى الملك بشكل ملحوظ من السكتة الدماغية عام 1857 وسبقت سلسلة من المقترحات والترتيبات المؤقتة الإعلان الرسمي عن الوصاية (7 أكتوبر عام 1858). وعلى الرغم من أن مرض (فريدريك فيلهلم Friedrich Wilhelm) قد فُسر على أنه جنون فإن (ديفيد باركلي David Barclay) كاتب سيرته الذاتية الرئيسي يعتبر هذا التشخيص على أنه «غير دقيق بالتأكيد» ويحلل فشل الملك على أنه إما بسبب «حالة دماغية وربما تصلب شرايين متقدم في الدماغ» أو مرض الزهايمر.
Barclay 1995: 278 - 282

(5) Ross 1980: 18 - 19

على أنه كان جنوناً قد اتخذ شكلاً آخر وهي مصادفة لا يمكن أن تفشل في التأثير فيه. وبعد ثلاثة أعوام سوف يكتب أن والده استسلم لـ«التهاب الدماغ وأعراضه اللافتة للنظر مثل مرض الملك المتوفى».[1]

على الرغم من خيبات الأمل هذه إلا أن الصبي أبقى نفسه في المدرسة على أفضل وجه ممكن، فقد كان معتاداً على التأقلم ويبدو أنه قد أمضى أشهره الأولى في المدرسة بالتأقلم مع عاداتها وإعداد نفسه لإقامة طويلة. لقد تقدم بطلب انضمام للجوقة (التي سوف ينضم لها رسمياً السنة المقبلة) ودفع من أجل استخدام البيانو. وفوق كل ذلك بعد سنة من التكيف بدأ الدراسة وفقاً لطلب اشتراك كان قد حجزه مسبقاً للشعر. لم يكن طالباً جيداً في الماضي ولكنه يسعى جاهداً لجعل نفسه متفوقاً الآن. وأخيراً، وعلى الرغم من دراما اليوم الأول لـ(نيتشه) اكتشف أن آماله ومخاوفه ليست مؤكدة الحدوث خلال سنته الأولى في (شولبفورت). هو ببساطة انخرط في روتينٍ جديد كما يُظهر تصميمه على الدراسة شيئاً جديداً تم إيقاظه فيه. وبدأت تتغير أولوياته تدريجياً تحت الحركة المتثاقلة للحياة اليومية، وبعد التخرج سوف يقارن إقامته في المدرسة مع وفاة والده كحدثٍ محوري ثانٍ في حياته.[2] وأخيراً فقد أعطته (شولبفورت) نموذجاً تعليمياً ومعه حكاية يسودها الخيال سوف تنقذه من سلبية الطفولة وتمتع خياله لنهاية حياته الواعية.

2

اعتادت مدرسة (بفورتا) على تغيير حياة الطلاب، وكان ذلك هو الغرض منها. وفي منتصف القرن التاسع عشر صورت التعليم أقل كمساعدة نفعية في الحياة المهنية منه كتطوير الروح الشبابية، وإلى هذا المدى لم تبتعد كثيراً عن هدف المؤسسة الأصلي. تم تأسيسها عام 1137 كدير (سيسترسيان) وتم شغلها من قبل رجال الدين لمدة 400 عام تقريباً حتى تم إخلاؤهم خلال حركة الإصلاح وتم تحويل المباني إلى مدرسة.[3] وضمن التغيير تمت علمنة الاسم (St. Marien ad Portam) (سانت ماري عند البوابة) ليصبح فقط ((بفورتي (Pforte)) (بوابة بالألمانية) أو إلى الاسم غير الصحيح ولكنه مقرر الآن (بفورتا)، و(شولبفورت) و(شولبفورتا)

(1) KGW I - 2: 259

(2) KGW I - 3: 417 - 418

(3) للاستمرارية الاستثنائية من بداياتها الكهنوتية إلى زمن (نيتشه) أنظر Pernet 1989: 67 - 69

كونها تسمية أكثر رسمية.[1] إذا كان الدين بمثابة ركيزة واحدة لتراث المدرسة، فإن الجيش البروسي قد قدم واحدة أخرى، وكان الطلاب المقيمون غارقين في ثقافة الأمر والطاعة.[2] عموماً لم تكن كلية (بفورتا) الليبرالية على وفاق مع الحكومة المحافظة جداً، وكانت المدرسة في كثير من الأحيان قيد التحقيق من قبل مدراء حذرين من (برلين).[3] لا بد أن الإندماج بين القسوة الرهبانية والعسكرية البروسية قد عملا بقوةٍ على شباب المدرسة الصغار. إن رئيس المدرسة من العقد السابق قد وصفها بجدارةٍ على أنها «ولاية مدرسية مغلقة»[4] وحتى أن بعض أولياء الأمور كانوا يفزعون بسبب سلطوية المدرسة.[5] لقد أخذ موظفو (بفورتا) أوامر صارمة بخصوص الكسل، فكانت الأيام النموذجية تبدأ في الساعة 6 صباحاً (5 صباحاً في الصيف) بركض إلى أحواض الغسيل العامة، ويلي ذلك خدمات الكنيسة الصغيرة وإفطار من اللّفات والحليب، وكل ذلك يتم خلال الساعة الأولى.[6] وبعد ذلك وحتى العودة إلى السرير في التاسعة مساءً عملياً فإن كل دقيقةٍ من اليوم كانت مكرسةً للمحاضرات والتحضيرات والمراجعة للدروس والوجبات والصلوات أو نشاطات رياضية. وبما أن البالغين بالكاد قد لا يستطيعون الإشراف على هذا العدد الكبير من الطلاب لمدة 24 ساعة يومياً فقد أعطي نظام رتب السلطة للطلاب أنفسهم. طلاب السنة الأخيرة خدموا كطلاب مسؤولين في غرف المهاجع وآخرون وجهوا الفعاليات على طاولات الدراسة، وكان الطلاب الأعلى في كل صف مسؤولين عن واجبات متنوعة، مثل الحفاظ على النظام عند عدم وجود مشرف آخر في الجوار. إن منح السلطة هذا جنباً إلى جنب مع الحاجة إلى الطاعة كان لغرس إحساس المسؤولية الذاتية

(1) Pahncke 1956: 55 - 64. سوف يستخدم هذا الكتاب «شولبفورت» و«بفورتا» بينما هي غير متناسقة و(في الحالة الثانية) غير صحيحة اشتقاقياً، يعكس هذا الاستخدام ممارسة عامة. (تعرف المدرسة اليوم عموماً بـ(لاندسشول بفورتا في شولبفورت)
(Landesschule Pforta in Schulpforte

(2) كتب (غوتش Goch) أن المدرسة «مع الانضباط الصارم فيها والدقة المؤلمة وجدولها اليومي المنظم تشبه أكاديمية عسكرية ومختومة بالروح العسكرية» Goch 1994: 185

(3) كانت التوترات بين الحكومة البروسية التي ترغب في توحيد المدارس وقادة (شولبفورت) الذين سعوا للحفاظ على فردية مؤسستهم التاريخية مزمنة منذ الاحتلال البروسي وصاعداً. ومن أجل ما يمكن القول إنها المرحلة النهائية للحكومة وعلى الرغم من أن المحرر لا يطلق عليها ذلك انظر Gilman 1979: 406 - 426. انظر أيضاً الفصل 7، ص 190 الحاشية (2).

(4) اقتباس في Blunck 1953: 49

(5) Gilman 1979: 406 أنظر أيضاً Pernet 1989: 69 - 73

(6) KGW I - 2: 101 - 102

الذي كان بالتأكيد أحد أمنيات (بفورتا)، حيث أن التربية [ذكرها الكاتب البيداغوجيا وهي مجموع طرق التدريس أو علم أصول التدريس] لم تَجِد عن المقررات الموجودة في الكتب.

غير أن (بفورتا) لم تغفل عن التعليم التقليدي وتم اعتبارها كواحدة من المدارس الرئيسية العليا في ولايات (ألمانيا).[1] وشكلت اللغة اللاتينية وبدرجةٍ أقل اليونانية حجر الأساس للمنهاج الدراسي وللاثنتين وثلاثين ساعة في الأسبوع المكرسة للدروس لطالب السنة الأولى، وأكثر من نصفها كان مخصصاً للغات الكلاسيكية.[2] إن دراسة اللغات القديمة لم تكن فقط أكثر من اللازم بالنسبة إلى الدراسات الأخرى ولكن ووفقاً لـ(ويلاموتيز) فقد كانت المواضيع الثانوية غالباً ما تدرس بشكل ضعيف وبقليل من الخيال.[3] ولا بد من التشديد على أن هذا التركيز على اللغات القديمة وإن لم يكن جديداً فقد كان مفهوماً حديثاً وليس على الإطلاق تقليداً سلبياً مأخوذاً تمت وراثته من الماضي، بل على العكس كان المفكرون المتنورون قد اعتبروا دراسة اللاتينية محتضرة وتوقعوا لها النهاية قريباً وأن يتم استبدالها بدراساتٍ في اللغة العامية.[4] (كانت دراسة اللغة اليونانية في ذلك الوقت مقتصرة على مجالات متخصصة). لم يحدث هذا «التقدم» نتيجة لانقطاعٍ ملحوظٍ للديناميكية الحديثة تماماً التي كان قد توقعها القلة في القرن الثامن عشر. وبعيداً عن تقليدٍ قديم فإن هذا التأكيد الجديد على اللغة اللاتينية (وخاصة اليونانية) تم تأريخه فقط منذ عام 1809، وعكس رؤيةً بينما ترتكز على شخصيتين تنويريتين (روسو Rousseau، كانت Kant) غيرت اتجاهها الذي كان من الممكن القول عنه إنه رومانسي. يجب أن يتم التحقيق في التربية الجديدة الآن لأن تأثيرها على (نيتشه) الشاب كان أساسياً.

كان يدار التعليم خلال القرون السابقة في الولايات الألمانية وفقاً لمنظور (من الأعلى إلى الأسفل) حيث كان يعتبر الأطفال إما كألواح فارغة تتم كتابتها بالمعرفة أو كهمج صغار يتم ضبطهم في عالم الكياسة.[5] وكلا الحالتين نصّبتا البالغين كعارفين مسيطرين يجب على

(1) قارن (ماثيو أرنولد Matthew Arnold) (شولبفورت) بـ«أكثر المدارس الانجليزية المشهورة» اقتباس في Bergmann 1987: 19

(2) Bohley 2007: 220 - 221

(3) Wilamowitz - Moellendorff 1928: 74

(4) Jeismann 1990: 323 - 324

(5) قارن (سويت Sweet) «في الوقت الذي أصبح به (هومبولد Humboldt) مسؤولًا كانت المدرسة الابتدائية في كل (ألمانيا) تعمل وفق طرق مناسبة لمدرسة جزائية» Sweet 1980 II: 22 انظر أيضاً La Vopa 1980

الأطفال إطاعتهم، ورويداً رويداً بدأ مفهوم جديد للتعليم في عكس هذه العلاقة بافتراض أن الطفل والشاب كانا بمعنىً ما مستقلين ويستحقان الإحترام. كلٌ منهما يشكل بذرة مع قدراتها وأنماطها الخاصة للنمو وكانت مهمة التعليم في مساواة الجميع [ذكر الكاتب تشذيب الجميع ليناسبوا قياس نفس الثوب] أقله في توجيه الأفراد، حيث قاموا بتطوير خليطهم المميز من المواهب.[1] كان المعلم السويسري (يوهان هاينريش بيستالوزي) الأول في اتباع هذا المنهج في الفصول الدراسية، ولكن كمثال أعلى فإن هذا المنهج له جذوره في التدين الألماني،[2] وربما تم التعبير عنه بالشكل الأمثل في سطر من رواية «إميل» لـ(روسو): «يتم تشكيل النباتات عن طريق الزراعة والبشر عن طريق التعليم».[3] في الألمانية إن الكلمة القياسية التي تعني التعليم هي ((بيلدانغ)) وتعني التعليم، ولكن المصطلح له معانٍ اضافية على فرض الشكل، سواء خارجياً (كما في الإبداع الفني) أو داخلياً (كما في الاكتمال حيث يتطور الكائن الحي وفقاً لتصميم داخلي).[4] وفي العقود اللاحقة من القرن الثامن عشر بُدئ في استخدام المصطلح كمكمل للـ((إرزيهونغ Erziehung)) (التربية)، كانت ((بيلدانغ)) توحي بشيء لا يمكن الحصول عليه من خلال التعليم فقط، ولكن يتطلب ذلك المشاركة من جانب الطفل ويحدث كـتنمية ذاتية.[5] في الواقع وعلى الرغم من أن (روسو) قد استند إلى التشابه مع النبات فإن منظّرين جيدين اعتقدوا أن نظرية النمو الطبيعي هذه يجب أن تكّمل مع الحاجة للقصد الحيواني والمسؤولية الشخصية. لم يكن الأفراد مجرد نباتات بل كانوا بستانيين، بستانيو أنفسهم، وعليهم أن يرعوا ويشرفوا على تنميتهم الخاصة.[6]وتم تقطير هذا المنهج وترويجه عن طريق عدد من الشخصيات الأساسية في الأدب والفلسفة (هيردر، شيلر،

(1) أنظر LA Vopa 1990: 31

(2) Sorkin 1987: 14 - 21. Vierehaus 1972: 510 - 511

(3) «On façonne les plantes par la culture, et les hommes par l'éducation.» «يتم تشكيل النباتات عن طريق الزراعة والبشر عن طريق التعليم» الفقرة الرابعة من الكتاب الأول لـ(إميل Emile). اقتباس في Weil 1967: 42

(4) عرضياً تم استخدام المصطلح ((بيلدانغ Bildung)) في القرن الثامن عشر في نصين لـ(ألبرت فون هالر Albrecht von haller) خلال الجدل التشاوري [تشاور حول ما إذا كان الكائن الحي تطور بشكل بيضة أو بذرة (نواة) وهو إما تشاور تاريخي أو بيولوجي] (البيولوجي) وفي ترجمة من (شافتسبري Shaftesbury) (فنية). انظر الفصل 2 القسم 3 من أجل نقاش حول هذا المصطلح.

(5) Vierhaus 1972: 509 - 511

(6) تم التأكيد كثيراً على هذا التراث المزدوج من قبل Weil 1967، الذي يربط التماثل النباتي بـ(روسو Rousseau) والإشراقي بـ(شافتسبري Shaftesbury). انظر أيضاً Sweet 1978 I: 52

جوته، فيشت).[1] إنما الرجل الذي أذاع هذا المفهوم بقوة وأدرجه بأكثر شكل فعال في روح القرن التاسع عشر كان (فيلهلم فون همبولد) الذي جعل ((بيلدانغ)) رمزاً أخلاقياً بشكلٍ عملي وكان لديه القوة على غرسه في جميع الشباب البروسي.

إن (هومبولد) سليل طبقة النبلاء الصغيرة والأخ الأكبر للمستكشف (ألكسندر) ولد في عهد ما قبل النابليونية وتدرب على وجه الخصوص على يد عدد من المعلمين الجريئين. كره الصبي الذي في طور النمو معلميه ونصّب نفسه مسؤولاً عن نموه الأخلاقي والتعليمي. «لا شيء على وجه الأرض أهم من الطاقة الحيوية والتنمية متعددة الجوانب للفرد». كتب «إن القانون الأول للأخلاق الحقيقية هو: طوّر نفسك».[2] كان المفهوم الضمني هنا هو افتراض أن الأفراد ليسوا مجموعة عشوائية من المشاعر. إن كلاً منهم كائن حي فريد وكانت مهمة الواحد منهم على مدى حياته (التي سوف تمتد بعيداً بعد سنوات التعليم الرسمي) هي اكتشاف وإعطاء الأهمية لمزيج خاص من القدرات وفي نفس الوقت لتنظيمها في انسجام. وشدد (هومبولد) على النشاط ـ «إن الطاقة هي الفضيلة الأولى والوحيدة للإنسانية»[3] ـ لأنه فقط من خلال الأعمال يستطيع الأفراد اكتشاف مواهبهم وجعلها تثمر وفي نفس الوقت السيطرة ببراعة على هذا الحشد الجامح من الغرائز والقدرات في ذاتٍ متماسكة متوحدة. كان البشر هناك لخلق أنفسهم وليس لإمتاعها «أعتبر أن الهدف الحقيقي لحياتنا هنا على الأرض لنكون... تنمية لكافة المواهب التي وُهِبناها».[4] وعلى الرغم من أن كتابات (هومبولد) في التعليم لم تُقرأ إلا قليلًا خلال حياته، فإن أغلبها لم ينشر إلى بعد وفاته بأكثر من عقد، فقد أعطي فرصة استثنائية لوضع أفكاره موضع التنفيذ، ففي بداية عام 1809 أي أقل من ثلاثة أعوام بعد غزو (بروسيا) من قبل (نابليون) عُيِّن مسؤولاً عن مدارس الدولة وسُمح له بإعادة تشكيلها وفق أسس جديدة. لقد كانت لحظة مميزة في التاريخ وفي إنجاز (هومبولد) التي تضمنت وضع معايير للمعلمين،[5] إن إعادة تشكيل (الجمنازيوم) (المعادل الألماني للمدرسة المتوسطة والثانوية) وعملياً إعادة اختراع الجامعة كان ليستمر لمدة قرن ونصف ويجعل المدارس البروسية نموذجاً لمؤسساتٍ كثيرة في

(1) وأبرزهم (هيردر Herder). انظر Vierhaus 1972: 515 - 517

(2) Sweet 1978 I: 99

(3) Sweet 1978 I: 110

(4) اقتباس في Sweet 1978 I: 51

(5) استخدم (هومبولد) هذه المعايير لتقويض الهيمنة السابقة للتعليم على يد رجال الدين الجاهلين. انظر Paulsen 1895: 78; Fallon 1980: 17 - 18, 39

أماكن أخرى بما فيها العديد في الولايات المتحدة.[1] في حين تصور (همبولد) (الجمنازيوم) والجامعة كمؤسسات مكّملة إلا أنها لم تكن بأي حال من الأحول متشابهة. فمهمة (الجمنازيوم) كانت تدريس الطلاب كيفية التعلم عن طريق الانضباط الصارم والأوامر المتعنتة. من الناحية النظرية يتم احترام شخصية الطالب، ولكن فرض عادات العمل الجيد كان يعتبر أمراً أساسياً في تلك المرحلة من التنمية. وعلى العكس فقد عكست الجامعة هذه العملية، حيث أن الخريجين الذين تجاوزوا (الجمنازيوم) وتلقوا شهادات تخرجهم باتوا يعتبرون بالغين ذوي حرية يعرفون ما يريدون. كانوا غالباً من الناحية العملية غير مطالبين بحضور الفصول أبداً، ونظرياً هم قد تابعوا المعرفة لأجل المعرفة نفسها والخدمة كزملاء عمل إلى جانب أساتذتهم. وببساطة فقد تمت تغذية طلاب (الجمنازيوم) بالإجبار على المعرفة الراسخة، وكان يُتوقع من طلاب الجامعة أن يفتشوا عن المعرفة ويقدموها لأنفسهم.[2] إذا كانت الجامعة تمثل الجانب الليبرالي من التعليم فقد وقف (الجمنازيوم) لجانبه المنظم والمنضبط وكان هنا أن اللغات الكلاسيكية وجدت مكانها التربوي. افترض (همبولد) أنه خلال مرحلة المراهقة فإن غاية التعليم كانت أقل بخصوص تعلم المحتوى من تعلم كيفية التعلم. إن إتقان مجالٍ صعب ولكن محدود من مجالات المعرفة ـ ((وسنشافت Wissenschaft)) بالألمانية ـ مثل اللاتينية واليونانية سوف يعلم الطلاب تنظيم وقتهم وتحريك مواهبهم ويعلمهم على العمل بطريقة موجهة بالتالي يمكن إتقان تلك المادة المطلوبة تماماً.[3] اعتقد (همبولد) أن الخطاب قد قدّم جوهر الثقافة،[4] وأن دراسة اليونانية سوف، إذا جاز التعبير، تجبر الطلاب أنفسهم ليصبحوا يونانيين ليستوعبوا ويقبلوا جوهر ما كان يفترض أن يكون العصر الذهبي للإنسانية. إن عملية التعلم هذه سوف تحفز التنمية الشخصية وتجبر الطلاب على التفكير بأنفسهم وبالطبع كان يؤمل أنه بقراءة هذه الأركان الأساسية للحضارة الغربية فإنه سوف يدرك الطلاب ويطورون مواهبهم ومهاراتهم الخاصة، وهو ازدهار فردي كان

---

(1) للحصول على قصة بسيطة ومختصرة في الإنجليزية عن إنجازات (هومبولد) انظر - Fallon 1980: 16 19. ولتأثير المؤسسات الألمانية على تلك التي في (الولايات المتحدة) انظر
Fallon 1980: 1 - 3, 51 - 52; Butler 1895: ix; Diehl 1978 passim; and Sweet 1980 II: 70

(2) . Paulsen 1895: 161 - 162 للحصول على اقتباس من (هومبولد) يقوم فيه بتلخيص هذا الفرق، انظر Fallon 1980: 17

(3) ينبغي التأكيد على أن القصد قد كان ليس تعلم شيء ولكن تعلم كيفية التعلم. انظر - Wilamowitz Moellendorff 1928: 65, 72 - 73

(4) Burrow 1969: xxviii; Humboldt 1960 - II: 58 - 64

جوهر الـ((بيلدانغ)).[1] أما بالنسبة لهؤلاء الذين استهجنوا تكريس وقت طويل للمعرفة التي كانت غير ذات فائدة من الناحية العملية فإن (همبولد) يمكنه الرد بأن تلك كانت هي النقطة بالضبط، فهو لا يثق بالمثالية التنويرية المتمثلة بالتضحية بالذات لمهنة أحدهم، ويعتقد بأن أي قمع ذاتي مثل هذا ينبغي أن يحدث فقط بعد أن يكتشف المرء ويمارس تلك الذات في المقام الأول، وأن إخضاع روح المراهقين لتدريب مفيد في مهنة محددة سيكون بمثابة تشويه لهم. ينبغي أن يشدد تعليمهم المبكر على المبادئ العامة التي من شأنها أن تشجع «التنمية الشاملة لشخصية الفرد الحرة»[2] وتركز على النموذج النهائي للإنسانية وهو اليونانيين الكلاسيكيين. السماح للأفراد باكتشاف اهتماماتهم ومواهبهم الفردية وإلى ذلك الحد إعطاء الأهمية لجوهرها الإنساني الأساسي وعندها فقط بإنجاز هذه المهمة يمكنهم الذهاب إلى الجامعة والبحث عن النشاطات المميزة لأكثر المهن المحدودة الأفق.

ومع كل هذا التأكيد على غير المحدد فإن (همبولد) لم يعترف بأي نموذج من الخبرة المهنية ضمن مناهجه الدراسية، وسيكون أمراً سوف يناجزه (نيتشه) لأكثر من عقد من الزمن. كان (همبولد) قد درس لسنواتٍ عدة مع الفيلولوجي [عالم اللغة] التاريخي (فريدريك أوغست وولف) عندما ناصر تعلم اليونانية وكان يأخذ بعين الاعتبار المنهج الـ(وولفي) حيث أن كليهما كانا جديدين ومثيرين للجدل. شدد (وولف) على الحاجة لدراسة شاملة لكامل ثقافة العصور القديمة، وعنى بهذا أنه كان يتوقع من الطلاب إتقان كميات من المواد الواقعية التي لم تكن قد بدت مُهمة حتى بيّن (وولف) قيمتها. إن أنواع التفاصيل التي ثمّنها (وولف) وكان يتوقع من الطلاب فهمها بعمق يمكن أن يبدو قليلاً في الواقع للمبتدئين (وحتى بالنسبة لبعض الخبراء)،[3] وشدد المنهج الـ(وولفي) في الفيلولوجيا [علم اللغة] تماماً على نوع المعلومات المشاكسة والمحددة التي كان المنهج الـ(همبولدي) ربما يأمل استبعادها. وبكلماتٍ أخرى، بالرغم من إدانته التعلم المهني فقد قام (همبولد) باستثناء واحد وهو ذاك الخاص بالمتطلبات المتخصصة جداً لعالم اللغة المدرب، وعلى الأقل مؤرخ واحد جادل بأن هذا الاستثناء هو استثناء قاتل في مشروع (همبولد) الإنساني.[4]

(1) Jeismann 1990: 326 - 331

(2) Jarausch 1982: 83

(3) بخصوص تقبل طرق (وولف) في (شولبفورت) انظر Paulsen 1885: 647. وكمدرسة (ساكسونية) سابقة فإن (شولبفورت) كانت قد شكلت نفسها على مبادئ (هيرمان Hermann).

(4) كما يلخص (ديهل Diehl) بشكل مثير «في رفع (همبولد) لـ(وولف Wolf) كنموذج لجامعته الجديدة في

في هذ الأثناء، ومع كل هذا التأكيد على (همبولد) ومثالياته فإن النظرية التعليمية التي حاول فرضها على المدارس البروسية لم تكن عمليةً حقاً، ويمكن إنجازها فقط بأشكال منقوصة. إلى ذلك المدى ـ وبما أن معنى اكتساب المعرفة تغير على مدى القرن وكما سيظهر في فصل لاحق ـ [1]، فقد تم إدخال التنافر الأيديولوجي إلى النظام، المعلمون المقلقون والطلاب الغامضون. كبدايةٍ، شغل (همبولد) منصبه كرئيس المدارس لمدة ستة عشر شهراً فقط، والكثير من الأفكار والممارسات التي دعمها كان قد تم اقتراحها من قبل آخرين بادئ الأمر.[2] وكأي سياسات جديدة، واجهت تجديداته المقترحة مقاومةً كبيرة لا سيما من قبل الزعماء الدينيين والأهل المعنيين، وكان أول قلق عن دراسة الوثنيين والثاني عن إهمال المهارات العملية. وعلى أي حال فإن الدولة نفسها عدّلت سياساتها على مدى القرن اللاحق، ففي بعض الأحيان قام معلمو (الجمنازيوم) المدهشين بمحاولة توفيق هذه الإجراءات مع مثاليات الـ((بيلدانغ)).[3] في الواقع، هناك اليوم من يعتقدون أن مشروع الـ((بيلدانغ)) بأكمله لم يكن موجوداً في الحقيقة، ولكنه كان أسطورة تم وضعها من أجل المهرجانات الأكاديمية ولعب دوراً صغيراً في الممارسة اليومية.[4] ومن المؤكد أن رؤية (همبولد) قد وهنت وأصبحت بيروقراطية مع وقت مجيء (نيتشه) تحت تأثيرها وكانت تعرض جانباً مظلماً بشكلٍ متزايد.[5] ومع ذلك وعلى الرغم من أوجه القصور والتفاوت في التنفيذ، فإن المنهج الجديد للتعليم كان متفوقاً بوضوح على النماذج التي كانت قد سادت في القرن الذي سبقه، وبالتالي سوف يبدو أن التعليم في (بفورتا) كان ذا هدفٍ حميد مع كل تسلطه وشدّة انضباطه. كانت صرامة المدرسة استراتيجية صممت معاييرها العالية للتحفيز والإلهام، وعلى الرغم من الزخرفة المسيحية، فإنها لم تخلط التعليم بالتنوير، وفي الحقيقة اتُهمت الإدارة مراراً بإهمال الدين. لذلك كانت أيديولوجية المدرسة ساحرة ومغرية بالنسبة لـ(نيتشه) الشاب، فتشديدها على تنمية الذات و(بناء الروح) سوف يطعن في تنشئته المسيحية ومخاوفه بخصوص الهوية.

(برلين) هناك نوع من انتحار الإنسانية، الإنسانية التي من أجلها ندب (نيتشه) آخر علماء اللغة» Diehl 1978: x. لمعرفة كيف ولماذا فعل (نيتشه) ذلك، انظر الفصلين 12 و13.

(1) انظر الفصل 12، القسم 2.

(2) لعرض مشكوك فيه ويمدح إسهام (همبولد) انظر Fallon 1980: 11 - 14, 27 - 28

(3) انظر See Jeismann 1990: 317 - 345

(4) McClelland 1980: 21

(5) انظر الفصل 12، القسم 2.

في حال ناشدت المفاهيم الدينية للروح ستكون خدمت كشيءٍ مثل حصان طروادة لأن مثاليات (همبولد) كانت علمانية في الأساس في حين غير معادية للدين ولم تطلب أي إشارة محددة إلى الرب. وكانت جاذبية هذه الرؤية الوثنية المشفرة أكثر إغواءً لأنها كانت متأصلة بشكل لا شعوري. بالنسبة لأطفال ألمانيا في القرن الثامن عشر وتحديداً هؤلاء الذين من نفس طبقة (نيتشه) الإجتماعية، فإن فوائد الـ((بيلدانغ)) كانت جزءاً من الهواء الذي تنفسوه كأمر ضمني وسُلّم به كعقيدة الإيمان المسيحي. وكما نوقش سابقاً فإن الطبقة ذاتها التي انتمى إليها (نيتشه) سوف يُشار إليها لاحقاً باسم ((بيلدانغ سبورجيرتوم Bildungsbürgertum)) (بالألمانية الطبقة الوسطى المثقفة)،[1] وكان يبدو أن من واجبه الاجتماعي أن يطور الذات من خلال الإنغماس في الكلاسيكيات. إن المفاجئة ليست أنه قد اعتنق هذه الأخلاقيات ولكن تمكنه من أن ينأى بنفسه عنها كلياً. سوف يتصارع (نيتشه) مع معنى واستخدامات التعليم طوال حياته، ولكن تم غرس المصطلحات الأولية لهذا التساؤل في (بفورتا). ومثل (نامبورغ)، سوف تبرهن على بيئة لا يمكنه الهروب منها كلياً.

3

أمضى (نيتشه) في (بفورتا) ستة أعوام، أي أقل بسنتين فقط مما أمضاه في (نامبورغ) مع أن الظروف كانت مختلفة جداً، ففي البلدة كان طفلاً يُتوقع منه أن يفعل كما يُقال له، وفي المدرسة الداخلية، واجه المزيد من التنظيم ولكن لم تعد والدته معه تنظر من فوق كتفه وهو شكل حميم من المراقبة التي ربما تمنى أن يتخلص منها. ومع كل انصياعه الظاهري، فقد أحب (نيتشه) أن يكون له طريقه، ويبدو أنه اعتقد، بما أنه الرجل الأخير على قيد الحياة في العائلة، فقد شعر بمسؤولية تطوير نفسه لذا كان يميل للتقليل من أهمية دور والدته، وهو تكتيك ربما كان سهلاً بسبب وضع (فرانسيسكا) الضعيف بين أهل زوجها. وعندما راجع حياته في أوائل العشرينات من عمره كان يكتب أن كونه يتيم الأب «كانت النواحي الأساسية في تربيتي ((إرزيهونغ Erziehung)) قد تُركت لي»،[2] وهو تصريح يمكن أنه قد آنس المرأة التي ربته في مرحلة المراهقة المبكرة. في حال كان تصريح (نيتشه) يتناسى إسهامات والدته (حيث أنها جعلت من نفسها قرباناً من أجله) من أجل رفاهه فهو أمام حقيقة هامة. من وجهة نظر فكرية

(1) انظر الفصل 2، القسم 3.

(2) KGW 1 - 5: 52

وفنية فقد تجاوز بكثير قدراتها على الاستيعاب، وبعد بداياته المتواضعة والفردية نسبياً في شقة معتمة ومدرسة (أولاد البلد) فقد حقق تقدماً هائلاً في كل من الموسيقا والشعر وصنع من نفسه ضيفاً مكرماً في منزلين لعائلتين من أكثر العائلات المرموقة في البلدة، وسرعان ما سيوجه انتباهه للأمور الفكرية ويصبح طالباً بارزاً. قد تدخله والدته هذه العوالم لكنها لا تستطيع مساعدته على الازدهار هناك، وعلى الرغم من مساهمة أصدقائه فإن مساعدتهم لا يمكن أن تحتسب من أجل جودة إنجازاته التي نافست إنجازاتهم في الفنون على الأقل.[1] كان (نيتشه) يشكر نفسه لتطوير مواهبه ويمكن أنه لهذا السبب كان فخوراً بملاحظة أنه عندما انتقل إلى (بفورتا) فإن والدته أعطته حق الرفض التام، فقد كان بإمكانه الرفض.[2] إن سماح (فرانسيسكا) لابنها بالقرار النهائي بخصوص الانتقال قد يفسر قبول (نيتشه) السريع للمدرسة. في حال كانت المدرسة قد انتهكت حريته بوضوح أكثر مما قامت هي به، فسوف يتذكر على الأقل أن التحاقه بالمدرسة كان خياره. ربما يكون أيضاً قد أمل بأن أحداً من أعضاء هيئة التدريس قد يقدم أنواعاً من الإرشاد الذي لم يتلقاه مسبقاً، وإذا كان الأمر كذلك فقد خاب ظنه. وكما لاحظت أخته بحق،[3] فإن معلمي (نيتشه) قد اعتبروا أنه من غير المهني إيلاء اهتمام زائد لطالب معين، وكان الاستثناء المحتمل الوحيد هو معلمه الخاص (روبرت بودينسيغ) عضو هيئة التدريس، الذي كان واجبه المحدد هو تقديم المشورة للأولاد تحت رعايته. إن (بودنسيغ) كان بعمر الواحد والأربعين عاماً عندما قابله (نيتشه) للمرة الأولى، ولم يكن فقط القس المساعد للمدرسة ولكنه كان رجل دين أكثر مبادرة وإحساساً بالمسؤولية من القس الرئيسي الذي كان يعتبر متراخياً بشكل عام.[4] يصور معظم كتاب السيرة (نيتشه) بأنه مولع جداً بمعلمه الخاص، وفي حين لا يوجد سبب للشك بذلك فهناك أدلة قليلة بأن ذلك صحيح أيضاً.[5] انطلاقاً من دفاتر ورسائل (نيتشه) يبدو أنه كان يعتبر الرجل كما اعتبر معظم البالغين كفردٍ ذي شخصية بسلطة زائدة قبل وجوده بدون حماس أو مقاومة صريحة. ومع ذلك كان (بودينسيغ) مسؤولاً عن رعايته وكان أول من يقترب عندما يحتاج المساعدة.

---

(1) « Rivaled» (تنافس) للقيام بالحكم على المرء أن يقارن القصائد والمؤلفات المكتوبة من قبل (فيلهلم) و(غوستاف) مع التي أنتجها (نيتشه).

(2) KGW 1 - 2: 263

(3) Förster - Nietzsche 1912: 102.

(4) Bohley 2007: 91 - 92, 94 - 97, 123 - 126, 166

(5) انظر الفصل 7، القسم 3.

كان الصديق الأكثر تحفيزاً هو الطالب المسؤول (أوسكار كرامر) ويبلغ من العمر تسعة عشر عاماً في سنته الأخيرة في المدرسة، وكثيراً ما أخذه (نيتشه) معه لزيارة والدته في (نامبورغ). احترم (نيتشه) (كرامر) وأحبه بصدق وسوف يظهر هذا الاسم عدة مرات في رسائله.[1] ولسوء الحظ فقد تخرج صديقه المفيد في نهاية عام (نيتشه) الأول في المدرسة وتم استبداله بـ(ريتشارد براون) وقد عارض (نيتشه) في البداية هذا الاستبدال. ويشير (نيتشه) في أحد كتب مذكراته إلى أن (براون) كان محتقراً من قبل معظم أعضاء الهيئة الطلابية وخشي (نيتشه) بأنه سيعاني فقدان الهيبة كما هو حال (براون).[2] وعلى كل حال فإن (براون) كان قد طلب موافقة (فرانسيسكا) مسبقاً والأم بدون علمها بسياسات الطلاب وافقت على طلبه.[3] وكان (براون) على ما يبدو الطالب المسؤول عن (نيتشه) لمدة سنتين حتى تخرج في ربيع عام 1861. وبصرف النظر عن احتجاجات (نيتشه) في بداية علاقتهما فلا يوجد أي دليل على التوتر، وجلب (نيتشه) (براون) وأخيه الأصغر بشكل متكرر إلى المنزل لمقابلة والدته. ومع ذلك فإنه من غير المرجح أنه قد تجاوب مع (براون) بنفس الاحترام والإعجاب اللذين أكنهما لـ(كرامر).

بعيداً عن معلمه الخاص يبدو أنه كان لـ(نيتشه) اتصال شخصي بسيط مع هيئة التدريس، ولم تشجع ثقافة المدرسة السلطوية الرعاية التي حصل عليها. وبعد أربعة أعوام من التخرج سوف يفسر هذا بعباراتٍ من شأنها أن تُري إلى أي مدى يفتقد الشخصية الأبوية في حياته. «والدي... لقد توفيت باكراً، افتقرت إلى الإرشاد الصارم والمتفوق من ذكاء رجولي. عندما كنت صبياً جئت إلى (شولبفورت) وتعرفت فقط على بديلٍ للتربية الأبوية، الانضباط الموحد لمدرسةٍ منظمة. ولكن كان هذا كقسر عسكري فقط، الذي وبسبب أنه يفترض أن يعمل على الجماهير ولكنه يعامل الفرد ببرود وسطحية، أرجعني إلى نفسي مرة أخرى».[4] باستثناء الإشارة إلى «الإرشاد الصارم والمتفوق من ذكاءٍ رجولي» وهو تقييم قد يثير الدهشة في هذا القرن، يبدو أن تحليل (نيتشه) عادلٌ وذو بصيرة. وهو يشرح أيضاً لماذا ـ مهما كان معجباً بـ(شولبفورت) ـ عاد في نهاية المطاف إلى مصادره الخاصة. فاقد العائلة والأصدقاء وحتى

---

(1) انظر المديح في مذكراته: KGW I - 2: 99 - 100

(2) KGW I - 2: 119. كان هناك اثنين من الأخوة (براون Braune) هما (ريتشارد Richard) و(أليكسيس Alexis) ودعاهما (نيتشه) (براون 1) و(براون 2).

(3) Rosmiarek et al. 2003: 329 - 330

(4) KGW 1 - 5: 52 .

المعلمين المغادرين بطريقة إيجابية، لا بد أنه صبي محبط في الواقع، كما أصغى إلى دروسه وحاول إشغال نفسه بالواجبات المدرسية التي اهتم بها قليلاً بشكل صادق في البداية.

ومن المدهش أنه لم يفشل لكنه رفع نفسه من الأداء الباهت إلى الإنجازات الاستثنائية. وقد لا يكون الأمر مفاجئاً لو أنه كان يميل للمنحة الدراسية بمزاجه الخاص، إلا أن ميول (نيتشه) الأولى كانت نحو الشعر والموسيقا وكان دائماً يغتاظ من العمل الشاق واللاشخصية وجفاف التعليم والبحث الإلزاميين. حدثت نقطة تحول بهذا الخصوص قرابة بداية عامه الثاني في (بفورتا). في الأشهر السابقة فكّر مراتٍ عدة في قضايا الانضباط الذاتي، فيما إذا كان من الأفضل أخذ الحياة باستخفاف أو أن تجدّ في الواجبات وتنجز شيئاً جديراً بالإهتمام، وبشكل عام كيف يمكن استخدام سنوات دراسته بفعالية أكبر.[1] إن عيد ميلاده الخامس عشر (15 أكتوبر عام 1859) طبع في ذهنه إحساس خسارة وزوال الفرصة وقد كتب: «يعبر الزمن مثل ورود الربيع ويعبر السرور مثل زبد الغدير»[2] كان هذا هو الموضوع الذي ألهم سيرته الذاتية الشخصية الأولى، وربما كان من المقلق أنه التفت إلى هدية من عمته (روزالي) وهي سيرة ذاتية لـ(ألكسندر فون همبولد)، العالم المتوفى مؤخراً والباحث والشقيق الأكبر لـ(فيلهلم).[3]

يبدو أن هذا الكتاب قد ألهب خيال (نيتشه) وألهم فيه وللمرة الأولى حب التعلم لأجل التعلم نفسه. فقد قال «استحوذ عليّ نشاط كليّ نحو المعرفة والعلم الشامل» مضيفاً «أيقظ (همبولد) هذا الشعور داخلي. يمكن أن يكون دائماً كالتفاني الذي أكنه للشعر!»، وتابع برسم لسيرة ذاتية واصفاً «الأحصنة الصغيرة» التي استحوذت عليه في الطفولة، ودوّن ستةً وثلاثين موضوعاً قد اهتم بها منذ ذلك الوقت. وفي الختام هتف قائلاً «فسيحٌ هو مجال المعرفة، لا نهائي هو البحث عن الحقيقة!» وأضاف كطفل ورع «وفوق كل شيء فإن الدين هو أساس جميع المعرفة؟»[4]

إن هذا الإقرار المنتشي قد يكون لحظياً، مزاجٌ عابر لم يرجع له الصبي مرةً أخرى. وبدلاً

(1) KGW I - 2: 109 - 110, 125

(2) KGW I - 2: 134

(3) KSAB I: 82 انظر Klencke 1851

(4) KGW I - 2: 134 - 136. حلل (Schmidt) هذه المقدمة مطولاً - Schmidt 1991 - 1994 III:457

471

من ذلك، عقد أمره وبعد ستة أشهر أصبح الـ(بريموس) أي الطالب الأول في صفه، وهو تشريف سيحصل عليه في (بفورتا) ثلاث أو ربما أربع مرات على الأقل.[1] ومنذ هذا الوقت وصاعداً فإن اهتماماً مستمراً بالمنحة الدراسية نافس متعته بالموسيقا والأدب باعتبارهما النزعة الغريزية الأساسية لحياة شبابه. وفي النهاية هذا من شأنه أن يولد تعقيدات، لفترة من الزمن كان الشعر والموسيقا متوافقين وحتى متآزرين ولكن الفنون والمنحة الدراسية لم تتعايشا معاً بشكل إيجابي. سوف يستغرق (نيتشه) عدة سنوات قبل أن يدرك آثار هذا الأمر، وعموماً في هذه الأثناء مضى خلف شغفه الجديد ببراءةٍ سعيدة جالباً درجاته إلى مستوى قدراته.[2] ومن المثير للإهتمام أن هذا التركيز ـ ربما لأنه مهد لفجوته النفسية التي لم تكن موجودة مسبقاً ـ أيقظ (نيتشه) لضرورة التنظيم الذاتي. لقد كان منزعجاً بالخصوص من مشكلة واحدة وهو العيب الأكثر غدراً عندما يتنكر كفضيلة صافية. تقوم هذه الخاصية بأول ظهور موسع له في المقدمة التي تمت مناقشتها حيث يقول «استحوذ عليّ نشاط كليّ نحو المعرفة والعلم الشامل» مسجلاً ذلك كما أعلنه، وجد ستة وثلاثين مجالاً للإهتمام. حتماً عند جمع هذه القائمة فإن تنوعها الكلي بدأ يربكه، فهو لم يكن متأكداً من كيفية تجمع هذه المواضيع مع بعضها، وهو يبحث عن سبلٍ لتنظيمها بشكلٍ فعال.

بدأت في السنوات اللاحقة هذه الـ«استحوذ عليّ... العلم الشامل» تبدو مشؤومةً بعض الشيء كما لو أنه في متابعة العديد من المواضيع كان يشتت الذات ويضيع الوقت والفرصة كهاوٍ للعلم. وبناءً على ذلك بدأ (نيتشه) بتفسير سعيه لاهتمامات متعددة كنوع من التشتيت الفكري، والإشراف الأفضل من ذلك هو النوع المقدم من الوالد وينبغي أن يتم إدراكه مقدماً. كتب واصفاً عواقب وفاة (لودفيغ) «ربما كان من الخسارة أن كامل تطوري منذ ذلك الحين لم يتم الإشراف عليه بعين ذكورية، ولكن ذلك الفضول وربما أيضاً التوق للمعرفة قدم بأعظم فوضى قضايا أكثر المواضيع التعليمية تنوعاً... مما يحير عقلية ذكية شابة بالكاد خرجت من

(1) وفقاً لـ(شميدت Schmidt) كان عدد الطلاب الذين يجب على (نيتشه) أن يتخطاهم كان تسعة عشر. Schmidt 1991 - 1994 III: 486. يعزو (شميدت) توقيت هذا التشريف لإدراك (نيتشه) أنه يجب عليه أن يأخذ مصيره في يديه بعد وفاة جده. وبالنسبة لعدد مرات حصول (نيتشه) على الـ(بريموس Primus) أنظر ص 145 الحاشية (4).

(2) للإطلاع على ارتفاع درجات (نيتشه) انظر Brobjer 1999: 311. لاحقاً سوف يندب (نيتشه) أن ميله المبكر لتشتيت طاقاته دام حتى عامه الخامس عشر وهو عمر يتوافق مع قراءته لسيرة (همبولد) الذاتية KGW I - 3: 418

العش، وفوق كل ذلك التغرير بأساس التعلم المتين».[1] ومن شأن هذا القلق أن يفضي إلى أحد أهم القرارات في حياته.[2]

4

يمكن أن تبدو « استحوذ عليّ... العلم الشامل» مشكوكاً فيها بالنسبة لـ(نيتشه) ولكن لها استخداماتها في المدرسة. كما ذكر سابقاً فقد استغرق الطالب الجديد شهوراً ليتحول من كونه مجهول الهوية ليصبح معروفاً ومؤثراً لدى معلميه. وبحلول عيد الفصح في سنته الثانية في المدرسة كان قد جُعِل (بريموس) [الطالب الأول في صفه]،[3] وهو منصب يشير إلى أنه لم يكن فقط الأول أكاديمياً على صفه، ولكن أنه سيصبح المسؤول عن حفظ النظام ضمن مجموعته عندما يكون المعلم غير موجود.

نال في السنوات اللاحقة لقب الـ(بريموس) عدداً من المرات[4] ونال أيضاً الدرجة الأولى ثلاث مرات،[5] ومن غير العادي أن تمر عدة سنوات بدون أن يتكرر ذلك. بدأ المعلمون مناقشته خارج أوقات الدرس وفي سنته السادسة قام أحد المعلمين بتحفيزه في جلسة خاصة حول إحدى مقالاته.[6]

وبصرف النظر عن هذه الإنجازات المدرسية، وعلى الجانب فقد اتبع (نيتشه) طموحاته الفنية مشتغلاً على الكلمات والمسرحيات والخيال فضلاً عن العديد من الأعمال الموسيقية.

---

(1) KGW I - 3: 418

(2) انظر الفصل 8، القسم 5.

(3) Benders et al 2000: 65. لم يذكر (نيتشه) هذا التشريف وهذا غريب باعتبار أنه وبمناسباتٍ لاحقة كتب الكثير عن الواجبات التي يلزمه بها وضعه.

(4) هناك اجماعٌ عام (مع قليل من الجدل) حول الوقت الذي جعل (نيتشه) فيه (بريموس). انظر كمثال Brobjer 2001b: 328. تظهر رسائل (نيتشه) على أنه أعطي هذا المنصب في ابريل 1860 واكتوبر 1860 وابريل 1861 وثم بعد فجوة سنة في اكتوبر 1862. ومن الواضح أنه جُعل (بريموس) في ابريل 1863 حيث فقد هذا المنصب بسبب سوء السلوك. (انظر الفصل 7، القسم 6) وهذا سوف يتوافق مع فصوله الدراسية الرابع والخامس والسادس والتاسع والعاشر والتي يتطابق بعضها ولكن ليست مع كل اقتراحات (بروبير). انظر أيضاً Hödl 2009: 145, n. 362

(5) عدد مرات الدرجة الأولى التي نالها (نيتشه) غير واضح ولكن يبدو أنها قد حصلت: المقالات عن (ميثراديتس Mithradates) و(شيشرون Cicero) KSAB I: 209، ولدراسة (ارماناريش Ermanarich) من عام 1863. Wilamowitz - Moellendorff 1928: 71

(6) Gilman and Reichenbach 1981: 47

وفي حال كان زملاؤه الطلاب معجبين بهذه النشاطات فالكلية لم تبد رأياً. ووفقاً لـ(ويلامويتز) فإن المدرسة قد أهملت الفنون،[1] ويبدو أن جهود (نيتشه) الخلاّقة قد خلقت ضجة صغيرة بين المدرسين. وبما أنه قد حقق هذه الإنجازات الفنية بإحساسه الذاتي فقد بدأ حماسه الأساسي لتلك المؤسسة بالتداعي. بعد ستة أشهر من وصوله سمح لنفسه أخيراً بالحنين إلى الوطن، وبدأ بتطوير رغبة عاطفية لحرية الإجازات وعطل الفصول الدراسية. ويبدو أن عطلة عيد الفصح الأولى قد فجرت بعض الأمور، وكتب إلى (فيلهلم) «لن تصدق الإختلاف الشديد عندما لا تكون عائلة المرء ومدرسته في مكان واحد. في نهاية العطل تترك وراءك الإسترخاء الممتع والتسلية المريحة. وأنا أيضاً أبعد نفسي لوقت طويل عن المنزل والعائلة وأفراحهم لأعيد الدخول في بيئة غريبة».[2] وبعد ذلك بسنة لم تشف جراحه وكتب بشعرية أكثر «حياتنا في (بفورتا) ليست سوى ذكرى دائمة وأمل».[3]

كما قد يكون من المتوقع أن الحنين لعب دوراً في القصائد المكتوبة في ذلك الوقت ولكن في هذا الموضوع فإن (نيتشه) يذهب مباشرة إلى الهدف. وفي الأساس فإن (نامبورغ) ليست هي التي يحن إليها ولكنه العالم المختفي من (روكن) تلك الجنة الأسطورية الكبيرة التي تقبع الآن على بعد عقد من الزمن إلى الوراء. وكما تمت ملاحظته فعلاً فإن الكثير من كلمات (نيتشه) تحتفل بالطبيعة على نحو متزايد وأيضاً بالغابات والمروج ويذكره صوت الصباح بعائلته من طرف أبيه. «منزل الأب» ((فاترهاوس Vaterhaus)) الذي كان غائباً عن عالمه. مع اقتراب فصل الصيف ومعه الزيارة إلى عائلة (أولر) القريبة من (روكن) فإن السرعة تتزايد و((فاترهاوسVaterhaus)) يصبح أقرب وواقعياً. بكى: «موطني! موطني!» وكتب «يندفع قلبي بابتهاج نحو الوطن».[4]

مع أن المواجهة مع القبر الحقيقي والقسيس في (روكن) قد تركته مستاءً ووجد نفسه يعود إلى الغابة، وبصورة أكثر قتامة إلى اعتبار أن كل البشر مشردون بطبيعتهم وسوف يبقون كذلك حتى يدخلوا مسكنهم الحقيقي وهو الجنة. كان (نيتشه) يصبح مدركاً بوضوح لتلك المشاعر بشكل أعمق من الحنين الذي يقبع خلف هذا البحث عن الوطن. في ذلك

(1) Wilamowitz - Moellendorff 1928: 74, 66

(2) KSAB I: 59

(3) KSAB I: 92

(4) KGW I - 2: 77, 78

الوقت كانت الطفولة حالةً زائلة وكان عالم ماضي (نيتشه) قد بدأ في الاختفاء. كان منزل العائلة غالباً ما يكون ممتلئاً بالأقارب ـ والغرباء في النهاية ـ بمجرد بدء والدته تأجير الغرف. وسوف تنتقل (إليزابيث) لعدد من الأشهر لتقصد مدرسة الفتيات في (درسدن). ولتتويج كل ذلك فقد وقع حدث سيضع نهايةً لمرحلة الصبيانية كاملة، ففي شهر أوغست عام 1859 كان والد (فرانسيسكا) (ديفيد أولر) قد احتفل بعيد ميلاده الثاني والسبعين في مزرعة العائلة في (بوبلز)، وكما تم ذكره كانت هذه المناسبة التي ألهمت على ما يبدو الكثير من القصائد حول الوطن والـ((فاترهاوس Vaterhaus))، وفي قصيدة عيد الميلاد حيّا (نيتشه) صراحةً استذكار مكان ولادته و«خلاف ذلك آثار الطفولة المختفية».[1] إن مثل هذه الكلمات سوف تؤكد التهكم. وفي ذلك الخريف مرض (ديفيد أولر) وتوفي في 17 ديسمبر عام 1859، ومن الواضح أن السبب كان الإنفلونزا مجبراً عائلته على إخلاء المبنى. ومن المؤكد أن وفاة الجد قد أزعجت (نيتشه) لأن الرجل ربما كان أقرب إلى شخصية الأب الذي كان قد عرفه. إلا أن رسائله كانت صامتةً إلى حدٍ كبير بخصوص هذا الأمر، وقد يكون أظهر اضطرابه بطريقة غير مباشرة.[2] بعد مضي خمسة أيام في شهر يناير وجد نفسه في مشفى المدرسة بسبب سعال حاد وسيبقى هناك لقرابة الأسبوعين.[3] هذه لم تكن زيارته الأولى لجناح المرضى وسوف يصبح مألوفاً هناك خلال سنواته في (بفورتا). بينما نادراً ما يأتي الطبيب على تشخيصٍ قاطع، فإن أعراض (نيتشه) المزمنة ـ روماتيزم وبردية وصداع شديد ترافقت مع عينيه ـ كانت تقعده لأسابيع كل مرة. ومن الصعب الإعتقاد بأن مرض (نيتشه) في هذه الحالة لم يكن له بُعدٌ نفسي. وقد تجهمت إدارة (بفورتا) من التمارض، وكان الطبيب (زيمرمان) ينظر بالعين الخبيرة إلى الأطفال الذين يأتون إلى المشفى، ومع ذلك فقد كان مرض الصبي على أي حالٍ حساساً ومن المرجح أن يأتي في أعقاب صدمة نفسية. وكان أيضاً بعد فترة وجيزة من وفاة (فريدريك فيلهلم الرابع) المجنون والمخلوع في يناير عام 1861 أنْ مرض (نيتشه) بحمى رئوية شديدة ألزمته السرير لقرابة ستة أسابيع.[4]

وفي هذه الأثناء جلبت وفاة القس (أولر) معها نفس النتيجة العملية التي كانت قد تبعت وفاة والد (نيتشه) منذ أحد عشر عاماً. يجب إخلاء منزل القسيس أي هجر المنزل.

(1) KGW I - 2: 93 - 95

(2) ذكرها فقط مرة واحدة في KSAB I: 89

(3) Volz 1990: 329

(4) Volz 1990: 329

ومع خسارة المنزل الريفي في (بوبلز) بالتالي فقدت عائلة (نيتشه) الوصول السهل إلى (روكن) التي تبعد مسافة رحلة بالعربة. وكانت هذه نهاية الزيارات المنتظمة إلى قبر (لودفيغ)، ولا بد أن (نيتشه) ذا الخمسة عشر عاماً قد تأثر بذلك مع وفاة جده، وكان قد خسر الـ((فاترهاوس Vaterhaus)) الخاص به للمرة الثانية. هناك فراغ في مذكراته ما بين فبراير 1860 وأغسطس التالي، وأفكار غير معروفة خاصة خلال الربيع. وبالطبع كـ(بريموس) فإن (نيتشه) كان مشغولاً جداً ولكن يمكن أنه كان أيضاً تحت سيطرة التناقض الذي حلّه بهدوء، وفي حال (نيتشه) لم يذكر كثيراً وفاة جده في مذكراته فإن إدخالين سجلا آثارها. الأول هزلي تقريباً ويعكس فرضاً مدرسياً، ففي وقت خسارته لمنزله الريفي الثاني طُلب من (نيتشه) كتابة مقال بعنوان «هل من الأفضل العيش في المدينة أو الريف؟»[1] (بالتأكيد هو فضل الخيار الثاني). وأكثر من ذلك فقد كتب خمسة قصائد لوالدته التي يصادف يوم عيد ميلادها 2 فبراير، أكثر من شهر بقليل بعد وفاة جده (والدها). إن الأثر النهائي لهذه المجموعة من الأمور هو ذو حدين، فمع أن كل القصائد تتعامل مع الحزن والخسارة فإن بعضها يملك نهاية مسيحية سعيدة في حين أن البعض الآخر ثاقب لا يرحم. تبدأ القصيدة الأولى:

في الأقاصي، في الأقاصي
تشع نجوم حياتي
وبلفتةٍ محملةٍ بالحزن
أتأمل سعادتي الغابرة

من هذه البداية الحزينة يستحضر الصبي نهايةً سعيدةً غير مقنعة، كما يواسي نفسه بالأفراح الأبدية. لكن القصيدة لا تتوقف عند هذه الفكرة. فمباشرةً بعد ذلك ومثلما يبدو أنها انتهت، يقطع (نيتشه) ابتذاله بقلادة أورفية [نسبة إلى أورفيوس وهو موسيقي وشاعر ونبي أسطوري في الأديان والأساطير اليونانية القديمة] تصدم بعنف كل ما سبق.

أرى قارب شارون يتمايل
مع أوتار القيثارة الذهبية
أنادي مرةً أخرى من غرقوا
ويقتربون مني ويحيطون بي

(1) KGW I - 2: 179 - 180

بضوئهم الساحر

أحاول الإمساك بهم... يشحب لونهم

وينبغي عليّ تركهم يغرقون مرة أخرى...

آمالي انعدمت![1]

[شارون هو مراكبي حادس الذي يحمل أرواح الموتى عبر نهر ستيكس]

قد يكون الإستجداء الصريح للوثني (حادس) مفاجأةً في هذه القصيدة، يأتي في أعقاب رؤية مسيحية ضمنية للسلام الأبدي. والأكثر إثارة للقلق أن (نيتشه) ينتقل من الحنين إلى الإعتراف بقطعية الموت. لن يكون هناك قيامة هنا وفي حال عدم حدوث ذلك فلن يكون هناك راحة من خلال تأمل الأفراح الأبدية. فالميت ميت: النتيجة هي القسوة وإلى النقطة («آمالي انعدمت!») يجب أن نتذكر أن (ديفيد أولر) كان رابع عضو من العائلة القريبة يتوفى خلال خمسة عشر عاماً من حياة الصبي، وأن ثلاثةً من تلك المغادرات (من ينتمون إلى عائلة أولر، لودفيغ، وإردموث نيتشه) قد أدت مباشرة إلى فقدان المنزل. وبالتالي فإن أي مسار إلى الوراء وأي جهد لتذكر الماضي قد تم إغلاقه. إذا كانت إدخالات المذكرات من فبراير إلى يوليو لا تزال موجودة فقد يكون ممكناً متابعة صراع (نيتشه) مع هذا الكشف. ومع ذلك فإن النتيجة واضحة. كان قد كتب قصائد عن قبر والده في (روكن) مرتين فقط بينما كان في (شولبفورت).[2] مع هذين الاستثناءين تم إغلاق هذه المواضيع. ومع هذا التخلي يبدو أن (نيتشه) قد رسم نتيجة صارمة ولكن إبداعية. تم الكشف عن لا جدوى الحنين إلى الوطن بالتالي هو لا يستطيع العودة ويجب عليه اعتبار هذا الخيار مغلقاً. كتب «أفضّل الماضي على الحاضر ولكن أؤمن بالمستقبل الأفضل»[3]، وبدأ الصراع من أجل إيجاد مسارٍ جديد يسيطر على أفقه. ومن اللافت للنظر أنه في أعقاب وفاة جده عندما كان مريضاً جداً ولا بد أن الدراسة كانت صعبة نال مرةً أخرى منصب الـ(بريموس). لكنه أعرب بمرارة عن أسفه لكونه محجوزاً في مدرسةٍ داخلية، لقد أدرك أيضاً أنه يستطيع التعلم والنشوء هناك. لقد كان العالم الذي عرفه يختفي ويبدو الطريق إلى الأمام الآن مع المؤسسين العطوفين في (شولبفورت).

---

(1) KGW I - 2: 180 - 181 إن هذه الترجمة حرفية وغير مصقولة ولا تحاول تقديم بنية النظم الشعري اللازم.

(2) KGW I - 2: 225 - 226, 354 - 356. وجه (نيتشه) قصيدةً أخرى إلى والده (324 - 325)، ولكن الأسلوب كان ذا لهجة صلاتية أكثر منها عاطفية ولم يتم ذكر القبور.

(3) KGW I - 2: 444

الفصل السادس

التحول إلى الطبيعية

نميل إلى جعل أنفسنا مسؤولين عن وجودنا، وبالتالي نريد أيضاً توجيه الدقة عن طريق وجودنا الحقيقي وأن لا نسمح لحياتنا أن تبدو حادثةً رعناء[1]

1

من السهل تصور (نيتشه) وحيداً في (بفورتا). خجله وافتقاره للإهتمام بالرياضة، واهتمامه بالفنون والمنحة الدراسية على حساب المواضيع الشائعة الأخرى، كل ذلك أكّد بأنه لن يكون ناجحاً على الصعيد الاجتماعي أبداً أسوةً بالأولاد الآخرين. وفي نفس الوقت تزخر يومياته ورسائله بأسماء الزملاء والأصدقاء، وكما هو متوقعٌ في ظل هذه الظروف الضيقة والحميمية فقد عاش مع زملائه أربعاً وعشرين ساعةً يومياً وتحت كل الظروف من الانسجام في المهجع إلى المجال الفكري في الفصول الدراسية والأنشطة المشتركة من طعام ورياضة. سوف يرتبط حتماً مع بعضهم مؤقتاً ضمن سياقٍ معين، ومع ذلك في حال تطورت أي من هذه العلاقات إلى صداقة دائمة فإن تلك الذكرى لم تحفظ. وكما هو معروف فإنه خلال السنة الأولى ونصف الثانية من بقائه في (شولبفورت) كان زملاؤه الطلاب في الأغلب رفقاء، وفي هذه الأثناء، وفي خريف 1859 وصل طالبٌ جديدٌ إلى المدرسة ولكن سمح له بأن يلتحق بنفس سنة (نيتشه) الدراسية أي السنة الثانية.

جاء (بول ديوسن Paul Deussen) من الإقليم البروسي قرب نهر (الراين Rhine) وهي ثقافةٌ مختلفةٌ تماماً عن (تورينجيا البروسية) وقد شعر بذلك الإختلاف. من المفيد اختبار بعض الطرق التي لم تلائمه لأنهم يشرحون الوسط الذي كان (نيتشه) يعيشه ويظهرون

(1) UO III: 1, KSA 1: 339

خصائص معينة قد تبدو شخصية ـ الإهتمام بالكياسة، ازدراء اللامبالاة ـ قد لا تكون شخصيةً لـ(نيتشه) ولكنها سلوكٌ متوقع ضمن ثقافته وفصله.

في البداية، كانت شروط التحاق (ديوسن) مخزية، حيث تمت تربيته على ما اعتبره التورينجيون خطأً في التعاليم المسيحية، حيث أنه في (هايدلبيرغ Heidelberg) التي كانت كالفينية [نسبةً لـ كالفن] فإن عموم أولاد (بفورتا) الساكسونيين والتورنجيين قد تمت تربيتهم على اللوثرية [أتباع لوثر]. وخلال امتحان التأهل فإن جهل (ديوسن) الشاب بالنص الديني المناسب قد أغضب المفتش (نيس) وهو الأب المسؤول في (شولبفورت)، الذي قام بإبعاد الصبي بازدراء، و(ديوسن) الذي ادعى أنه كان حتى الآن في نهاية صف السنة الثالثة وقد تم تخفيضه إلى بداية السنة الثانية، انزعج من هذا الالتحاق المشؤوم، وأبعد عن زملاءه أكثر بافتراض الصداقة الساخرة التي نشأ معها على نهر (الراين). أولاد (بفورتا) لم يتقبلوا هذا النوع من الفكاهة، ورأوا فيها هزليةً مبتذلة فقط وكان يدعونه الوقح والمتطاول. (عرضياً، عندما أدى صفه «حلم ليلة منتصف الصيف» لعب (ديوسن) دور (بوتوم) مهرج المسرحية الأساسي)[1]. ومع أن درجات الوافد الجديد حتى هذه اللحظة كانت من أعلى الدرجات إلا أنه رآها منخفضة.[2]

بإذلالٍ أكاديمي وازدراءٍ من قبل زملائه، تجول (ديوسن) ببؤسٍ باحثاً عن موطئ قدمٍ في هذه البيئة غير المناسبة أبداً.

يكتب (ديوسن) أن آماله الأولية في تكوين الصداقة مع (نيتشه) كانت مخيبة،[3] ولكن في النهاية اقترب الولدان من بعضهما ربما لأن كليهما شعر بأنه غريبٌ في (شولبفورت)، ولكن أيضاً لأن كلاً منهما أحب دراسته. وفقاً لـ(ديوسن) فإن التقدير المشترك لكلمات (أناكريون) فضلاً عن اليونانية السهلة نسبياً التي كُتبت بها قد وحّد الزوج، وبدأ الاثنان بسرد الروايات بصوتٍ عالٍ بينما يمشون سوياً، وفي النهاية تعهدا بميثاق الصداقة (وأعطيا الحق لكلٍ منهما بمناداة الآخر بكلمة ((دو Du)) أي صديق أو أنت)، المختوم بأخذٍ متبادل لبعض

(1) Feldhoff 2008: 39

(2) Deussen 1922: 62 - 63K 68. وللتبسيط فإن سنوات المدرسة الألمانية، ونتيرتيرتيا Untertertia/، وأوبيرترتيا Obertertia/، ونتيرسكوندا Untersecunda/، وما إلى ذلك... تمت ترجمتها (السنة الأولى)، (السنة الثانية) وهكذا...

(3) Deussen 1901: 3. لترجمة باللغة الإنجليزية، انظر Gilman 1987: 10

السعوط الذي خبأه (ديوسن) في صندوقه. ويشير (ديوسن) إلى أن الصبيين تعلقا ببعضهما بمعزلٍ عن الدخلاء، حيث وجد أحدهما أخيراً أحداً يتكلم معه. «في تلك الأيام في (بفورتا)» يذكر «فهمنا بعضنا البعض بشكلٍ كاملٍ وفي كثيرٍ من الأحيان كانت أفكارنا تخرج عن مسارها باتجاه الغموض وعندما تفشل الكلمات ننظر في أعين بعضنا ويقول أحدنا للآخر، كلانا يفهم». يمكن أن يكون (ديوسن) متعاطفاً مع عزلة (نيتشه) أكثر لأنه كان قد عاناها بنفسه. «عندما أتأمل القساوسة الموقرين، المعلمين، الأطباء، الضباط، المهندسين المعماريين، وما إلى ذلك مما أصبح عليه رفاقنا» لقد كتب «أستطيع أن أفهم أن معظمهم حتى وقتها يفتقرون إلى الحساسية ليفهموا (نيتشه) ولكن ماذا سيحدث لي من دونه، أجد صعوبةً في ذكر ذلك».[1] قد تكون ذكريات (ديوسن) مؤثرة ولكن الترافق كان وحيد الجانب أكثر مما ذكره (ديوسن). من بين الصبيين فإن (نيتشه) كان أبعد قليلاً بالحاجة إلى الرفقة، فقد كان لدى (ديوسن) (نيتشه) فقط كصديق بينما كان للأخير (فيلهلم) و(غوستاف)، اللذين كان يراهما كثيراً وحتى في (بفورتا) هو لم يكن تماماً المبعد الذي يمكن أن يكونه صبي الـ(راين لاند) [أرض الراين]. وعلاوةً على ذلك فإن عائلة (ديوسن) بحنانها ورفاهيتها تبعد مئات الكيلومترات فيما كانت عائلة (نيتشه قريبةً تبعد نصف ساعةٍ مشياً في أيام الأحد. ومن الجدير بالملاحظة أن (نيتشه) نادراً ما يأتي على ذكر هذا الصديق المفترض في إدخالات مذكراته أو رسائله من (شولبفورت)، باستثناء تعداداتٍ عرضيةٍ للزملاء، وثلاث قطعٍ من الشعر الهزلي تسخر منه.[2] ومن ناحيةٍ أخرى، فعلى الرغم من أن (نيتشه) كثيراً ما دعا زملاءه الطلاب للانضمام إليه في رحلة نهاية الأسبوع القصيرة، يبدو أنه لم يقدم (ديوسن) ولا حتى مرة واحدة لعائلته أو أصدقاء البلدة حتى نهاية بقائهم في (بفورتا)، حيث دعاه لقضاء وقت ما بعد التخرج في منزله. (يبدو أن (فورستر ـ نيتشه) غير مدركةٍ أن الصداقة بدأت في وقت أسبق من سنة أخيها الأخيرة في المدرسة).[3] ربما كان (نيتشه) الحساس جداً للسلوك الاجتماعي محرجاً

---

(1) Deussen 1901: 3 - 6, 9, 8 عُدلت من الترجمة الإنجليزية في Gilamn 1987: 13 - 14

(2) KGW I - 2: 304 - 305, 341 - 344. إن الشعر الهزلي مطبوع في KGW I - 3: 76 ربما كتب لـ(Deussen)، رغم أن اسمه لا يظهر فيه. كمثال على إدخالات من الواضح أنها غير مؤذية انظر KGW I - 2: 311 KGW I - 3: 20,24

(3) Förster - Nietzsche 1895: I, 175 يبدو أن (نيتشه) كان يملك مجموعات مختلفة من الأصدقاء في (بفورتا). البعض (براونز، كرامر، ثيودور، ششينك) كانوا رسميين أو مفروضين (ششينك كان ابن صديق قديم لـلودفيغ) وهؤلاء هم الذين قدمهم لعائلته. الآخرون (غرانير، ستوكيرت، ماير) كانوا أكثر حميمية، كدليل على تبادل الأعمال الأدبية. يبدو أن أحداً من المجموعة الثانية لم يُقدم إلى العائلة، يمكن لأنهم

بسبب حماقة (ديوسن) كما كانت لديه اهتماماتٌ لا يستطيع الصبي الآخر مشاركتها. كمثال فإن (ديوسن) لم يظهر أي اهتمامٍ بسيط في الفنون ما عدا الأدب، ورغم أن هذه الأمور كانت قريبةً لقلب (نيتشه) إلا أن الصبي الجديد بدا محدوداً لصديقه، الذي استمر في الاشتياق لرفقائه الأكثر رقياً في (نامبورغ).

في صيف عام 1860 تصور (نيتشه) مشروعاً لم شمله مع (فيلهلم) و(غوستاف) وساهم بشكلٍ كبير في التطور الثقافي للثلاثة. فخلال زيارةٍ إلى خاله (إدموند) في (جورنزن) حيث انضم إليه (فيلهلم)، اقترح (نيتشه) بأن يشكل الاثنان مجموعة يقدمان فيها أوراقاً أدبية أحدهما للآخر للإطلاع والنقد، وبعد نقاشٍ حماسي يشير إلى أن العلاقات بين الأولاد لم تكن دائماً صافية، اتفق الاثنان على توسيع موضوعهما ليشمل المشاريع الموسيقية، وتمت دعوة (غوستاف) أيضاً، وكان النادي الذي أطلقوا عليه اسم (جيرمانيا) أساساً لما يمكن تسميته اليوم مجموعة دعم ثقافية.

أسهم الأعضاء باستحقاقاتٍ لشراء أعمال ثقافية وفنية، وسوف يشارك كل منهم شهرياً بقطعة إبداعية أو علمية يقوم الآخران بنقدها. يمكن أن يبدو (جيرمانيا) كمحاولةٍ غير واقعية ـ ثلاثة أولاد مراهقين يتحولون إلى عمل جدّي مكتوبٍ فقط لأجلهم هم كل ثلاثين يوماً ـ ولكنه تكريمٌ للطموح والتصميم لكل ما بقي خلال أربع سنوات، والأشهر الواحد والعشرين الأولى التي تمت كما خطط لها، حيث قام الأولاد الثلاثة (مع اختفاءات عرضية) بمحاولات خلّاقة أو ثقافية حسب ما خطط له.[1]

2

في حال كان عام 1860 هادئاً جداً بالنسبة لـ(نيتشه) فقد أثبت العام اللاحق أنه من بين أكثر أعوام شبابه محوريةً ويبدأ بحدثٍ سياسي، ففي الثاني من يناير توفي المجنون افتراضياً (فريدريك فيلهلم الرابع) ونجح أخوه بشكلٍ رسمي بالوصول إلى العرش كـ(فيلهلم الأول).

جميعاً كانوا متمردين وسوف يثيرون قلق (فرانسيسكا) اليقظ. وأخيراً كان لـ(نيتشه) أصدقاء لمجرد الرفقة، شباب انطلق معهم كثيراً ولكن خلاف ذلك ظهر لهم غير مبالٍ (بودنشتاين، همبل). الاسم (جيرسدور) لا يظهر على الإطلاق في أوراق (بفورتا) الخاصة به، كما (ديوسن) من النادر أيضاً. وعلى العكس لا يظهر اسم بتكرارٍ - أو في بعض الأحيان بشكل كبير - مثل (جورج ستوكيرت). انظر على سبيل المثال Hödl 1994b: 377. وللمزيد عن أصدقاء (نيتشه) في (شولبفورت)، انظر الفصل 7، القسم 5.

(1) تم سرد النتائج في KGW I - 2: 480 - 483. بعد أول سنتين فقط تابع (نيتشه) المشاركة.

وبينما كانت هناك فترة انتقالية لمدة أكثر من سنتين بقليل، فإن الشكل السياسي للتحول كان أقل دراما مما كان يمكن أن يكون. وبالنسبة لـ(نيتشه) عموماً لا بد أن الخسارة كانت كبيرة، فهو يشارك الملك المشؤوم اسمه وعيد ميلاده، لقد كان مرتبطاً بذلك الحاكم طوال فترة الطفولة، وهي علاقة أبرزها (فيلهلم) مؤخراً في أكتوبر عندما كتب أنه عند الاحتفال بعيد ميلاده ينبغي «أن أتذكر في المناسبات اسمك وعيد ميلادك يا أخي، الملك المسكين في (سان سوسي Sans ـ souci)!»[1] [أبرز فيلهلم أهمية عيد ميلاد أخيه] ومع رحيل هذا الملك المهمش تلاشت آخر الشخصيات التي تمثل الأب من طفولة (نيتشه). هو لا يذكر الحدث في الرسائل ولكن بعد أسبوعين من ذلك الحدث مرض بشدة ووضع تحت مراقبة صحية لشهر ونصف تقريباً (مع فواصل عرضية). وفي نهاية إقامته في المستوصف وجد أن المهجع الصحي مزدحمٌ بسبب أعداد الصبيان الواصلين لإصابتهم بالحميراء، وكان قد أعطي الإذن للنقاهة في (نامبورغ) ومن المفترض أن ذلك كان لإخلاء سرير أو لتجنب العدوى. وفي أوائل عام 1861 أحاطت هالة من الموت الجماعي بالمدرسة بسبب وباء الحميراء، وتبع ذلك انتشار مرض الحصبة التي توفي بسببها طالبٌ واحد. وخلال الأعوام الثلاثة الأولى لبقاء (نيتشه) توفي ثلاثة طلابٍ بسبب أمراض مختلفة من بينهم ابن رئيس المدرسة.[2]

كان ذلك بشكلٍ عام جانبياً، فقط لمجرد الإبلاغ بالظروف. وبالنسبة لـ(نيتشه) فإن الحدث الخارجي الأعظم لعام 1861 تم في 10 مارس عندما خضع لسر التثبيت المقدس، وهو حدثٌ قد تطلب ستة أشهر من التدريس في التعاليم المسيحية، ومع اقتراب الحفل استلم ذو الستة عشر عاماً رسائل وهدايا من الأقارب ومن أصدقاء والده وكلهم نصحوه بأن يحذو حذو عائلته وتراثه. كتب أحدهم «يمكن أن يؤدي بك التثبيت لتصبح مثل والدك» بينما كتب آخر «أنت صورة عن والدك... سوف تبذل قصارى جهدك بالتأكيد لتصبح مثله أكثر فأكثر»، بينما عكست هذه النصيحة إحراج المعارف البعيدين وهم يحاولون الكتابة لصبيٍ بالكاد عرفوه، فكانت الخطابات تبرز موضوع الهوية، وهي كما تدعو لتعريفٍ بالتزامٍ مدى الحياة وهي أيضاً عبء التثبيت. من كان (فريدريك نيتشه)؟ وإلى أي مدىً أراد فعلاً محاكاة المجهول، هل هو أكثر أسطوريةً من (لودفيغ)؟ وسوف يثير الحدث المرافق قضايا مشابهة. يتطلب التثبيت أخذ

---

(1) KGB I - 1: 342

(2) بالنسبة لانتشار مرض الحميراء والحصبة: KSAB I: 147, 154, 157 بالنسبة للوفيات: KSAB I: 120, 157, 186

صورة، وهذه هي الصورة الأولى الكاملة لـ(نيتشه)، وربما كانت الأولى التي شاهدها في حياته، وبالنسبة لمراهقٍ يملك وعياً ذاتياً فإن الصورة سيكون لها منعكسات حتى وإن لم تكن الصورة مغرية. الأقدام متباعدة والميل تجاه حافة واليد اليمنى موضوعة داخل المعطف مثل (نابليون)، لقد كان يشبه عدداً لا يحصى من المراهقين في صورة الكتاب السنوي. اعترف (نيتشه) بجوانب بشاعة الصورة في رسالة لوالدته وأخته: «وضعيتي منحنية وقدماي معوجتان نوعاً ما ويدي تبدو مثل الزلابية» وعلى الرغم من هذه المخاوف بدا أكثر سعادةً من أن يكون مكدراً وطلب الحصول على نسخة.[1] أثار أيضاً التثبيت مسألة التزام (نيتشه) بالمسيحية فوفقاً لـ(ديوسن) تبنى صديقه بحماسةٍ النواحي الدينية للمناسبة، حيث أخذ القربان المقدس وقام بالإعتراف،[2] وهي شعائر بغيضة لبعض اللوثريين ومنهم (ديوسن)، والذي بعد محاولة أخرى اختار ألا يعيد الكرة.[3] ويشير (ديوسن) أيضاً إلى أن الولدين كانا فريسةً لهياج التقوى الذي استحضره بقوة بعد أعوام. «بينما مشى الخاضعون للتثبيت إلى المذبح في أزواج ليتلقوا التقديس على ركبتيهم، فإني و(نيتشه) كصديقين مقربين ركعنا جنباً إلى جنب، لا أزال أذكر جيداً الإنطباع المقدس والوجدي الذي ملأنا... لقد كنا على استعدادٍ تامٍ للموت مباشرةً لنكون مع المسيح، وتألقت جميع أفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا بفرحٍ عظيم».[4]

لقد ذكر (ديوسن) ذلك بعد أربعين عاماً من الأحداث، وربما قد بالغ بخصوص حماس صديقه الديني. نادراً ما يذكر (نيتشه) تثبيته في رسائل، وعندما يفعل فإنه يمر كحدثٍ من بين أحداثٍ أخرى، وخارجياً يبدو أنه لم يعط الاحتفال أي اهتمامٍ يذكر ومع ذلك فإن جانباً واحداً من مسيحية (نيتشه) يجعل قصة (ديوسن) معقولة، حيث أن (نيتشه) لم يبد مهتماً أبداً بالـ(دوغماتية) [الدوغماتية هي فرعٌ من علم اللاهوت] وعلى عكس والده لم يثبت أي خوفٍ كبيرٍ من الرب أو قلقٍ من أن سلوكه الشخصي قد يكون خاطئاً، إن المكان الوحيد الذي عنونه (نيتشه) ديناً بكثرةٍ وحماس كان في الموسيقا والشعر، وبينما يتناول معظم شعره المواضيع الدينية فهي تبدو أكثر طاعةً من كونها مقنعة، وهذه الكتابة تكشف عن سحرٍ ديني كان متأثراً به بشكلٍ واضح. يمكن للمرء أن يظن أن الدين أثّر عليه في المجالات التي كان

(1) KSAB I: 150

(2) وفقاً لـPernet 1989: 142, n. 108، إن الشرط بأن يقوم الطلاب الذين يتلقون القربان المقدس بالاعتراف بخطاياهم مسبقاً تم تأييده حتى عام 1880. انظر Bohley 2007: 131 - 132

(3) Deussen 1922: 74 - 75; Pernet 1989: 142, n. 108

(4) Deussen 1901: 4. لترجمة إنجليزية، انظر Gilman 1987: 10

ضعيفاً تجاهها، في الخيال والفنون. وفي حال أنه لا يتكلم أبداً في العقيدة ونادراً في الالتزام الشخصي للمبادئ الدينية، فإنه وجد على ما يبدو مساحةً للأساطير [الميثولوجيا] المسيحية تماماً في المكان الذي سيبهجه وبالطريقة التي يصفها بها (ديوسن) في مذكراته. كسحر، إثارة خيالية، نشوة بها يسلم نفسه للبصيرة. فيما إذا كانت البهجة الخيالية كافية لتبقي على إيمانٍ مدى الحياة فهذا أمرٌ مشكوكٌ فيه، ولكن (نيتشه) يمكن أن يحصل على ذلك في بعض الأحيان، ومثل هذه الخيالات قد تترك انطباعات مضللة، وبالتالي قد تكون الحالة التي لاحظها (ديوسن) زائلةً كما الحلم.

3

يتضح الموضوع عند هذه المرحلة، لأن (ديوسن) يشير إلى أنه بعد التثبيت بدأ يضعف إيمان كلٍ من المراهقَين، واقترح أن ذلك يعود لدراستهم الأكاديمية. «تم تقويض حماستنا بشكلٍ غير ملحوظ بـالطريقة التاريخية النقدية الممتازة [هو فرع من النقد الأدبي يحقق في أصول النصوص القديمة من أجل فهم «العالم وراء النص»] التي تم بها تدريس الطلاب الأكبر في (بفورتا)، والتي طبّقت بطريقة تلقائية على المجال الإنجيلي، وكمثالٍ على ذلك عندما شرح (ستينهارت) في صف اللغة العبرية في العام الدراسي السادس المزمور الخامس والأربعين تماماً كأغنية زفاف علماني».[1] يجب التعامل مع مثل هذه القصة بحذر. حدثت محاضرة (ستينهارت Steinhart) خلال العام الأخير لـ(نيتشه) في (شولبفورت) وحدث تثبيته خلال عامه الثالث. إن هذه الأعوام هي فترةٌ طويلة في حياة مراهق تخللتها أحداث كثيرة.

ومن ناحيةٍ أخرى، على الرغم من وجود معقولية ظاهرية لكلام (ديوسن)، فهو لا يفسر لماذا يجب أن تكون «الطريقة التاريخية النقدية الممتازة» قد أثرت بشكلٍ علماني. إن القرّاء الذين يحاولون اليوم البحث في طبيعة هذه الطريقة سيجدون أنها كانت في كثيرٍ من الأحيان معتمَدةً في القرن التاسع عشر، ولكن يبدو أنها كانت ذات معانٍ مختلفةٍ لممارسين مختلفين وبالتالي صعبة التعريف.[2] فبعض الدارسين يتتبعون أصولها بعيداً إلى الوراء في

(1) Deussen 1901: 4. لترجمة باللغة الإنجليزية، انظر Gilman 1987: 11

(2) يستند هذا السرد على:

Baird 1992; Frei 1974; Maier 1977; Neill 1964; Timpanaro 2005; Zimmermann 1967; Krentz 1975; Law 2012; Hahn and Wiker 2013

وقتٍ متأخرٍ من العصور الوسطى،[1] ولكن البحث الإنجيلي أصبح بارزاً أول مرةٍ وتمّ في عصر النهضة والإصلاح. وفي ذلك الوقت أدرك الباحثون أنه مهما كان الإلهام البديع للكتب المقدسة مبجلاً، فإنه يجب أن تخضع النصوص بعد ذلك لنفس التقلبات التي تعرّض لها أي كتابٍ آخر، وكانت الأناجيل أيضاً فريسة أخطاء النسخ والجمع الخاطئ للوثائق المختلفة تماماً، ناهيك عن ذكر (التصويبات) التي قام بها رجال الدين ذوو النوايا الحسنة. وبناءً على ذلك أخذ علماء اللغة على عاتقهم ـ في كثيرٍ من الأحيان بتكلفة شخصية لأن جهودهم لم تكن موضع تقدير ـ فحص السجلات وإنتاج نصوص أفضل. وتطرقوا حتماً في بعض الأحيان إلى مسائل حساسة، مثل صحة جمل منفردة أقيم عليها البناء الدوغماتي [العقائدي].[2] وعموماً كان بالغ جهدهم ينصب على التصويبات المخصصة لعلم تأويل النصوص أو علم التصنيف أكثر منه على المسائل الواسعة فيهما. وخلال الفترة من أوائل القرن الثامن عشر إلى منتصفه بدأت هذه الجهود تصنَّف ببطء كمبادئ، واكتسب الإعتماد على الدراسات التاريخية السطوة. إن أحد أهم واضعي النظريات هو (يوهان أوغست إرنستيJohann August Ernesti) وعمل كموجهٍ لـ(فريدريك أوغست لودفيغ نيتشه)، وهو المشرف المثقل بالأعباء الذي بدأ معه هذا الكتاب. قبل وقتٍ طويلٍ كان هذا الأخير قد قام برفع عائلته الأولى وتزوج (إردموث)، وكان طالباً في علم اللغة ودرس مع (إرنستي). ولاحقاً كتب دراسةً عن (بيتر 2) [بيتر الثاني أحد تلامذة المسيح]،[3] وفيها طبق مبادئ معلمه. وهكذا مع أن (نيتشه) يبدو أنه لم يكن عارفاً بها، فإن الطريقة التاريخية النقدية كانت جزءاً من تراث عائلته.

ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر، اكتسب نهجٌ جديد الشعبية وكان أكثر إثارةً للجدل. أشار (سالومو سيملر) إلى أنه قد تم تجميع الكتاب المقدس بشكلٍ عشوائيٍ إلى حدٍ ما، فميّز بين كلمة الرب والكتب المقدسة. وصرح قائلاً «لم تكن كل كتب الإنجيل مؤهلةً كما الوحي»، فبعضها قد زيد عليه. إن (سيملر) نفسه ليس مهماً جداً في هذا الملخص الموجز جداً، لأنه قدم منطقه في نظريةٍ مشغولةٍ بعناية لاستخدامات وحدود الدين وأسبقية المسيح، وبالتالي تضمين علم اللغة في المبادئ اللاهوتية.[4] وعموماً

(1) Hahn and Wiker 2013: 17 - 59; Law 2012: 26 - 32

(2) الإشارة إلى الـJohannine Comma. Erdman 2005: 80 - 82

(3) Pernet 1989: 38 - 40

(4) Baird 1992 I: 117 - 127

بالتوجه إلى المعايير التاريخية بدلاً عن العقائدية عند تقييم الكتاب المقدس، فإن ذلك فتح الطريق لعلماء آخرين في اللغة لأخذ هذه الممارسة أبعد من ذلك ولعملية النأي بأنفسهم عن مطالب الكنيسة.

بدلاً عن وصف تقلبات هذا النهج خلال القرن التاسع عشر، من الأفضل أن نتوقف مؤقتاً ونذكر أنه من وجهة نظر خارجية لعلم اللغة فإن الطريقة التاريخية النقدية كانت أقل أهميةً لكيفية عملها إيجابياً عما استثنته، أي استجداء المعجزات أو الإرشاد الإلهي كمبادئ للتفسير. لقد وظّف ممارسو هذه الطريقة الطبيعية التامة نازعين من الاعتبار أي مدلولٍ مهم للأعمال المعنية. وغني عن القول إن ممثليهم في (شولبفورت) لا زالوا يعتبرون هذه الكتب كلمة الرب وهكذا سيقدمونها للطلاب. ومع ذلك فإن الإحترافية الكاملة للأساليب العلمية قد تسبب مسافة شكوكية، وهذا قد يجعل بقاء سلوك التبجيل صعباً.

يجدر القول بأن الإشارة إلى طرق علم اللغة تأتي من (ديوسن) وحده في رسائل ودفاتر يومية كُتبت في الوقت الذي لم يُشر فيه (نيتشه) بأن علم الإنجيل قد أثر على إيمانه، ومع استثناءٍ واحد سوف تتم مناقشته في نهاية هذا الفصل يشير (نيتشه) إلى أن معتقداته الدينية لم تتزعزع أيضاً خلال هذه الفترة.[1] وبالطبع لا ينبغي للمرء التوقع بأن يجد مثل هذه الأشياء مسجلةً في دفاتر يمكن الاستيلاء عليها وقراءتها من قبل السلطات ومن قبل والدته. ومع ذلك فإن (ديوسن) بالتأكيد على حقٍ باعتبارٍ واحدٍ على الأقل، وهو أن (نيتشه) بدأ التشكيك بدينه في أعقاب تثبيته، إن لم يكن قبل ذلك.

في حال إغفال القليل من التأملات الصريحة، فإن أصل وتطور الأزمة مرئيٌ في سلسلة المواضيع التي ألّفها ربيع عام 1861 ـ تم تأليفها في الوقت نفسه التي تم فيه تثبيته ـ وكما سنرى فإن هذا يشير نحو علمانية عامة لنظرته وإصرارٍ لاحقٍ على التفسير الطبيعي. ويبدو أن الطريقة التاريخية النقدية لم تكن مهيمنةً ولا متواضعة، فقد كانت واحدةً من عدة نهجٍ دفعت الباحث الناشئ باتجاهٍ معين. أصبح عالم (نيتشه) الكامل في التفسير طبيعياً خلال عام 1861، وسوف يستمر بهذا الإتجاه في الفترة اللاحقة، وإذا كانت محاضرة (ستينهارت) في عامه المتقدم بمثابة تتويج رمزي، فقد استكملت عمليةً بدأت قبل وقتٍ طويل.

(1) في أعماله في وقت لاحق فإن (نيتشه) يميل بالطبع لاعتبار ممارسة علم اللغة غير متوافقٍ مع المواقف الدينية. انظر UO II: 7; KSA I: 296 - 297. غير أنه لا يقدم أي اقتراحاتٍ قبل مغادرته إلى (بازل).

4

إن مواقف (نيتشه) المتغيرة خلال العام مرسومةٌ بشكلٍ أفضل من خلال الأوراق التي عرضها على شكل دروسٍ ومحاضراتٍ وجهها إلى (جيرمانيا). تأتي هذه مباشرةً من قلمه. وعلى الرغم من أنه نادراً ما تتعامل هذه الكتابات مع المسيحية مباشرةً، فإنها تركز على قضيةٍ ذات آثارٍ دينية، وهي تضاعف المشكلة التي تشكلها الطريقة التاريخية النقدية. طوال هذه الفترة كان (نيتشه) يعتبر ملاءمة التفسيرات الطبيعية معارضةً لتلك التي تناشد التدخل فوق الطبيعي.

حوالي 5 مارس من عام 1861 أي مباشرةً قبل تثبيته (10 مارس) وفي الوقت الذي رآه فيه (ديوسن) مشبعاً بالحماس الديني، بدأ (نيتشه) مقالاً أنثروبولوجيا [أي خاصاً بعلم الإنسان] بعنوان «صيادو البر وصيادو الأسماك Hunters and fishers) لحصة اللغة الألمانية.[1] وبما أن الورقة البحثية التي قدمها لم تعد موجودة فهناك مسودة محفوظة وفيها يشرح مطولاً عن القيود الثقافية لمجتمعات عصور ما قبل التاريخ، لا سيما تلك التي عايشت الأنشطة المعنية. إن سرد (نيتشه) قاسٍ ووحشي يروي بإسهابٍ عن الهمجية في حقبةٍ عندما، يتأمل، كانت الزوجة عبدةً والطفل تابعاً وابتهج الأبناء عندما ضعف آباؤهم حتى يمكنهم أن يأخذوا مكانهم. (في سير العملية يقول: أكلوهم.)[2] ولكن كما سيقترح مقالٌ آخر فإن هذه التفاصيل البشعة ثانوية لاعتبارات أكثر جوهرية. إن ما يهم (نيتشه) في الواقع هو كيف استطاع هؤلاء البشر المتوحشون الأوائل أن يجدوا الإلهام والوسائل ليطوروا الفنون والتجربة الأخلاقية التي تتمتع بها الأجيال اللاحقة عندما كانوا أنفسهم بدائيين جداً. كيف لذلك أن يتم عن طريق وسائل طبيعية فقط وبدون تدخل إلهي؟ لم يرد جوابٌ على هذا السؤال في المقال.

مباشرةً بعد كتابة «صيادو البر وصيادو الأسماك» أعدّ (نيتشه) محاضرةً لـ(جيرمانيا) بعنوان «طفولة الشعوب The childhood of peoples» وهي عبارةٌ مأخوذة من القطعة السابقة. هذا الموضوع الثاني أطول بكثير وقد يفترض القارئ بأنه سوف يطور ويوسع مواضيع «صيادو البر وصيادو الأسماك» إلى حدٍ ما.[3] ولكن السؤال الضمني في المحاضرة الأولى ـ كيف لهذه المجموعات البدائية أن تضع أنظمةً اجتماعيةً وأخلاقيةً وجماليةً أكثر تطوراً؟ ـ يُثار ويُرفض

---

(1) يمكن تأريخ هذا المقال إلى أوائل مارس 1861. انظر KSAB I: 148

(2) KGW I - 2: 232 - 234

(3) لم يعد (نيتشه) نفسه يقتصر على هاتين المجموعتين المهنيتين بل ينظر في أنماط الحياة كرعاة، مزارعين (بخصوصهم سوف يكتب نيتشه مقالاً كاملاً عام 1863)، وغيرهم.

في الفقرة الإفتتاحية لهذا العمل. وهنا يُقر (نيتشه) بأنه يريد تجنب «التكهنات الخطيرة المتعلقة بالدين والتاريخ» وأنه على أرضية غير مستقرة لاهوتياً.[1] وما يتعلق بالسؤال نفسه - كيف يمكن للبشر المتوحشين أن يضعوا ثقافاتٍ أكثر تطوراً؟ - يقترح فرضيتين: الأولى بأن البشر قد يكونون تمتعوا بعصرٍ ذهبيٍ ممنوحٍ إلهياً وبعد ذلك انحدر نحو الهمجية، وفي تلك الحالة فإن أي تحسينات لاحقة سوف تحدث من خلال ذكريات حالة الفطرة الأولى الخاصة بهم [الفطرة البريئة]، والثانية أنه، وبدلاً عن ذلك، يمكن للمرء أن يعتقد بأن البشر تمكنوا بطريقةٍ ما من تحسين الكثير عن طريق مواردهم دون مساعدة. هذا هو النهج الخطر على الدين، ويصرح (نيتشه) ذو السبعة عشر عاماً أنه يجده غير قابلٍ للتصديق.

وأيضاً هو لا يرفض ذلك كثيراً كما يضعه قيد التعليق لأغراض هذه الورقة. «ليس في نيتي اتخاذ قرارٍ حول هذه القضية ولا يبدو ممكناً تبسيط هذه القضية المريبة. كفى. إني أختار الرأي الأول، أن الثقافة كانت متوفرة لدى البشر بدايةً وتحت تأثير الأحداث وثورة العالم تحولوا إلى الهمجية ثم جزئياً بدؤوا بتطوير مساراتهم الأولى نحو الحضارة».[2] وهكذا تبني «طفولة الشعوب» افتراضاً الهبة الإلهية في قصتها منذ البداية. إلا أن ما توضحه هذه الفقرة الإفتتاحية هو أن استكشاف المقال الأسبق لعالمٍ غير مُسَاعدٍ من قبل العناية الإلهية المقدسة لم يُنتج ببراءة، فقد فهم (نيتشه) الشاب الآثار الدينية وتقدم دون رادع.[3]

يبدو أن هذا الإنحراف نحو التفسير الطبيعي قد أزعج الصبي وحفزه. وقد يكون بطبيعة الحال صمم تقديماته لتلائم توقعات جمهورها المحدد، إنهم مجهولون وكمثال، إذا تم تخفيف «صيادو البر وصيادو الأسماك» الإلحادية في النسخة المقدمة إلى أساتذته، أو بشكلٍ ملازم إذا كانت «طفولة الشعوب» قد أعطيت إطارها الديني لأن (نيتشه) رغب طمأنة أصدقائه الأكثر تحفظاً، فإن ما يبدو واضحاً أن الصبي وجد النهج الإلحادي لـ«صيادو البر وصيادو الأسماك» مقلقاً بما فيه الكفاية، لذا عمل جاهداً في الأوراق اللاحقة لوضع نهجٍ بديل.

وفي غضون شهرٍ على الأكثر من كتابة هذه المقالات شرع (نيتشه) في كتابة سيرته الذاتية، وعلى كلٍ كان ذلك بسبب فرض مدرسي.[4] إن المنتج النهائي مفقود لكن نجت ثلاث

---

(1) للاطلاع على عرضٍ حاسم لأخطار هذا الرأي على الدين، انظر Strauss 1970 I: 47 - 48.

(2) KGW I - 2: 235 - 243 وخصوصاً 236 - 237

(3) أنا مدينٌ بهذه النقطة لـ Hermann Josef Schmidt، Schmidt 1991 - 1994 III: 518 ff

(4) كما يشير Bohley 1976: 311 فإن هذا ربما يتزامن مع فرضٍ مدرسي «كلٌ يخبر حياته السابقة». كان

مسودات ولا بد أن اثنتان منها أثبتت استفاقة هذا المحفز الذاتي المتحمس.[1] وفي هذه السيرة الذاتية ينظر إلى حياته الخاصة ضمن أحكامٍ طبيعية، أي يتأمل ما قد تعنيه إزالة عنصر التوجيه الإلهي. وإذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن تأكيد الجوانب الغائية للـ((بيلدانغ))؟

وكما سأل كيف للصيادين البريين وصيادي الأسماك البدائيين أن يتحسنوا إذا كانوا محصورين ثقافياً وأخلاقياً ببيئتهم، فهو يتساءل أيضاً إلى أي مدىً هو مقيدٌ بالعالم الذي يسكنه. ماذا لو كان التفاؤل الضمني للـ((بيلدانغ)) مجرد وهمٍ، ونما البشر اعتباطياً تحت رحمة المحفزات والمسكنات التي تتيحها بيئتهم التصادفية؟ ماذا يحدث بعدئذٍ لتقرير المصير؟ في سيرته الذاتية الشخصية عام 1858 عامل بيئته في الغالب كمشهد، وعرض نفسه مقابله في العمل. ماذا لو كان المشهد نفسه نشطاً وفعالاً سببياً بشكل أكبر مما أدركه؟

في المقام الأول وإلى حدٍ بعيد فإن الأكثر تضارباً في المسودات الثلاثة أنه يصور الذات كبذور تغذيها البيئة غالباً عن طريق الصدفة. تماماً كما النباتات يمكن أن تتشوه بسبب تقلبات الطقس، وكذلك روح الإنسان يمكن أن تتشوه بسبب التبعيات الخارجة عن السيطرة. هنا وكطالبٍ جيد في التعليم على طريقة (همبولد) ((Humboldtian Bildung)) فإن (نيتشه) يصور الذات كمستودع للميول [النزعات] التي توقظ «ظروفاً مؤثرة خارجياً».

قد تؤدي جميع أنواع العوامل البيئية إلى إذكاء أو قمع الذات الجاهلة، وكان صعباً التنبؤ أيها سوف يساعد وأيها سوف يعيق. «بالتالي تستطيع ظروف الحياة الملائمة وغير الملائمة أن تظهر نفسها مفيدةً وضارةً على حدٍ سواء، وبالتالي يتم إيقاظ بذور مختلفة من الميول الجيدة والسيئة». حتى المغذيات التي من المفترض أن تكون إيجابية، مثل الثروة أو الشهرة، قد تثير التوق المخرب الذي يطغى على عناصر أخرى من الشخصية. إن الأغنياء قد يتراجعون بسبب الثروة، والضعفاء قد يتقدمون بالحظ الجيد غير المستحق. لكلّ النصيب الجيد المفترض، فإن أرواحاً معينة مثقلةٌ بالإغراءات التي لا يمكن الصمود أمامها سوف تجد أن توقها «الذي يهدم فرحتها في الحياة» قد تم إيقاظه. كان سيئاً كفاية أن البشر بدوا تحت رحمة بيئتهم، ولكن الأسوأ والمقلق بشكلٍ خاص لمن آمن بالـ((بيلدانغ))، هو أن الناس أنفسهم لم يعرفوا دائماً ما من شأنه أن يساعدهم أو يضرّ بهم.

(نيتشه) على بينة من المشروع القادم في أواخر إبريل (KSAB I: 155). يذكر (ميت Mette) أن الثالث والأكثر تقليدية في الثلاثة «كان من المفترض أن يصنف في 25 مايو 61» BAW I: 457.

(1) بالنسبة للإصدارات الثلاثة كلها تحمل عنوان (مين ليبنسلاوف Mein Lebenslauf) «مسار حياتي» انظر KGW I - 2: 255 - 263

من الواضح أن أثر فرصة البيئة ليس بالضرورة إيجابياً، ويذهب (نيتشه) إلى التساؤل حول عدالة هذا الترتيب المتقلب ظاهرياً. للقيام بذلك، هو يعتبر الأسوأ ـ وهو أن الأهداف العليا للإنسانية يمكن أن تكون في يدي كائنٍ عديم التفكير ولا يميز الجيد من الرديء (في الواقع، إله شرير) ـ ويرفض هذه الفرضية على أنها فظيعة جداً للإحتفاء بها. ومع ذلك فهو يقر بأنها بقدر ما تثير الإزعاج، فإنها تقوم بالتأكيد بطرقٍ أخرى بإخراج الأفراد الجيدين عن الإتزان، والأخيرون لهم الحق بالندب على مصيرهم. وعند هذه النقطة يبدو (نيتشه) حائراً جداً بنتائج هذا الإكتشاف، حيث أنه يلقي بنفسه إلى حدٍ ما للتكهنات الميتافيزيقية المبالغ فيها، وربما المشوشة، التي تلهيه ببلاغةٍ عن المسألة المطروحة. ما هو واضحٌ في الصورة أنه بالنسبة له الفرضيات الطبيعية تنطوي على ظلم، وهو لا يمكنه تقبل إمكانية أن يكون الكون إما غير عادل أو غير مبالٍ، إنه عازم على إيجاد نهجٍ بديل، وفي الوقت الراهن فإن أي حلٍ قد تملص منه. وفي المسودة الثانية من مسودات السيرة الذاتية الشخصية الثلاثة، يتخلى (نيتشه) عن الميتافيزيقيا ويتناول مباشرة التطبيق الشخصي للسيناريو الذي وجده مزعجاً جداً. ومرةً أخرى يتم التركيز على الذات بشكلٍ أقل منه على البيئة التي أيقظتها الذات. يكتب «الآن فقط، أدرك فعلاً كمّ التجارب التي أثرت في تطوري وكيف تم تشكيل القلب والفكر تحت تأثير الظروف المحيطة. وعلى الرغم من أن السمات الأساسية لشخصية المرء هي ـ إذا جاز التعبير ـ فطرية، بالتالي إن الوقت والظروف يقومان بتدريب هذه البذور المجردة، ويختمان عليها بأشكال محددة تصبح، بعد فترة من الزمن، متينةً لا يمكن تغييرها».[1]

يحدد في عالمه الخاص، إذا جاز التعبير، مأزق صيادي البر وصيادي الأسماك، محنة البدائيين المتجولين الذين يبدو أن تطورهم محكومٌ برحمة البيئة والصدفة.

للإنصاف، فإن (نيتشه) لا يؤكد على عنصر ظروف الصدفة، حتى لو كان الإحتمال ضمنياً في كل مكان. إن ما يؤكد عليه هو أن كتّاب السيرة الذاتية الشخصية يجب عليهم أن يفحصوا ليس فقط الذات، أي مواهبهم الخاصة وميولهم، ولكن يجب عليهم إيلاء الإعتبار للعالم الذي يعيشون فيه والذي سوف يوقظ ويغذي بعض هذه الميول ربما على حساب البعض الآخر. وفي سيرته الذاتية الشخصية الخاصة يستشهد فقط بأثر المأساة في (روكن). ربما كان لديه عوامل مشكلة بيئية وأكثر إغواءً في الذهن كما سيظهر في محاضرةٍ سوف يقدمها لاحقاً إلى (جيرمانيا). ولكن في الوقت الراهن لم تكن هناك آثارٌ محددةٌ ذات أهمية. ما كان مهماً هو

(1) KGW I - 2: 258

تلك الآثار المغوية والقوية الموجودة بشكل مطلق. أراد (نيتشه) أن يتحمل مسؤولية حياته والآن هو مجبر لأن يعترف بأن القوى الخارجية التي قد بالكاد يدركها ربما تعيق قدرته على التصرف بشكلٍ مستقل، لم يعد بإمكانه أن يقبل التفاؤل الطائش الضمني في إيمانه الديني.

ويبدو أن (نيتشه) بدأ في هذا الوقت بالنظر إلى تاريخ الإنسانية، وحياته الخاصة، و(وفقاً لـ ديوسن) إلى الكتاب المقدس نفسه، خارج إطار المسيحية التقليدية. وهذا لا يعني بالضرورة أنه كان قد فقد إيمانه الديني، ولا يعني أن هذا الإيمان قد تم الطعن فيه، بل هو تطورٌ ينطوي على عواقب محتملة في ثلاثة مجالات على الأقل. أولاً في حال ضيّع إيمان طفولته فسوف يخسر مزايا تقليدية للدين، كتحفيز رؤيته الروحية وراحة الإطار الأخلاقي الجاهز للعيش. ثانياً يكمن الدين في مركز حياة عائلته وتنتظره الخلافات وسوء الفهم في حال انحرف عن معتقدات أبيه وأمه. وأخيراً يبدو أن الجميع افترض بأنه سيصبح كاهناً في نهاية المطاف، وفي حال تم حجز المهنة فماذا سيفعل في حياته بدلاً من ذلك؟

بعد وقتٍ قصيرٍ من كتابة هذه المقالات، قام (نيتشه) بتحولٍ موسيقيٍ ذي دلالة. حتى الآن، انشغل في تأليف أوراتوريو [قطعة موسيقية دينية] تعالج ولادة المسيح. وفي أواخر يونيو 1861 أي بعد التثبيت بثلاثة أشهر كان قد قدم جزءاً آخر من هذا المشروع إلى (جيرمانيا). وبعد ذلك توقف فجأة. وخلال فصل الصيف قام بجولةٍ في (فرانكونيا Franconia) وأجزاء من (بافاريا Bavaria)، وعند عودته قدم تأليفاً منمقاً نوعاً ما بعنوان «الألم هو أساس الطبيعة».[1]

لا يوجد شيءٌ عن الرب في ذلك العنوان، والأهم من ذلك أنه تم إهمال أوراتوريو عيد الميلاد ولم تذكر أبداً مرةً أخرى. تابع (نيتشه) كتابة أعمالٍ موسيقيةً وقصائد عن مواضيع دينية ولكن كانت من الآن وصاعداً قطعاً متباعدة مثل قصائده الغنائية وأصبح الدين موضوعاً آخر يستكشفه، ولم يعد يتمتع بالأولوية التي كان يحتلها في الماضي. سيكون من غير المعتاد لشخصٍ قويٍ ومثبّت جداً أن يخسر حصناً كالدين دون استبداله بنظامٍ أو قيمٍ آخرَين، وبمعنى أنه كان قد فعل ذلك بالفعل. إذا اعترف بنقد الدين على أنه صالحٌ أو على الأقل كدعوةٍ للرد، بالتالي اشترك فعلاً إلى ذلك المدى بأساليب المنح الدراسية الأكاديمية التي أُسس عليها ذلك النقد. كانت المدارس الناشئة للباحثين الإنثروبولوجيين والفيلولوجيين [علم الإنسان وعلم

(1) للاطلاع على تواريخ هذه الأعمال انظر KGW I - 2: 470 - 473, 480 - 483

اللغة] في الكتاب المقدس متشابهة في عدم ثقتها بالتفسير فوق الطبيعي، وبقدر ما قبل الطالب المتحمس ولايتهم فسوف يبقي القليل من عدم الثقة بالمقابل. كما ذُكر سابقاً، خلال الفترة ما بين خريف 1858 وربيع 1861 انتقل (نيتشه) من كونه طالباً عادياً ليصبح إحدى أكثر المعجزات بروزاً في (شولبفورت). تصميمه على التفوق الدراسي كان واضحاً بشكلٍ خاص في ذلك الربيع، ليس فقط لأنه نال الـ(بريموس) مرةً أخرى ولكن أيضاً لأنه ألف مقالاً عن (ميثراديتس)، (الملك بيثينيان) والذي ضمن له المركز الأول وهي درجةٌ تعطى فقط كل عدة سنوات.[1] قام (نيتشه) بتغيير ولاءاته دون إدراك العواقب التي واجهها لاحقاً، لا يمكن أن يحل العلم مكان الدين بعينيه، فهو لا يستطيع تقديم الإلهام الحالم ولا طريقة الحياة الرنانة أخلاقياً التي تتيحها المسيحية. ومع ذلك انتقل (نيتشه) من التوجه الديني أساساً حيث كان الإعتماد على العرف والسلطة والإستثمار الخيالي أساسياً، إلى نظرة للعالم أيدت العقل والأدلة وأفضلية التفسير من خلال الأسباب الطبيعية. لقد كان يلقي بالموت [يبعده]. كانت مجرد مسألة تطوير ما سبق فعله والاعتراف بالنتائج.

5

مِن ناحية، كان اهتمام (نيتشه) الجديد بالمنحة الدراسية متأثراً حتى بحياته الخيالية. في يوليو 1861 قام بتقديم ورقة إلى (جيرمانيا)، باحثاً في تراث موضوعٍ كان لا يزال يحاول جعله قصيدةً ملحميةً منذ الصيف السابق.[2] إن الأساس التاريخي لهذه الدراسة يتعلق بـ(إرماناريش Ermanarich) وهو زعيمٌ كان قد حكم القبائل القوطية على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي. وخدم (إرماناريش) روما كحصن ضد الأعداء ولكن في النهاية وجد نفسه محاصراً من قبل الهونيين [من المغول]. وعندما انهارت مملكته واجتاحها العدو قام عددٌ كبيرٌ من رجال قبائله بالفرار والسعي للحصول على ملجأ خلف الخطوط الرومانية. ابتلع هذا التدفق الكبير للاجئين المذعورين موارد الإمبراطورية مما ساهم، ـ في أعين بعض الباحثين ـ وبشكلٍ كبير في انهيار الإمبراطورية الرومانية في نهاية المطاف.[3] إن (نيتشه) شخصياً كان أقل اهتماماً بالأهمية التاريخية العالمية لـ(إرماناريش)

---

(1) لنقاشٍ حول هذا المقال انظر Müller 1994.

(2) KGW I - 2: 274 - 284

(3) انظر على سبيل المثال History of decline the and fall of the Roman Empire, ch. 26. لـ(جيبون Gebbon) أدى غزو القوطيين في النهاية إلى معركة (Adrianople) الكارثية

من كيفية بروزه في الملاحم والقصص. لقد أصبح سقوط المملكة وموت الرجل العجوز موضوع أسطورةٍ في تقليدين على الأقل، ولكلٍ منهما العديد من المتغيرات، وكان هذا ما أثار خياله. في أكثر المجموعة الأسطورية التي ربطت الملك مع أحداثٍ في (نيبلونجنليد Nibelungenlied)، تزوج الرجل العجوز من الجميلة (سوانهيلد) الابنة الصغرى لـ(غودرن وسيغورد Gudrun and Sigurd) والمعروف باسم (سيغفريد). تقع هذه الشابة لاحقاً في حب ابن الملك ومن ثم يشنق (إرماناريش) ابنه وتداس (سوانهيلد) بالخيول البرية. لاحقاً يطعن أخوها (إرماناريش) منتقماً ويموت الرجل العجوز ببطء وهو يشاهد مملكته تخضع للغزاة. كان (نيتشه) على مر الأعوام الأربعة التالية مفتوناً بما فيه الكفاية بهذه القصة ليعيد تصورها في كل فن أدبي متاحٍ له، كتابة القصائد، رسم المسرحيات، تأليف مقالين متعمقين على الأقل حول الموضوع (واحدة منهما اعتبرها أفضل ورقة أنتجها في بفورتا)، ومحاولتان في سيمفونية وأوبرا. بعض هذه الجهود تتعامل مع مغامرات الأخوة الساعين للإنتقام والآخر يتعامل مع متآمرٍ يدعى (بيكا) يخطط لإسقاط (إرماناريش). إن أكثر القصائد لفتاً هي التي تركز على شعور (إرماناريش) المجنون بالحزن والذنب بعد أن قتل ابنه، وهي نوبة من الندم تدفعه ليصبح نصف مجنون وتؤدي إلى موته.[1] وبالنظر إلى كل هذه الميلودراما فإنه من اللافت للنظر أن أول اعتبار موجود لهذا الموضوع أخذ شكل ورقة علمية قدمها لـ(جيرمانيا). لم يسمح (نيتشه) للسخرية أن تمر دون تقدير، يقول: «إن نتائج هذه الدراسات تكمن أمامي، ليس كمأساة ولكن كأطروحة جافة»[2]، لقد خدّرت المنحة الدراسية حتى إغراء الدم.

6

ظهر موضوع (إرماناريش) للمرة الأولى في كتابات (نيتشه) في صيف عام 1861، أي في نفس الوقت عندما توقف عن العمل على الـ(أوراتوريو) [القطعة الموسيقية الدينية]. وعلى مدى الأعوام الأربعة التالية نادراً ما كان الملك القوطي بعيداً عن ذهنه، ويبرز مراراً ومطولاً في مذكراته. وفي نفس الوقت سلبت شخصيةٌ ثانية خياله خلسةً، ومن المستحيل اكتشاف وقت تنبه (نيتشه) لها بشكلٍ دقيق. ومما لا جدال فيه أنه في وقتٍ ما بين ربيعي 1861

(1) Ermanarichs Tod.» KGW I - 2: 370 - 375 قرأ (نيتشه) هذه في واحدة من مهرجانات (بفورتا) السنوية ولاقت نجاحاً كبيراً.

(2) KGW I - 2: 275

و1862 اكتشف (نيتشه) عمل (رالف والدو إمرسون Ralph Waldo Emerson) وهو كاتب استلهم أول عمل فلسفي له وحفزه ذلك لبقية حياته العملية.

يبدو أن مقدمة (نيتشه) لـ(إمرسون) لم تكن من بين المقالات الشهيرة، على الرغم من أنه كان متأكداً من ذلك، لكن خلال (سير الحياة) كانت قد نُشرت مجموعة مؤخراً فقط بالإنجليزية (1860) ولكنها ترجمت فعلاً إلى الألمانية مع بداية 1862. يجب ملاحظة أنه في الألمانية كان عنوان (إمرسون) قد أصبح ((دي فوهرونغ دي ليبينز Die Führung des Lebens)) وهي عبارة مرتبطة بالفعل مع الـ((بيلدانغ)) في القرن التاسع عشر وقد يكون ذلك استرعى انتباه (نيتشه).[1] إن هذا الكتاب المتأخر لـ(إمرسون) أكثر كآبةً بشكلٍ ملاحظ في اللهجة من عمله السابق، وهو مليء بالتصريحات القاسية التي ربما فاجأت من يظن أن المؤلف غافلٌ عن الجانب الأكثر شؤماً للحياة. في الواقع إن البعض جديرٌ بـ(شوبنهور)، على سبيل المثال «إن أسوأ ما في الإحسان هو أن الحياة التي يطلب منك أن تحافظ عليها لا تستحق الحفاظ عليها».[2] عندما لام (إمرسون) مثل هذه التعليقات احتج أنها انحراف لرؤيته الإيجابية: «أغمس قلمي في أحلك الحبر لأني لا أخاف الوقوع في محبرتي»[3] في الواقع على الرغم من سمعته كمتفائل حالم فقد حاول دائماً تبرير رؤيته بالإعتراف بالحقائق المجردة التي تحيط بالبشر في كل مكان. شاجباً عبثية أولئك الذين يحاولون تحديد مكان المنازل حسب ما يحلو لهم أو حسب مثالياتهم، قال «نقول إن الأبقار وضعت في بوسطن» أي يجب على المرء الأخذ بعين الاعتبار المسائل العملية مثل مكان الأرض المستوية والطقس المناسب.[4]

إن طلب (إمرسون) بأن يواجه القراء حقائق غير سارة هو بشكلٍ واضح من رؤية الـ«مصير»، وهو الفصل الإفتتاحي لـ(سير الحياة) وقطعةٌ أعجبت (نيتشه) الشاب جداً. وفي هذا التأمل يأخذ (إمرسون) قيود العمل التطوعي بعين الإعتبار، ويجادل بأنه طالما يظن البشر أنهم أحرار، فهم أنفسهم محاطون من جميع الجهات بعوامل خارجة عن سيطرتهم. مهما حاولوا فإنهم محجّمون بسبب تفاصيل مجموعتهم المميزة وتأثير الميراث العرقي

(1) Koselleck 1990 انظر خصوصاً 22 - 23
(2) «اعتباراتٌ بالمناسبة» في سير الحياة Emerson 1983: 1081
(3) Emerson 1983: «Worship,» 1055
(4) Emerson 1983: «Wealth,» 1008

والثقافي، والمسكن المادي الذي يشغلونه. إنه يدعو سترة المجانين هذه من الظروف غير القابلة للتغيير على ما يبدو بالـ«مصير»، ويسهب بزهوٍ مطولاً متسائلاً كم يمكن أن تكون هذه القيود محيرة ومذلة ولا تقهر. «لا تستطيع أي صورة في الحياة أن تمتلك أي صدق لا يعترف بالحقائق البغيضة، وإن قوة الرجل مطوقة بالضرورة التي يلمسها في كل جانب عن طريق العديد من التجارب حتى يكتشف قوسها» [جزءها من دائرة الضرورة]. (952)[1]

إن المقال بأي حالٍ من الأحوال ليس سلبياً تماماً، وفي رأي (إمرسون) فإن بعض الناس منخرطٌ مع المصير في نوع من الـ«جوجيتسو» [رياضة يابانية عنيفة] الروحانية التي تجعله يعمل من أجلهم بدلاً من العمل ضدهم. لا يستطيع البشر تغيير طريقة التعامل ولكن يستطيعون جعلها تعمل لصالحهم. وهكذا فبدلاً من الشكوى بخصوص البخار يمكنهم استخدامه في تشغيل المحركات، تماماً كما يمكنهم معالجة أمر الفيضانات عن طريق السدود. (959) في الواقع بقدر ما يكون البشر نتاجاً لبيئتهم فهم متناسبون مع العالم الذي يعيشون فيه، وتتحرك حرياتهم وحاجاتهم جنباً إلى جنب. بالنسبة لـ(إمرسون) إن الروح هي مثل أداة التوجيه، تنبيهٌ للفرص المناسبة للحاجات، حيث يبدو أن بعض الأشخاص مقدرون لبناء المدن و ـ ينوه إلى أن العديد من طلائع الأمريكيين ـ ينجزون سلسلة منها في أثناء سفرهم. (496) والبعض الآخر مهووس جداً بالرغبة الجنسية، وهي مسألة وقت فقط قبل أن يلتقي الفرد شريكاً مستعداً ويتما العلاقة. (947) وهكذا يُظهِر النشاط البشري توافقاً جوهرياً بين الفرد والتعبير، حيث يؤدي هذا الشخص هذا العمل، والعمل بدوره مؤشرٌ على الكائن الذي نفذه. «إن سر العالم هو الترابط بين الشخص والحدث. حيث يصنع الشخص الحدث، والحدث الشخص... إن الحدث هو طباعة النموذج الخاص بك. إنه يناسبك مثل جلدك» (962) ضمنياً هنا، فإنه على الرغم من أن (إمرسون) لا يستخدم المصطلح، فهو مفهوم اللاوعي الفعال دائماً، حيث يسعى البشر إلى تحقيق أهدافٍ معينة ويُعرضون عن أخرى دون معرفة فعلية لما يفعلونه، ولكن تكشف النتائج عن رغباتهم بشكلٍ أفضل من أي تصريحٍ واعٍ.

ولهذا السبب الغامض نوعاً ما للتبادلية بين الفرد والمصير («يصنع الشخص الحدث، والحدث الشخص» (962)، وكما سيُرى، كان (نيتشه) الشاب سعيداً بقبوله، يضيف (إمرسون) رداً على لغز (نيتشه) السابق: كيف كان من الممكن لثقافات البشر أن تتقدم؟ لقد فعلوا ذلك، يقول (إمرسون) بنفس الطريقة التي فعلها (فولتون) عندما سخّر البخار ـ بنشر قيود الطبيعة

(1) أرقام الصفحات بين أقواس تشير إلى Emerson 1983

مقابل نفسها لتخفيف ضغوطها الجسيمة. هكذا يرتقي البشر لمستويات ثقافة جديدة بدون مساعدة إلهية. يسجل (إمرسون) بارتياحٍ العقبات الظاهرية التي حولها البشر لمصلحتهم الخاصة. «يُدرس السيل المخرب ليعمل لمصلحة البشر: الوحوش البرية التي يجعلها مفيدةً للطعام أو اللباس أو العمل». (959) باختراعاتٍ كهذه ـ ويستشهد المؤلف بأكثر من ذلك مظهراً بوضوحٍ احترام التكنولوجيا التي قد يبرهَن على أنها مثيرة للجدل اليوم ـ لقد حيد البشر البيئات القمعية بل وحولوها إلى فوائد إيجابية. بالنسبة لـ(إمرسون) فإن هذا الإدراك البطيء والإتقان لوظائف الحد والظرف هو كما السرد الرئيسي للتاريخ البشري. «إن التاريخ هو الفعل ورد الفعل لهذين الاثنين ـ الطبيعة والفكر.» (964) لا يذكر (إمرسون) الدين أو الرب ولا لمرة واحدة في هذا السرد عن الثقافة والتطور العملي، على الرغم مع أنه في بعض الأحيان يُدخل صبغةً غائية ويقدم الطبيعة كخالقٍ مرشد. إنه الدهاء البشري في وجه المشاكل هو من يؤدي إلى تقدم الحضارة.

في النهاية فإن مقال (إمرسون) بعنوان الـ«مصير» يلخص بشكل رائع نفس التفاعل بين الواقع العنيد وتصميم الإنسان الذي يذّيل العديد من كتاباته المعروفة. إن الآثار كثيرة واحتمالها تجاه الصعوبات التي واجهها (نيتشه) في أعماله الأنثروبولوجية [خاصة بعلم الإنسان] والبيوغرافية [خاصة بالسير الذاتية] في عام 1861 واضحٌ جداً.

في الـ«مصير» يحدد (إمرسون) وسائل التصميم لتحويل الحاجة المرهقة إلى فائدة، التي من خلالها تستطيع البشرية أن تتطور اجتماعياً وعملياً بدون تدخل إلهي، أو تضرع حالة الفطرة الأولى [الفطرة البريئة]. ومن ناحيةٍ أخرى يُظهر (إمرسون) أن الإنغماس في حالة محدودة ليس مسؤولية في جوهره، وبدونه لا يمكن للبشر العيش مطلقاً. وإذا كانت بيئتهم تعيق رؤيتهم فهي أيضاً توفر فرصةً لممارسة القدرات المقابلة وأحياناً للتغلب على قيودها. وأخيراً فإن (إمرسون) يقدم فهماً للبشر على أنهم غير مدركين لرغباتهم الخاصة، وإلى هذا الحد أيضاً هو لا يستخدم هذه المصطلحات عن محركات اللاوعي الخاص بهم. لم يكن (نيتشه) بطيئاً ليدرك الآثار وهو ليس فقط يذكر (إمرسون) بل يدمج اقتباسات مباشرة من الـ«مصير» في عمله الرئيسي المقبل، وهو بيانٌ فكري قدمه خلال عطلة عيد الفصح عام 1862.[1]

---

(1) أمثلة: «التركي، الذي يعتقد بأن موته مكتوب على ورقة حديدية في هذه اللحظة» (944). «اسأل (سبورزهايم Spurzheim) اسأل الأطباء، اسأل (كيتيليت 946) «(Quetelet)

7

في نيسان[1] قدم (نيتشه) أول ورقةٍ فلسفيةٍ موجودة[2] بعنوان «المصير والتاريخ Fate and History» وسُلّمت كمحاضرة إلى (جيرمانيا)، حيث اعترفت بالشكوك المتعلقة بالمسيحية وأعادت صياغة مواضيع قد أزعجت المؤلف في مقالاته الإنثروبولوجية والبيوغرافية الذاتية [متعلقة بالسير الذاتية الشخصية].[3] ومن ناحيةٍ أخرى فقد وُجهت إلى (فيلهلم) و(غوستاف)، وإلى هذا الحد فقد سجلت اعترافاً عاماً وخاصاً. وبمجرد أن اعترف (نيتشه) بانفعالٍ بشكوكه المتعلقة بالمسيحية لم يعد بمقدوره لعب دور مرتاد الكنيسة الورع والمطيع، وعلى الأقل أمام أصدقائه. من الواضح أن العمل كان ثورياً في كل من الغرض والمجال، وأن مطامح العمل وإنجازاته تجعل منه معقداً جداً ليتم تحليله بإسهابٍ في السياق الحالي.

وسوف يقتصر النقاش التالي على الطرق التي تناول بها العمل المسائل التي واجهها (نيتشه) في ربيع عام 1861 والتي كان وقتها مستعداً لحلها.

تُفتتح المحاضرة ببيانٍ منمقٍ نوعاً ما عن الإعتقاد الديني. «إذا أمكننا النظر إلى المذاهب المسيحية وتاريخ الكنيسة بطريقةٍ محايدةٍ وحرة، سيكون علينا أن نعبر عن وجهات نظرٍ متعددة تتحدى تلك التي يتم قبولها عادةً». إن البيان جريءٌ للغاية لكنه مؤطرٌ على أنه افتراضي («إذا»)، وما إن يؤكد عليه (نيتشه) حتى يسحبه مرة أخرى مما يشير على أنه ومستمعيه غير قادرين على أيٍ من هذه الحرية أو الحياد. لقد تمت تربيتهم كمسيحيين، وإنّ ثقل وميول تلك البيئة التثقيفية يجعل من المستحيل تقريباً على متلقيها أن يروا بدون الإستعانة بالغُمامات التي يحاولون رميها.

كما يشير في فقرةٍ لاحقة، «نحن مصممون جداً في أعماقنا من خلال انطباعات طفولتنا وتأثير أهلنا وثقافاتنا، لا يمكن تمزيق تلك التحيزات المتأصلة عميقاً بسهولة عن طريق المنطق أو الإرادة المجردة».[4] قد يتذكر القارئ أن (نيتشه) اعترف في مسودات سيرته

(1) إن الشهر محل خلاف. وقد يكون تم تسليم الورقة في مارس.

(2) في *Ecce homo* هو يدعي أنه قد كتب واحدةً أخرى قبل هذه. انظر أيضاً KSA VIII: 505

(3) KGW I - 2: 431 - 437 الترجمة الإنجليزية لـ(جورج ستاك George Stack) في Ansell Pearson and Large 2006: 12 - 15

(4) KGW I - 2: 431, 433 ترجمة (جورج ستاك George Stack) في Ansell Pearson and Large 2006: 12, 13. إن ترجمة الاقتباس الثاني «نحن عازمون» تم تعديلها قليلاً

الذاتية «كيف تم تشكيل القلب والفكر تحت تأثير الظروف المحيطة». والآن يوضح ما يمكن أن تكونه إحدى هذه «الظروف المحيطة». هي تنشئته المسيحية التي شكّلت شخصيته وفكره وهي نفس التنشئة المسيحية التي يجد نفسه مصارعاً من أجل إعادة تقييمها. في الواقع، إن (نيتشه) يصور المسيحية كجزءٍ من مصيره، وإلى حدٍ ما شيئاً يحتاجه للتحقق وربما للتجاوز. بعد معرضٍ بليغٍ للطبيعة الصعبة والمخيفة لهذا المشروع، يتحول (نيتشه) إلى العمليات التاريخية التي تظهر نفسها جزئياً فقط للإنسان، على الرغم من أن معناها الكامل هو كشف الإله. إن هذا المسار الطويل والميتافيزيقي نوعاً ما أقل أهميةً هنا، إلا أن (نيتشه) يناشد اندهاش البشرية من حيث تشابهها مع تلك التي كان قد استخدمها في الربيع السابق عندما لاحظ ضعف البشر في مواجهة قوى اللعب البيئي. لقد عاد إلى المشاكل التي سببتها مسودات السيرة الذاتية الشخصية عام 1861، ولكن هذه المرة هو على استعدادٍ أفضل. يستطيع (نيتشه) الآن تقديم نظرة كان قد أخذها من (إمرسون)، بينما البشر خاضعون لأحداثٍ بيئية فهم لا يستجيبون كلهم بنفس الطريقة. فكل منهم يستجيب لوضعٍ ما وفقاً لإشارات شخصية الفرد ومصالح معينة. «ما الذي يحدد سعادتنا في الحياة؟ هل يجب علينا شكر الأحداث التي تحملنا دوامتها بعيداً؟ أم أنه مزاجنا، كما كان، هو تلوين كل الأحداث؟ ألا نواجه كل شيءٍ في مرآة شخصيتنا؟».[1] على نفس المستوى يجعل (نيتشه) النقطة الواضحة، وهي أن البشر يستجيبون إلى الأوضاع بشكلٍ فردي ووفقاً لقيمٍ شخصية. إن ما سيدمر شخصاً ما سوف يحفز شخصاً آخر، وما سيجده أحدهم ساحراً سوف يجده آخر مقززاً. والأقل وضوحاً (وأقل براءةً) هو النتيجة الطبيعية التي يرسمها. عندما يرفض ضمناً الـ(الدوامة التي تحملنا بعيداً). هو يقول في الواقع إن ما يثبت سببية حاسمة هو أقل حدثاً (الدوامة) من كيفية تلقي الفرد لها، لن تتم إثارة حماس الجميع حتى مع الدوامة. إن الأحداث (ومع بيئة ملحقة)، ثم يفسر، قد توفر المفتاح الموسيقي «تونارت»، وهو التوقيع الأساسي الذي نعيش فيه حياتنا، ولكن لا ترتبط شدة أو ضعف استجابتنا مع شدة فرض (الحدث)، ولكن مع شدة الاستقبال لدينا. «ولا توفر الأحداث، كما كانت، المفتاح الموسيقي لمصيرنا فقط، بل إن ***الشدة أو الضعف اللذين تؤثر بهما علينا يعتمدان فقط على مزاجنا.*** اسأل الأطباء الموهوبين، يقول (إمرسون)، كم يقرر المزاج، وما الذي لا يقرر إطلاقاً؟» (تمت إضافة التأكيد)

(1) KGW I - 2: 435 ترجمة (جورج ستاك George Stack) في Ansell Pearson and Large 2006: 14 هنا تم التعديل قليلاً

يمكن فهم هذه البيانات الأخيرة بشكلٍ أفضل إذا طبقت على مثالٍ أعطاه (نيتشه) في السنة السابقة في مسودات سيرته الذاتية الشخصية. وهناك كان قد طرح قضية أحدٍ ما لا يستطيع الإرتقاء فوق إغراءات الثروة ويستسلم إلى جاذبيتها الموهنة. وفي نفس الوقت الذي عُرضت فيه الحالة كما لو كانت قوىً لا يمكن الصمود أمامها، فقد طغت على الخير الفطري لبعض البشر ببساطة. في تلك البيئة بالذات (وفي مقارنة ضمنية مع بشر أكثر شجاعة أثبتوا أنهم ضعفاء) يتساءل (نيتشه) الآن عن هذا المقياس الضمني الذي يصطف فيه كل البشر وفقاً لقيمة واحدة وهي درجة ثباتهم الأخلاقي، ويجادل بأن قوة شخصيتهم وقيمهم الأخلاقية يجب أن تؤخذ في الحسبان أيضاً. إذا كان هناك من يستسلم لمناشدة الثروة فليس بالضرورة لأنه مترهل أخلاقياً، قد يكون ببساطة واحداً من الأشخاص الذين يستجيبون بتلك الطريقة للثروة. وبعبارةٍ أخرى إن البيئة لم تطغ بل عرضت وضعاً يتبناه الشخص أو يرفضه بناءً على احتياجاته واهتماماته. ولإعادة صياغة عبارة واحدة في الجملة ما قبل الأخيرة لـ(نيتشه)، فإن قوة المرء أو ضعفه في الوقوف على حدث لا تتوقف على قوة الحدث كثيراً كما هو الحال بالنسبة لقوة استجابته. إلى ذلك المدى سيطر الميل بشكل بارز وفتح البشر البوابات للكثير ليتم تلقيه. لم يكن الناس تحت رحمة الأحداث، بل كانت قدرة الحدث على التأثير بهم تحت رحمة مزاجهم، أي الطريقة الفردية التي استجابوا بها.

بعد أن تقبل بسعادةٍ هذه الآراء القيمية، تحول (نيتشه) إلى الميتافيزيقية، وتساءل كيف لأي نوعٍ من الحرية أن يكون ممكناً في عالمٍ تحكمه الضرورة. إن هذا الإعتبار (الذي ينطوي على عرض الحرية كحالة محدودة للضرورة) سيتم تخطيه هنا من أجل الإنتقال إلى ورقة أخرى وتفحصها، «حرية الإرادة والمصير» وهي قلادة للمحاضرة التي قدمها إلى (جيرمانيا).[1] إن هذا النص الملحق مختلفٌ جداً عن «المصير والتاريخ»، هو كبداية أقل حماساً لأنه لا يستند إلى الأزمات الدينية، ومع ذلك فإنه يفصل جوانب من المقال السابق ويخدم كامتدادٍ للتعابير التي رويت للتو. وتجدر الإشارة بأن (إمرسون) اعتقد بأنه يتم تحديد الأفراد والأحداث بالتبادل، فيستجيب البشر فقط للمؤثرات التي يتعرضون لها، وإلى هذا الحد يتعاونون في استقبال الضغوط. وعلاوةً على ذلك فإن الروح مثل أداة التوجيه والإنذار لفرصٍ مناسبةٍ لضروراتها. «تناسب طبيعة الشخص مع ثروته بشكلٍ سحريٍ وذلك من خلال جعلها ثمرة شخصيته».

(1) KGW I - 2: 437 - 440 الترجمة الإنجليزية لـ(جورج ستاك) في: Ansell Pearson and Large 2006: 16 - 17.

(963) من خلال هذه البيانات وغيرها يقترح (إمرسون) أن حساسية الروح وقبولها تجاه العالم في نفس الوقت هو تخصيصٌ فعّال لذلك العالم فالكمون والفعالية، القيود والحرية متضمنان بشكلٍ متبادل، وإن البشر متورطون إلى هذا الحد في وضعهم. «يعلم الفرد بشخصه أنه طرفٌ في حالته الراهنة». (948)

في هذا الجانب من وجهة نظر (إمرسون) يصحح (نيتشه) في «حرية الإرادة والمصير»، حيث يؤكد ادعاء (إمرسون) بأنه في حين يمكن أن تحاط الذات بكل أنواع الأحداث السببية، فيمكنها فقط أن تقبل وتستجيب لمجموعة محددة من الظواهر التي تستطيع إثارة حساسيتها. «هل يمكن لنغم بالعموم أن يلامسنا إن لم يكن هناك وتر حساس مقابل فينا؟ أو بتعبيرٍ آخر، هل يمكننا استقبال انطباعٍ ما في دماغنا ما لم يتمتع دماغنا بإمكانية الاستقبال لذلك الغرض؟»[1] في هذه المرحلة يقوم (نيتشه) باكتشافٍ يشكل الأساس لنظريته حول الذات من الآن فصاعداً. أولاً، هو يخمن (بينما إمرسون لا) بأن الفرق بين الاستجابات الطوعية والمصيرية يتأثر بالفرق الذي نصنعه بين الاستقبال الواعي واللاواعي.[2] «إن الإرادة الحرة تشير إلى القدرة على التصرف بوعي، في حين أنه بالمصير نفهم أننا منقادون بالأفعال اللاواعية». بمجرد أن يقوم بهذا التمييز فهو يقلل من أهمية ذلك، وبحجة أن حوافز الوعي واللاوعي على حد سواء تضع شيئاً أكثر أساسيةً وهو مناجة الروح البشرية. بالنسبة لـ(نيتشه) لا يوجد شيء تحقيري حول اللاوعي، ولا يهم فيما إذا كان الأفراد يعرفون ما يقومون به أو أن الأفعال تُنجز مع أو بدون مزايا الوعي. في كلتا الحالتين تعبر الأفعال عن الذات وإلى هذا المدى توجه مراعاتها. «يقول المرء في كثيرٍ من الأحيان حول فعلٍ ناجح: وقعت على هذا بالصدفة. بأي حالٍ من الأحوال فإن حاجة ذلك دائماً صحيحة. إن فعل الروح لا يزال غير منقوص حتى لو كنا لا نرصده بعين العقل» بمعنى بوعي.

وفي النهاية يحرر (نيتشه) الأفراد من أن يكونوا رابطاً سلبياً في سلسلة سببية ـ من أن يكونوا مجرد نتاجٍ للتاريخ ـ ويصورهم حيويين ومستجيبين بشكلٍ مستقلٍ في الوقت الحاضر. هم ليسوا بحاجةٍ إلى تحليلٍ زائد، بل ينبغي لهم أن يشعروا بقواهم الخاصة، الإتجاهات التي بها يستطيعون التحرك للأمام على نحوٍ أفضل، والمضي قدماً. إن منطقه ليس واضحاً دائماً،

(1) KGW I - 2: 439 الترجمة لـ(جورج ستاك) في Ansell Pearson and Large 2006: 17

(2) غني عن القول، اعترف (إمرسون) بسهولة بمفاهيم مماثلة لحوافز وأفكار اللاوعي. هو فقط لم يستخدم مفردة (وعي) و(لاوعي)

ولكن ثقته لا لبس فيها، وقد تغلب بوضوحٍ على المخاوف التي حلت به الربيع الماضي. في هذه الأثناء وضع كل رهاناته على الذات، وهو موقف ليس بالضرورة غير مناسبٍ لشخصٍ تربى على التقليد الـ(لوثري) للوعي الفردي. حيث ينحرف نهج (نيتشه) و(إمرسون) عن الـ(لوثرية)، ومع ذلك يكمن في القيمة النشطة والحيوية والإبداعية التي يعزوها كل منهما (مع بعض السلف الرومانسي) إلى الروح المناضلة. بالنسبة لـ(نيتشه) وكما سيبدو فإن الأخير يطور دائماً، مثل النموذج الأولي الفاوستي [نسبةً لـفاوست] للـ((بيلدانغ))، إنه يشارك بلا تعب في إدراك إمكانياته، وبما أن العديد من هذه النشاطات بلا وعي فلا سبيل بالأساس لمعرفته. لا يمكن للأفراد أن يتأكدوا من هم أو إلى أين هم ذاهبون، يستطيعون فقط أن يكونوا على يقين بأنهم في عبور، وأن كل ما يقومون به يعكس تمنياتهم بوعي أو غير ذلك.

وفي نفس الوقت، إذا قبل نهج (إمرسون) القصة الـ(همبولدية) للـ((بيلدانغ)) بطرق معينة فهو يختلف مع الآخرين، والإختلافات مهمة لأنها سوف تؤدي في النهاية بـ(نيتشه) إلى طرقٍ ليست متخيلة في تعليمه.

أولاً، فسر (همبولد) الأفراد على أنهم يتطورون من خلال صراعهم مع العوامل الخارجية ولا سيما التعليمية والاجتماعية، واتفق (إمرسون) مع ذلك ولكنه قدم روحاً عدائيةً متمردةً مناهضةً للسلطوية غائبة في سلفه العظيم اجتماعياً. مال الأمريكيون بدلاً من ذلك إلى التأكيد على الفرد كمعارضٍ للمجتمع، وهي وجهة نظرٍ ربما وجدها (همبولد) كريهة ولا تطاق.[1] ثانياً، في حين أكد كل من (إمرسون) و(همبولد) على الفرد، فإن (إمرسون) ألقى بالضغط بطريقة رومانسية، رفضها (همبولد) الذي احتفظ بجوانب التنوير ((أوفكلارونغ Aufklärung)). وعلى الرغم من أن نصوص (همبولد) تخضع لتفسيرات متباينة، إلا أنه مال إلى إبراز المواهب والإهتمامات المميزة لكل إنسان. لقد شدد على القدرات الفردية وليس على الفردية في حد ذاتها، التي رآها تظهر من خلال الجهد للسيطرة على هذه القوى في كلٍّ موحدٍ وحيوي. لا يبدأ المرء بالفردية ولكن ينجزها. لقد حاول (إمرسون) التقليل من أهمية المواهب ومؤكداً بدلاً من ذلك على كل ذاتٍ كانت مختلفة بشكل جذري وخصوصاً منذ الولادة. لقد بدأ المرء كفرد وعلى الرغم من أن هذه الهدية قابلةٌ للإنكار فقد وعظ (إمرسون) بأنها كانت قيّمة أصلاً وينبغي تطويرها. وبعد سنواتٍ كتب (نيتشه) «في الصميم، يعلم كل إنسانٍ جيداً بأنه يعيش في العالم مرةً واحدةً فقط، كفردٍ من نوع، وإن ذلك ليس من قبيل

(1) Sorkin 1983

المصادفة، بغض النظر عن مدى الغرابة فسوف لن يحيك لمرة ثانية أبداً خارج التنوع الملون المدهش الوحدة التي هو عليها».[1] وفي حين أن هذه الجملة تدين بالدِّين إلى التنوير، فإنها تدّعي ضمناً أن الذات كذات، ثمينةٌ بطبيعتها ومميزةٌ على نحو غير قابلٍ للتفاوض ومحاصرةٌ وسط مجتمع التسوية. إن هذه الآراء وإلى حدٍ بعيد (إمرسونية) أكثر منها (همبولدية) (وهي بالطبع كانطية بعد إزالة البطولة منها الذي استُند إليه ضمنياً في الفقرة المعنية) وتضع (نيتشه) على مسارٍ يتعارض مع القيم المعاصرة. قد يستغرقه سنوات عدة بوعي للقيام بهذا التحول، وسوف يقوم بذلك بصورة نهائية فقط عندما يشعر بأنه محاصر لأسبابٍ أخرى.[2] ومع ذلك فقد كان من المحتمل أن تزرع البذور قبل سنواتٍ خلال مواجهاته الأولى مع (إمرسون) في (شولبفورت). في الوقت نفسه ومهما كانت أفكار (نيتشه) في المستقبل فقد تطلب توجهه الجديد أشكالاً جديدةً للسلوك، حيث كان قد اقترح بالفعل التشكيك بالمسيحية، وعلى الرغم من أنه أكد للأصدقاء بأنه وجد مثل هذا الإحتمال مخيفاً، تشير بعض الملاحظات لاحقاً في «المصير والتاريخ» إلى أنه لم يمانع نقد المسيحية على الإطلاق.[3] وكما سيظهر في الفصل التالي فقد بدأ أيضاً بالشذوذ عن السلوك المقبول اجتماعياً. قدم النصان اللذان ألفهما في عيد الفصح «المصير والتاريخ» و«حرية الإرادة والمصير» براءات الاختراع للتحرير الفكري، إذا جاز التعبير، يمكنه استخدامها لتبرير الرحلة التي قد بدأها للتو. لقد حان الوقت الآن لمراقبة محاولات التحرر الذاتي هذه وكيف انسجمت مع استراتيجيته الفلسفية.

---

(1) UO III: 1 الترجمة لـ(ريتشارد ت غراي Richard T. Gray) وعُدّلت قليلًا KSA I: 337

(2) انظر الفصل 13، القسم 2.

(3) انظر على سبيل المثال، المرح جانباً، «مع ذلك، إن ملاحظة الانطباع الذي تقدمه مثل هذه الشكوك عن العقل يجب أن يكون بالتأكيد مساهمةً في تاريخ المرء الثقافي الخاص» KGW I - 2: 433 الترجمة لـ(جورج ستاك George Stack) في
Ansell Pearson and Large 2006: 13

الفصل السّابع

العالم السّفلي لـ(بفورتا)

[الـ]طباع الشّبابية [تكون] صاخبةً جداً.[1]

1

أكدّ (نيتشه) في «المصير والتاريخ» على المصاعب التي تواجه أي شخصٍ يحاول تحرير الذات من التّنشئة المسيحيّة، ولكن على الرغم من إعلانه الأخطار التي تنتظره فهو ما لبث أن اقترح هذه الخطة إلى أن شرع فيها بنفسه. وتظهر النّية على إعادة النظر في معتقده واضحةً في مسودّة رسالةٍ كتبها إلى (فيلهلم) و(غوستاف) بعد شهرٍ واحدٍ من إعطاء محاضرته.[2] إن الرسالة الأصليّة التي تمّ إدراجها في دفتر الملاحظات مفقودة، وتُرِك القرّاء مع مسودّةٍ تبدأ لسوء الحظ من منتصف الفكرة، ليس من الصعب إعادة بناء السياق المفقود وذلك لأنّ الكلمات التي لاتزال موجودةً تأتي من موقف سبق ذكره في: «حرّية الإرادة والمصير». ينوّه (نيتشه) فيها ضمناً بادّعاء (إمرسون) بأن الأتراك والعرب والفرس كانوا لا يعرفون الخوف لإيمانهم بأن يوم مماتهم محددٌ مسبقاً. وبما أنهم سيموتون (أو لا) بغض النظر عن أفعالهم، فهم سيقدِمون على المخاطر بجميع الأحوال. وقد رد (نيتشه) على ذلك قائلاً: «ونحن نجد بأنّ الّذين يؤمنون بالمصير يتميزون بالقدرة وقوة الإرادة، بينما النّساء والرّجال الّذين.... يدعون الأمور تجري بالطريقة الّتي تسير بها (بما أن «الرب قد جعل كل شيء حسنا»)، فهم يسمحون للظروف بقيادتهم بطريقة مهينة».[3] وعلى الأغلب فقد صدمت هذه الجملة

---

(1) KSA VIII: 337

(2) KSAB I: 201 - 202

(3) KGW I - 2: 438. ترجمة (جورج ستاك George Stack) مع تعديل طفيف في Ansell Pearson and Large 2006: 16

الجمهور المستهدف بها، لأنها عبّرت عن ازدراءٍ لإحدى ركائز حركة التقوية المعاصرة، وهي الإعتقاد بأن على المسيحييّن القبول بجميع المصائب على أنّها من مظاهر العناية الإلهية («لتتمّ مشيئته»). ومن الواضح أن رسالة (نيتشه) الجديدة قد كرّرت هذا الرّفض للعناية الإلهيّة لأنه واصل بقوله:

«المنظور المسيحيّ وحده ما يمكنه أن يؤدّي لهذا الشكل من إرهاق البشر، الأمر الغريب بالنسبة للشخص المؤمن بالقضاء والقدر. إنه ليس سوى ذريعة للضعفاء، أي تخلي المرء بعزمٍ عن قوته لصنع مصير نفس الشخص. في اللّحظة التي ندرك فيها أننا مسؤولون أمام أنفسنا، وأن الّلوم على الروح الضعيفة في الحياة يمكن أن يعزى إلينا وحدنا وليس لبعض القوى العليا، عندها فقط ستخلع الأفكار الرئيسيّة للمسيحيّة رداءها جانباً وتدخل النخاع والدماء».

وبرغم ازدرائه الواضح للمسيحييّن الذين يبتهلون العناية الإلهيّة كذريعة للتقاعس فإن (نيتشه) لا يهاجم المسيحيّة نفسها صراحةً وإنما يسعى بالأحرى إلى إعادة تعريفها منتقصاً من الممثّلين العصريّين لصالح الإيمان الأقدم والأصح، أي «الأفكار الرئيسيّة للمسيحيّة» والتي يبدو أنها قدّمت المشورة القائلة بأن «المسؤوليّة لأنفسنا» وهو تعبير قد يكون وجده في (امرسون). ولكن مؤلّفاً محلّياً آخر قد وافق على معظم هذه الفقرة وكما يقر (نيتشه) ضمنا في الفقرة التّالية:

«المسيحيّة في الأساس هي مسألة القلب، وليست كذلك إلى أن ندمجها بداخلنا، وعندما تصبح طبيعتنا نفسها، يكون عندها الإنسان مسيحيّاً حقيقياً. ***بالكاد تعبّر التعاليم الرئيسية للمسيحية عن الحقائق الأساسية للقلب البشري ـ فهي رموز*** ـ كما أن الأعلى يجب دائماً أن يكون مجرد رمزٍ لشيء لا يزال أعلى. فأن تكون مباركاً بالإيمان لا يعني أكثر من الحقيقة القديمة القائلة بأنه وحده القلب وليست المعرفة ما يمكنه إسعادنا. ذلك بأن الرب تجسّد في هيئة بشر مجرد ما يشير إلى أنه ينبغي على الإنسان ألا يسعى إلى البركة في الحياة الأخرى ولكن بأن يثبّت جذور جنتها على الأرض، ***فالوهم بالخوارق وضع الرّوح البشريّة في علاقة خاطئة مع العالم الدنيويّ:*** كان ذلك نتيجةً لطفولة الشعوب. إنّ الرّوح الإنسانيّة اليافعة المتوهّجة تقبل هذه الأفكار بشغف وتلفظ بالخفاء السّر الذي يمدّ جذوره في كلّ من الماضي والمستقبل بأن الرب تجسّد في هيئة بشر. ستصبح البشريّة قويةً من خلال الشّكوك والصراعات الشّاقة، فهي ***تدرك ذلك في ذاتها: «البداية، المنتصف، ونهاية الدّين».*** » (تمت إضافة التأكيد).

هنا يكشف نيتشه بشكلٍ لا لبس فيه بأنه قد وقع تحت تأثير سحر (لودفيغ فيورباخ Ludwig Feuerbach) الفيلسوف الهيغليّ اليساريّ الّذي أثّر وبشدّة على بدايات (ماركس Marx) و(إنجلز Engels) و(فاغنر Wagner). (تمّ وضع أغلب الملاحظات الفيورباخية بالخط المائل وتم أخذ الاقتباس النهائيّ بشكلٍ مباشر ـ وإن تمّ اختصاره قليلاً ـ من كتابه «جوهر المسيحيّة The essence of Christianity» الفصل 19).[1] ونظراً لعدم تفسير (نيتشه) لمواقف (فيورباخ) بل استشهاده بها فحسب، فمن المفيد أن نلخّص أفكار ذلك الفيلسوف. اقترح (فيورباخ) بشكل أساسيّ أن البشر قد خلقوا صوراً عن اللّه لتكون إسقاطاً لصفاتهم البشريّة، وعندما احتفلوا بسخاء وبرحمة أو حتّى بالغضب الإلهي، فهم كانوا ينسبون إلى اللّه قدرتهم هم على السّخاء والرّحمة والغضب. وباختصار يعبد المسيحيّون ما وضعوه هناك بأنفسهم، وفي هذه العمليّة أبعدوا أنفسهم عن قوتهم ذاتها، يعبدون الرب متخليين شخصيّاً عن جوهر إنسانيتهم. ونصح (فيورباخ) بأنه بدلاً من أن يُخضعوا أنفسهم لمعبودٍ هم أوجدوه، على المسيحيّن أن ينظروا إلى أنفسهم على أنّهم بشر أولاً ويعيدوا النّظر في قيمهم بناءً على ذلك. وهذا هو الموقف الذي يناصره (نيتشه) بفعالية في هذه الرّسالة، وذلك يُظهر أنه كان على اتّصال بطريقة أو بأخرى بتعاليم (فيورباخ).[2]

قد يعتقد المرء أنّه بعد أن تمّ إصدار هذه الاتّهامات للممارسة المسيحيّة الحاليّة (وثيقتا عيد الفصح تليهما رسالة فيورباخ)، سيواصل (نيتشه) هذا الموضوع ويكتب سلسلة من المقالات التي تصف وجهات نظره الّتي طوّرها عن المسيحيّة. في الواقع، لا توجد نصوصٌ أخرى من هذا النّوع متوفّرة من وقته في (شولبفورت). كتب (نيتشه) بطبيعة الحال مقالاتٍ أخرى عن المسيحيّة، بينما كان في المدرسة، ولكن أيّا منها لا تسعى لإعادة صياغة معتقداتها أو التفكير فيها بهدف الإيمان. ومع ذلك، يبدو أنه لم يسمح لتساؤلاته في الدين أن تموت بل سعى بصمتٍ للوصول إلى خواتمها. وسيتذكّر بعد عدّة سنوات بالقول: «كملحدٍ أنا لم أتل يوماً صلاة الشكر قبل وجبة الطعام في بفورتا»، وأشار إلى أن المعلّمين قد عرفوا بذلك وعاقبوه

(1) KGB I - 4: 192 قارن Feuerbach 1956: I, 298

(2) وبحلول عام 1862 كانت سمعة (فيورباخ) قد بدأت في الهبوط منذ فترة طويلة. Kamenka 1969: 17 ربما يكون (نيتشه) قد أصبح على درايةٍ بوجهة نظر الرجل عن طريق أساتذته أو من خلال (أورتليب Ortlepp). (انظر القسم التالي) ومن المؤكد أنه أصبح على علمٍ ليطلب كتابين لـ(فيورباخ) لعيد ميلاده السابع عشر عام 1861، قبل ستة أشهرٍ من «المصير والتاريخ» و«حرية الإرادة والمصير» وهي نفس اللائحة التي يطلب فيها كتاب (هيس) Das Leben Jesu. KGW I - 2: 307

لهذا السّبب.[1] إنّ العبارة «كملحدٍ... في بفورتا» تُظهر بشكلٍ لا لبس فيه أن (نيتشه) ـ وعلى الرغم من كونه لم يترك أيّة آثار ورقية ـ واصل جهوده التحرّرية، حتّى أنه أوصلها إلى نهايةٍ حاسمة. بطبيعة الحال فإنه كان يسجّل عن ذاكرة تعود لخمسة عشر عاماً بعد وقوع الأحداث المدروسة، وقد يكون أخطأ في نقل الصورة. وهو استمرّ بالتّأكيد بمراقبة معظم الطّقوس المسيحيّة خلال عامه الأخير في (شولبفورت)، وبدا أنه احتفظ ببعض الولاء لإيمانه السّابق حتى في سنته الأولى في الجامعة. ومع ذلك فمن غير المحتمل أن تكون مذكّرة (نيتشه) عبارة عن تحريف بالمجمل. وبغضّ النّظر عمّا إذا كان قد سجّل تقدّمه في وثائق، من الواضح أنه واظب على ملاحقة تساؤلاته بعد ربيع عام 1862 وأخذهم بحقٍّ إلى بعيد، حتى وإن لم يكن، ربمّا، قد فطم نفسه عن المسيحيّة بالحزم الذي تذكّره.

في هذه الأثناء لم يقصر (نيتشه) نفسه على استكشاف المعتقدات فحسب، بل وسّع أيضا آفاقه الأخلاقية ليتصرّف بطرقٍ خارجةٍ عن حدوده الجليلة السابقة. بين صيف عام 1861 عندما توقف عن العمل على الموشّحة الدّينيّة «أوراتوريو» وربيع عام 1863 عندما جلب حدث مهين بعضاً من أنواع التجارب إلى نهايتها، كان قد بحث مراراً في القيود، مستكشفاً وجهات نظرٍ أخلاقية وثقافية جديدة في محاولةٍ لوضع مسافة حاسمة بينه وبين المعتقدات التّقليديّة. إنّ مثل هذا السلوك ليس بغريبٍ على المراهقين، ولا شك في أن بعضاً من تمرد (نيتشه) عكس نشاطاتٍ نموذجية بالنّسبة إلى سنّه. ومع ذلك وكما تشير مطالبته بالمسؤوليّة الذّاتية، فهو قد أعطى هذه العمليّة الطّبيعية معنىً نظرياً وتحرّرياً. عندها ستبرز القضيّة التّالية: كيف سيتمكّن من الاستكشاف بفعاليّة عندما تكون مدرسته منغلقة على ذاتها ولديه وصولٌ محدود إلى معايير بديلة من القيم؟ وكيف سيعثر على مؤلّفين محظورين ويتحرّى في أنماطٍ بديلةٍ من السلوك في الوقت الذي لا يعرف فيه ما هي هذه الأنماط؟

2

غالباً ما يتم تقديم (شولبفورت) كمجتمعٍ منضبطٍ متزمّت يشغلها أساتذةٌ نموذجيون وطلابٌ مدرّبون على بذل كل ما لديهم في سبيل العلم. ويمثّل هذا التوصيف مثاليات (بفورتا) عن نفسها، ومثل هذه التطلعات تحققت إلى حد كبيرٍ في عهد إدارة (كارل بيتر

(1) KSA VIII: 608

(Karl Peter) (رئيس المدرسة خلال فترة إقامة نيتشه) والذي ترأس عصراً ذهبياً.[1] ومع ذلك، فإن تنفيذ الرؤى السامية كان يخضع حتماً لتيار الخلاف وللفشل البشري. كان بإمكان المعلمين المتميزين أن يتبحّروا في محاضراتهم. أما الأساتذة المساعدون الذين لم يسمح لهم بالزواج وتقاضوا أجوراً زهيدة فغالباً ما غادروا.[2] ويُعتقد بأن واحداً على الأقل من الموجهين كان مدمناً على الكحول وآخر من أساتذة (نيتشه) انتحر بعد ثلاث سنوات ونصف من مغادرة الشاب اليافع.[3] لم يكن الطّلاب أيضاً بأي حالٍ من الأحوال مكرّسين دائماً للدّراسة أو يحترمون الأكبر منهم سنّاً. فإذا كان (نيتشه) يسعى للوصول إلى طريقة يخلّص بها نفسه من ماضي الوعي الذاتي الحسن السلوك، وربما أيضا المحافظ، فقد وجد وسيلةً للوصول إلى ما يمكن تسميته بالعالم السّفلي لـ (بفورتا).

وكان هناك كبداية التوجهات الجنسية الخفية التي لا يمكن تجنبها والتي سبق ذكرها في الفصل السابق.[4] أيضاً، مع تقدم الصبية في العمر تم منحهم امتيازاتٍ اعتبرت ملائمةً لمنزلتهم الجديدة. كان بعضٌ منها بريئاً: فعلى سبيل المثال سُمح لهم في سنتهم الثالثة بحمل العكازات (مع أن شجاراً أدى إلى إلغاء هذا الامتياز). في حين كانت امتيازات الآخرين أكثر إشكالية: إذ كان مسموحاً للأعلى منزلةً على سبيل المثال بتدخين السيجار وبمغادرة الحرم دون إذن، وبشكلٍ عام إعفاء نفسهم من أية قواعد لا تغطّيها البروتوكولات الرسمية أو المتعارف عليها.[5] ومن الواضح أن هذه السياسات قد تؤدّي إلى توترات، فكان بإمكان الأولاد من أي عمر المشاركة في تمرد الفصول الدراسية خاصة عندما يُظهر الأستاذ ضعفاً كما حدث مع الأستاذ الغامض (كارل شتاينهارت Carl Steinhart)، والذي عرف عنه ضعف سيطرته على الطلاب.[6] وقد حدثت ثورةٌ فاضحة في صف (نيتشه) خلال عامه الثاني، فسجل

(1) Heumann et al. 1994: 107

(2) Pernet 1989: 135, n. 2

(3) لمعلومات عن إدمان الكحول انظر Wilamowitz - Moellendorff 1928: 80 - 81 وعن الانتحار انظر KSAB II: 239 إن الأستاذ المعني (يوليوس كريتشمر Julius Kretschmer) كان معلم (ديوسن) بعد وفاة (بودنسيج Buddensieg)
Feldhoff 2008: 38

(4) الفصل 5 القسم 1

(5) Heumann et al. 1994: 196 - 198

(6) Heumann et al. 1994: 115 - 116

في مذكرته عن التوترات المتزايدة في الوقت الذي بحثت فيه الإدارة عن المتزعمين.[1] لم يكن المدرسون السذّج وحدهم من تعرض للتنمّر، إذ قام الأولاد الأكبر سناً بمهاجمة الأصغر منهم، وكان العديد من التلاميذ يغارون وينتقمون ممن اعتبروهم يدرسون باجتهادٍ كبير، وبالتالي يتملقون المعلمين كسباً لرضاهم.[2] وأخيراً، كانت هناك العديد من أنواع الزمر في (شولبفورت) وهو الأمر المتوقع في أي مجموعة من المراهقين.

ولكن التأثير الأكثر استدامة على (نيتشه) وخارج المنهج، قد لا يكون زملائه التلامذة وإنما كان الرجل الذي رقّه عن الأولاد في ساعات الفراغ وحرّض على الفتنة في الخفاء. وكان لـ(شولبفورت)، إذا جاز التعبير، شبحٌ مقيم، رجلٌ صبر على الشقاء، ربما لأنه كان خريجاً من (بفورتا) وشاعراً ومترجماً قديراً، رجل اجتمع بـ(جوته) وتعاون مع (روبرت شومان). وعلاوةً على ذلك يبدو بأنه قد حاز على الاحترام أو أقله على التقدير. وقد زوده اثنان من أساتذة (بفورتا) البارزين بالتمويل،[3] وكان يحظى ـ وفقاً لـ(ديوسن) ـ بشعبيةٍ عند بعض الطلاب من الدرجة العليا. (كان واضحاً بأن (ديوسن) أحبه، وقد أخذ هو و(نيتشه) على عاتقهما تشكيل مجموعةٍ عن وفاة الرجل).[4] لسوء الحظ فإن (إرنست أورتليب Ernst Ortlepp) ـ الذي كان يوماً طالباً واعداً ـ كان دائماً معرضاً للسلوك غير القويم، وغالباً ما تواجه الرجل مع المراقبين بسبب كل من: القصائد الدّينية المجدّفة (عُنونت إحداها بـ«أبانا») والقصائد التي تمجّد المثل الثورية. ولكونه معرضاً للعوز وبشكل متزايد لسوء تعاطي الكحول، تم طرده من (لايبزيغ) عام 1836 على أنه **شخصٌ غير مرغوب فيه**، وكثيراً ما قضى وقتاً في السجن. وبحلول أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر وأوائل الستينيات، غالباً ما كان ثملاً ومحطاً للسخرية. وكان قد عاش في (نامبورغ) لبعض الوقت، شاغلاً مسكناً في 19 (وينغارتن) بالقرب من 18 (وينغارتن) حيث ستنتقل (فرانسيسكا نيتشه) سنة 1858.[5] وهناك كان محط سخريةٍ للعامة

---

(1) KGW I - 2: 107, 109, 114, 116

(2) واجه (نيتشه) هذا التحامل بالتأكيد ووفقاً لـ5 - 4 :Deussen 1901 فقد انخرط فيه شخصياً مرةً على الأقل. لنسخة بالإنجليزية انظر Gilman 1987: 11

(3) أعطى كلٌ من (كارل شتاينهارت Carl Steinhart) و(كارل كيل Karl Keil) المال لـ(أورتليب) في بعض الأحيان، ودفع (كيل) على ما يبدو لأجل دفنه.
Agthe et al. 2006: 55 - 56

(4) Feldhoff 2008: 41

(5) Agthe et al. 2006: 60 - 61, n. 27 إن 18 و19 هما رقما المنزلين الحاليان. ومن حيث عناوين منتصف القرن التاسع عشر فإن (فرانسيسكا) قد عاشت في 355 و(أورتليب) في 354 (وينغارتن). وهذا الجوار

وحكم عليه بالسجن في نهاية المطاف لكونه مترنحاً يبكي في الشوارع، وعلى ما يبدو ملاحقاً من (ذيول) الأطفال الهازئين. ويبدو أنه بعد ذلك قد انتقل إلى جوار (ألمريش Almrich) حيث كان أقرب إلى (شولبفورت) فأمكنه ترفيه الطلاب في الحانات. من المستحيل أن نعرف مدى قوة معرفة (نيتشه) به، برغم أنه و(فيلهلم بايندر) كانا بالتأكيد يعرفان الرجل. والأمر المؤكد أن (نيتشه) قد صادف (أورتليب) في بيوت الشرب في (ألمريش) حيث أحب الشاعر المتجول أن يتمسك بالجلوس مع طلاب المدرسة. وبالفعل يسجل (نيتشه) بأنه هو وأصدقاؤه كانوا قد تكلموا معه في نفس اليوم الذي توفي فيه.[1]

بدأ بعض الباحثين في (نيتشه) في دولٍ ناطقة بالألمانية ينظرون إلى معرفة نيتشه بـ(أورتليب) على أنها محورية في عملية تطوره.[2] ولكن حتى الآن لا يبدو أن هناك أدلةً كافيةً لدعم هذا الموقف. ومع ذلك فإن تأثير الرجل المسن يبدو معقولاً على الأقل بواحدة من الطرق. فنظراً لأن (نيتشه) كان مقيداً بضوابط (شولبفورت) التي لم تقم بالتدريس عن مؤلفين اعتُبِروا مشتبهاً فيهم سياسياً أو سيئين أخلاقياً، كان سيجد صعوبةً حتماً في اكتشاف أعمالٍ بديلةٍ لهم بمفرده.[3] هنا كان يمكن إثبات أن (أورتليب) لا يقدر بثمن. فبحسب (راينر بولي Reiner Bohley) كان (شكسبير Shakespeare، ولورنس سترن Laurence Sterne، وهنري فيلدينغ Henry Fielding، وهولديرلن Hölderlin، وبايرون Byron) وفوق جميعهم (جان بول Jean Paul) الكتّاب المفضلين للرجل.[4] إذا كان الأمر كذلك فإن المصادفة ملفتة للنظر، لأنه وباستثناء (فيلدينغ) كان هؤلاء هم الكتاب الذين قدّرهم (نيتشه) خلال فترة إقامته في (بفورتا). كما كان مأخوذاً بـ(تريسترام شاندي *Tristram Shandy*) بشدة في

المفترض مضلل. لا يوجد دليل على أن (أورتليب) عاش هناك ما عدا في عام 1856، خلال الفترة التي عاشتها عائلة (نيتشه) في (نيوغاس Neugasse) وفي (مارينتور Marientor). ولكن انظر Schmidt 2001: 317 - 319

(1) KSAB I: 288

(2) انظر Agthe et al. 2006; Bohley 2007: 188 - 190, 299 - 307; Schmidt 2001; Ross 1980: 74 - 73 ولأجل الرأي المعاكس انظر Hödl 1998: 440 - 445

(3) يقول (كارل روبرت ماندلكو Karl Robert Mandelkow) إن أحد المؤلفات البديلة ركّز على (جوته) و(شيلر) وصممت لاستبعاد (جان بول) وأخرى تم تأليفها خلال سير القرن التاسع عشر وتبناها (بيلدانغسبورغر *Bildungsbürger*).

Mandelkow 1990 وخصوصاً 184 - 185

(4) Bohley 2007: 302 يذكر (بولي) أيضاً وبشكلٍ متكرر اهتمام (أورتليب) بـ(مونتيغن Montaigne) ولكنه لا يدعو الأخير بالمؤلف المفضل.

بداية عامه الثاني، وفي نفس الوقت تقريباً توقع بأن (جان بول) قد يصبح مؤلفه المفضل.[1] أما خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة له هناك، فقد أصبح مفتوناً بأعمال (هولدرلين) و(شكسبير) وبشكلٍ خاص (بايرون) وجميعها من تخصصات (أورتليب)، الذي كان قد نشر ترجمات الأعمال الرئيسية لـ(بايرون) وتقريباً كافة مسرحيات (شكسبير). كان لـ(نيتشه) دوافع أخرى لدراسة (بايرون) كما سيتم شرح ذلك لاحقاً. ومع ذلك فقد يكون امتلك نسخة (أورتليب) المكونة من ثلاثة مجلدات من أعمال (بايرون) حين كان في المدرسة، وكانت بكل تأكيد النسخة التي استخدمها في العقد الأخير من حياته.[2] كان حتماً ينظر إلى الرجل الذي أوصى بالشاعر ـ والذي غالباً ما كان يقرأ عبر النسخ خاصته ـ بعين الفضول وربما الإجلال. هذا لا يعني القول بأن إعجاب (نيتشه) بالشخصيات الأدبية كان بهدف تقليد (أورتليب)، إذ كان لديه إحساسه وذوقه الخاص وأسبابه الشخصية لمناصرة بعض المؤلفين عن غيرهم. وبطبيعة الحال لم يكن (شكسبير) مؤلفاً مصادقاً عليه من قبل المدرسة فحسب، ولكنه كان جزءاً لا يتجزأ من المنهاج الدراسي أيضاً. بالرغم من ذلك فإن اقتراحات (أورتليب) قد تؤدي به إلى التحري عن مؤلفين من ناحية أخرى لم يكن ليصادفهم. كان (نيتشه) قد بدأ وعلى نحوٍ متزايدٍ خلال الأعوام الستة له في المدرسة باستكشاف أعمالٍ بديلة، وسواء كانت تلك مصادفة أم لا فمعظم هؤلاء الكتّاب كانوا من المفضلين شخصياً لـ(إرنست أورتليب).

أما أولى القضايا اللافتة حيث حقق (نيتشه) في الفن خارج الإتجاه السائد، فقد بدأت في ذلك الشهر المحوري، مارس عام 1861، عندما كان راسخ العزم وكتب «صيادو

---

(1) بالنسبة لـ(ستيرن Sterne) انظر KGW I - 2: 100, 101, 111, 133 وبالنسبة لـ(جان بول) انظر KGW I - 2: 123

(2) امتلك (نيتشه) بالتأكيد نسخة مؤلفة من ثلاثة مجلدات لأعمال (بايرون) بينما كان في (بفورتا) KGW I - 2: 443

وتشير Campioni et al. 2003: 165 - 166 بأن ترجمة المجلدات الثلاثة لـ(أورتليب) بقيت في مجموعة كتبه الأخيرة وكانت الأكثر تعليقاً من بين نسخه الخاصة بـ(بايرون). يزعم (ديفيد تاتشر David Thatcher) بأن (نيتشه) استخدم نسخة (أدولف بوتجر Adolf Böttger) المكونة من ثمانية مجلدات بينما كان في المدرسة ولكنه استخدم نسخة (أورتليب) منذ عام 1880 وصاعداً

Thatcher 1974: 130, n. 2, 131. لأنه وفي قائمة كتبه التي وضعت عام 1862 (بعد محاضرة بايرون) يظهر (نيتشه) مجموعتين فقط لـ(بايرون) في مجموعته الخاصة: مجموعة من ثلاثة مجلدات بالألمانية (من المفترض أنها لـأورتليب) ومجموعة من خمسة مجلدات بالإنجليزية KGW I - 2: 441 - 442 ولا تظهر مجموعة من ثمانية مجلدات. وبالنسبة لـ(شكسبير) يبدو أن (نيتشه) استخدم ترجمات (تيك شليغل Tieck - Schlegel) بينما كان في (بفورتا).

البر وصيادو الأسماك». فهو بطريقةٍ ما صادف مجموعة من القصائد الصربية وانبهر بها، فقام بترجمة العديد منها ليقدمها إلى (جيرمانيا). (في الواقع، استخدم نيتشه الترجمات الألمانية الموجودة وفي بعض الأحيان يبدو أنه عاد إلى الأصول الصربية).[1] وكان لافتتانه بـ(إرماناريش) بُعداً سلافياً.[2] وعبر سنواته في (بفورتا) قام بتأليف مجموعتين من الـ(مشاهد مجرية Hungarian sketches) وأيضا (تُخم مجرية Hungarian march)، (رقصة الغجر Gypsy dance) و((إديس تيتوك Edes Titok))، وزوجاً من القطع الموسيقية الراقصة البولندية: هما (مازوركا Mazurka) و((أوس دير سزاردا *Aus der Czarda*)).[3] في نهاية المطاف أصبح مفتوناً بـ(ساندور بيتوفاي Sándor Petöfi) الشاعر المجري والزعيم في ثورة عام 1848.[4] وبالفعل فإنه في بعض الأحيان، يعزى إشعال فتيل الصراع في ذلك البلد لإحدى قصائد (بيتوفاي). هذا الكاتب ذو الأعوام الستة والعشرين الذي شارك بقوةٍ في الثورة شوهد على قيد الحياة آخر مرةٍ خلال فترة اضطراباتها النهائية.[5] تربى (نيتشه) بطبيعة الحال في منزل أسرةٍ محافظةٍ سياسياً، والتي لا بد وأنها نظرت للثورة على أنها شرٌ مطلقٌ ساهم في تدهور صحة والده. ومع ذلك فقد صاغ عدة ألحانٍ على كلمات (بيتوفاي)، كما أن حماسه لهذا المغرور المتّقد استمر لمدة أربعة أعوامٍ أخرى على الأقل: في وقتٍ متأخرٍ من ديسمبر 1864 ألّف ست أغانٍ مبنية على نصوصٍ لهذا الشاعر.[6]

(1) KGW I - 2: 243 - 252 بينما اعترف صديقاه بنوعية أعمال (نيتشه) الجديدة، تساءلوا كيف تعلم اللغة الصربية. انظر
KGB I - 1: 356 - 357, 359

(2) حكم (إرمانريش) أراضٍ كانت لاحقاً جزءاً من أوروبا الشرقية. وبمناقشة قصيدة نغم بعنوان «إرمانريش» اعترف (نيتشه) بأنها صيغت على غرار «المجر» لـ(ليزت Liszt) وفيها كان قد حاول «أن يفهم عالم أحاسيس الشعب السلافي» وذكر في نفس المذكرة أنه لا يوجد هناك ألمان أو قوط ولكن فقط (النماذج المجرية) KGW I - 3: 4

(3) Janz 1976: 325

(4) يشير (نيتشه) إلى أنه بدأ بقراءة (بتوفاي) خلال نفس الفترة التي كان يدرس فيها (إمرسون) ويكتب «المصير والتاريخ» أي في أواخر الشتاء وبداية الربيع من عام 1862 KGW I - 3: 3

(5) كان (أورتليب) معجباً بعمق بالشعر البولندي وكان قد نشر كتباً بذلك الصدد. وربما امتد ذلك الحماس لأراضٍ أخرى في أوروبا الشرقية. وكان أيضاً مؤيداً قوياً للثورة عام 1848، وربما زرع الاقتراح بأن يقرأ (نيتشه) لـ(بيتوفاي)

(6) Janz 1976: 325 لمزيد من إثبات أوراق اعتماده الأوروبية الشرقية قام (نيتشه) في نفس الوقت بوضع أغنيتين ترتكزان على نصوصٍ لـ(بوشكين Pushkin). قام أيضاً بتأليف قصيدة بعنوان «المجري العجوز The Old Hungarian» KGW I - 2: 452 - 453

إذا ما كان (بيتوفاي) مشتبهاً به سياسياً، فسرعان ما برهن (نيتشه) ميوله غير التقليدية بلجوئه إلى هكذا شاعرٍ أقلق راحة التقليديين بالتأكيد، وفي بداية صيف 1861 كان دور (فيلهلم) قد حان ليقوم بتوصية كتابٍ لتبتاعه (جيرمانيا)، ويبدو أن (نيتشه) ضغط على صديقه لطلب مجموعة من القصائد التي كتبها (فريدريك هولدرلين). ظاهرياً كان الشراء لـ(فيلهلم) وكان هو ـ وليس (نيتشه) ـ من قدّم محاضرةً عن (هولدرلين) لـ(جيرمانيا).[1] وفعلاً أظهر (بايندر) اهتماماً بالشاعر في وقتٍ مبكرٍ من 21 نوفمبر 1858، وذلك قبل فترة طويلة من ظهور اسم الشاعر في مذكرات (نيتشه).[2] كان (نيتشه) قد دعم بقوةٍ هذا الخيار، وفي خريف عام 1861، كان الكتاب بحوزته في (شولبفورت). كما كان هو نفسه يملك كتاباً وصفه (توماس بروبير) بأنه يحتوي على «رواية للسيرة الذاتية ونقداً وعدداً كبيراً من الأمثلة والاقتباسات من أعمال ورسائل (هولدرلين)».[3] وكان (نيتشه) قد تركه في المنزل إثر عودته إلى المدرسة بعد العطلة ولكنه رتب كي يتم إرساله إليه.[4]

وعلى الرغم من أنه ناصر (هولدرلين) بقوةٍ علناً، إلا أنه نادراً ما ذكره في مذكراته (مع استثناءٍ واحدٍ بارز)، كما توجد القليل من الأدلة بأنه قرأ له بتوسعٍ في (شولبفورت). وبرغم ذلك فإن اهتمامه بالشاعر ذهب ضد تيار الرأي العام المعاصر بما فيه الكفاية، بحيث لا بد أن نفترض بأن (نيتشه) وجد في أعمال هذا الرجل إلهاماً ودعماً حقيقيين.[5] وسيكتشف في (هولدرلين) تعلقاً شبه ديني بالمُثل اليونانية التقليدية. في الواقع إصراره على أخذهم على محمل الجد لدرجة بدت معها الثقافة الألمانية المعاصرة بالمقارنة سطحيةً وغير صحيحة. كما توجد أيضاً مسحةٌ قوية من المسيحية في عمل (هولدرلين). العقيدة التي ـ كيفما شكّك (نيتشه) اليافع بها ـ سيستجيب لها. كما سيصادف أيضاً بعضاً من القصائد البارزة باللغة الألمانية. كان (هولدرلين) أيضاً وبكل تأكيد مفكراً كبيراً وصديقاً لكلٍ من (شيلينغ Schelling) و(هيغل) وباحثاً نظرياً أساسياً في الحركة الرومانسية في ألمانيا.

---

(1) انظر الرسائل من (فيلهلم) و(غوستاف) KGB I - 1: 360, 363 من الواضح أن (نيتشه) اقترح الشراء ولكن رسالته ليست موجودة. قدم (فيلهلم) محاضرة عن (هولدرلين) لـ(جيرمانيا) في مارس عام 1862. KGW I - 2: 483

(2) KGB I - 1: 328 مقتبس في Brobjer 2001a: 400, n. 20

(3) Brobjer 2001a: 399 - 400

(4) انظر هذا الفصل القسم 4

(5) يعزو (بروبير) الأثر غير العادي لمقدمة (نيومان Neumann) لـ(هولدرلين) Brobjer 2001a: 402

وأخيراً، ربما كان (نيتشه) مفتوناً ـ من منظور السيرة الذاتية ـ بأوجه الشبه في الخلفية بينه وبين (هولدرلين).[1]

وفي الحين الذي كانت فيه أذواق (نيتشه) الأدبية تتغير، كذلك بدأ معها استكشاف موسيقا جديدة ـ ونظراً لجاذبية الموسيقى العميقة ـ فمن الأرجح هنا أن تكون تلك الأذواق الجديدة على الأقل بنفس تأثير تلك الموجودة على نحوٍ واضحٍ بوساطة لغة الشعر. وكان معرّضاً للموسيقا عدة مراتٍ في الأسبوع خلال سنواته في (بفورتا) ليس فقط كمستمع وإنما كمؤدٍ أيضاً. فغنى في جوقة المدرسة ـ سواء في أيام الأحد وفي الإحتفالات ـ وتجول أحياناً في المناطق الريفية المحيطة مع هذه المجموعة. وفي الوقت نفسه واصل الارتجال على البيانو. وكما كان متوقعاً في هذه المدرسة: اتخذت جهوده في التأليف منعطفاً منهجياً فدرس نصاً عن فن مزج الألحان لـ(يوهان جورج ألبريشتسبرجر Johann Georg Albrechtsberger) (وهو أستاذ بيتهوفن منذ الطفولة) وقدم الكثير من موسيقا (الفوغا) مما جعل (غوستاف) ينصحه بضبط النفس.[2]

وابتداء من عام 1861، شرع (نيتشه) بالخروج عن نطاق الكلاسيكيات التي يحبها ـ كثيراً ما تواجد (بيتهوفن Beethoven) و(هايدن Haydn) في قوائم هداياه ـ والبحث في الموسيقا التي كانت أكثر معاصرة. قد يحسب المرء أنه في تجرُّئِه على الدخول في منطقة منتصف القرن التاسع عشر، سيلتفت إلى أكثر الملحنين العصريين إثارةً للجدل، إلى (ريتشارد فاغنر Richard Wagner) سيء السمعة. وكان صديقه (غوستاف) بالفعل من معجبي (فاغنر) الشغوفين كما قدم أربع محاضراتٍ عن أعمال ذلك الملحن لـ(جيرمانيا)، وبهذا حرص على أن يواكب صديقاه تقدم الرجل، ومع ذلك فقد ثبت حذر (نيتشه) من موسيقى (فاغنر)ـ وليس بالضرورة من كتاباته ـ وذلك لعدة سنوات لاحقة.[3] عوضاً عن ذلك كان مولعاً بمؤلفات (روبرت شومان) وهو ملحنٌ عاطفي الروح ومستعدٌ للتجريب في التأليف ولكنه أكثر ارتباطاً بالتقليديين، (سيصبح تلميذه جوهانس براهمس Johannes Brahms بطل المدرسة المحافظة). كتب (نيتشه) عن «*الجنة وبيري Paradies und die Peri*» لـ(شومان) بحماسةٍ وبشكلٍ متكررٍ، كما أوصى أن تتعلم شقيقته مجموعة أغاني «*النساء الحب والحياة*

(1) Brobjer 2001a: 402

(2) KGB I - 1: 355 وعن افتتان (نيتشه) بـ(ألبريشتسبيرجر Albrechtsberger) انظر KGW I - 2: 474

(3) انظر الفصل 14 القسم 2

leben ـ Frauenliebe und » الإقتراح الذي رفضته (إليزابيث). بإمكان المرء أن يلاحظ بأن (شومان) شأنه شأن والد (نيتشه) والملك البروسي وبالتأكيد (هولدرلين)، قد أصابه الجنون وهو تفصيلٌ في سيرته الذاتية لاحظه (نيتشه).

3

حتى الآن كانت تبدو استطلاعات (نيتشه) لطيفةً نسبياً وكتعبيرٍ عن الفضول أكثر من كونها رغبةً فعليةً بالتمرد. بدون شك فإن البحث عن فنانين جدد عكس حالةً من عدم الإرتياح، ولكن يبدو أنه كان يلقي ضوءاً على مساراتٍ جديدة أكثر منها محاولة تمرد. وقد حصل الجزء الأكبر من هذا التحول البارز خلال منتصف الـ 1861، عندما ـ كما ذُكر مسبقاً ـ ترك قطعة الموسيقا الدينية «أوراتوريو» لكتابة الموسيقا العلمانية، وهو قرار يشير إلى تخفيفه الصِلات بالمسيحية. وكما كان واضحاً في «المصير والتاريخ» الذي تمت كتابته بعد ثمانية أشهر، فإن ولاءه للدين لابد وأنه كان قد بدأ بالتقوض خلال تلك الفترة. ومع ذلك، ولأسبابٍ بديهية تعود إلى الجو التأديبي الذي عاش فيه، فقد كانت هناك إشارات خارجية قليلة على انحرافه عن الإيمان.

ولكن الحدث الذي وقع في أغسطس عام 1861، بقدر ما كان مفجعاً في ذلك الوقت، سيحرره من مرتكزه الرئيسي إلى المعتقد التقليدي في المدرسة. وكما ذكر آنفاً، كانت (شولبفورت) أحياناً عرضةً لغاراتٍ قاتلة ولا يمكن التنبؤ بها، من الأمراض.[1] ففي أوائل أغسطس أصيب الأستاذ (بودينسيغ Buddensieg) ـ القس المساعد في المدرسة ومعلم (نيتشه) ـ بأعراض الروماتيزم، وتوفي في 20 أغسطس. من الصعب تحديد كم كان (نيتشه) مخلصاً لـ(بودينسيغ).[2] فهؤلاء ممن يدّعون بأن العلاقة بينهما كانت وثيقة، يميلون إلى الإستشهاد برسالتين كتبهما (نيتشه) مباشرةً بعد وفاته. ولكن هذا يبدو مشكوكاً فيه، لأنه لماذا لم يعبر المراهقون عن أنفسهم بشدة عند الإبلاغ عن وفاة المستشار لفترة طويلة في هيئة التدريس؟ والأكثر من ذلك أنه حتى اللحظة التي سبقت موت الرجل كانت تعليقات (نيتشه) عنه لا مباليةً وسطحية ـ فهو لا يعطيه ولا مجاملةً واحدة أو يظهر أي بادرة على

(1) انظر الفصل 6 القسم 2

(2) حافظ (نيتشه) على كتابٍ لخطب (بودنسيغ) Pernet 1989: 142, n. 103, 141, n. 94; Campioni et al. 2003: 677

عاطفة تجاهه ـ ولاحقاً عندما قام بذكر المدرسين الذين أثروا عليه في (بفورتا) لم يقم بذكر أول مدرس له بينهم ولا مرة واحدة مطلقاً.[1]

كان بإمكان (نيتشه) في أعقاب ذلك أن يستجيب بطرقٍ متنوعةٍ، إذ كان بإمكانه على سبيل المثال أن يستغل هذه المناسبة ليعودِ إلى طريق الصواب بجعل وفاة معلمه إشارة بأن انحرافه عن الإيمان كان ضلالاً، فهو لو أحب (بودنسينغ) بحق لكان بمقدوره إظهار الإكرام له بمحاولة اتباع قيمه. في الحقيقة يبدو أنه قد فسر هذا الحدث بطريقة معاكسة، على أنه فرصة للتخلص من القيود جميعها وبداية اتخاذ إجراءاتٍ كان سيعتبرها معلمه السابق مقيتة. كان هذا الخيار واضحاً بالفعل في رسالته إلى منزله عندما أعلن الخبر. فكتب «لقد علمنا مسبقاً البارحة بأن (بودينسينغ) لن ينجو في الليل، لقد توقع الطبيب ذلك. لست على علمٍ بشيءٍ أكثر تحديداً عن نهايته ولا نستطيع أن نسأل. آه إنه لأمرٌ مؤلمٌ جداً! ولكن فعل الرب حسنٌ دائماً».[2] إن الانعكاس المفاجئ وغير المتسق في الجملة الأخيرة يشير أقله إلى وجود خيال سخرية (لا ينبغي على المرء أن ينسى استياءه من هذا الموقف كما عبر في «حرية الإرادة والمصير») والأكثر إثارة للدهشة هي الجملة العملية التي تليها: «أنت على الأرجح تخرج لدفنه، يجب أن يكون لدي الآن معلمٌ جديد وسأتحدث مع (هاينز H.D. Heinze) عن ذلك إما اليوم أو في الغد». أي أن رد فعل (نيتشه) الأولى على وفاة معلمه بعد إعلان الخبر لم يكن الحداد عليه بل اقتراح بديلٍ عنه ـ في هذه الحالة كان (ماكس هاينز) وهو حديث الوصول نسبياً إلى (بفورتا) ـ وقام بذلك قبل أن يكون لـ(فرانسيسكا) الفرصة لمعارضته. (إذا كانت لديها اعتراضات، يكتب قائلاً، عليها أن تعبر عنها في أسرع وقتٍ ممكن. كما أنه يحتاج إلى ثياب نظيفة).

وبغض النظر عن مدى لباقة تصريحات (نيتشه) إلا أن قراره بخصوص (هاينز) كان مهماً جداً. وكان (هاينز) ـ الأكثر دنيوية (خبرة بالحياة) وطموحاً ونجاحاً على الصعيد الفكري من معظم أساتذة المدرسة (وبالتأكيد من الراحل بودينسيغ) ـ سيترك المدرسة في نهاية المطاف ليخدم كمعلمٍ في منزل دوق (أولدنبورغ Oldenburg) ولاحقاً يصاهر عائلة (ليسبيوس) الأرستقراطية.[3] وعلى الرغم من كونه من (نامبورغ) في الأصل، إلا أنه تخصص في الفلسفة

(1) انظر كمثال KGW I - 5: 53

(2) KSAB I: 170

(3) انظر KSAB I: 229, 260

في جامعة (لايبزيغ)، كما كان قد نشر أطروحةً عن الرواقيين قبل ثلاثة أعوامٍ فقط من مجيئه إلى (شولبفورت). وبهذا فقد قدّم إلى (نيتشه) ابن السابعة عشرة خبرةً بنكهةٍ جديدةٍ في الفلسفة ـ خاصةً الفلسفة القديمة ـ التي كان على الأرجح قلةٌ من الأساتذة الآخرين ليقدموها. وكما لم يكن سيتخلى عن هذا الإهتمام، سيصبح (هاينز) من الشخصيات الرائدة في العالم الفلسفي خلال فترة حياة (نيتشه)، وسيجدد الاثنان معرفتهما ببعض ويتبادلان الرسائل في الثلث الأخير من الحياة العامة لـ(نيتشه). وفي حين أن مثل هذه الأحداث تكمن في المستقبل إلا أن جذورها كانت موجودة فعلاً منذ عام 1861 (سيغادر (هاينز) في أوائل ربيع عام 1863)، ولعلّ توجه (نيتشه) إلى الفلسفة ونحو طموحاته الخاصة قد تم شحذهما قدوة بـ(هاينز). ومن المهم أيضاً أنه في حين أن (بودينسيغ) لم يكن تقياً فحسب بل ذا قيمةٍ كبيرةٍ أيضاً عند (فرانسيسكا) التي كانت مقرّبةً من زوجته،[1] كان (هاينز) من الواصلين الجدد وكان بالفعل يتنقل في الأوساط الإجتماعية القريبة جداً من والدة (نيتشه) ـ ولكن ليس من (فيلهلم) و(غوستاف) اللذين عرفا الرجل شخصياً ـ ومع هذا الخيار أخذ (نيتشه) زمام الإشراف الخاص به، كما دخل مرحلةً جديدةً في حياته وهي مرحلةٌ انتقالية مما يمكن تسميته استكشافاً لطيفاً إلى ثورةٍ فعلية. وكان قد بدأ في أعقاب وفاة (بودينسيغ) مباشرة ـ إلى حدٍ كبيرٍ من غير توجيه ـ في ابتكار أسلوبٍ في السلوك قد يستبدل به التربية الوديعة والمطيعة المرتبطة بوالدته وعالم الكنيسة.

4

تمّ التّلميح في وقتٍ سابقٍ إلى أن بعض الأساتذة في (بفورتا) كانوا ميالين للاستراحة على أمجادهم وللاسترخاء في وظائفهم اليسيرة.[2] ويعتبر المفتش (نيس Niese) بشكلٍ عام مثالاً بارزاً على هذا الميل، فبالرغم من كونه ظاهرياً الوصي الروحي على الأولاد، إلا أنه لم يحضر الصلوات الصباحية حتى، تاركاً معظم الإشراف الديني لـ(بودينسيغ).[3] كانت بعض الحالات

(1) KSAB I: 167, 172

(2) أصبحت السلطات الحكومية تنزع لانتقاد طاقم التدريس في (شولبفورت) خلال أعوام (نيتشه) الأخيرة هناك. Gilman 1979: 422 - 426 لقد أوصوا كمثال بأن يتقاعد (كوبرستين) وأن ينقل (ستاينهارت). سواء كان هذا حكماً عاقلاً أو حركة سياسية من جانب هؤلاء الذين رغبوا بتقويض استقلالية (بفورتا) فلا يمكن الحكم عليه هنا. أكثر الأغلبية من عناصر الهيئة التدريسية المرموقين إما غادروا أو نقلوا بعد مغادرة (نيتشه) بفترة قليلة.

(3) لانتقادات (نيس) انظر Pernet 1989: 75 - 76 وخصوصاً n. 72 ,139 انظر أيضاً Bohley 2007: 91 - 97; Gilman 1979: 410 - 411, 422 - 423

الأخرى من التراخي التعليمي أقل شناعةً ويمكن أن يمثلها (كارل أوغست كوبرستين Karl August Koberstein) الأستاذ الأكثر وجاهةً في المدرسة على الأرجح، والذي كان قد كتب تاريخ الأدب الألماني، والذي يمكن إيجاده على رفوف المنازل مدّعية الثقافة. (امتلكت عائلة كروغ اثنين من المجلدات.)[1] وبالفعل أعلنه (أنتون سبرينجر Anton Springer) الذي كان لاحقاً واحداً من أساتذة (نيتشه) المفضلين في (بون) بأنه «أهم مؤرخ أدبي في عصرنا حتى اللحظة».[2] وكان (كوبرستين) نفسه متمرداً في شبابه ولكن ملاحظة طائشة أدلى بها عن (مارتن لوثر Martin Luther) كادت تقريباً أن تكلفه حياته المهنية.[3] وبغض النظر عن آرائه الحقيقية، يبدو بأنه قد استقر بعد ذلك في إذعانٍ مسالم، فكتب أعظم ما أبدع ووجه تطور الطلاب. وقد تم اعتباره من السابقين المتميزين في (بفورتا). كما تولّى إدارة المدرسة خلال الفترة الفاصلة بين رؤساء المدرسة قبل استلام (بيتر)،[4] وكان في كثير من الأحيان يترأس الاحتفالات الخاصة بالأدب الألماني. وقد قدم (كوبرستين) الخطاب الرئيسي في عام 1859، خلال مهرجان استمر لمدة ثلاثة أيام لتكريم الذكرى المئوية لولادة (شيلر)، ونسق البرنامج الذي حضره معظم الشخصيات السياسية رفيعة المستوى في (نامبورغ) والمدن المحيطة.[5]

ونشر (كوبرستين) خلال السنوات الأولى له في (بفورتا) المحبة والولاء وسيتذكره (أوتو جان Otto Jahn) ـ أحد معلمي (نيتشه) المستقبليين ـ مع التوقير. ومع ذلك يبدو أن الصبية من جيل (نيتشه) اعتبروه ودوداً ولكن أيضاً رئيساً اسمياً غير مؤثرٍ، ذا معرفةٍ ولكن غير ملهم.[6] كما كان (كارل جيرسدوف Carl Gersdorff) أحد أكثر أصدقاء (نيتشه) المقربين، غالباً ما يطلق عليه اسم (البدين)، ويبدو أن هذا كان لقبه بين المجموعة الطلابية بشكلٍ عام.[7] ربما يفسر هذا السلوك المقال الذي ألفه (نيتشه) لهذا المدرس في وقت متأخر من عام 1861 بعد شهرين من وفاة (بودينسيغ)، حيث طُلب منه في واجب مدرسي أن يكتب رسالة لصديق

(1) KGB I - 1: 348

(2) KSAB II: 55

(3) Schmidt 1991 - 1994 III: 177, n. 92

(4) Gilman 1979: 399 كان قد توفي رئيس المدرسة السابق (كارل كيرشنر) وكان هناك توقف فترة قبل تعيين (بيتر) وأخذه زمام الأمور.

(5) KSAB I: 84 - 85 انظر أيضاً KGW I - 2: 175 - 177

(6) انظر كمثال Wilamowitz - Moellendorff 1928: 77 - 78

(7) انظر رسائل (جورسدورف) KGB I - 3: 14, 26 ولتعداد الطلاب بشكلٍ عام انظر Wilamowitz Moellendorff 1928: 67

يوصي فيها بالشاعر المفضل لديه.[1] وكان الجواب الناتج يسفر عن عدم احترامٍ بشكلين. أولاً اختار (نيتشه) كموضوعٍ له (فريدريك هولدرلين) وهو رجلٌ كان موضع شك في نظر كل من (شيلر) و(جوته)، فلا يمكن لحياته غير المألوفة وفنه غير التقليدي أن يجعلوه محبباً للسلطات. وهنالك بعض الجدل حول كم كان (هولدرلين) مقدراً خلال فترة شباب (نيتشه)، ولكن بالنظر إلى ملاحظات (كوبرستين) المنتقصة من مقال (نيتشه) يبدو جلياً أنه لم يكن على الأقل من معجبيه.[2] فكتب (نيتشه) برغم ذلك دفاعاً حماسياً عن الكاتب مستشهداً بـ«إمبيدوكليس Empedocles» و«*هايبريون Hyperion*» وعدد من القصائد المنفردة.[3]

كان مقال (نيتشه) غير محترمٍ أيضاً لأنه صاغه بهدف خداع أستاذه. ففي حين أن القطعة نفسها بليغةٌ وتعطي مثالاً جيداً على التأييد الأدبي، وهو في نهاية الأمر الهدف من هذا الواجب، اكتشف الباحثون ـ وعلى وجه التحديد (توماس بروبير) الذي تم بناء الإعتبار التالي عن عمله ـ [4] أن نصه يعتمد بشكلٍ كبيرٍ وأحياناً بشكلٍ مباشر على نسخ الكتاب الذي امتلكه (نيتشه) نفسه، والذي كان قد طلب من شقيقته إرساله من المنزل.[5] وغالباً لم تكن هذه المرة الأولى، وبالتأكيد ليست الأخيرة التي يمكن فيها اتهام (نيتشه) بتقديم نص شخصٍ آخر على أنه خاص به.[6]

في حين لن تتم مناقشة موضوع (نيتشه) والسرقة الأدبية بشكلٍ عامٍ هنا، إلا أن انتحاله كتابات شخصٍ آخر تقدم في هذه القضية فرصةً لإظهار كيف استكشف بعضاً من استراتيجيات التحرر الذاتي. ويمكن مثلاً ملاحظة أن المقاطع التي نسخها (نيتشه) كانت من نوعين اثنين. بالاعتماد على مصدره غير المعترف به: يصرح هو نفسه ببهجته بالرواية «هايبريون Hyperion» وهو عملٌ غير موجود في كل من مجموعته أو مجموعة (بايندر)، وهو السبب وراء عدم قراءة (نيتشه) له في ذلك الوقت غالباً. ولكنه في جميع الأحوال ساعد نفسه بأجزاءٍ بدلاً من جملٍ كاملة من مصدره، وبذلك قولب النص المنسوخ وفقاً لإيقاعاته ومواقفه الخاصة.

(1) Bohley 1976: 312

(2) لاطلاعٍ على نقاشٍ حول سمعة (هولدرلين) في ذلك الوقت، انظر Brobjer 2001a: 401

(3) KGW I - 2: 338 - 341

(4) Brobjer 2001a

(5) Brobjer 2001a: 400 - 403 من الواضح أن جوانب هذا الاكتشاف قد تمت مسبقاً من قبل (جيوفري ويت Geoffrey waite) انظر Breazale 1989: 100, 103, n. 16

(6) انظر Sommer 2000 انظر أيضاً الفصل 13 القسم 4

وبعبارةٍ أخرى بدلاً من اعتبار سرقة (نيتشه) الأدبية كجرم أكاديمي ـ وهذا الكاتب ليس لديه أي نية بالدفاع عنها ـ يمكن للمرء أن يفسرها على أنها تنافسية. وكان يضيء مشعله من لهيب شعلة شخصٍ آخر، فهو نقلٌ للحماس يعد شائعاً في مرحلة المراهقة ومثيراً للاهتمام بمدى إظهاره ميل (نيتشه) لاستقاء الإلهام حيثما استطاع إيجاده حتى لو لم يعترف هو بهذا الفضل.

ونتيجةً لذلك يمكن للقارئ التخمين بأنه لم يكن يقرأ لـ(ويليام نيومان William Neumann) ـ المؤلف المعني ـ [1] ولا لـ(هولدرلين) فقط لمهارتهم الأدبية. هؤلاء كانوا نماذج حاول إدخالها ومحاكاتها متوسعاً في ذخيرته من القيمة والسلوك. هذا الجانب من قراءة (نيتشه) أكثر وضوحاً في تبنيه لـ(بايرون) ـ هذا الحماس الذي أعلنه لأول مرة في خريف عام 1861 ـ بعد وقتٍ قصيرٍ من كتابة مقال (هولدرلين). كما ذكر سابقاً، كان تأثير (أورتليب) عليه موجوداً على الأرجح. ولكن في ذلك الوقت كان قد تم تعيين الأستاذ (ديدريك فولكمان Diederich Volkmann) ابن الثالثة والعشرين في (بفورتا)، وكان يعطي دورات خصوصية في اللغة الإنجليزية.[2] لم يلتحق (نيتشه) إلا أن بعضاً من زملائه درسوا عند (فولكمان)، ولا بد أن الإهتمام بالكتّاب الناطقين باللغة الإنجليزية تسرب إلى المهجع. (ومن الجدير بالذكر أن فولكمان ألقى كلمةً عن بايرون *لمهتمي الأدب* في نامبورغ).[3] لذا من غير المحتمل أن تكون محض صدفة أنه في نفس الفصل الذي قدم فيه (فولكمان) عرضه التقديمي، أصبح (نيتشه) على إثره مهتماً بثلاثة مؤلفين متحدثين بالإنجليزية وهم: (شكسبير) الذي كانت مسرحياته من هدايا عمته (روزالي) في عيد ميلاده، و(بايرون) الذي عبر عن شغف حقيقي تجاه كتاباته، و(رالف والدو إمرسون) الذي ستلهمه كتاباته لبقية أيام حياته.

أعلن (نيتشه) عن إعجابه الشديد بـ(بايرون) في ديسمبر 1861، عبر محاضرة لـ(جيرمانيا) عن أعمال الشاعر الدرامية.[4] كان معجباً بشكل جلي برقة هذا الشاعر الحماسية العاطفية فقارنها (من بين أمور أخرى) بـ«القوة العاصفة لروح متأججة، لبركان... يدفع بحممٍ بركانيةٍ طليقةٍ مدمرةٍ متوهجة». ولكونه في مرحلة المراهقة المتفتحة أقرّ أيضاً بأن «الشعر الحزين

(1) كان (ويليام نيومان William Neumann) اسمًا مستعاراً لـ(آرثر فريدريك بوسنيوس 4Arthur Friedrich Bussenius) Brobjer 2001a: 399, n. 14

(2) تم توجيه (نيتشه) إلى هذه التعليمات ولكنه لم يشارك في ذلك الوقت ربما لأنه كان يأخذ دروساً خاصة في الإيطالية من (كوبرستين) لأن (فولكمان) قريباً ألغى دروس اللغة الإنجليزية. Deussen 1922: 105

(3) Bohley 2007: 236

(4) KGW I - 2: 344 - 350

لـ(ويلتسشمرز *Weltschmerz*) يجد أصوله في (بايرون) في أكثر تجلٍّ لطيفٍ له». يبدو أن (نيتشه) قدّر على وجه الخصوص سوداوية (بايرون) وتقديسه لظلام الحياة ـ فيصف (مانفريد Manfred) على أنه: «بحق تراكم لأفكار اليأس» ـ الأمر الذي سيشجعه ويؤيده في نزعته الخاصة إلى السوداوية وعدم ثقته بالبهجة الجيدة.

ولكن أكثر مظاهر (بايرون) مرئيةً ووضوحاً على المراهق (نيتشه) قد تكون حالة العزلة البطولية التي تم تمجيدها في (دون جوان *Don Juan*) و(مانفريد Manfred)، فهو يعلن في محاضرته بأن (دون جوان) هو «أعماق كينونة الشاعر». ولكن إذا كان النبيل الإسباني يجسد البشرية المتفحصة رابطة الجأش الفاضلة من موقف التفوق الفطري، فإن (مانفريد) يأخذ بنفس الموقف إلى مستوى شبه شيطاني، وهذه لم تكن مسرحيةً أعجبت (نيتشه) كثيراً كطالب فحسب، بل استمر في إيجادها ملهمة حتى أواخر أيام حياته المنتجة. تُصوِّر الدراما الملحمية لـ(بايرون) الأيام الأخيرة لبطلٍ فخورٍ يسعى إلى الخلاص والموت دون أن يتنازل عن غروره فعلاً. وكمثل العديد من مسرحيات هذا المؤلف، تحتوي القطعة على قطعٍ ساميةٍ تتمايل على حافة السخافة، ويقضي (مانفريد) بالأحرى معظم القطعة وهو يثير الأرواح من العمق بشكلٍ مثيرٍ للإعجاب. ومع ذلك عندما تتجرأ ساحرة قام هو باستدعائها على تقديم المشورة يقوم بصرفها على أساس أنه السيد ـ فهي جاءت بناءً على أمره ـ لماذا إذاً سيطيع شخصاً أقل منه شأناً؟[1] (لمن قد يسأل، لماذا يستدعيها في المقام الأول؟)، في نهاية المسرحية عندما تصل الشياطين لسحب (مانفريد) إلى الأسفل يرفض الذهاب ببساطة، وهو الخيار الذي يبدو أنه لم يخطر على بال قريبه الروحي (دون جيوفاني Don Giovanni) مطلقاً. «عد إلى الجحيم!» يصرخ ـ بناءً على شروطه الخاصة تماماً ـ ويختفي.[2] فلا عجب بأن أحد الوحوش يضطر على الاعتراف بـالقول «لو كان واحداً منا لكان روحاً مروعة».[3]

في حين أصبح الإعجاب بـ(مانفريد) خلال القرن التاسع عشر واسع الإنتشار، بدا أن (نيتشه) كان مأخوذاً بالمسرحية بشكل خاص.[4] بالتأكيد تعكس خصائص البطل الأكثر بروزاً، كاليأس والاستقلالية وعزة النفس والوحدة، جوانب من نفسية (نيتشه) نفسها، وفوق ذلك فإن

(1) Manfred,» II, 2, II. 157 - 159»

(2) Manfred,» III, 4, I. 125»

(3) Manfred,» II, 4, II. 161 - 162»

(4) يدرس (ثاتشر Thatcher) افتتان (نيتشه) بهذه المسرحية (والتفسيرات الموسيقية) مطولًا في Thatcher 1974: 137 - 148

(مانفريد) يتميز بشكل جليٍ بضبط النفس والتحكم الذاتي مدعوماً ومدفوعاً فقط من قبل استبداد إرادته.[1]

لا أحد قادرٌ على فهمه، وقد يكون قدّم فقط النموذج الذي احتاجه (نيتشه) لتأكيد قيمه الجديدة. فقد كان يميل في الماضي إلى التظاهر بمظهر القداسة مقولباً نفسه على مبدأ والده وغيره من الكهنة، فتم الآن استبدال «محاكاة المسيح» بـ«محاكاة مانفريد»، وبدأ (نيتشه) يظهر أصناف سلوكٍ أفزعت أصدقاء سابقين وبدأت تنذر السلطات.

5

وكأنه أدرك بأنه يصبح شخصاً جديداً، فطلب (نيتشه) صوراً حديثةً له. وفي هذه الصور (التي أخذت في يونيو 1862) بدا وكأنه شخصٌ مختلفٌ تماماً عن الشخصية التقليدية الموجودة في صورة العام السابق. فهو قد ألقى عنه عهد الصبيانية وأصبح الآن رجلاً يافعاً بوضوحٍ ذا شعرٍ طويلٍ بطريقةٍ بايرونية [نسبةً للشاعر الرومانسي البريطاني جورج غوردون بايرون] حتى يتجمع تحت ياقته.[2] الصور الجديدة هي صورٌ مقربةٌ ولكن بدلًا من النظر مواجه الكاميرا، فإن (نيتشه) يحول رأسه إلى أحد الجوانب بحيث يمكن رؤية العينين، اللتين تبدوان مندهشتين نوعاً ما تحت الحاجبين عند النظر إليهما مواجهةً، تغرقان قليلاً في تجويفيها محدّقتين من تحت محجريها. وواضحٌ من هذه الصور الحليقة أن جبينه وفكه من الأمور المحددة تقريباً لمظهره كما الشارب الذي سيطلقه بعد عامٍ لاحق.[3] ويبدو أن (نيتشه) اعتبر هذه الصور مؤسفة، ولكنه مع ذلك أعطى نسخاً لـ(فرانسيسكا) و(إليزابيث) و(روزالي) واحتفظ بثلاثة أخرى لأصدقاء له في (بفورتا).[4] افتراضياً، هو لم يشمل (فيلهلم) و(غوستاف) وبالفعل يبدو أن صداقتهم قد فترت في ذلك الوقت. كانت (جيرمانيا) حينها تتراجع، وتوجد فجوةٌ من أربعة عشر شهراً لم تنتج فيها ولا رسالة واحدة من (فيلهلم).[5] استمر (غوستاف)

(1) في شتاء عام 1880 كتب (نيتشه) عن (مانفريد) «[هو] لا يعطي أحداً الحق في المعاقبة، العفو، أو الشفقة تجاهه». KSA IX: 388

(2) من الواضح أن الشعر الطويل البايروني كان أمراً عادياً في (بفورتا) Gilman 1987: 16

(3) يذكر (رايموند غرانير Raimund Granier) بأن (نيتشه) بدأ بإطلاق شاربيه عندما كان لا يزال في (بفورتا) Gilman 1987: 9

(4) انظر KSAB I: 209 - 210, 211

(5) قارن التواريخ KGB I - 1: 384, 404

بالكتابة ولكن رسائله تحولت بشكلٍ متزايدٍ إلى رسائل تزلفٌ وإنكار ذاتٍ كما لو أنه رأى في (نيتشه) شخصاً أعلى شأناً وخطراً يجب استرضاؤه ومجاملته والخوف منه.[1]

وبصرف النظر عن (ديوسن)، فإنه من الصعوبة بمكانٍ تحديد إلى أي مدى كان لـ(نيتشه) أصدقاء آخرون في (بفورتا). وكان قد تبادل رسائل بايرونية مع التهكمي (رايموند غراينر Raimund Granier)، ويبدو أن (نيتشه) كان مقرباً أحياناً من (جورج ستوكيرت Georg Stöckert) وهو شابٌ ذكيٌ وحساس تخرج قبله بفصل، وسيجتمع معه مرة أخرى في (بون).[2] كما يبدو أيضاً أن (نيتشه) كون صداقاتٍ قرابة ختام أعوامه في (بفورتا) مع (رودولف بودينسيغ Rudolf Buddensieg) وهو ابن أخ معلمه الراحل، كما تظهر رسائل كتبها بعد التخرج علاقة حميمة مع (كارل فون جيرسدورف) أحد التلاميذ الداخليين في (بفورتا).

وفوق ذلك بدأ (نيتشه) بالإرتباط مع (غويدو ماير) الصبي الذي وصفه (ديوسن) بـ«الوسيم والمحبوب والفطن وأيضاً رسام كاريكاتور ممتاز ولكنه دائماً على خلاف مع المعلمين والنظام المدرسي».[3] وكان (ماير) قد دخل (بفورتا) في نفس السنة التي كان فيها (نيتشه)، ولكنه وُضع أعلى بمرحلةٍ كاملةٍ، وهو تقدمٌ عزاه (ماير) نفسه للمدرسة التحضيرية التي كان قد ذهب إليها مع (نيتشه).[4] لكنّ بشير النجاح الفكري هذا لم يكتمل، وتمت إعادته في النهاية لينضم إلى نفس الصف مع صديقه. من الواضح أن (ماير) كان ينحدر، وربما كان (نيتشه) قد انجذب إليه كنموذجٍ للتمرد، فهو حسن المظهر وساحرٌ وتهكميٌ ومعادٍ للسلطة ولا بد بأن (غويدو ماير) بدا بايرونياً كما يتمنى أي شخصٍ آخر في (بفورتا)، وأصبح هو و(نيتشه) ـ اللذين عرف أحدهما الآخر منذ عام 1857 ـ من أعز الأصدقاء.

ويبدو أن التحالف بين (نيتشه) و(ماير) بدأ منذ خريف عام 1861، أي في منتصف فترة

---

(1) KGB I - 1: 407 - 409, 409 - 411

(2) للتبادلات الحميمية بين (نيتشه) و(ستوكيرت Stöckert) انظر KGW I - 3: 3, 52 ويربط (هودل) بعض المقاطع في «المصير والتاريخ» مع (ستوكيرت) والتي إذا تم التأكيد ستجعل (ستوكيرت) مهماً فعلاً. Hödl 1994b: 377

(3) (Deussen 1901: 5

(4) كما هو موضح في الفصل 4 فإن كلّا من (ماير) و(نيتشه) ارتادا صفوفاً تحضيرية في صيف 1857 ولم يتأهل (ماير) حتى لـ(نتيرترتيا) أي العام الأول في محاولته الأولى للامتحان ولكن عندما قدّم للمرة الثانية بعد الصفوف الصيفية تم قبوله في (أوبيرترتيا) أي العام الثاني، انظر رسالته إلى (ديوسن) مقتبس في Hödl 2009: 135 - 136

التغيير الكبير الوارد ذكره في الفصل السابق. وكان (نيتشه) غير مرتاحٍ بسبب كشف أمر مقالات الأنثروبولوجي، وتبعاتها على سيرته الذاتية الشخصية، كما كان (بودينسيغ) قد توفي للتو. بدأ في ذلك الوقت تجاربه الأخلاقية متخلصاً من الضابط الديني ومختبراً أنماطاً جديدةً من السلوك، مما أثار قلق (بول ديوسن) غالباً والذي لا يمكن أن تُتوقع منه الموافقة.

إن التحالف مع (ماير) عنى المتاعب لهذا الصديق القديم الذي بقي مولعاً بالدراسة بشكلٍ غير متجدد، وكان غالباً غير فطنٍ وبالتأكيد غير فاتنٍ كزملائه شديدي التأنق، (أطلقوا عليه لقب الإسكافي).[1] ولعدم قدرته على الانضمام لصديقه في أنماط سلوكه الجديدة، فقد دفع الثمن بعذابٍ يصفه مطولاً.[2] اعتقد الكثيرون بأن (ديوسن) استحق نصيبه هذا، وقام (نيتشه) نفسه بوصف مشاجراتهم في تتابعٍ ملحميٍ ساخرٍ باللاتينية سداسي التفاعيل استُهل بـ«يفكر بالغناء *Cantabo musae*»، مما جعل الأمر واضحاً بأن (ماير) سيلعب دوراً بطولياً.[3] (ترك هذا العمل غير مكتمل).

وبحسب قول (ديوسن) عن الإهانات على يد الأصدقاء، فهو يعطي انطباعاً بأنه قد تمت استعادة الوئام بعد عدة خلافات، واستأنف هو و(نيتشه) الوفاق القديم بينهم.[4] وبعبارةٍ أخرى فقد وجد أن مغامرة الأخير مع (ماير) ضلالٌ عاد بعده إلى رشده. هناك بعضٌ من الحقيقة في ذلك، لأن (نيتشه) في نهاية المطاف سيترك أصدقاءه الجامحين ويركز على دراسته. ولكن بالنظر إلى تسلسل الأحداث فمن الصعوبة بمكانٍ أن ننظر لتحالفه مع (ماير) كنتيجةٍ لضغط الأقران أو للبريق الخادع للأولاد المتمردين فقط.

غالباً، كانت إعادة النظر في القيم قيد العمل، ولعل تحول (نيتشه) في الولاءات يمكن تسجيله كخطوةٍ استراتيجيةٍ لمحاولة فك ارتباطه عن التعليم الذي وصل إلى عدم الثقة به. وقد أبدى الطلاب الذين أساؤوا التصرف قيماً غير معروفة، وبالتالي غير مفهومة من قبل النقاد في (شولبفورت)، ولا يجب أن يبدو مفاجئاً تحري (نيتشه) عن البدائل نفس الوقت الذي أدرك فيها حقيقة القواعد المفروضة من قبل السلطات الإجتماعية. مرتاباً في أحد أنواع الأخلاقيات قد يكون تحول إلى الآخر.

---

(1) KGW I - 2: 342. Wolleck 2010: 58

(2) Deussen 1901: 4 - 7K Gilman 1987: II - I3

(3) KGW I - 2: 341 - 344. Wolleck 2010: 57 - 62

(4) Deussen 1901: 4 - 7 نسخة إنجليزية في Gilman 1987: 11 - 13

في الوقت ذاته وعلى الرغم من ارتياح (ديوسن)، لم يكن السلام الذي ساد بينه وبين صديقه بأي شكل من الأشكال استعادةً للهدوء وإنما فقط هدنة مؤقتة. حتى أن (نيتشه) في السنوات اللاحقة سيقوم بالحط من قدره والتعالي عليه مراراً، لدرجة أن أحد مؤرخي السيرة الذاتية سيطلق عليه لقب «كبش الفداء» الخاص بالفيلسوف.[1] وربما كانت هذه الصداقة المزعومة، كما اقترح آنفاً، من طرفٍ واحدٍ منذ بدايتها أكثر مما كان (ديوسن) قد تصور.[2] ومع هذا فإن هذه العلاقة الزائفة بالفعل أخذت منعطفاً أكثر بشاعة بعد ربيع 1861 عندما بدأ (نيتشه) بالتغير، وربما كان (ديوسن) غير قادرٍ (أو ميالٍ) على استيعاب هذا التحول، فتوقع استمرار الصداقة رغم ذلك. إذا كان الأمر كذلك فهو قد أساء فهم (نيتشه) في الأساس. وبعد سنوات لاحقة سيكتب الأخير في قصيدته: «Nur wer sich wandelt, bleibt mit mir verwandt»: «فقط أولئك الذين يتغيرون، يبقون مقربين مني««.[3] ويبدو أن هذا الموقف كان ثابتاً في فترة حياته القصيرة. فربما مرّ بالكثير من التحولات الجذرية والمفاجئة إلا أنه توقع من أصدقائه اللحاق به دائماً، وعندما لم يفعلوا كان يميل إلى فقدان اهتمامه بهم، وكان (ديوسن) مجرد واحدٍ من بين الضحايا الأوائل التي خلفتها هذه الديناميكية عديمة الرحمة، والتي لا مفر منها برغم ذلك.

6

لم تقتصر أنشطة (نيتشه) التمردية على التنمر على (ديوسن) أو التواطؤ مع (ماير)، فقد تخلى عن مقطوعة موسيقية بعنوان «يصعد الشيطان من الجحيم Satan rises out of Hell» لأنه فقط وجد صعوبة في أن «يطرق النوتة الشيطانية بدقة».[4] في نهاية المطاف بدأ بلعب البلياردو وحتى الشرب، وهي تسليةٌ لتمضية الوقت صدمت (غوستاف) الأكثر تقليدية.[5] وجاء مع هذا التغيير السلوكي تغيرٌ آخر في الموقف أثار قلق (هاينز) بما يكفي ليذكر الأمر لـ(فرانسيسكا). وكتب بأن بعضاً من زملائه الطلاب بدأوا يجدون (نيتشه) مغروراً

(1) Ross 1980: 215

(2) انظر الفصل 6 القسم 1

(3) القصيدة هي «Aus hohen Bergen من الجبال العالية» التي تخلص إلى ما وراء الخير والشر. هذه الترجمة تعود لـ (والتر كوفمان Walter Kaufmann) الذي لفت الانتباه إلى السطر

(4) KGW I - 3: 3

(5) KGB I - I: 386 - 387

واتفق هو مع هذا الرأي.[1] بالتأكيد كان هناك نفحةٌ من الغطرسة الفوقية واضحةٌ في رسالةٍ أرسلها الصبي إلى والدته في خريف ذلك العام. كانت قد تم ترفيعه للتو إلى عامه الخامس وهو تقدمٌ بارزٌ بما أنه سيكسب امتيازاتٍ جديدة، وكان أيضاً لتوه نُصب الطالب المسؤول بين زملائه بعد سنة لم يتم تأهيله فيها. وهو بالتالي يعلم والدته: «لقد واصلت انتظار رسالةٍ تأملت أن أجد فيها بضع تهنئات، وخاصة يوم السبت عندما علمتِ بأن الترقية ستتم». وبعدها يقوم بتوجيهها لترتيب حفلة شاي راقصة، «تعلمين من أريد دعوتهم. حاولي ألا تنسي أحداً».[2] هذه التوجيهات تفهم كأوامر لا طلبات وهي على الأغلب تظهر سلوكاً ديكتاتورياً من جانب ابنها. سلوك كان مألوفاً لـ(فرانسيسكا) إلى حد السأم.

لم تمر هذه التغيرات على سلطات المدرسة دون انتباه، ويبدو أن (نيتشه) لم يكن طالباً مسؤولاً منذ أكتوبر 1861 ـ مقال (هولدرلين) ـ إلى أكتوبر 1862، الفترة التي تتم مناقشتها هنا، الأمر المفهوم نظراً لأن سلوكه الجديد لم يكن مواتياً لدراسته.[3] وبحلول أكتوبر 1862، وما إن استعاد مكانته، حتى عرضها للخطر ثانية بسبب سوء التقدير. فكان عليه كطالبٍ مسؤول أن يقدم جرداً بأثاث غرف الدراسة وأظهر في بعض منها لا مبالاته الجديدة عبر إدخال ما اعتبره هزلاً في تقاريره.

لم يجد أعضاء الهيئة التدريسية الأمر مسلياً، ويبدو أنهم اعتبروه إهانة، فتم استدعاؤه للمثول أمام مجلس من الأساتذة، وعوقب بتجريده من الامتيازات خارج الحرم لمدة أسبوع، والحجز لمدة ثلاث ساعات في (زنزانة عملياً) وتحذير بإبطال مكانته كطالبٍ أول.[4] يبدو هذا عقاباً شديداً لمخالفة بهذه البساطة، ولكن على ما يبدو فإن أعضاء الهيئة التدريسية كانوا قلقين من أعمالٍ أخرى أيضاً. فكتبوا في يناير: «لقد نسي نفسه كلياً ليحاول خداعنا بكتابة تقرير شخصٍ آخر».[5] تم توجيه هذا الإتهام في نوفمبر وكان يناير قبل عشرة أشهر من ذلك. وبهذا يتضح أن السلطات قد لاحظت نمطاً طويل الأمد من العصيان من جانب (نيتشه) وأرادت إيقافه بشكلٍ نهائي.

---

(1) Benders et al. 2000: 89

(2) KSAB I: 224

(3) بالنسبة لفترات (نيتشه) وهو طالب أول مسؤول انظر الفصل 5 ص 145 (4).

(4) Benders et al. 2000: 91

(5) Hödl 2009: 146

وقد حاول (نيتشه) بذاته مواجهة هذه القضية وإيصال الأخبار إلى المنزل بالتحية: «*Liebe Leute*» أو «أعزائي القوم».[1] (لكنه أغفل أي ذكر للتزوير السابق)، واكتشفت (فرانسيسكا) الحقيقة بنفسها، ولكن يبدو أنها أجابت الرسالة بلطف غير عادي نظراً لطبيعة هذا التجاوز. «عزيزي فريتز» كتبت: «كنت أتوقع المزيد من اللباقة منك ولكن عليك أن تتحمل عاقبة الغرور مرة أخرى، أنت تفعل دائماً شيئاً مختلفاً عن الآخرين. إني أجد العقوبة ملائمة لأنها تبدو إهانة فظيعة أن تسمح لنفسك بشيء من هذا القبيل فيما يتعلق بمعلميك. ولكن من فضلك كن أكثر حذراً في الفكر والعمل، واتبع دائماً صوتك الداخلي الأفضل وستكون محمياً من كل ***الأرق والمعاناة اللذان يكبران داخلك الآن***... اكتب لي قريباً، ابني العزيز ولكن ليس بالتحية «أعزائي القوم» أنت نفسك ستشعر بأن شيئاً من هذا القبيل لا ينبغي إرساله إلى أمك».[2] (تمت إضافة التأكيد).

سيعطي رد (نيتشه) نظرةً ثاقبةً عن كيفية رؤيته لنفسه « في مواجهة *vis - à - vis* » السلطات في زمنه، ويحتمل المقطع ذو الصلة بالموضوع الاقتباس بالكامل:

«من المذهل كثرة ما عليّ القيام به ولكنني أجد نفسي أفضل جسدياً وعقلياً من أي وقت مضى، أنا دائماً في مزاجٍ مرحٍ وأعمل باستمتاعٍ كبير، ولا أفهم لم يمكن أن تقلقي ولو للحظة على عواقب تلك القصة بما أنك قد فهمتِها بشكلٍ صحيحٍ وقمتِ بمعاتبتي في الرسالة. وسأنتبه بالتأكيد من أي أعمالٍ طائشةٍ في المستقبل. ولكن من غير الوارد أن أبقى في مزاج سيء. دعي (هاينز) وغيره يبحثون هناك عما يريدون، فأنا أعلم ما حصل هناك ومرتاحٌ بالكامل من النتائج. وكما ذكرت، نادراً ما كنت في مزاجٍ أفضل من الآن ومشاريعي تمضي للأمام بشكلٍ جيد وتعاملاتي متنوعة وممتعة وبدون شكٍ لا يوجد أي تأثير، لذلك يجب عليّ أولاً أن اجتمع بأشخاصٍ اعتبرتهم أرفع منزلةً مني. حتى أنني أجد درجة الحرارة الباردة لطيفة، وبالمختصر أشعر أنني بحال جيدة وليست لدي مشاعر سيئة تجاه أي أحدٍ ولا حتى تجاه المعلمين. ربما من منظور الأساتذة للأمر هم لم يقدروا أن يفهموه بشكل مختلف».[3]

وبصرف النظر عن الغطرسة القابلة للجدل في تصريح (نيتشه) عن عدم وجود أشخاصٍ

(1) KSAB I: 225 - 226

(2) KGB I - 1: 388 ومن الممكن بالطبع أن (فرانسيسكا) كتبت رسالةً أخرى أقوى مفقودة الآن، لأن ابنها كان ملسوعاً من اقتراحها بأن رفاقه مارسوا عليه تأثيراً سيئاً، اتهامٌ لم تقم به (فرانسيسكا) هنا.

(3) KSAB I: 227

أرفع مقاماً منه، يبدو ردّه مدروساً وناضجاً بشكلٍ ملحوظ. فهو لا يرى نفسه قد ارتكب خطأ بأي شكل من الأشكال، هو يرى بأنه أخطأ في عدم الحساب لردة فعل الهيئة التدريسية المحتملة ويقرر عدم القيام بذلك مجدداً. فهو لا يلوم أي شخص آخر على هذا، وعلى الرغم من أنه غضب قليلاً على (هاينز)، إلا أنه لا يوجه اللوم جدياً لمعلميه. ويقوم فقط بالتذمر من تدخل والدته ـ كما لو أن القليل من (فضيلة نامبورغ) قد تطفلت على عالمه الخاص ووجب اجتثاثها ـ ولكنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن أفعاله ويصمم على عدم الشعور بالذنب عند إثارة ذنبٍ من النوع الأخلاقي. لقد ارتكب خطأً هذا كل ما في الأمر.

وإذا كان كما يقول (نيتشه) وبشكلٍ بايروني بأنه لم يقابل شخصاً أعلى منه مكانةً، إلا أنه برغم ذلك كان ملزماً بسلطةٍ أعلى منه. وقبيل بداية سنة 1863 كان قد شهد مرتين مصير هؤلاء الذين تحدوا الإدارة في (بفورتا). وفي أوائل فبراير تعرض صبيٌ (كان على العموم محبوباً أكثر منه) للطرد،[1] ولاحقاً من ذلك الشهر تعرض الصديق المحبب (غويدو ماير)ـ الذي قام برحلةٍ من تلقاء نفسه خارج الحرم الجامعي ـ لذات المصير فودع رفاقه دامعاً. بالنسبة لـ(نيتشه) كان ذلك «اليوم الأكثر حزناً في حياتي في (بفورتا)».[2] لحسن حظه لم يبد بأن المدرسة ربطت بينه وبين صاحبه المؤسف، لأنه وبعد استئناف الدروس بعد عطلة عيد الفصح تم تعيين (نيتشه) ليقوم بالإشراف والإرشاد لمجموعةٍ من ثلاثة صبيانٍ آخرين. كان (ماكس هاينز) قد ترك المدرسة مؤخراً فقام (نيتشه) باختيار (هيرمان كليتسشيك Hermann Kletschke) ليكون مدرسه الجديد، وهو رجل دينٍ في الثالثة والثلاثين من العمر كان بديلاً لـ(بودينسيغ) كقائدٍ روحي ثانوي في (بفورتا).

يبدو أن (نيتشه) لم يكن يوماً مقرباً من (كليتسشك)، ولا يوجد دليلٌ على أن المدرس الجديد كان له أي تأثير يذكر عليه، بل على العكس من ذلك، فبالنسبة لكل تلك التقوى التي حاول غرسها في هذا المتدرب تحت وصايته (رسائله تناشد دائماً الأخلاق المسيحية)، كان تمرد (نيتشه) فقط في توقفٍ مؤقت. وفي يوم الأحد في الثاني عشر من أبريل عام 1863 انضم إلى زميل له في حانة محطة السكة الحديدية وشرب أربعة كؤوسٍ من البيرة. ووفقاً لـ(ديوسن) فهو لم يكن معتاداً على الكحول ولهذا السبب ظهرت عليه الآثار بسهولة.[3] وفي

(1) KSAB I: 230 - 231

(2) KSAB I: 232

(3) Deussen 1901: 10 - 11

أثناء عودته للحرم استطاع أحد الأساتذة ملاحظة الأعراض وقام بجذب انتباه السلطات له وللطالب الآخر. وللمرة الثانية كانت هناك تهمةٌ أخرى: لم يكن (نيتشه) متهماً بالسكر فحسب بل بكونه «متهوراً».[1] وبناءً على ذلك تم إعفاؤه من منصبه كطالبٍ أول حتى نهاية فترة بقائه في (بفورتا).

هذه المرة لم يحاول (نيتشه) صرف النظر عن هذه الحادثة. «عزيزتي أمي» بدأ خطابه إلى المنزل «إذا كتبت لك اليوم فذلك عن أحد أكثر الحوادث حزناً وأسفاً والتي كنت مسؤولاً عنها في حياتي. في الواقع لقد أسأت التصرف بشكلٍ سيءٍ للغاية ولا أعرف فيما إذا كنتِ تستطيعين مسامحتي أو ستسامحينني أصلاً... لقد سكِرت يوم الأحد الماضي، وليس لدي عذرٌ في ذلك عدا أنني لم أعلم مقدار قدرتي على الشراب... وأفسدت بسبب هذه المسألة الموقع الجيد نوعاً ما الذي نجحت في الفوز به لنفسي في الفصل الدراسي السابق... لست بحاجةٍ إلى إعطائك أي تأكيدات إضافية عن مدى جديتي في تمالك نفسي فالكثير يعتمد على ذلك الآن».[2]

كان ندم (نيتشه) حقيقياً وتشكل حادثة الشرب نقطة تحولٍ في حياته كمراهق. ومع ذلك بقي الدافع الأكبر وراء هذا التحول في العقلية خفياً. هل شعر بالذنب، بالعار، بالخزي لخسارته مكانته في المدرسة؟ هل حقاً تاب عن التجارب الأخلاقية للعامين المنصرمين؟ أو لنكن عمليين أكثر، كان خائفاً من أن يلقى نفس نهاية (ماير) ويطرد من (الجمنازيوم) وهو مصير جلل في (بروسيا) القرن التاسع عشر. ولعل جميع هذه الدوافع صالحة إلا أن (فورستر ـ نيتشه) تقترح دافعاً آخر أيضاً يطعن في صميم شخصية (نيتشه).[3] خلال مسيرة حياته كان لدى (نيتشه) خوفٌ من خسارة كرامته، وفي كل تأكيداته على المصداقية كان لديه احترامٌ كبيرٌ للصورة والمثال الجيد، وفي استسلامه للكحول كان قد فقد ضبط النفس وبالتالي لم يخن ذاته فحسب بل أيضاً النموذج الذي قدمه بطله الرئيسي. فهو قد فشل في الإرتقاء إلى مبادئ المحبب لورد (بايرون): لأن (مانفريد) ما كان ليسكر مطلقاً.

---

(1) مقتبس في Hödl 2009: 146, n. 365

(2) KSAB I: 236 - 237

(3) Förster - Nietzsche 1912: 105 - 106

الفصل الثامن

مسألة حظ

يختار الناس مهنتهم قبل أن يمتلكوا القدرة على الاختيار.[1]

1

كانت الرسالة التي أظهر فيها خزيه هي إحدى أولى الرسائل التي أرسلها (نيتشه) إلى (فرانسيسكا) والتي لم تكن محملةً بعبارات الطاعة واللباقة. طوال أعوامه في (بفورتا) كان قد عامل أمه كمصدرٍ تخديمي للإمدادات، وكانت اعترافاته العرضية بالتأثر تميل لتكون شكليةً وبدون روح، ومصاغةً لإبقائها هادئةً وغير مبالية. ربما كانت هذه اللهجة المهدئة في مراسلاته ضروريةً بما أن الشجارات بدأت تعكر زياراته للمنزل.

أفسد نزاعٌ مجهول السبب عطلة عيد الفصح عام 1861 مباشرةً بعد تثبيته كنسياً،[2] وفي عيد الفصح التالي عام 1862 أهان عمّاته بشكلٍ جارح.[3] ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه) فقد وقع خلافٌ آخر بحلول عيد الميلاد عام 1861.

وقرابة نهاية نوفمبر (بعد ثلاثة أشهر من وفاة (بودينسيغ)، وفي الوقت الذي كان فيه يستكشف (بايرون) وضع (فريدريك) قائمةً بالكتب والموسيقا التي قد ترغب أخته فيها ليوم عيد الميلاد. وبالإضافة إلى عمل (شومان) «فروينليب أوند ليبين Frauenliebe und-leben»، فقد أوصاها بأن تطلب عملين لعالم اللاهوت (كارل هايس Karl Hase)، وهما «تاريخ الكنيسة Church history»، و«حياة المسيح Life of Jesus».[4]

---

(1) KSA VIII: 20

(2) KSAB I: 154 - 155

(3) KSAB I: 204

(4) KSAB I: 188 أشار (نيتشه) إلى أهمية عمل (هايس Hase) بعنوان «الدوغمائية Dogmatik» في دفاتر

وتقول (فورستر ـ نيتشه) أن هذا الإقتراح الأخير «أثار سخط كلٍ من والدتي والعمة (روزالي)»، (والتي كانت تمثل السلطة الدينية)،[1] وعلى ما يبدو لم تظهر الكتب تحت شجرة عيد الميلاد. ويجدر القول إن هذه القصة هي محل تساؤلٍ ولا يبدو أنها صحيحةٌ كما ذكرت.[2]

عموماً، فإن خيارات (نيتشه) الأدبية كانت محل جدل، حتى أنها كانت صادمةً لـ(غوستاف). وفي قائمة هداياه في نفس العام لصديقه بمناسبة يوم الميلاد، فقد طلب (نيتشه) كتاباً لم يذكر اسمه، وقد دفع هذا بـ(غوستاف) للقول: «لقد سمعت شيئاً عن عنوان هذا الكتاب الذي استفزني، حيث أنني سمعت مشاكل وأشياء رهيبة عنه».[3] لم يكن (غوستاف) ساذجاً كـ(فرانسيسكا) ولا متديناً كـ(روزالي)، وإذا كان قد وجد أن خيار (فريدريك) فيه إشكالية، فلا بد أن قراءات الصبي قد أخرجته خارج نطاق الأشخاص المحترمين في (نامبورغ). ويبدو أن سوء حظ (نيتشه) قد جلب هذه التوترات إلى الواجهة ودفعه إلى استعادة الهدوء بشكلٍ مؤقت، لأنه أدرك أنه يعتمد على خدمات عائلته بشكل أكبر مما كان يظن. لقد كان بحاجةٍ وبشكلٍ خاصٍ إلى تفهم أمه وتسامحها، وهما صفتان يمكن أن يعاني من نقص منهما مع (فرانسيسكا) الصارمة. ويبدو أنها تجاوبت معه بمزيدٍ من الشفقة والعطف، حيث أن طبيعة العلاقة بينهما قد تغيرت طوال فترة مكوثه في (بفورتا). وتراخت لهجة رسائله السابقة الأمرية، وأصبحت على الأقل في بعض الأحيان تمنح مزيداً من التواصل، حيث أبدى اهتماماً حقيقاً بالطريقة التي ستستجيب بها.[4] صدر العديد من هذه الرسائل من جناح المرضى لأن تاريخ (نيتشه) يشير إلى أن ردة فعله الحتمية على الأزمات هي في أن يمرض. وبعد ما يزيد على أسبوعٍ بقليل من هذا الحدث أُدخل المشفى، حيث تسببت البحة المزمنة والإصابة ببردٍ شديد إلى استعمال العلاج بالعلق الطبي على رقبته.[5] وبعد أسبوعين اشتكى من تصريفٍ من أذنيه وتقرحٍ خلفهما، وقد كتب إلى (فرانسيسكا): «إنه المرض الأكثر إيلاماً على الإطلاق

مذكراته: KGW I - 2: 298. وطلب لنفسه عمل (هايس) بعنوان «حياة يسوع Das Leben Jesu» في قائمة عيد ميلاده KGW I - 2: 307

(1) Förster - Nietzsche 1912: 89 - 90

(2) يفيد (بيرنيت) بأن (فرانسيسكا) لم تكن حتى في المنزل في هذا الوقت وأن (روزالي) لم تكن قد وجدت كتاب (هايس) محل اعتراضٍ جوهري، بما أنه كان موصى به من قبل (فريدريش أوغست ونكيل Friedrich August Wenkel) وهو واعظٌ في (سانت وينسيلاس St. Wencelas) Pernet 1989: 81 - 82

(3) KGB I - 1: 374

(4) انظر على سبيل المثال KSAB I: 238

(5) KSAB I: 238

الذي عانيت منه»،[1] وعانى من مشاكل في السمع والرؤية، واشتكى من عدم وجود شيءٍ مثيرٍ للإهتمام ليقرأه في المشفى، وأبدى أسفه لعدم تمكنه من العزف على البيانو: «كل الأشياء تبدو ميتةً لي، عندما لا أسمع الموسيقا».[2] وبدلًا من ذلك أمضى وقته في النوم والتفكير في مستقبله، لأنه كان يعلم أنه قريباً سيُطلب منه أن يختص. في سن الرابعة عشرة كان قد وضع قائمة بالعديد من المجالات التي كانت تثير اهتمامه، ولم يكن قادراً على اختيار أحدها بشكل جازم، والآن هو في سن الثامنة عشرة وليس أقرب إلى قرار. حتى الآن هو على اليابسة ربما لأنه بحكم المسلّم به سيصبح في النهاية كاهناً، وبما أن هذه المهنة كانت تبدو غير مناسبةٍ على نحو كبير، فقد كان مطالباً بشكلٍ ملحٍ بمواجهة الواقع واتخاذ قرار. وقد فاتح أمه بهذا الأمر ربما كي يمهد لها بتطوراتٍ لن تقبل بها، وكتب قائلا: «كم هو سهلٌ أن يترك المرء نفسه تنجرف بعيداً»، «بسبب خيارٍ لحظي، تقليدٍ عائليٍ قديم [هكذا]، أو أمنيةٍ غريبة، يصبح اختيار مهنة مسألة حظ»، والأسوأ من ذلك، عليه أن يتخلى عن بعض اهتماماته. «ولكن من هو غير المحظوظ الذي سيُقذف به خارج السفينة؟ ربما أطفالي المفضلون».[3] [يعبر نيتشه عن المواضيع الهامة له بأنها أطفاله]

وكما تدل إشارته إلى «تقليدٍ عائليٍ قديم»، فإن (نيتشه) كان يعيد النظر في مستقبله ككاهن. ولا توجد أي وثائق تثبت ذلك، (عدا استثناءٌ وحيد سبق ذكره)، حيث لا يوجد شيءٌ يؤكد على أنه كان معدّاً ليصبح رجل دين في المقام الأول.[4] ومع ذلك، فإن عائلته وأصدقاءه قد اعتبروا هذه المهنة أمراً مفروغاً منه، وبما أنها تبدو ذات بعدٍ روحيٍ وتتوافق مع مهارته الكلامية، فقد بدت اختياراً جيداً يناسب مواهبه. ورفْض مهنةٍ متاحةٍ كهذه يتطلب إرادةً قويةً وربما الاستعداد لتحمل ألم الخسارة، وعلاوة على ذلك فهو سيضيف إلى السلسلة حلقةً جديدةً من القلق. إن لم يكن سيصبح كاهناً فأي مهنةٍ يختار بدلاً عنها؟

في أحسن الحالات، وجد (نيتشه) صعوبةً في اختيار مهنة بديلة، فهو لم يكن يملك أي مهنةٍ واضحةٍ في أي مجال سوى المجال الذي يريد الآن أن يهجره. وقريباً سوف يستبعد أن يصبح كاتباً أو موسيقياً، وهذا لم يدع له مجالاً آخر سوى أن يختار علم اللغة، وهو مجال دخله

(1) KSAB I: 241

(2) KSAB I: 238

(3) KSAB I: 239 - 240

(4) انظر الفصل 4 القسم 5

بمحض صدفة التعليم ولم يختره بملء إرادته بكل تأكيد. وأبعد من ذلك، فإن الاحتياجات التي أن يكون شاعراً أو ملحناً تدفعه بعيداً عن هذه المهنة الجافة.

سوف يقضي الكثير من الصيف يكتب ملاحظاتٍ عن (إمرسون) ومركزاً بشكلٍ كبيرٍ على المقال اللاأكاديمي «الجمال، Beauty» من كتاب «دليل الحياة The conduct of life».[1] في بداية هذا المقال يبدي (إمرسون) أسفه لأن الطرق العلمية المتبعة في البحث تدفع الباحثين بشكلٍ حتميٍ إلى الإبتعاد عن الطبيعة التي ينزعون إلى حبها، وكلما بحثوا أكثر كلما ابتعدوا أكثر عن مجد الطبيعة الذي ألهمهم في المقام الأول. (وضع نفس الفكرة في مكانٍ آخر في الكتاب أيضاً، «يتم توجيه عالم الطبيعة من كامل مسيرة تقدمه البارع.»(1099)، وعلى الرغم من تركيز المقال على علماء الطبيعة، فقد وجه الكثير من النقد للأكاديميين، ووجّه (إمرسون) أيضاً ملاحظاتٍ لاذعة، بالكاد يمكن لـ(نيتشه) أن يغفل عنها: «أي نوعٍ من الرجال يصنعه العلم؟ إن الصبي ليس منجذباً. يقول، أنا لا أريد أن أصبح رجلاً من نوعية أستاذي». (1100)[2]

وبعد الشعور بالسوء، بدأ في مراسلة والدته بلهجةٍ مختلفة، وتوقف تقريباً عن مراسلة أصدقائه، حتى أنه فيما يبدو أهمل تمني عيد ميلادٍ سعيدٍ لـ(فيلهلم).[3] وكان سلوكه تجاه (غويدو ماير) هو ما يدل بشكلٍ خاصٍ على إخلاصه له ـ أعطاه النسخة الوحيدة للعديد من قصائده ـ[4] وحزن بشدةٍ لرحيل الصبي. وبالرغم من أن العديد من زملاء الدراسة، والذين كان بعضهم أقل حميميةً مع الخروف الأسود [يقصد ماير] من (نيتشه) قد اهتموا بمصير الطالب المفصول أكثر منه، ويبدو أن (نيتشه) قطع علاقته به بشكلٍ جامد الإحساس بإهماله الإجابة على رسائله. لقد تلقى على الأقل رسالتين مفعمتين بالترجي من (ماير). في الأولى يصف الصبي السيء الحظ فشله في الانضمام لمدارس أخرى، ومرارة وخيبة أمل والديه، والألم الذي أصابه لكونه وجد نفسه ملاماً على فقدان فردوس الصداقة الذي تمتع به في (بفورتا). يريد أن

(1) قدم (نيتشه) 182 - 180 :KGW I - 3 ملاحظات واسعة حول هذا المقال. انظر أيضاً 227 - 228

(2) انظر القسم 3

(3) وباستثناء رسم المبني للمجهول «رسالة فيورباخ Feuerbach Letter» من أبريل عام 1862، لم تنج أي رسالة من (فريدريك) إلى صديقه بين 21 أوغست عام 1861 (قبل وفاة بودينسيغ بقليل) وحتى 1864 يونيو، وهي قرابة ثلاثة أعوام. بينما تمت كتابة الرسائل بالتأكيد وضياعها، حصل قطعٌ في مرحلةٍ ما، فشل (نيتشه) حتى أن يقول وداعاً لأصدقائه عندما غادروا الجامعة KGB I - 1: 416

(4) KGW I - 4: 89

يصدق أنه لم يُنس، وأنه لم يصبح أمراً من الماضي، وكتب مطالباً «رسالة، رسالة» وأضاف أنه يرغب بصورة لـ(نيتشه) إذا أمكن.[1] وفيما يبدو فإن (نيتشه) لم يرد. رسالةٌ ثانية أُرسلت بعد شهرين بدأت كالتالي: «استحلفك بالرب، لماذا لم أتلق منك رسالةً بعد، وأنا لا أرغب بشيءٍ قدر ما أرغب برسالةٍ منك. هل نسيتني فعلا؟».[2]

لم ينسَ (نيتشه)، مجرد حفاظه على هذه الرسائل دليلٌ على ذلك. لكنه تغير، وإحدى نتائج هذا التغير كانت قطع علاقاته مع كل الرفاق باستثناء (بول ديوسن). حتى (فيلهلم) و(غوستاف) لم يَسلما من هذا التقليص.

أصبحت علاقته مع أصدقاء طفولته الحميمين باردةً لبعض الوقت، وهذا يظهر بابتعادهم لطويل الأمد عن المساهمة في (جيرمانيا).[3] لكن في صيف 1863، قدم (نيتشه) عرضاً لن ينسوه على الأرجح. منذ البدايات كانت عادة الصبية انتقاد عمل أحدهم، وفي خلال هذه العملية أحياناً، وبكلمات (فورستر ـ نيتشه) «ينقادون إلى الفظاظة نوعاً ما».[4]

في يونيو قدم (نيتشه) أطروحتين. الأولى كانت بلا عنوانٍ ومكرسةً لمقالات (غوستاف)، والأخرى كانت تدعى «الإنجازات الشعرية لـف.بيندر The poetical achievements of W. Pinder».[5]

أظهر في الأولى استخفافاً بأعمال (غوستاف)، وفي الثانية هاجم بعنفٍ من كان يوماً صديقه السابق (فيلهلم)، مشيراً على سبيل المثال، إلى أن (فيلهلم) لا يمكن أن يكتب عن الحب بمصداقيةٍ لأنه لم يختبر هذا الشعور من قبل، وربما اتُّفق على أن هذا هو آخر اجتماع لـ(جيرمانيا)، أو بشكلٍ أخر فإن (نيتشه) نفسه هو من وجه الضربة القاضية للمجموعة. في كلا الحالين قد حُلّت المجموعة.

من الصعب معرفة سبب انقلاب (نيتشه) على شركائه. في مايو 1863، مباشرةً بعد حادثة الشرب، وفي الوقت نفسه الذي تلقى فيه أول رسالةٍ من (غويدو ماير)، كتب مقالاً عن كتاب

(1) KGB I - 1: 401

(2) KGB I - 1: 401

(3) لم يقم (فيلهلم) أو (غوستاف) بأي مساهمة بعد أبريل 1862، KGW I - 2: 470 - 471, 480 - 483

(4) Förster - Nietzsche 1912: 92

(5) KGW I - 3: 135 - 142

(شكسبير) «يوليوس قيصر Julius Caesar» شرح فيه العمل على أنه مأساة خيانة الصداقة.[1] وفي المسرحية يقوم (بروتوس Brutus) بالاغتيال الشهير لأعز أصدقائه (قيصر)، والذي يؤكد (نيتشه) على أن هذا الفعل، وإن تم بتحريضٍ من (كاسيوس Cassius)، فإنه يعكس رغبةً داخليةً حقيقيةً لدى (بروتوس). وفي الوقت نفسه فإن (كاسيوس) الذي كان داهيةً في المناورة السياسية، كان يقدّر عالياً النبل لدى الآخرين لدرجة جعلته يعترف لصديقه حتى عندما أبدى هذا الأخير أحكاماً ذات مبدأ، والذي يثبت كارثية قضيتهما. يُفصح كلا الرجلين عن مكنوناته بناءً على طلب الآخر وخلال العملية يُظهران أعمق نقاط ضعفهما. ومع ذلك فإن كلاهما صوّر نفسه على أنه تعرض للخيانة من صديقه، (بروتوس) عندما أخذ (كاسيوس) الرشوة، و(كاسيوس) عندما اتهمه (بروتوس) بالاختلاس.[2]

وبنظرةٍ ثاقبةٍ على ديناميكية المسرحية، يبدو المقال عملاً أساسياً ذا نظرة نفّاذة. ومن وجهة نظر السيرة يبدو ذا أهميةٍ خاصة.

كان مقال (نيتشه) مهمةً مدرسيةً ولكن التوقيت كان إلهياً. وقد طلب منه في البحث أن يأخذ وجهة نظر (كاسيوس)، ومهما كان رأيه في نفسه كـ«أعظم النبلاء الرومان على مر الزمان»، أو الرجل الذي أقسم يمين الولاء ليجد نفسه رافضاً ويجب أن يبقى في الخفاء. فهو قد نظر إلى الصداقة ورأى أنها في داخلها تحمل مأساوية، مستنتجاً «إن صداقةً من هذا النوع، يثقلها على السواء الخطأ والذنب وتقود كلا طرفيها إلى الإنهيار، فيها مع ذلك شيءٌ يمس الإحساس بشكلٍ لا نهائي».

2

إذا كان لحياة (نيتشه) الشخصية أفراحها وخيبات أملها، يبدو أنه لم يسمح لها أبداً بإعاقته عن اتخاذ إجراءاتٍ فاعلة. في أعقاب الخزي الذي مر به، لم يكن عليه فقط أن يصلح وضعه الأكاديمي ولكن أيضاً أن يستعيد احترام أولئك الذين آمنوا به، ومن ضمنهم والدته و(هيرمان كليتسشك)، المعلم الذي حل محل (ماكس هاينز)،[3] وبناءً عليه فقد أمضى (نيتشه) العطلة الصيفية لعام 1863 باجتهادٍ في القراءة وتدوين الملاحظات حول المواضيع

(1) KGW I - 3: 115 - 122

(2) Bohley 1976: 313

(3) انظر الفصل 7 القسم 6

الأدبية مثل «نيبلونجنليد Nibelungenlied» [أغنية النيبلونجز وهي قصيدة ملحمية عن قاتل تنين وكيف قُتل وانتقمت زوجته]، والهجاء الروماني «بيرسيوس وجوفينال Persius and Juvenal»، و«العهد الجديد»، وأيضا مقال «الجمال» لـ(إمرسون).[1]

وبعد أن نظر في أعماق هذه المواضيع، عاد إلى الفصل الدراسي في الخريف بروحٍ معنويةٍ عالية. لقد أحب أن يكون منتجاً، وفي رسالةٍ إلى المنزل كشف كثيراً عن كيفية تصوره للسعادة.

ومهما كانت العقبات، فقد بقي فعالاً، وأضاف معلقاً: «إن العمل على مدار الساعة في حركة دائمة، وبحماسٍ مستمر».[2]

ونظراً للثورة الأخيرة في حياته، والقرارات الضخمة الوشيكة، كان من سمات (نيتشه) أن يستعرض حياته، وفي منتصف سبتمبر كتب «حياتي My life»، كأول محاولةٍ له فيما يبدو لتصور نفسه منذ المحاولات المضطربة في ربيع 1861.[3]

وبينما بدأ برسم تصوره الأولي لسياق المحيط حوله، فقد بدى مستعداً لاحتمال اكتشافاتٍ جديدةٍ وهي مقالات الفصح، وقام بمقارنة محاولات تصوُّر السيرة الشخصية وطابع الفرد مع محاولات وصف مشهد. وفي كلتا الحالتين تقفز الملامح الأكثر إثارةً إلى العين مباشرةً، التشكلات الصخرية في الحالة الأخيرة، والأحداث الدرامية السابقة. الإهتمام المفرط بتشبيهاتٍ مميزةٍ كهذه قد يكون مضللاً. «يجب علينا ألا نسترشد بأحداث الصدفة، أو هبات الحظ وتغيير الاحتمالات الخارجية، والتي تنبثق من ظروف الصراعات الخارجية، عندها، كما قمم الجبال، فهي تقفز أولاً إلى العين»، لأن الأكثر أهميةً بما لا يقاس من الصخور الخلابة هي الحياة النباتية، المخلوقات الحية التي تتطور حسب شروطها الخاصة، خالية البال من الاضطرابات حولها.

«على وجه التحديد، فإن هذه الأحداث الصغيرة والحالات الداخلية التي نعتقد بأننا يجب أن نهملها هي التي في مجملها تكشف ملامح الفرد بوضوحٍ أكبر، إنها تنمو بشكلٍ

---

(1) KGW I - 3: 144 - 145 في نهاية عام 1863 كتب (نيتشه) قائمةً مع (إمرسون) سميت «الأكثر قراءةً» عند القمة. KGW I - 3: 299

(2) KSAB I: 253

(3) KGW I - 3: 189 - 192 نسخة بالإنجليزية من قبل (R.J. Hollingdale) في Ansell Pearson and Large 2006: 18 - 20 تم تغيير الفاصلة المنفردة إلى فاصلة منقوطة

عضوي منبثقةً من طبيعة الإنسان، بينما تظهر المظاهر السابقة [يقصد مثل الصخور] فقط في الاتصال اللاعضوي معه». إن التشديد على «الحالات الداخلية» و«الطابع الفردي» وكذلك التعبير «تنمو بشكل عضوي منبثقة من طبيعة الإنسان»، ينبغي أن تذكر القارئ بالاكتشاف الذي حققه (نيتشه) في (إمرسون). لا يوجد شخصان يستجيبان بشكلٍ متطابق لنفس المحفز. كما كان قد كتب في «المصير والتاريخ»، مهما يكن فإن البشر لا يتحولون حسب هوى الأحداث، ويتلوّن مزاج الأفراد حسب طريقة تلقيهم للحدث، و«نحن... نرى كل شيءٍ في مرآة شخصيتنا». إنها خصائص الشخصية وليس الحدث ما يجب أن يهتم له كاتب السيرة.

وليس من الواضح ما إذا كانت هذه المقاربة تجيب تماماً على الإعتراضات التي ابتكرها (نيتشه) في 1861، وفيها يبدو (نيتشه) قلقاً من الظروف المحيطة التي تتمثل بسوء التغذية والطقس الشديد، والتي يمكن أن تغير وتشوه النبات العاجز. ومن المؤكد أنه لا يمكن لأي نباتٍ مهما كانت مقاومته عالية لسوء الظروف حوله أن يتغلب على عدم وجود الموارد التي لا غنى عنها. على أي حال في عام 1863 كان (نيتشه) يجادل في فكرة تمثيل النبات بطريقتين، أولاً، كما شرح للتو، يؤكد فيها على قوى التفرد والطرق الحذقة التي تستخدمها المخلوقات لامتصاص الطبيعة لكي تزدهر وتتكاثر. وثانياً، وبالرغم من أن قوله ليس واضحاً تماماً، فقد وجد راحةً في ضرورة الأجناس والأصناف، أي الطرق التي تُلزِم النبات لينتج وليظهر النوع الذي خلق ليكونه. ومن خلال هذه الصفة المتأصلة «فإنها تنمو عضوياً من خلال طبيعتها». وأياً يكن المسار المحدد الذي اعتمده (نيتشه) في تبرير منطقه، الذي يصعب فهمه، فمما لا شك فيه أنه عاد إلى تشبيه الإنسان بالحياة النباتية وأنه يعتقد أنه حل الإعتراضات التي ابتكرها سابقاً. وقد استعاد أيضاً طابع التميز الذي تمتع به في سيرته بدءاً من 1858. لا يقل طابع الفرد أهميةً عن تاريخ حياة الفرد، وإن الإهتمام الأكبر لكاتب السيرة الذاتية الشخصية هو نتاج تطور خصائص المرء المتفردة، وليس نتاج الأحداث الخارجية في حياته.[1]

بعد هذه المقدمة الطويلة (ثلث النص الكامل)، يعود (نيتشه) إلى أصل السيرة الذاتية، وبدأ كما هي عادته بأحداث (روكن) وتابع قدماً لتطوره في (نامبورغ). أما بالنسبة لـ(شولبفورت)، فإنه يؤكد على الطرق التي اتبعها ليستعيد تركيزه ويستجمع شتات نفسه ويستعيد إخلاصه للدراسة وللفن.

---

(1) استخدم (نيتشه) أيضاً هذه الفقرات مقارناً وصف الصور بالمناظر في مقالٍ مختلف KGW I - 3: 193 - 196

«لقد استوعبت حكمة العديد من المعاجم، لقد استيقظت في داخلي كل رغبةٍ ممكنة، لقد كتبت قصائد وتراجيديا... عذبت نفسي في تأليف مجموعات أوركسترا كاملة، و... كنت في خطرٍ أن أفقد رشدي أو أغرق في عالم الوهم. ومع ذلك فقد كان لهذا جانبه المفيد... أن يكرس المرء نفسه لمدة ستة أعوامٍ ليحصل على أعظم تركيز لقوته ويوجهها نحو أهدافٍ راسخة».[1] لقد أنهى سيرته الذاتية الشخصية بكلماتٍ رنانةٍ تذكرنا بمحاولته عام 1858. حيث كان قد صرّح وهو يجيل النظر في حياته: «لقد قادني الرب بسلامٍ خلال كل الأحداث كما يفعل الأب الرؤوف بابنه الصغير الضعيف».[2]

لكن الآن ـ وبغيابٍ واضحٍ لذكر الرب ـ كتب قائلا: «لقد قادتني الأحداث حتى الآن على طول الطريق كالطفل».

في كلا الحالتين يريد هو أن يعبر عن امتنانه للطريقة التي تطورت به شخصيته، ولكنه الآن يشير إلى أنه في حين كان سلبياً نسبياً في تفاعله مع الأحداث، فهو قد اعتزم إجراء تغيير. «ربما يكون الوقت قد حان ليتسلم المرء زمام أموره ويخطو باتجاه الحياة».

3

كانت هذه سنة الخيارات الصعبة، ولم يدّخر (نيتشه) جهداً، وكما يصرح لاحقاً: «فقط في ختام حياتي في (بفورتا) وبعد إدراكي الكامل لذاتي، تخليت عن كل خططي الفنية في الحياة».[3] بكلماتٍ أخرى، فقد نظر بشكلٍ سلبيٍ إلى مؤلفاته الموسيقية وكتاباته الإبداعية وأدرك أنه افتقر إلى الموهبة والالتزام ليجعل منها مهنةً له. ومع ذلك لم يوقفه هذا عن الإستمرار في كتابة الشعر وتأليف الموسيقا، وبقي يعزف البيانو. وإذا كان يخدع نفسه في أي وقت مضى بجعلها مهنته، فهو الآن قد تخلى عنها تماماً. تركه هذا التخلي في حيرةٍ أكبر فيما يتعلق باختيار مهنةٍ له، وعلى الرغم أنه لم يُعلِن رِّدته على الملأ ويستطيع أن يعود كما كان علناً ـ لقد اعترف كنسياً مرة أخرى في عامه الأخير ـ فقد كان من المؤكد أنه شكك في المسيحية بشدةٍ في الماضي ليفكر بشكلٍ جديٍ أن يصبح كاهناً.

عند هذه المرحلة، ابتدع (نيتشه) معياراً جديداً لاختياره. وربما جال في خاطره تعبير

(1) في الأصل فإن هذه الجملة الأخيرة تبدأ مقطعاً جديداً

(2) KGW I - 1: 310 انظر الفصل 4 القسم 5

(3) KGW I - 5: 52 - 53

(إمرسون) بأن الطلاب لم يرغبوا في أن يكبروا ليصبحوا كأساتذتهم، ولكن (نيتشه) خالف هذا الرأي. لقد أعجب بأساتذته، وقرر أن بعض علماء اللغة بقربه ـ (ستينهارت **Steinhart**، كورسن **Corssen**، كيل **Keil**، كوبرستاين **Koberstein**، بيتر **Peter**) ـ قد تحدثوا بما فيه الكفاية عن اختصاصهم لدرجة أنه قرر أن يتبناه بنفسه.[1]

استلزم هذا القرار أن يودع أحلامه الفنية، ولكن اختياره ربما أصبح أسهل (وبالتأكيد قد تم تعزيزه) بالنهاية المخزية لأحد الشعراء. خلال ربيع عام **1864** وقع (إرنست أورتلب) في حفرةٍ وكسر عنقه، ومن المؤكد أنه كان في حالة سكر ـ وكان (نيتشه) قد التقاه في حانةٍ بعد الظهر قبل وقوع الحادثة ـ وقد طرحت افتتاحية صحيفة «نامبورغ» احتمالية موته منتحراً. وقد وصف (نيتشه) الجنازة، على الرغم من أنه بالتأكيد لم يحضرها (لم يعلن عن الجنازة وحضرها الخاصون فقط)،[2] وكان وصفه رتيباً وخالياً من أي تأثر. ومع ذلك فإن الآثار المترتبة على هذه النهاية ستسبب الكثير من الإزعاج والقلق لطالبٍ كان حلمه أن يتخذ الفن كمهنةٍ له.

مندفعاً بحاجته إلى أن يكون عملياً، وصل (نيتشه) إلى آفاقٍ أكبر في دراسته. ففي الخريف، شارك في مشروعٍ طموحٍ بشكلٍ استثنائي، دراسة شاملة لمصادر ملحمة «إرماناريش». ويبدو أنه وجد السعادة في الحاجة إلى العمل الجدي، وكتب إلى أمه: «بشكلٍ عام أنا أسبح بسعادةٍ في دراستي وأعيش بشكلٍ جيدٍ كما تعيش السمكة في محيطها الطبيعي».[3] وبدت ورقة بحثه المكتملة بالنسبة له كأنها إنتاجه الوحيد في (بفورتا)، والتي كان «راضياً تقريباً»[4] بها. حتى البروفسور (كوبرستين)، الذي أربكه مقال (نيتشه) عن (هولديرلين)، أشاد بحماسة بها بين خاصته.[5] ربما استخدم (نيتشه) مشروع «إرماناريش» لتدريب نفسه على المهمة الشاقة التي تقبع أمامه. فقد كان يتم تشجيع الطلاب في (بفورتا) على كتابة بحثٍ متقدم حول موضوعٍ مناسب،[6] وقرر كلٌّ من (نيتشه) و(ديوسن) أن يقدما ما لديهما، وركز فتى (نامبورغ) على (ثوغنيس)، وهو شاعرٌ رثائيٌّ تألق في القرن السادس قبل الميلاد، وربما كان من (ميغارا

(1) KGW I - 5: 46

(2) ولتفصيلاتٍ عن الجنازة انظر Feldhoff 2008: 41

(3) KSAB I: 265

(4) للمقال انظر KGW 1 - 3: 239 - 269 ولتقييم (نيتشه) انظر KGW I - 3: 419

(5) Gilman and Reichenbach 1981: 47

(6) تم وصف هذه الممارسة والإشادة بها في تقرير (هيلاند Heiland) ونشر في Gilman 1979: 414 انظر أيضاً Heumann et al. 1994: 133 - 137; and Deussen 1901: 11

Megara) وهي مدينة غرب (أثينا).[1] إن الدارسين حتى هذا الوقت يملكون معلوماتٍ موثقة بسيطة عن هذا الشخص الذي كان يحظى باحترامٍ كبير من قبل الإغريق في عصرهم الذهبي، ولكن مكانته بدأت بالإنحدار منذ ذلك الوقت.[2] ويبدو أنه كان أرستقراطياً فقد أملاكه نتيجةً لاضطراباتٍ سياسيةٍ (إما انتصارٌ لطاغية، أو انتفاضةٌ شعبية)، واختار المنفى.

كانت قصائده ترثي وصول قيم جديدة كان ينظر إليها كقيمٍ ذليلة، ويتغنى بفضائل العالم الأرستقراطي الذي كان يتهاوى. وعلى الرغم من اعتباره شاعراً أخلاقياً في المقام الأول من قبل معجبيه الإغريق، إلا أنه يناسب بصعوبةٍ بالغةٍ صورة الزاهد المرتبطة به اليوم. كانت العديد من أبياته على الأغلب أغاني عن الشراب والسكر، كتبت لتترافق مع آلة المزمار،[3] ويبدو أنها كانت موجهةً بشكلٍ كبيرٍ إلى شابٍ يدعى (كيرنوس Kyrnos)، وكانت تتناوب بين الرغبة والتملق ولومه على عينيه السائحتين. يمجد (ثوغنيس) بعض القيم «الصداقة والولاء» والتي يبدو أنها مهمةٌ في العصر الحديث، وفي عصر (نيتشه) يبدو أن الكثير لم تعجبهم شهية (ثوغنيس) للانتقام ولا لتقديره لنظام الطبقات المزدوج الذي يتم فيه استحقاق النبالة بالوراثة، بينما تُحتقر باقي الطبقات.

كانت مواقف (نيتشه) تجاه (ثوغنيس) غير واضحة المعالم، فهو نادراً ما وصفه كفرد ولكن عندما فعل، فقد مال إلى معارضته، مقارناً إياه باليونكر [الأرستقراطيين] البروسيين، ومع ذلك فكثيراً ما أخفى (نيتشه) تقديره العالي خلف سلوكٍ مرتبك، وربما كانت هذه هي الحال هنا.[4] من المؤكد أن اختياره لهذا الشاعر قد أجبره على الإنخراط مع معلمٍ من نظام قِيمٍ مختلفٍ عما تربى عليه، ويبدو أن التجربة قد أثرت عليه. سيظهر (ثوغنيس) ثلاث مراتٍ على الأقل في عمله، كموضوع عرضٍ في الجامعة، والشخصية الرئيسية في أول بحثٍ نشر له، وكممثلٍ للقيم الإغريقية المندثرة في علم أصل الأخلاق.[5] وفي هذه الأثناء، تسمح الأطروحة للقارئ أن يرى الأستاذ المستقبلي منخرطاً في الأداء كما حاول أول مرة أن ينخرط

---

(1) وفقاً لـ Förster - Nietzsche 1895: I, 185 فقد تم اقتراح هذا الموضوع من قبل (ديريك فولكمان Diederich Volkmann) وللنص انظر KGW I - 3: 420 - 463

(2) انظر Figueira and Nagy 1985 بشكلٍ عشوائي

(3) Bowra 1960: 141

(4) لاستعراض المواقف المختلفة التي أخذها الدارسون في مواجهة اهتمام (نيتشه) بـ(ثوغنيس) انظر Wolleck 2010: 286 - 288 ولاصدارٍ من عمل «ثوغنيس» انظر see Gerber 1999

(5) See GM I: 5

في مهمة تمس جوهر علم اللغة، محاولاً حساب ما لا يحسب. لقد اختلف القدماء فعلياً حول كل جانبٍ من كتابات (ثوغنيس) أو سيرته الذاتية. بعضهم عرّفه كمواطنٍ من (ميغارا) قرب (أثينا)، وكان هناك أيضاً (ميغارا) في (صقلية)، وعلى كل حالٍ، ادعت بعض السلطات أنه من هناك.[1] وعلاوة على ذلك، فمن أصل 1389 بيتاً شعرياً منسوباً لـ(ثوغنيس) هناك بعضها (ومن المحتمل الكثير) ليست في الواقع له. وكانت العديد من المقاطع التي اعتُبرت في وقتٍ لاحقٍ بغيضةً أخلاقياً محل خلاف، وسوف يعزوها (نيتشه) نفسه في وقتٍ لاحقٍ مؤقتاً إلى النُّساخ المسيحين الذين كانوا تواقين لأذية هذا النموذج من سداد الرأي الوثني. ولم يكن موضوع التحقق من صحة أو رفض أبيات أو مقاطع مجرد مسألة جمالية، فلم يتمكن الباحثون من استخدام هذه النصوص كأدلةٍ تاريخيةٍ قبل التأكد من وثوقيتها وأصالتها،[2] وهكذا سوف يدورون في مكانهم ذهاباً وإياباً مختبرين الأبيات المشكوك فيها بمواجهة التاريخ الموثوق، والتاريخ غير الموثوق بمواجهة الأبيات الموثوقة، في بحثٍ للوصول إلى تلائمٍ موثوق.

وقد تناول (نيتشه) في مقاله العديد من هذه القضايا، مقيماً الأدلة ومصدراً حكماً مبنياً على المعلومات. لقد وازن الرأي في موضوع المدينة الأم لـ(ثوغنيس)، وكمثال، افترض أنه ولد في (ميغارا) في البر الرئيسي ولكنه انتقل إلى (ميغارا) في (صقلية) بعد نفيه.[3] هذه المقارنة الدقيقة بين النصوص وقوة الأدلة من جهة، ومعارضة وجهات نظرٍ مكرسةٍ من جهةٍ أخرى، هي ما قادته إلى قلب مشروع علم اللغة، وكانت بمثابة نموذجٍ للدراسة في بداية القرن. وهذا هو السبب الذي دعى الممارسين لهذا الفن لأن يسموا أنفسهم «ويسنشافتلين Wissenschaftlich» وهي كلمةٌ عادة ما تُرجمت كـ«علمي» ولكن الذي يشمل كلاً من العلوم الطبيعية والدراسة العلمية. في ظل النظام (الهمبولدي) التعليمي كان للـ((ويسنشافت)) وظائف أخرى إلى جانب ترسيخ المعرفة. كان يتوقع من الطلاب توسيع أفاقهم والتوسع في مساحة الإدراك لكي يصلوا إلى مرحلة الإتقان في موضوعهم الدراسي. وبكلماتٍ أخرى فقد كان من المتوقع في هذه المواجهة بين الفرد ومجال المعرفة أن ينمو الفرد. ومما لا شك فيه أن (نيتشه) قد اختبر المتعة والرضا لهذا الإتقان الواسع في أبحاثه الأولى، ولكنه عبّر عن هذا

(1) ادعى (سودا Suda) و(أفلاطون Plato) أن (ثوغنيس) قد أتى من (صقلية). - Edmunds 1931: 166 169 واتخذ إغريقيون آخرون خيار البر الرئيسي (169 - 171). ولا يزال هذا الجدل غير محدد. Figueira and Nagy 1985: 3, 123 - 124

(2) Figueira and Nagy 1985:112

(3) KGW I - 3, 422 - 423, 429 - 430; Wolleck 2010: 241 and 248.

بصراحةٍ في ختام مشروع «إرماناريش» الذي أنهاه في ديسمبر الماضي. كتب في آخر فقرةٍ من ذلك البحث عن رضاه لأنه أشغل نفسه بسلسةٍ من الأفكار ومن ثم استطاع ربطها معاً بشكلٍ متماسك. وبالإضافة إلى ذلك فهو قد ربط عمله هذا بالشعور أنه «عاش في» الملحمة القديمة، وهذا يعني نمواً في مخيلته وارتباط وعيه مع شعوره بالعظمة والتعقيد.[1] كانت هذه التجربة ممتعةً جداً له، بحيث أنه أبدى أسفه للاقتراب من نهايتها، وأكمل الفقرة شاكراً مصادره، خصوصاً (الأخوين جريم Brothers Grimm).

كانت كلماته الأخيرة في مشروع «ثوغنيس» مضطربةً كثيراً، لأنه خشي أنه لم يستطع أن يحل بعض المشاكل بشكلٍ يرضيه. ومع ذلك، من المفترض أنه شعر بقدرٍ كبيرٍ من الرضا عند اكتمال العمل، وخصوصاً لأن هذه الأطروحة المطولة (أربع وستون صفحة) قد كتبت باللاتينية. كان بحث «ثوغنيس» آخر نتاجٍ علميٍ له في (بفورتا)، تلك المدرسة التي كان قد دخلها بخوفٍ كبير قبل ستة أعوام، ويظهر هذا البحث مدى التقدم الهائل الذي أحرزه منذ ذاك الوقت.

4

وفي هذه الأثناء، حدث شيءٌ غريب لا يرتبط مباشرةً بالدراسة، قبل أربعة أشهرٍ من بداية الكتابة الفعلية لبحثه.[2] ومما يُذكر أنه منذ أطلق سيرته الذاتية الأولى، فهو افترض أن المرء لا يمكن أن يعرف ذاته إلا خارجياً، بمراقبة أفعالها.[3] ولم يحاول ولا مرة في كل سرده أن يستعين بأفكاره أو مشاعره ليفهم ذاته من خلال تأمل الباطن. لكنه أخيراً خلال عطلة الفصح في العام الأخير له في (بفورتا) أقدم على هذه المحاولة، مراقباً المزاج بدلاً من الأفعال. وكما يبدو فالمناسبة لم تكن عادية، كان قد ودع للتو صديقاً لم يذكر اسمه، وكانت مشاعره مضطربة وهو يحاول أن يضع حداً لخسارته. ومع ذلك فإنه لم يركّز مقاله على صديقه ولا على أي مشاعر محددة. بدلاً من ذلك فقد تعامل مع المناسبة بتجردٍ مراقباً التفاعل بين القوى كالأفكار والعواطف التي توحدت لتشكل مزاجاً، والأمزجة بدورها تحفز ديناميكياتٍ خاصةٍ بها.

---

(1) KGW I - 3: 269

(2) يحدد (نيتشه) تاريخ أو عطلة عيد فصحٍ له والتي كانت في 23 مارس عام 1864 وقد عمل على «ثوغنيس» في يوليو من ذلك العام

(3) انظر الفصل 4 القسم 5

كانت المحصلة هي مقال «في الأمزجة» الذي يبدأ بـ(نيتشه)، موازناً نفسه على قطعة من الورق، متأرجحاً بين العديد من الأفكار التي تتطلب الكتابة،[1] محاولًا أن يخرج بشيءٍ ذي معنى منها، فقد قسم أفكارها إلى مجموعتين تتنافسان على الإهتمام: أفكارٌ طازجةٌ صاخبة (يصفها بأنها «فوارةٌ كالنبيذ الجديد»)، وأفكارٌ ناضجة، أكثر تميزاً، ويشبهها بـ«أستاذٍ مسنٍ يفحص بعينه المريبة تصرفات العالم الشاب». إن هاتين المجموعتين من الأفكار تبدوان على طرفي نقيض. واعتبر (نيتشه) أن حالته العاطفية مرهونةٌ بالتوتر بين هذين المعسكرين، وأن «الوضع الراهن للنزاع بينهما هو ما نسميه بالمزاج». هذه الأمزجة ليست مجرد نزوة، لأن النفس تحشد أفكاراً من إحدى المجموعتين على حساب الأخرى وفقاً لاحتياجاتها الخاصة. ومع ذلك فإن إنتاجها عرضيٌ أيضاً بقدر ما تستمد الأفكار التي تكمن تحتها غالباً من تأثيرات الاحتمال المستمدة من البيئة الخارجية. ولهذا فإن مزاجنا دائماً يعكس نفسيتنا الشخصية ولكنه لا يكون أبداً تحت سيطرتها.

يجد (نيتشه) أنه من المناسب أن يؤدي السحر الذي يكتب فيه الآن إلى دراسة موضوعه: «فلنعترف بذلك: أنا أكتب عن الأمزجة، بقدر ما أنا في مزاجٍ محدد الآن، وإنه لمن الحظ أنني في مزاجٍ لأصف الأمزجة».

واعتماداً على هذا المنطق، يأخذ في اعتباره العديد من النشاطات التي سبقت وصوله إلى طاولة مكتبه هذا المساء، وعلى الأخص الانفصال المؤلم، والعزف المستمر لمرثاة «ليزت Liszt» وهي مجموعة من المؤلفات التي تعكس وتكمل ذلك الألم. ومع ذلك فإن هذا المزاج الأولي يبرهن على الحالة المؤقتة للمزاج، لأن عناصر جديدة تتدفع إلى النفس، وتتحول حالة (نيتشه) الذهنية وفقاً لها. «لكن انظر! هنا يأتي صديق، وهناك كتابٌ يفتح... لقد بدأ ضيوفٌ جدد بالتدفق من كل الجهات إلى البيت المفتوح». ويرحب المراقب المستغرب بهذه الديناميكية المتواصلة، وعندما ينظر إلى كيفية إدخال مكونات جديدة في المزيج، فهو يقارنها بمستأجرين جدد يستقرون في مبنى للإيجار ويتعايشون (أحياناً بصعوبة) مع شاغلي البيت السابقين. ومن ثم فهو يتأمل في الأفكار المتعددة، الإنطباعات، والمشاعر التي

(1) KGW I - 3: 371 - 374, 379 - 380 الترجمة الإنجليزية لـ(غراهام باركيس Graham Parkes) - تمت إعادة الطباعة في

Ansell Pearson and Large 2006: 21 - 23 - يجمع بين هذه الإدخالات. يتم استخدام ترجمة (باركيس) هنا مع تغييرات طفيفة.

تتلاحم وتتفكك وتتصارع مع بعضها البعض. يبدو أن الإرادة تغيب في النوم، ولكن المحفزات والرغبات دائماً مستيقظة، وأحياناً عندما يصغي السمع فإنه يسمع بالصدفة «همهمةً وطنيناً... لمخلوقات برية، كما لو أنها تندفع خلال الهواء، كما تندفع فكرةٌ أو نسرٌ باتجاه الشمس».

طوال هذه الدراسة، يؤكد (نيتشه) على تعددية وعدم استقرارية الخبرة الداخلية، وقد يتوقع المرء أن اكتشافاً كهذا سوف يرعبه. وبتأثيرٍ من (بايرون)، كان قد أُعجب بحماسةٍ بموضوع السيطرة على النفس، ولكنه أدرك الآن أنه توجد طبيعة برية ولا يمكن التنبؤ بها تحت أبسط نشاطات الوعي وأكثرها اعتياديةً. كيف يمكن أن يخضع هذا التفاعل الجامح للسيطرة؟ ومع ذلك وبعيداً عن الشعور بالرعب من هذا الاكتشاف، يجد نفسه مشجَعاً بتعهده بالتجديد والاستجابة السريعة للجديد. كما يستكشف علاقة هذه الاكتشافات بوجهة نظره في «المصير والتاريخ». وهكذا يلاحظ أنه في حين يمكن أن تبدو الروح ضعيفةً تجاه العدوى من البيئة، هي في الواقع محميةٌ بواسطة طوق العزل الصحي الخاص بها: «أي شيءٍ لا تستطيع الروح أن تعكسه هو ببساطةٍ لا يؤثر بها... تتأثر الروح فقط بما تريد». (أو كما عبر عن ذلك في محاضرة سابقة، «هل يمكن لنغمةٍ ما أن تؤثر بنا إن لم يكن هناك فينا وترٌ يستجيب لها؟»)[1] ويدرك في الوقت نفسه أن يقظة الروح العميقة لا تعتمد على أي عنصرٍ منفردٍ في البيئة. بل تتبع وتتحول حسب حاجاتها الخاصة. إذا أحبّ المرء وقدّر شخصاً أو عملاً ثم فقده، ربما سيأتي ويحل في مكانه قادمٌ جديد وربما يوقظ في النفس استجاباتٍ أعمق: «ما يبدو لك الآن أنه أعظم سعادةٍ أو كل أحزانك قد يتحول ليصبح فقط رداءً يخفي مشاعر أعمق، وبالتالي سوف يختفي عندما يأتي الشيء الأعظم». مفتوناً بما دعاه «التغييرات المذهلة للروح الصاخبة»، يجد نفسه معافى من كل كدره الداخلي بسبب «تجربةٍ مؤلمةٍ ربما تكون فراقاً أو ليست فراقاً».

يشعر بتجددٍ مع تغيرات المساء ويدرك «أنا لم أعد أحب كما كنت أحب منذ أسابيع مضت، وأنا لست هذه اللحظة في نفس المزاج الذي كنت عليه وقت بدأت الكتابة» وهذا أمرٌ مثيرٌ بشكلٍ واضح، يأخذ أدواته ليسجل النتائج «أبعد هذه الورقة، أحضر ورقة جديدة، والآن أعطوني قلماً بسرعة، خربشة، حبر ـ بسرعة ـ هنا!».

وفي تدوينٍ منفصل ـ ربما كُتب في نفس الليلة كما توحي دعوته بورقةٍ جديدةٍ وبدايةٍ

(1) انظر الفصل 6 القسم 7

جديدة ـ يسجل شعوراً دراميا لعملية تجديدٍ يشعر بها، في استجابةٍ لعاصفةٍ مسائيةٍ رعديةٍ تعصف بالخارج. تشير كلتا الورقتين الرئيسية والملحقة بها، إلى أن التجربة المؤلمة لفقدان صديقٍ تعمل كدافعٍ مباشرٍ وأساسيٍ لهذه التحقيقات. ومع أن هذه العلاقة انتهت، فإن (نيتشه) يبدو منتشياً باحتمالية المضي قدماً نحو إمكاناتٍ أكبر وأحدث. من وجهة نظر كتابة السيرة، فإن حادثة الوداع التي تسببت بتأجج كل هذه المشاعر تبدو عصيةً على الدراسة، لأن (نيتشه) يشير إلى العلاقة البشرية المفقودة بشكلٍ غير مباشرٍ فقط، ونحن لا نعلم من كان هذا الشخص. ومن جهة السيرة الذاتية الشخصية، يبدو أنه يتصور مقاربةً جديدةً لتعريف الذات، تعتمد أقل على سرد الأفعال، وأكثر على تأمل أغواره النفسية. وكما يتضح لاحقاً فإن هذا الإحتمال قد وُلد ميتاً ولا يمكن متابعته، ربما لأنه لم يستطع أن يستعيد نفس المزاج الذي، كما كان قد شرح، شجعه على دراسة الأمزجة. وبدلاً من ذلك، سيزداد قلقه بشأن التأمل، آخذاً في اعتباره أنه كان غير موثوقٍ وذا نتائج عكسية أيضاً.[1]

5

بمجرد الإنتهاء من بحث «ثوغنيس»، لاح التخرج في الأفق، ومهما كان المجال الذي يبرع فيه، فقد اتخذ (نيتشه) قراراً بأن ينضم إلى جامعة (بون Bonn) مع (ديوسن). كان يوجد في الجامعة قسمٌ ممتازٌ لعلم اللغة، وتقع (بون) قريباً من منزل عائلة (ديوسن).[2] وقد اختار كلٌّ من (فيلهلم) و(غوستاف) لنفسيهما جامعة (هايدلبرغ Heidelberg)، وكونهما تخرجا قبل (نيتشه) بستة أشهر، فقد حثاه على الانضمام إليهما منوهين بوفرة الحفلات الممتعة والنساء الفاتنات.[3] ويبدو أن هذه المقاربة لم تستهو (نيتشه)، وردّ بفتورٍ طالباً بشكلٍ خاصٍ كتاباً مبهماً عن (ثوغنيس).[4] ربما كانت (بون) و(هيدلبرغ) قريبتين جغرافياً بشكلٍ نسبي، ولكنه لن يزور رفيقيه هذين خلال السنة القادمة.[5]

وعلى الرغم من عدم إدراك عائلته، يبدو اختيار (نيتشه) لـ(بون) دليلاً على عدم اهتمامه

---

(1) انظر الختام القسم 1

(2) لأسبابٍ أخرى قصد طلاب (بفورتا) جامعة (بون) انظر Benne 2005: 51 - 53

(3) KBG I - 1: 418 - 421 وكتب (غوستاف) أيضاً: 421 - 423

(4) KSAB I: 282 - 283

(5) ويشير (نيتشه) أيضاً إلى أن الأمور المالية تمنعه من الانضمام إلى جامعة (هايدلبرغ) Pernet 1989: 145, n. 154

بأن يصبح كاهناً. كتب أحد أخوة أزواج عماته، (رودلف سشنكل Rudolf Schenkel) إلى الشاب المتردد أنه إذا أراد أن يتخصص في علم اللاهوت فعليه أن يختار جامعة (لايبزيغ) ويفضلها على جامعة (بون).[1] وبالرغم من ذلك فقد اختار (نيتشه) الخيار الثاني، ويبدو أنه ألقى بشكوكه على معلمه، ويبدو أن (كليتسشك) كان قد اقترح عليه أن يختار اختصاصاً مزدوجاً، علم اللاهوت وعلم اللغة.[2]

ربما عكس هذا الاقتراح المماطل ازدواجيةً داخل (نيتشه) نفسه.[3] وكما توضح قصائده، فهو مازال ينظر إلى الدين بحنين، وربما كان مستعداً لإعطائه فرصةً أخيرة. ومع ذلك فإن اهتمامه الحقيقي يتوضح ليس فقط باختياره للجامعة ولكن بعلاماته. الطلاب الذين كانوا يتصورون المستقبل بأن يصبحوا كهنةً أخذوا دروساً في العبرية في (شولبفورت)، ودرس (نيتشه) هذا المقرر لمدة أربع سنوات.[4] وعندما قام بامتحانه الأخير في هذه اللغة كانت نتيجته «غير مرضية»، وهو دليلٌ مهمٌ على الصعيدين الرمزي والعملي. حتى الآن لم يخبر عائلته عن ارتداده المتزايد عن الدين، ولكن بغض النظر عن بعض المفاجآت، فإن قراره الحازم أصبح قيد التطبيق. في هذا الوقت كان قد أُنهك من شدة قلقه بأن لا يتخرج. قبل مغادرته مدرسة (شولبفورت) كان عليه أن يمر بسلسلة من الامتحانات تضعها الدولة. كانت (بروسيا) تخشى من قيام «بروليتاريا أكاديمية» [الطبقة العاملة الأكاديمية] حيث هناك فائضٌ في الطلاب نسبةً إلى الوظائف المتاحة،[5] ولم تكن تسمح لأي أحد بالوصول إلى الجامعة دون أن يحصل على شهادة الـ(أبيتور)، وهي شهادةٌ لن تمنح إلا بعد اجتياز سدٍّ من الاختبارات. وفي حين كان (نيتشه) مستعداً لمعظم هذه الاختبارات، كانت لديه مخاوف من اختبار الرياضيات. كان هذا الموضوع دائماً نقطة ضعفه كما كان لأبيه من قبله.[6] ومع ذلك وعلى النقيض من (لودفيغ) العنيد الذي درس واجتاز اختباراته،[7] يبدو أن نيتشه كان خائفاً من

(1) KGB I - 4: 14 كما حذره (ستينهارت) و(سشنكل Schenkel) بأن علم اللغة تُعلم بشكلٍ سيءٍ في (لايبزيغ). KSAB II: 81

(2) KGB I - 4: 15

(3) Pernet 1989: 83 - 84

(4) كل السنوات ما عدا أنتر، وأوبيرترتيا Bohley 1976: 304

(5) يبدو أن مصطلح «البروليتاريا الأكاديمية» قد صاغه (ميترنيتش Metternich) Vierhaus 1972: 543

(6) Goch 2000: 33, 117 - 118

(7) Goch 2000: 182 - 183

المحاولة.[1] وهذا لم يجعله مقرّباً من أستاذ الرياضيات، وهو رجلٌ ذو كفاءةٍ عاليةٍ وكان يكن له الاحترام ذات مرة.[2] وعندما تلقى الفتى علامة سيئة في اختباره الأخير في هذه المادة، بدا أن كل نجاحاته السابقة لن تسعفه الآن. ويكتب (ديوسن) عن مساءٍ مشحونٍ حيث اعترف له بمدى فزعه، لأن (نيتشه) كان يخشى الأسوأ.[3] ولحسن الحظ ولأسباب مجهولة، ومن قال إن عصر الأساطير انتهى،[4] قرر مجلس إدارة (بفورتا) تجاوز هذه النتائج، وأصبح (نيتشه) جاهز لاستلام شهادته. تم التخرج في 7 سبتمبر 1864، وكان يوماً احتفالياً عظيماً. كانت ذروة الاحتفالية تتضمن خطباً من المتخرجين أنفسهم، ينادى عليهم بالاسم واحداً تلو الآخر إلى المنصة، ويسمح لهم بمخاطبة الطلاب المجتمعين والهيئة التدريسية طالما رغبوا بذلك، وهو امتياز مهم ولكنّ قلةً فقط استفادت منه، لأن معظمهم، وفقا لـ(نيتشه)، كانوا مندفعين جداً ليتلفظوا بأكثر من بضع عبارات.[5] من غير المعروف ما قاله هو شخصياً، وما إذا كان قد قرأ خطابه من ورقة.

وكان قد تضمن مقال التخرج مرةً أخرى سيرةً ذاتيةً شخصية، وبما أنه من غير ريبٍ اعتبر الأعمق تفكيراً والأكثر دقةً في الكتابة من نوعه مما كان قد أنتجه حتى ذلك الوقت، فربما يكون قد جهزه ليلقيه في خطاب وداعه.[6] بدأ عمله بتحيةٍ إلى مدرسته وبتأكيده أنه سوف يضع ما تعلمه قيد التطبيق، ثم عرج على مرحلة طفولته المبكرة وأثنى على أبيه الذي وضع «بذور الجدية [و] التفكير في روحي» وفوق ذلك فقد شرح أن موت أبيه حرمه من الإشراف الأبوي، وأن عادات التعليم السيئة بالنتيجة قادته إلى مراكمة فروع متعددة وغير منضبطة من المعرفة. وقدمت الفنون مثالاً حزيناً على هوايةٍ ذهبت أدراج الرياح. لقد ألّف الموسيقا في سن التاسعة، على سبيل المثال، «إذا كان المرء يمكن أن يسمي جهد طفلٍ متحمسٍ ليضع

(1) حتى (فورستر - نيتشه) تقرّ بهذا انظر Förster - Nietzsche 1895: I, 188
(2) KSAB I: 34
(3) Deussen 1901: 15
(4) تعزو (فورستر - نيتشه) تخرج أخيها إلى مواجهة درامية في مجلس مدرسة (شولبفورت). وتدعي كذلك أنها استلمت هذه المعلومات عالية السرية من (ديدريش فولكمان Diederich Volkmann). ومع ذلك تخبر هذه القصة فقط في سيرتها الذاتية الثانية، التي تم نشرها بعد موت (فولكمان) ولا يمكن دحضها. Förster - Nietzsche 1912: 116 - 117
(5) KSAB I: 53
(6) KGW I - 3: 417 - 419

سيلاً من النوتات المتعاقبة والمتناغمة على الورقة بـالتأليف الموسيقي». كما كتب أيضاً «قصائد مروعة» و(كما اعترف بذعرٍ واضح)، «لقد رسمت ولوّنت».

أما في (بفورتا) وعلى النقيض من ذلك، فقد تعلم كيف يقدر الانضباط، ويتقن بعض فروع المعرفة من بدايتها إلى نهايتها. حتى مؤلفاته الموسيقية استفادت من هذا الإحساس الجديد بالتركيز، كما استفاد من ذلك تفانيه في دراسة المؤلفين الإغريق. ومع ذلك فقد كان (نيتشه) حريصاً على ألا يُلزم نفسه بأي اختصاص، وعلى الأخص الدين، والذي لم يذكره بأي شكلٍ كان. وبدلاً من تحديد أي موضوعٍ فإنه فضّل التركيز على المنهجية التي يمكن من خلالها الحصول على أفضل استيعاب لتلك المواضيع. لقد «تعلم كيف يتعلم» وبهذا استطاع التغلب على العائق الثقافي الذي جلبه له موت أبيه المبكر. كانت المناسبة مثيرةً واستطاع (نيتشه) أن يؤثر على القارئ بمهارة، منهياً عمله بنذرٍ أوبّرالي.

الآن وهو على بعد خطوةٍ من الذهاب إلى الجامعة، فإنه سوف يعتمد كقانونٍ في حياته أن يدع الهواية، ويسعى مكانها إلى الإتقان في مجالٍ محدد.[1] «في معركتي مع واحدٍ وسعيي للآخر، أتمنى أن أظهر منتصراً».

وهو بذلك وضع نفسه في تحدٍ أمام نفسه وأمام عجزه عن التركيز. ومع ذلك وكما يحدث عادةً مع الحلول، فقد تغاضى عن مشكلة. لم يحدد (نيتشه) في هذا النذر المثير أي مجالٍ من مجالات المعرفة يريد أن يركز عليه مساعيه البطولية. هل هو اللاهوت، أم علم اللغة، أم موضوع آخر؟ يبدو أنه افترض أن الموضوع لا يهم ومهما يكن سيلاحقه بتصميم. ومع ذلك، وفي خضم هذا الطموح، يكمن الاعتراف بأنه لم يحب أي موضوعٍ بشكلٍ كافٍ ليكرس حياته من أجله. لقد أراد انضباط الالتزام، ولكن من دون الالتزام نفسه. وكما سنرى لاحقاً فهذا بالضبط ما سوف يقوم به (نيتشه). سوف يتناول مجالاً معيناً وينغمس فيه بكل طاقةٍ وتصميمٍ مما سيثير إعجاب الآخرين ويسعد نفسه. ولكن الوقت سيأتي عندما يكتشف أنه لم يكن يهتم حقاً بما اختص فيه، وماذا سيفعل عندها؟ سيضطر للإجابة على هذا عندما يحدث الأمر المحتوم. وفي هذه الأثناء كان عرض (نيتشه) قد انتهى، ومما لا شك فيه أنه اندمج في الاحتفال القائم.[2]

(1) سيؤكد (نيتشه) هذا الطموح على الأقل حتى أواخر عام 1868 انظر KGW I - 5: 42

(2) تستند الرواية التالية على ثلاثة وصوف: من قبل (نيتشه) في رسالة KSAB I: 53، من قبل (نيتشه) في دفتر ملاحظاته KGW I - 2: 132 ومن قبل (هيومان Heumann) في كتابه Heumann et al. 1994: 177 - 176 ويوجد في كتاب (هيومان) رسمٌ لخريجي (بفورتا) في عربتهم قد تمت الاستعانة به أيضاً.

بعد إلقاء خطب الصِبية، تمت قراءة قصيدةٍ وداعية، وقام رئيس المدرسة بإلقاء خطاب المدرسة، وبشكلٍ متقطعٍ غنت الجوقة أغاني الوداع. كان معنى التخرج هو أن تغادر، وقد كانت مراسم الاحتفال تشي بذلك. عندما انتهت الخطب المختلفة، انفض الطلاب خارجاً منتظرين صوت أبواق العربات، وخرجت عربةٌ أو أكثر مكللةٌ بالزهور. وعندما كان طلاب المراحل الدنيا يهتفون، كان الخريجون المغادرون يضعون أمتعتهم داخل العربات ويحشرون أنفسهم داخلها أيضاً. وعندها أُطلقت أبواق العربات من جديد، وبدأ السائقون بفرقعة سياطهم، وتقدمت الخيول إلى الأمام، ساحبةً وراءها العربات من دولة المدرسة المسوّرة إلى العالم الكبير.

الفصل التاسع

بناء الروح: الممارسة

الحرية تخدعك كثيراً[1]

1

حتى بلوغه العشرين، تشعبت حياة (نيتشه) عن طريق نوعٍ من انقسام الوعي الذي يمكن تمييزه بصعوبةٍ عن النفاق.

كانت لديه شكوك فيما يتعلق بالمسيحية، لكنه لم يخبر والدته، كان مرتاباً بشأن السلطة ولكنه مع ذلك تابع تنفيذ أوامرها. لقد رعى تحفظاته، ولكنه فعل ما طُلِب منه. وعندما كان طفلاً لم يكن لديه سوى خيار التظاهر، أما التمرد في بعض الأحيان ـ والتشاجر مع والدته، والمشاغبة في المدرسة ـ كل ذلك سبب الألم لكل المعنيين.

ومن الناحية الإيجابية، أتاحت له قدرته على ضبط النفس الحفاظ على الدعم الذي احتاجه كي يتفوق في المدرسة. وطالما كانت تصرفاته توجه من قبل السلطة، كانت حياته مخططةً بدقة، لقد نضج بقدرٍ ضئيلٍ من الإحتكاك الاجتماعي ليتحول من ولدٍ مهذبٍ إلى شابٍ واعدٍ أكاديمياً.

تغير كل هذا مع التخرج من (شولبفورت)، عندما وللمرة الأولى، كان معرضاً لتغيرات الحياة غير الموجهة. وبين ليلةٍ وضحاها اختفت كل الحماية والتوجيه الذي توفر له سابقاً، وأصبح ضعيفاً معرضاً لأحداثٍ كان عليه معالجتها من خلال الحكم عديم الخبرة. وفوق ذلك، فإن عادته في الخضوع إلى سلطة ما تحولت الآن إلى مسؤولية، لأنه تُرك بدون مسؤولٍ يلجأ

(1) KSAB II: 67

إليه، فكان عليه أن يقرر ويمارس ما يرغب به. نظرياً، كان مستقلاً، ويمكن أن يحقق طموحاته، ولكن خارج حدود عالم الورقة والقلم، فهو لم يكن ضليعاً في تحويل القيم إلى وقائع.

كان الانتقال صعباً جداً عليه، لأنه أصبح بعيداً عن والدته والعائلة. وعلى الرغم كما يبدو من اختياره التقدم لجامعة (بون) نظراً لأهمية قسم علم اللغة فيها،[1] فإنه كان يدرك أيضاً أنه قد أصبح على مسافةٍ كبيرةٍ من المنزل.

كانت جامعته تقع على بعد أكثر من 300 كيلومتر عن (نامبورغ)، وللذهاب إليها كان عليه قطع مسافة من منطقةٍ بجانب ما يدعى حالياً (جمهورية التشيك Czech Republic)، إلى منطقةٍ بجانب حدود (بلجيكا Belgium).

مغشوشاً، كما كان في أحلامه أن يستمر بنفس النجاح الذي حققه في (شولبفورت)، ربما لم يخطر بباله أنه بانتقاله لهذه المسافة كان يقطع حبل السلامة عن نفسه. بدلاً من ذلك فقد ألهى نفسه بصحبة صديقه (بول ديوسن) الذي أقام مع أسرة (نيتشه) بعد التخرج حتى يتمكنا من القيام بالرحلة سويةً. وبدلاً من التوجه مباشرة إلى (بون)، فقد عرج الفتية لزيارة بعض أقارب (ديوسن)، أولاً في مدينة (إلبرفيلد Elberfeld وهي الآن جزء من فوبرتال Wuppertal) وبعدها توجها إلى (أوبردريس Oberdreis)، وهي قريةٌ إلى الشرق من (بون)، حيث احتفل (نيتشه) بعيد ميلاده العشرين. ثم استقلا العبّارة نزولاً مع نهر (الراين) إلى وجهتهم النهائية، حيث اضطر هو و(ديوسن) للإقامة في سكن منفصل بسبب غلاء الإيجار. استقر (نيتشه) في شقة علوية في (بونغاس Bonngasse)، وهي جادة تؤدي إلى السوق المركزية في المدينة، ورسائله من منزله الجديد مترعةٌ بالدهشة من شابٍ يختبر العيش لوحده لأول مرة. كتب بسعادةٍ عن شرائه مصباحاً زيتياً، وبدا متحمساً لآلة صنع القهوة التي أرسلتها أمه.[2] كما أنه يقوم الآن بحساب التكاليف، وكل رسالةٍ أرسلها تقريباً لابد أن تتطرق إلى ما أسماه «موضوع المال» وكيف أنه وجد (بون) مكلفةً أكثر مما كان يتوقعها. إن التقرير الأول الذي أرسله من منزله الجديد محشوٌ بالأرقام (كلفة الغسيل، التدفئة، الوجبات)، مكافحاً لإقناع (فرانسيسكا) المقتصدة بأن ترسل مخصصاتٍ ماليةً أكثر.[3] ولخيبة أمله فقد تحول منزله الجديد ليصبح

(1) KGW I - 5: 41

(2) KSAB II: 16

(3) KSAB II: 11 - 13

أكثر غربةً مما كان يتوقع ابن العشرين عاماً. كانت (بون) في تلك الأيام بالكاد مدينة، ولكن عدد سكانها كان أكبر بالثلث من (نامبورغ) وأكثر تنوعاً.[1]

وعلاوة على ذلك، كانت (بون) مقر الأسقفية الكاثوليكية [الأساقفة الذين ينتخبون إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة] ومعظمهم من عائلة (هابسبورغ Hapsburgs)، الذين حكموا ضواحي (كولونيا Cologne)، وكانت تتألف من (مكان الانتخاب Electoral) وقصور (بوبلزدورف Poppelsdorf)، وهي منازل ملكية تشع بالعظمة والبذخ، ولم يكن هذا النوع من البناء مألوفاً في المنطقة التي تركها (نيتشه) وراءه. وقد طرد الأساقفة ـ المنتخبون بعيداً عند قدوم الاحتلال الفرنسي، ولكن تراثهم بقي شاهداً: إذا كانت (بون) بالكاد مدينة، فقد كانت مدينةً تحولت بفخرٍ إلى أخدود، غرفة نومٍ سابقة لمجتمع من الأمراء.

وكانت المدينة أيضاً كاثوليكية بامتياز، حيث كل أربعةٍ من خمسةٍ من السكان يدين بهذه العقيدة،[2] وعندما كان يطل (نيتشه) من نافذته، فإنه كان يرى الكنيسة اليسوعية.[3]

وعلى الرغم من أن المدينة تقع تحت السلطة القضائية لـ(بروسيا) البروتستانتية، فقد تم التعامل مع عقيدتها السائدة بمزيد من الاحترام والحساسية، كمثل برميل بارودٍ لا يريد أحد أن يهزه. وكما كتب (نيتشه) لعمّاته، فإن الجامعة تبنت الأعياد الكاثوليكية، ولكن تم تجاهل عيد الإصلاح (31 أكتوبر).[4] ومن جهةٍ أخرى فقد أدرك الكاثوليك أن أكثر الوظائف الجامعية ذهبت للبروتستانت،[5] وبدأ التوتر بين العقائد بالازدياد.[6] وكما يدرك الجميع، وكما صرّح مؤرخٌ شهير، «إن بون مختلفة عن [جامعة] برلين، فهي كانت مركزاً للـ((ويسنشافت)) البروسي في بؤرة كاثوليكية ذات كثافة سكانية عالية. وكان إنشاؤها عملاً من أعمال الدولة بامتياز، لإضفاء الطابع البروسي على (أرض الراين Rhineland) ولذلك من الأهمية ما لنشر قواتٍ عسكرية».[7]

---

(1) هذه المعلومات عن (بون) مستمدة بشكلٍ أساسي من van Rey 2001 الفصول من 6 وحتى 10

(2) Pernet 1989: 101

(3) KSAB II: 18 قارن Wilamowitz - Moellendorff 1928: 84

(4) KSAB II: 27

(5) Pernet 1989: 90

(6) ثلاثةٌ من أساتذة (نيتشه) - شلوتمان Schlottmann، كرافت Krafft، وفون سيبيل von Sybel - كانوا يميلون لانتقاد الكاثوليكيين. على الأخص (كونستانتين شلوتمان) كان قد تسبب بفضيحة طفيفة عام 1861 عن إذاعة هجومٍ على تلك الطائفة. Pernet 1989: 90 - 92

(7) McClelland 1980: 146

وإذا كانت مدينته الجديدة قد خيبت أمله، فربما وجد (نيتشه) بالمقابل بعض الراحة في وضعه الدراسي. فكما اتفق مع (كليتسشك)، فقد اختار موضوعين لدراسته، اللاهوت (الثيولوجي) وعلم اللغة (الفيلولوجي)، وهي محاولة منه لمجاراة الأمور، لم تسعده لا هو ولا عائلته.[1] كانت كل من والدته وعمته (روزالي) مضطربتين بشكلٍ مفهوم لتقسيم جهوده، وتتعجبان لماذا يريد أن يحمّل نفسه مجالاً دراسياً إضافياً.[2] ويبدو أن (نيتشه) أيضاً كان مغتاظاً، لأن تركيزه على موضوعين جعله يخل بنذره الذي قام به في (بفورتا)، بتركيز موارده على مجالٍ واحدٍ فقط.

خلال الأيام الأولى لهما في الجامعة، قام هو و(ديوسن) بجولاتٍ على مختلف الأقسام، والتقيا أساتذةً مثل (هينريك فون سيبيل Heinrich von Sybel) (المؤرخ والسياسي الشهير) ومؤرخ الفن المعروف (أنطون سبرينجر)، والذي كان (نيتشه) معجباً بمحاضراته لدرجة أزعجت والدته.[3] وبما أن تركيز (نيتشه) الخفي كان على علم اللغة، فربما وضع آمالًا كبيرة في (أوتو جان Otto Jahn) و(فريدريك ريتشل Friedrich Ritschl)، وهما من أكثر الأساتذة تميزاً في الكلاسيكيات في كل الولايات الألمانية. كان كلا الأستاذين عالماً بارعاً في اللاتينية، وقدما فكراً هاماً وليس مجرد إسهاماتٍ آنية في مجالهما.[4] كان (جان) الأكثر هدوءاً وحساسية، وكان أرملاً، وكونه غير متزوج، فقد أعطاه ذلك وقتاً أكبر يقضيه مع طلابه. وهو ناشط سياسي، فقد وظيفته في جامعة (لايبزيغ) في أعقاب 1848، وبقي عاطلاً عن العمل لمدة خمس سنوات حتى تم تعيينه في جامعة (بون).[5]

مثل (نيتشه)، كان مندفعاً إلى الدراسة والموسيقا أيضاً، وقام مؤخراً بنشر حياة (موزارت

---

(1) أدرج (نيتشه) كلا التخصصين بالشكل المناسب. لم تسمح بروتوكولات الجامعة بذلك وتم إدخال علم اللغة فقط في سجلاته. Pernet 1989: 144، n. 149

(2) KGB I - 3: 9

(3) KGB I - 3: 21

(4) كان (ريتشل) مشهوراً بعمله على (بلاوتوس Plautus)، «يان على الساخرين Jahn on the satirists»، «جيوفينال وبيرسيوس Juvenal and Persius» على كلٍ، كلاهما كانا ضخمين. ومن بين إنجازاتٍ ضخمةٍ أخرى كتب (ريتشل) عملاً تخصصياً عن الكتابات المنقوشة اللاتينية. وقام (جان) بعملٍ قوي حول مجموعة متنوعة من المواضيع، بدءاً من الزهريات وصولاً لأهمية الأدلة الأثرية، ولتنوع مدى عمله وكثافته انظر قائمة مراجع كتاباته في Müller 1991: 45 - 87

(5) إن هذه السيرة مستمدة بشكلٍ كبيرٍ من Müller 1990 and 1991

Mozart) المؤثرة، وهو العمل الأول من نوعه الذي وضع الخبرة اللغوية في خدمة فن السيرة، وهو عمل لن نرى مثله حتى قدوم القرن التالي.[1]

وعلى النقيض من (جان) المتحفظ، كان (فريدريك ريتشل) مندفعاً وصاخباً للحياة الإجتماعية.[2] [استخدم الكاتب تعبير حيوان سياسي ويقصد به أن الإنسان مخلوق اجتماعي بالدرجة الأولى يتمتع بقوة الكلام والتفكير الأخلاقي وهي ليست تعبيراً سياسياً بل اجتماعياً]، وهو على وجه الخصوص كان ضليعاً في التلاعب بالهياكل الإدارية وماهراً في تطوير أعمال ذوي النفوذ.

ويبدو أن (ريتشل) كان سخياً جداً مع طلابه، ودعم بشكلٍ كبيرٍ المسيرة المهنية لـ(جاكوب برنيس Jacob Bernays)، وهو أحد أعلام الدراسات الإغريقية، والذي ولكونه يهودياً غير متنصر، لم يكن يسمح له بحمل لقب أستاذ في أي جامعة بروسية.[3] بل إن (جان) نفسه يدين بوظيفته إلى جرأة (ريتشل)، الذي اتخذ قراراً منفرداً بتوظيفه، دون الرجوع حتى إلى رئيسه الذي كان مسافراً في رحلة.[4] وهذا التصرف الأخرق سيكون له نتائج ستستمر لعقود، ويجب ذكرها هنا لأسباب ستتضح لاحقاً. أولاً لقد أهان ذلك رئيسه (فريدريك غوتليب ولكر Friedrich Gottlieb Welcker)[5] وأدى إلى حرجٍ بينه وبين (ريتشل) لم يحل بشكلٍ كاملٍ أبداً. كما أغضب (جان) الذي شعر أنه وُضع في منصب خاطئ، وكان يشعر بالضيق ليظهر لـ(ريتشل) الامتنان الذي ظن الأخير أنه يستحقه. وتعزز الفتور بين الرجلين بسبب شخصيتهما المختلفتين إلى أن أصبح ابتعاداً دائماً.[6] وفي الحقيقة، ظهر عداء (جان) إلى العلن بشكلٍ مؤلمٍ قبل مرور ستة أشهر تقريباً على وصول (نيتشه).

---

(1) Müller 1990: 233 إن الـ(كوشل فيرزنشنيس Köchel - Verzeichnis) مكرسٌ لـ(جان)

(2) واعتباراً من أكتوبر 1872 فإن ستة وثلاثين أستاذاً جامعياً وثمانية وثلاثين موجهاً من (الجمنازيوم) أتوا من جامعة (ريتشيليان Ritschlean) انظر Ribbeck 1969 II: 337 وانظر أيضاً Benne 2005: 48، n. 75

(3) انظر Bollack 1998 وGlucker et al. 1996

(4) Ribbeck 1969 II: 333 - 334، 336

(5) عرف (نيتشه) القليل من أعمال (فيلكر Welcker) وأشار الرجل كثيراً في مقاله في (بفورتا) لـ(ثوغنيس). كان (فيلكر) قد اعتبر وقت وصول (نيتشه) لـ(بون) أنه «مفارقة تاريخية يائسة» Benne 2005: 54

(6) يستند السابق على Vogt 1990، Müller 1990، and Gildersleeve 1884. كما يوضح (ريبيك Ribbeck) بأنه تم وضع (ريتشل) محل الدفاع من قبل أتباع (جان) السياسيين والطلاب. Ribbeck 1969 II: 342، 344 - 346

في 6 مايو 1864 احتفل (ريتشل) بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين له في جامعة (بون)، ولم يحضر (جان) الحفل.[1]

وفي هذا الوقت، وكونهما جاهلين تماماً بالأمور، فقد قدم (ديوسن) و(نيتشه) رسائل تقديمٍ من (شولبفورت) واستُقبلا استقبالاً فاتراً من كلا الرجلين. ولا يذكر (ديوسن) في روايته رسالةً ثالثة من شأنها إثبات التوقعات. في الرسالة الموجهة إلى (كارل شارشميدت Karl Schaarschmidt)، أستاذ الفلسفة، قام المرسل في البداية بالتوصية بـ(ديوسن)، ثم أثنى على (نيتشه) قائلا: «والآخر... مخلوقٌ غامضٌ وعميق التفكير، ومتحمس للفلسفة، ولاسيما الأفلاطونية، والتي كرس نفسه لها لحد الآن... وتحت توجيهكم سوف يبرع في الفلسفة، لأن أعماق ذاته تأخذه إليها».[2] ولم يترك (ديوسن) أي إشارةٍ إلى ردة فعل (شارشميدت)، إلا التنويه أنه الأستاذ الوحيد الذي رحب بهما.[3] واتفق معه (نيتشه) في ذلك، وكتب قائلًا إن الأستاذ «تعامل معنا بقدر كبير من الود»[4] وعزا ذلك إلى رسالة التوصية. كان (شارشميدت) نفسه من طلاب (شولبفورت)، وخلال السنة الآتية حيث كان يستمتع في أعقاب نشر «دراسة مبتكرة» له عن (جون John) من (ساليزبوري Salisbury) [كاتب إنجليزي ولد في ساليزبوري ولقب نفسه بـجون الصغير]،[5] قام بدعوة (نيتشه) مرتين للعشاء على الأقل، ولحضور احتفاليات، والتي من خلالها تمكن الشاب من أخذ دوره، وتمكن في النهاية من تقديمه إلى «الطبقة المخملية في بون».[6]

ويبدو أن البروفسور كان يراقب إمكانات الشاب المدلل، الناجحة حتى الآن، ومنذ ذلك الحين تمكن (نيتشه) في نهاية المطاف من أن يصبح طالباً، وأن يأخذ مقررين في الفلسفة تحت إشرافه. وقد أدرك (شارشميدت) بأنه طالما يدرس (نيتشه) كلاً من علم اللغة واللاهوت، فإن الفلسفة ستكون هي المنافس الصامت.[7] وحسب اختصاصه المزدوج، فقد سجل (نيتشه)

---

(1) Herter 1975: 651

(2) KGB I - 4: 338 كان المرسل هو (كارل ستاينهارت) والنص بخصوص (ديوسن) متاحٌ في Feldhoff 2008: 49

(3) Deussen 1901: 20 مترجم في Gilman 1987: 21

(4) KSAB II: 18

(5) Bezold 1920: 479

(6) KSAB II: 46

(7) وللمزيد عن (شارشميدت) انظر Emden 2008: 22 - 23

في مادتين عن علم اللغة (واحدة كانت حلقة دراسية عن أفلاطون) وبالإضافة لهما، سجل أيضاً في مادتين عن اللاهوت. وأخذ أيضاً مادتين في تاريخ الفن للأستاذ (سبرينغر)، ومادةً في العلوم السياسية للأستاذ (فون سيبيل). إن منهاجاً بسبع موادٍ كان غير عملي، خصوصاً بوجود اهتماماتٍ لا منهاجية سيكون مشغولاً بها، ويبدو أن الحمل كان أكبر مما يستطيع. وسريعاً أصبح واضحاً أن الأمور لا تجري بشكلٍ جيدٍ بالنسبة لطموح (نيتشه) وموهبته. وبعيداً عن صعوباته الدراسية ـ فشله في إثارة إعجاب أي أستاذ عدا (شارشميدت)، عجزه عن اختيار اختصاص أساسي ـ فقد كان يختبر روح النجاح أو الفشل التي كانت جزءاً من نظام جامعات موطنه. كان الدخول إلى مؤسسات التعليم العالي في (بروسيا) مختلفاً عن مؤسسات نظيرة، مثلاً جامعات (الولايات المتحدة). ففي هذا البلد الأخير، يبدو عام الكلية الأول كامتدادٍ طبيعيٍ للدراسة الثانوية: يعطى الطلاب الجدد امتحاناتٍ دورية، يتلقون علامات، ويدرسون المناهج التي تفرضها سياسة الإدارة.[1]

أما في (بروسيا)، تمت إزالة هذه الهياكل الخارجية عمداً، فيمكن للطلاب دراسة ما يريدونه، ونادراً ما تتم مراقبة دوام الطلبة للتأكد من حضورهم للمحاضرات، ولم يكونوا يتلقون اختباراتٍ أو علامات. وبدلاً من ذلك من المفترض أنهم تلقوا «تعلم كيف تتعلم» في (الجيمنازيوم) وكان يتوقع منهم أن يستخدموا حريتهم الجديدة ليطوروا بوصلتهم الذاتية وليضعوا لأنفسهم المناهج التي يرغبونها بمزيجٍ من الانضباط الذاتي والإصرار من أجل المعرفة. لا يتلقى الطلاب المعرفة في الجامعة البروسية بل يصنعونها بأنفسهم، وكان يحرص النظام التعليمي على ذلك بوضع الطلاب في نظام انضباطٍ ذاتي. وكما أشار أحد المؤرخين: «بعد أن يتم قبول [الطالب] في الجامعة، وعندما يمد يده إلى مشرفه ويعطي قسم الولاء للجامعة وقوانينها. لا توجد أي سلطة تستعلم عنه لعدة سنوات بعدها، بل يترك الطالب ليستخدم أدواته الخاصة».[2]

وبينما ينمي مثل هذا النهج الاستقلالية في الطالب، قد يسبب الإحباط وعدم القدرة على الاختيار لدى الطلاب الجدد، بالأخص عند الذين لديهم القليل من المهارات العملية من قبل لممارسة مثل هذه الاستقلالية. وكما لاحظ أحد الأكاديميين الأمريكيين: «التباين بين الحرية الضيقة في (الجمنازيوم) والواسعة في الجامعة حادٌ جداً، والعديد من الطلبة يفقدون اتزانهم

(1) لمقارنة الكلية الأمريكية بـ(الجمنازيوم) الألماني انظر Butler 1895: xiv - xvi

(2) Paulsen 1895: 77 ولمزيدٍ عن الاختلافات بين (الجمنازيوم) والجامعة انظر الفصل 5 القسم 2

بالكامل، أو يضيعون الكثير من وقتهم وجهدهم الثمينين، في محاولةٍ للتأقلم مع محيطٍ جديدٍ بالكامل».[1] وفجأة بدأ (نيتشه) يدرك أن (شولبفورت) قد جعلته بشكلٍ ما غير معدٍّ لمرحلة النضوج. وكما يقول «كم تم تعليم الطالب بشكلٍ جيد، وكم تمت تنشئته بشكل سيئ، سيكتشف طالب تلك المدرسة المَلكية ذلك عندما يذهب إلى الجامعة. لقد كان لديه العديد من الأفكار الجيدة ولكنه يفتقد الآن إلى المهارة ليعبر عن هذه الأفكار. لم يختبر حتى الآن تأثير النساء في حياته، يتخيل أنه يعرف الحياة من الكتب والتقاليد، ولكن يبدو كلٌّ شيءٍ بالنسبة له غريباً وبغيضاً».[2] لقد كان دائم القلق من المؤسسات، ولهذا يجب ألا يبدو هذا مفاجئاً له، ولكن أن يلقى هذا العبء فجأة على عاتقه ـ وأن يكتشف نقص خبرته ـ فلا بد أن هذا قد جعله قلقاً. وسوف يتذكر سنوات ارتباكه لاحقاً بعد عدة سنوات، حيث، في مجموعة محاضراته «حول مستقبل مؤسساتنا التعليمية» صبّ غضبه ونفّس عن إحباطه الذي يرجع إلى ذلك الوقت.[3]

2

وجد (نيتشه) و(ديوسن) نفسيهما بلا جذورٍ وجاهلين في مدينة جديدة، فبحثا عن أصدقاء الدراسة السابقين، ووجدا بضعة منهم قد انضموا إلى أخوية (فرانكونيا Franconia). وفي يوم الأحد 23 أكتوبر،[4] بعد وصولهم، تمت دعوة الشابين إلى حانة، وتم إعلان انضمامهما من قبل (جورج ستوكيرت)، زميلهم السابق في (بفورتا). قدمت المشروبات بكل تأكيد، وكان جو البار يشجع على الحميمية والتفاعل الجماعي. في نهاية اليوم، وقع (نيتشه) و(ديوسن) مع ستةٍ آخرين تعهد الانضمام، حيث تم إسماع المنضمين الجدد بالتأكيد ما يحبون سماعه، من أن الأخوية تتعهد لهم بالتواصل والتشارك والتنوير فيما يجري على الساحة المحلية. وبالنظر لجو البار، لم يكن بحاجةٍ إلى وصف الجوانب الأخرى عن الأخوية، لقد كانوا فطنين ومعاقريين للشراب، والمبارزة، وكل أنواع الاحتفاليات. اجتمع شباب الأخوية كل ليلة مع غلايينهم للتنافس في مسابقات الشرب والخطابة والغناء.

وهذا ليس ادعاءً بأن كل الأخويات متماثلة. فقد انضم (نيتشه) إلى ما يعرف بـ(بورشنشافت

---

(1) Butler 1895: xix

(2) KGW 1 - 5: 47، 54 يؤكد (ويلامويتز) هذا Wilamowitz - Moellendorff 1928: 73

(3) KSA I: 737 - 747

(4) Per Wilhelm Metterhausen انظر KGB I - 4: 333

Burschenschaft) وهي نقيض لـ(كوربس Corps).[1] حيث ركّزت الأخيرة على المبارزة وشجعت على التقاليد العسكرية والنبالة. بينما على النقيض من ذلك فإن ((بورشنشافت)) انبثقت من الطبقة الوسطى وبدأت بالظهور عام 1815 كحركة ليبرالية، وطنية اجتماعية تطالب بتقييد الحكومة الاستبدادية. وفي الحقيقة هي أصلاً لا تحبذ ممارسات مثل المبارزة، والقمار وبالتالي الغرق في الديون، وهي تدعو علناً إلى سياسة الاحتشام، في محاولة منها للظهور أكثر نضجاً ومسؤوليةً من طلبة الأجيال السابقة.[2] وإذا كان المنتمون لها سعوا لتحرير أنفسهم من السلوك المخزي للأجيال السابقة، فهم أيضاً التزموا بالإصلاح السياسي. وفي عام 1817 نظموا احتفالية أحرقوا خلالها مقالاتٍ وأعمالاً أدبية تدافع عن الملكية.

وفي عام 1819 قام أحد أعضائها باغتيال (أوغست فون كوتزيبو August von Kotzebue) ـ أحد أقرباء الزوج الأول لإردموث نيتشه ـ،[3] وهو حدثٌ سبب حزناً بما أنه أدى إلى إصدار مراسيم (كارلسباد Carlsbad) سيئة السمعة، حيث خضعت الولايات الألمانية خلالها لقوانين جائرة. وتم حظر ((بورشنشافت)) لفترة بعدها.[4] ولكنهم حافظوا على وجودهم الخفي كحركةٍ سرية، وتم السماح لهم في النهاية بالظهور والعمل العلني بشرط أن لا يشكلوا خطراً كبيراً.[5] وفي السنة التي التحق فيها (نيتشه)، كانت المؤسسة قد تحولت لتصبح مجرد منظمةٍ طلابيةٍ أخرى مبهجة، وعلى الرغم أنها كانت ملتزمة نظرياً ومخلصة لمبادئها السياسية الليبرالية، لكنها في الغالب أصبحت مجرد غطاءٍ وطنيٍ للمهاترات.[6]

---

(1) المعالجة التالية مأخوذة أساساً من Weber 1986 ولكن أيضاً من 1969،;Jarausch 1984، Elias 1996 Gladen 1986; Howitt
Paulsen 1895: 190 - 193 و70 - Hart 1874: 69، وهناك أشكال أخرى من الأخويات إلى جانب الـ((بورشنشافتين Burschenschaften)) والـ((كوربس Corps)) ولكنها ليست ذات صلةٍ هنا.

(2) Jarausch 1974: 538

(3) انظر الفصل 1 ص 32 الحاشية (3).

(4) القمع الأولي للـ((بورشنشافتن)) في 1818 تم تعزيزه في بدايات ثلاثينيات القرن التاسع عشر بسبب تمرد في (فرانكفورت). Jarausch 1974: 541 - 542 (جيرسدورف) وأيضاً Jarausch 1974: 543

(5) لشرحٍ عن كيفية بقاء الـ((بورشنشافتين)) والـ(فرانكونيا) في الخفاء ومن ثم ظهورها إلى العلن في بدايات أربعينيات القرن التاسع عشر انظر Bezold 1920: 413 - 416

(6) إن أدبيات ((بورشنشافتين)) في ستينيات القرن التاسع عشر متاحةٌ بشكلٍ أقل، ربما لأنها قد توقفت عن كونها ذات أهمية سياسية. ويستند الوصف الوارد في النص إلى بيانات عن (نيتشه) و(ديوسن) و(جيرسدورف) وأيضاً Jarausch 1974: 534

وفيما يبدو أن التعهد بالولاء هو خيارٌ غريبٌ لشابٍ يميل إلى كره المجموعات، ولم يتعود على الكحول، وتذوقه لـ(شومان) جعل من غير المحتمل أن يحب مهرجاناتٍ فيها سكارى يغنون. وفي رسالةٍ يشرح فيها لوالدته، يقول بأن العديد من الأعضاء كانوا من (شولبفورت) وأصحاب اتجاه علمي.[1] ويبدو أنه كان يعتقد أنه هو ونظراؤه من الشباب الطموح كان يمكن أن يحولوا الأخوية إلى نسخةٍ أكثر عمقاً من (جرمانيا)، وهي المجتمع الثقافي الذي أنشأه سابقاً هو والقريبين (بايندر ـ كروغ).

طوال فترة شبابه وهو يسعى لإيجاد مجموعاتٍ دراسيةٍ من الطلاب الذكور، وخلال العام القادم سيبذل جهده لتحويل (فرانكونيا) إلى مؤسسة كهذه.[2] ومهما كانت دوافعه، فهي كانت قويةً بما فيه الكفاية لجعله يبذل جهوداً كبيرة للارتقاء إلى معايير (فرانكونيا). فقد بقي لوقتٍ متأخرٍ يشرب، دافعاً ثمن ذلك صداعاً في رأسه، ذهب في جولات سياحية شعبية في أرجاء الريف، وكتب مسرحيةً هزليةً بعنوان «الفرانكونيون في الجنة». وأخيراً سيعطي محاضرةً عن الشعراء السياسيين الألمان للأعضاء، خالقاً بذلك ارتباطاً بين ما يهمه شخصياً (الشعر) وبين ما يهم أعضاء ((بورشنشافت)) وهو (السياسة).

بما أن (نيتشه) قضى ما يقرب من العام مع هذه المنظمة، فقد يكون من المفيد أن نشرح بأن منتسبيها كانوا يشربون ويتبارزون «حسب الدستور» أي طبقاً لتقاليد وبروتوكولات معقدة. كمثال، كمية الجعة التي يجب على الطالب أن يستهلكها، ليست اختياراً شخصياً. فعندما يتجمع الأعضاء في الحانة، يقوم القائد (وأحياناً بعض المفوضين من قبل القائد) بأمر كامل المجموعة بإفراغ كؤوسهم، وهذا يضمن أن حالة السكر بسبب الجعة ليست شائعة فقط بل عامة تشمل الجميع.[3] والمبارزات لم تكن معارك خطيرة كالتي تم تصويرها في الأفلام لاحقاً، وعلى الرغم من هذا فإن الحوادث تقع. المبارزات القاتلة، بمعنى التي تهدد الحياة والتي قد تتسبب بها إهانةٌ بالغة كانت غير مألوفة، وغير قانونية، وتجري أمام حشد مخصوص، وتغطى بالسرية. وعلى العكس من ذلك كان أعضاء الأخوية ينخرطون فيما يدعونه (مينسيور Mensurs)، وهو نظام مبارزة رسمي جداً محكوم بالقواعد الصارمة. كانت سيوف

(1) KSAB II: 14

(2) يذكر (نيتشه) في الرسائل الجهود التي بذلها ورفقاؤه لإنشاء (فرانكونيا). أنظر على سبيل المثال KSAB II: 71 قارن Ross 1980: 103

(3) Hart 1874: 139 - 141

المبارزة غير حادة النهاية، والمبارزون يحمون أنفسهم بوسادة صدر، ولفافة على الذراع، ووشاحٌ سميكٌ يحمي الرقبة، ونظارات بدون عدسات للحماية، وكل هذا يجعلهم يبدون كما قال أحدهم «مثل زوج من الغواصين في دروعهم».[1] وكان هذا النوع من المبارزات غير قانوني أيضاً، ولكن نظرياً فقط. ولذلك طالما أن المشاركين لم يتبجحوا بمبارزاتهم، فإن الجامعة تميل إلى التجاوز عنهم. ومهما يكن الأمر فإنه كان مخيفاً وينظر له على أنه نوع من الاختبار، ليس فقط للمهارة ولكن للشخصية أيضاً. وقد انخرط (نيتشه) نفسه في واحدة من هذه المبارزات، ومما لا شك فيه أنه عمل شجاع نظراً إلى عدم كفاءته البدنية وضعف نظره. ووفقاً لـ(ديوسن) فقد هُزم بطريقةٍ مشرفة، متلقياً ندبة دائمة على أنفه.[2]

وتحت ضغط والديه، قام (ديوسن) بإلغاء عضويته. وكما يذكر لاحقاً «لم نعد أنا و(نيتشه) نستمتع في [الأخوية]... لقد أصبحت دورات الشراب الإلزامية مثيرة للاشمئزاز... وتقريباً في كل أمسيات أيام الأحد كان يجب علينا ترك محاضراتنا مهما كانت هامة، لمشاهدة (الفرانكونيين) و(الألمانيين Alemanians) [أسماء أخويات متنافسة] يشطبون وجوههم في مخزنٍ ما في مكان خارج المدينة، ولم نكن نستمتع بهذا أيضاً».[3] وفي حين أن هذا التوصيف لا يعبر فقط عن وجهة نظر (ديوسن) بل وعن وجهة نظر (نيتشه) فيما بعد، فهو لا يتفق مع سلوك الأخير في الوقت الراهن. بقي (نيتشه) في الأخوية من أكتوبر 1864 حتى أكتوبر 1865 وأثنى عليها مراراً في رسائله.

كتب لأمه المتشككة «الحياة في المنظمة منضبطة تماماً وناشطة. إن السلوك البرلماني مطبقٌ بصرامة».[4] وكتب لأخته الصغرى معظّماً الروحانية في الاحتفالية الجماعية: «كان الاحتفال يوم أمس مبهجاً ورافعاً للمعنويات... في أمسياتٍ من الشراب كهذه يسود شعور بالسمو الروحي بشكل عام. وهو ليس مجرد مشاركة طاولة الشراب».[5] وفخوراً بعضويته (وربما كان ملزماً حسب القواعد)، فقد أضاف شعار الأخوية مع زخرفة إلى توقيعه في

---

(1) Hart 1874: 74

(2) Deussen 1901: 22 - 23 الترجمة في Gilman 1987: 22 - 23

(3) Deussen 1901: 21 - 22 الترجمة في Gilman 1987: 22 وإن إدعاء (ديوسن) أن المبارزات حلت محل المحاضرات ليالي أيام الآحاد غير صحيح. لقد أقيمت محاضرات (كرافت) في ذلك المساء ولا تزال ملاحظات (نيتشه) حولها موجودة. Pernet 1989: 147، n. 32

(4) KSAB II: 21

(5) KSAB II: 23

رسائله، وهو رمزها متبوعاً بعلامة تعجب. وعندما بقي له شهران ليغادر (بون) اضطر إلى الاستقالة لتوفير المال، وقد تضرع لوالدته لتعفيه من هذه الخطوة: «أرجوكِ بأقصى ما أستطيع، أن توفري لي ما يكفي من المال حتى أستطيع البقاء في الأخوية إن أمكن».[1] والأكثر لفتاً للنظر، على الرغم من أنه يقع خارج النطاق الزمني لهذا الكتاب، أن (نيتشه) أشاد بالـ((بورشنشافت)) علناً باعتبارها المنظمة الأكثر نفعاً والأكثر بطوليةً في نظام الجامعات الحالي.[2] ومع كل ذلك فإن (نيتشه) و(فرانكونيا) لا يمكن أن يمتزجا بسهولة. لقد اعترف لأمه أن شباب الأخوية وجدوه «غريباً» ((a Kauz)) و«معذباً» ((Quälgeist)).[3] وقد أطلقوا عليه أيضاً لقب «الديك الأحمر»، وهو لقب لا يشي بالاحترام كما يوحي، ولكنه كان يتحول إلى اللون الأحمر عند الغناء. (وجهه يميل إلى الاحمرار عند القيام بممارسة الأعمال).[4] وفي صورةٍ أخذت في ذاك الوقت، تجمع شباب الأخوة حول برميل الشراب، وكان الجميع ينظرون بشغفٍ نحو الكاميرا، كان (نيتشه) يبدو غريباً عن الجميع، فقد أدار رأسه ووضع أصابعه على صدغه بطريقة مسرحية كأنه يعاني من صداع. لا يمكن التعايش مع هذا الإزدراء الضمني، ويبدو في الصورة أن الأولاد الأخرين يميلون إلى تجاهله، لا يظهرون أدنى أهمية أن أحدهم في الوسط يبدو متفاخراً بشكلٍ كبير، وغير مشاركٍ للمرح.

3

لم يكن الشرب مع (فرانكونيا) هو الإلهاء الوحيد لـ(نيتشه) عن الدراسة. إنه العيش للمرة الأولى في منطقةٍ حيث تتاح الفرص للتمتع بمناسبات ثقافية ـ تقع (كولونيا Cologne) على بعد نحو 25 كم ـ لقد ذهب مراتٍ عديدة إلى المسرح وقاعة الموسيقا. (يشير دفتر ملاحظاته بأنه حضر ما يقارب ثلاثين عرضاً في أشهر السنة الأولى وحدها).[5] كما أنه سجل مع جوقة المدينة ـ غنى نيتشه الصوت الجهور ـ [6] حيث أدى معهم لـ(هاندل) «يهوذا المكابي Judas

(1) KSAB II: 59 كتبت هذه الرسالة في 29 مايو من عام 1865 بعد مغادرة (نيتشه) لـ(بون) بشهرين فقط وبالتالي فإن اهتمامه بالأخوية دام للنهاية

(2) KSA I: 748 ff

(3) KSAB II: 43

(4) Deussen 1901: 10 قارن مع Förster - Nietzsche 1912: 82

(5) KGW I - 4: 16 - 17

(6) Ross 1980: 97

Maccabaeus» و«إسرائيل في مصر Israel in Egypt»، كما أدى لـ(موزارت) «قداس الموتى Requiem».[1] وربما أُلهم بسبب الموسيقا المحيطة به، عاد (نيتشه) للتأليف وأنتج اثنتي عشرة أغنية،[2] ويبدو أنه كان واثقاً من نفسه لدرجة أنه عرضها على قائد الجوقة ليعطي ملاحظاته عليها. يبدو أن الأخير رأى أن (نيتشه) بحاجة إلى دروس في التناغم الموسيقي، ويبدو أنها نصيحةٌ غير مرحبٍ بها من قبل الشاب الذي كان دائماً لا يملك الصبر للتعليم الموسيقي ولا يستطيع بالتأكيد تحمل كلفة أستاذٍ في الوقت الراهن.[3] المثير للاهتمام في الموضوع، أنه عالقٌ بين علم اللغة واللاهوت، وهما اختصاصان يبدو أنه ليس متحمساً لأي منهما، ووصل الآن إلى الموسيقا، وهو يتخيل أن بإمكانه أن يجرب للمرة الأخيرة أن يجعلها مهنته. ويبدو أن والدته أدركت هذا، لأنها في واحدة من رسائلها، تخالف عادتها في الكتابة، وتكتب كيف أن والد (غوستاف)، كان بمثل وضعه أيضاً، وأنه برغم كل حبه للموسيقا فهو لم يجعل الفن اختصاصه، ولكنه سعى لاختصاصٍ يدر مالاً.[4] لا يبدو أن (نيتشه) قام بالرد على هذه المناورة، ولكنه بعد رأي رئيس الجوقة بقليل، قام بإرجاع البيانو المستأجر، على ما يبدو لتوفير النقود، وفي العام التالي كتب مقطوعات متفرقة بعضها لم يكمله. وفي إدخالٍ في يومياته أشار إلى أنه ترك الشعر أيضاً: «لا توجد لدي رغبة في التأليف، قصائد مروعة. النهاية».[5]

يبدو أنه الآن يقوم بالتضحية التي لم يتمكن من القيام بها في (شولبفورت). لقد ودع أي أحلامٍ في اتخاذ الفن مهنة. ومع أنه أحياناً يكتب قصيدةً أو يلحن أغنية، لكنه التزم بهذا القرار لأكثر من عقد.

وفي هذا الوقت حيث كان يتخصص بعلم اللاهوت، وهو يعي أنه يواجه إشكالياتٍ معينةً مع بعض المعتقدات المسيحية، ربما كان لازال يستشعر بعض الميل للإيمان الذي تربى عليه خلال فترة طفولته والذي تعتمد والدته أن يتمسك به (وضمناً والده المتوفى). وبما أن البروتستانتية محاربةٌ في (بون)، يبدو أنه أحس بالولاء لها وشعر بالحاجة إلى أن يكون مدافعاً عنها. فقد انضم إلى الجناح الطلابي لجمعية (غوستاف أدولف) التبشيرية المحلية حتى أنه

(1) Pernet 1989: 102

(2) KGW I - 4: 89 - 90

(3) KSAB II: 40 قارن Ross 1980: 97 - 98

(4) KGB I - 3: 21

(5) KGW I - 4: 63

أصبح أمين سرها. وسيعطي هذه المجموعة درساً في طريق الصواب الفعلي، وسيبقى عضواً فيها حتى أخر أيامه في (بون)، ربما لأنه لم يستطع أن يستقيل كأمين سر حتى انتهاء ولايته، ولكن مثل هذا الولاء لم يمتد إلى دروس اللاهوت، فقد كتب أنه يشعر بخيبة الأمل في الأول [الولاء الديني]،[1] وأنه تخلى عن حضور الثاني [دروس اللاهوت]، لأن حصصه، على ما يبدو، تقاطعت مع حصص محاضرات تاريخ الفن التي يعطيها (سبرينجر).[2]

عالقٌ أكاديمياً بين علم اللغة واللاهوت، ومسحورٌ بالتعاقب بـين (فرانكونيا) والموسيقا والفلسفة (ناهيك عن تاريخ الفن والمسرح). بعد كل هذا فلابد أن يكون (نيتشه) قد تحطم في الفصل الأول. وهنا برز عدوه القديم من الماضي ـ الإغراء بأن يبدد طاقته في اتجاهات متعددة ـ ظهر في الوقت الذي ظن فيه أنه قهره، وبحلول ديسمبر بدأ التوتر بالظهور. سيكون هذا عيد الميلاد الأول بدون والدته وأخته، وبما أن عائلة (بول) بالكامل مستضافةٌ في بيت (ديوسن)، فلن يكون هناك مجال لـ(نيتشه). ازداد عدد الرسائل الموجهة لمنزله خلال شهر ديسمبر (سبعٌ، مقابل واحدةٍ فقط في نوفمبر) وأصبحت أكثر حزناً واشتياقاً. وكهدية لـ(إليزابيث)، أرسل الأغاني التي كان قد كتبها، ومن المؤكد أنه توقع هدايا بالمقابل (بالتحديد طبعة من «إيسكيلوس Aeschylus» أو معزوفة البيانو لـ شومان «مانفريد أوفيرتيور Manfred Overture»).[3] ولم تصل هذه الهدايا حتى يوم 25 من الشهر [يوم عيد الميلاد]. (نيتشه) الذي اختبر ليلة ميلادٍ حزينة، أحس بالراحة والفرح.

وجد طعاماً من صنع المنزل داخل العلب، هدايا ملونة بألوان الأخوية، وفوق كل هذا معزوفة البيانو «Manfred Overture» مهداة من عمته (روزالي). وبعد ظهر ذلك اليوم زاره أخ من الأخوية وقام الاثنان بعزف المقطوعة (مؤلفةٌ ليتم عزفها بأربع أيادي).[4]

وإذا كان يوم الميلاد فرحة عارمة، فإن الأسبوع الذي تلاه حمل ألم الأسنان «الشيطاني»، وهو أول مرضٍ يصيب «نيتشه» في (بون)، وهي علامةٌ سيئةٌ بالنسبة لشخصٍ معرضٍ للمرض كما هو (نيتشه). قام بإرسال بعض الخطابات حادة اللهجة إلى عائلته، وكتب أن الألم منعه من أن يؤلف قصيدته المعتادة التي يهديها لعائلته في بداية كل عامٍ جديد.

(1) KGB I - 4: 15

(2) Pernet 1989: 86

(3) KSAB II: 21

(4) KSAB II: 31 - 32

مع ذلك لم تمض العطلة ببساطة. في نفس الرسالة يكتب «أحب أمسيات بداية العام الجديد وأعياد الميلاد، لأنها تعطينا ساعاتٍ... عندما تقف الروح وتستطيع تفحص مرحلةٍ من تطورها الخاص... في ساعات كهذه». وبعدها أضاف بشكل سوداوي «تولد قراراتٌ حاسمة».[1]

كان يعلم أنه يجب أن يستأنف طريقه الخاص،[2] وفي قطعة بعنوان «حلم ليلة بداية العام الجديد»،[3] ترك شعوره اللاواعي يغوص في هذه الرؤية ويجد رداً. في هذا الخيال المعقد تكون هناك شخصية تمثل العام المحتضر محاصراً بالأشباح تنظر لذلك العام على أنه مخيبٌ للآمال. وفجأةً يثور صوت كائن روحي ليوبخ الحاضرين الذين يشتكون ـ «ماذا فعلتم؟» ـ ثم يعلن أنه إذا أرادت الأشباح أن تحصل على ما تريد، يجب أولاً أن تفعل ما تطلبه الآلهة. في هذه اللحظة يعلو صراخٌ من الشارع «عامٌ جديدٌ سعيد»، وتتلاشى الرؤية تاركة (نيتشه) يتفكر في معناها.

لا يعلق (نيتشه) بشيءٍ على هذه الرواية وهي أكثر تعقيداً بكثيرٍ مما عرضت هنا. من الصعب عدم ملاحظة الشخصيات المحتضرة، ليس فقط العام القديم، ولكن (نيتشه) نفسه، مضطجعاً مثبط العزيمة على سريره. إنه هو الذي خابت آماله، والأشباح هي آراؤه السطحية التي تتصادم وتتباعد لتجد نفسها تتبعثر فقط بتأثير من الوحي الخفي العظيم في النهاية. ومن أين تأتي هذه الحكمة التحررية؟

إن القرّاء الذين يعرفون (بايرون) سيعرفون أن أصوات الأشباح وتصريحات المتنبئين في الحلم هي تذكرةٌ بـ«مانفريد»، وهي المسرحية التي أثرت في (نيتشه) بقوة خلال مراهقته، والتي كانت، إن جاز القول، قد زارته، مذكرةً إياه بالمُثل المنسية والوعود التي لم يف بها. كان أمضى الأسبوع يعزف أداء (شومان) الموسيقي، ويبدو أن حلمه يعيد صياغة وضعه بطريقةٍ بايرونية. يسأل نفسه في الواقع «ماذا يمكن أن يفعل مانفريد؟» وإذا كان الأمر كذلك، فإن (نيتشه) الذي أعجب باستقلالية بطله الشرسة، عرف الجواب الصحيح. يجب عليه أن يعمل لخلاصه.

(1) KSAB II: 34

(2) KSAB II: 34

(3) KGW I - 4: 7 - 8 تمت إضافة التأكيد

4

يمكن أن يكون (نيتشه) قد شخّص ـ وربما قام بذلك فعلاً ـ لنفسه أسباب حيرته. كما كان قد أدرك في (شولبفورت)، بأن العقيدة المسيحية كانت مجدولة بمهارة ليس فقط في رؤيته للعالم حوله، ولكن في مشاعره ومثله العليا التي كانت بمثابة المرشد له. هذا المورد من عصر الطفولة تلاشى، ولم يجد حتى الآن نظرةً شاملةً تحل محله. يكمن البديل الواضح في نفس المُثل التي قادته لرفض الدين في المقام الأول، وقد يساعد تحديد ماذا كانت تلك المثل. لم يكن نيتشه حتى ذلك الوقت يجادل في صحة المسيحية، لأنه كان يملك، إذا جاز لنا القول، بعض الحواجز الصارمة التي تمنعه من مثل هذا العمل. اعتراضه كان دائماً يتوجه إلى الثقافة وطريقتها في شرح الأمور وفرضها، في حال رُبي بطريقةٍ مختلفة، سيكون إيمانه مختلفاً. في خلاصة الكلام، كانت تلك هي الرؤية التي ركز عليها في «المصير والتاريخ» وسيبني عليها مرة أخرى في رسالةٍ سيكتبها قريباً لأخته. في كلا الوثيقتين، قدّم عاملاً آخر، مبنياً على الشخصية. فبمعرفة أن مواقف المرء تجاه المسيحية هي انعكاس لتربيته، يمكن للمرء أن يقبلها على أي حال، بما أنه لا توجد أي أسباب إيجابية للنظر إليها على أنها باطلة. أو يمكن للمرء أن يرفضها، بما أنه لا توجد أي أسباب إيجابية للنظر إليها بأنها صحيحة. إن الخيار الذي قام به المرء ـ في حال كان قابلاً الدفاع عنه نظرياً بمجرد تم الاعتراف بأثر المحيط ـ يمكن أن يكون متقلباً منطقياً ولكنه لم يعطك المبرر لتتخطى الإيمان. بدلاً من ذلك فإن خيار المرء سيعكس الخصائص الذاتية له ولمزاجه. ولم يكن المؤمنون والمتشككون يملكون أفضليةً ترجح قراراتهم، على الرغم من أن المسيحيين قد يكون لديهم بعض المزاعم بعيدة الاحتمال. إن الإعتقاد الديني لا يمكن أن يكون محل جدل. وقام الإنسان بخياراتٍ بناءً على نوع الشخص الذي كانه.

قد يعتقد المرء أن اتباع مثل هذا النهج سيجعل (نيتشه) يحترم أولئك الذين يخالفونه في الرأي. ولكن يبدو أن العكس هو الصواب في هذه الحالة. وعلى الرغم أنه لا يجادل في هذا الأمر خلال شبابه، إلا أنه كان داعيةً متحمساً واعتقد بشكلٍ واضحٍ أن الذين لا يشاركونه قراره كانوا أدنى منه بالصفات، وبشكلٍ ما يفتقرون إلى ميزاتٍ كان سعيداً بأنه يمتلكها.[1] ومع ذلك فإن التشديد على الفردية يظهر المسار الذي يجب على (نيتشه) أن يأخذه. إذا كانت خصائص

(1) يجب مقارنة رفضه القاسي إلى حدٍ ما في (لايبزيغ) لهؤلاء الذين لا يشاركونه تقديره لـ(شوبنهاور).

المرء أساسية إلى حد أنها توجه المبادئ الميتافيزيقية والأخلاقية التي عاش بها، وإذا كانت في نفس الوقت تعبر عن نفسها غالباً كانعكاس لـ وإلى ذلك الحد مقوضةٌ بـموروثٍ ثقافيٍ من الماضي، إذاً تكون الطريق إلى الأمام من خلال اكتشاف الذات والتشريع الذاتي، ومحاولة فك ارتباط الذات عن المواقف التي لا تنتمي لها. لم يكن يكفي أن يعتنق ما هو له فقط، بل يجب عليه أيضاً أن يتبرأ من تلك الجوانب الثقافية الموروثة التي تساوم على قيمه ولهذا فهي تعيق تطوره. ولا يمكن للمرء أن يجد مثالاً أوضح على هذا الاستعصاء أكثر من وضعه الحالي، حيث التزم مجالاً بعيداً عن معتقداته الحيوية، ولسببٍ آخر بسيط غير عائلته وتنشئته جعل الأمر يبدو وكأنه من غير المناسب أن يختار أي طريقٍ آخر.

طبعاً لم تكن أسرة (نيتشه) وحدها التي كانت تدفعه باتجاه الكهانة. شدد (نيتشه) نفسه على أن الذات استخفت من تعقيد الروح الإنسانية وبالأخص روحه هو. وكان قد أكد في بداية «المصير والتاريخ» أن قيم الشخص وطرق تفكيره مرتبطةٌ ارتباطاً بارعاً بالنشأة، والانفصال عنها سيكون صعباً أو محرماً. بدا أنه كان يعاني هذا الضغط خلال إقامته في (بون). لقد كان سهلاً عليه أن يرتد عن عقيدته، وسوف يصف في كتبه اللاحقة الظلال العميقة للعقيدة، كيف تتعمق وتطبع نفسها في نفوس هؤلاء الذي تربوا تحت سلطتها، وكيف من الصعوبة بمكان أن توقظ المرء منها ومن سحرها.[1] كان (نيتشه) ورعاً جداً كطفل، وفي حالة الارتباك التي أحس بها في مرحلة بعد المراهقة، لا بد أنه غالباً ما شعر بقبضة الإيمان الراسخ الذي ظنه اختفى.

الآن وبفضل (إمرسون) ومثاليات الـ((بيلدانغ)) فقد وجد في ميتافيزيقية الذات الإيمان بوجود الشخصية المستقلة والمرشدة والتي يجب أن تُترجم ويعبَّر عنها وإلا سوف تموت. وإذا وقف الدين كعقبة، يجب إذاً أن يزاح.

ويبدو أن أزمة العام الجديد حثته على المباشرة في العمل. في 10 يناير كتب إلى عمته (روزالي) أنه بالرغم من أنه كان ينام حتى الساعة الثامنة صباحاً كل يوم خلال فصله الأول في (بون)، فإنه الآن ينهض في السادسة صباحاً.[2] والسادسة صباحاً هي موعد الاستيقاظ التقليدي في (شولبفورت) خلال فصل الشتاء، وربما كان (نيتشه) يحاول أن يعيد خلق الانضباط والهيكلية التي فرضتها المدرسة بالقوة. وبعدها بفترة وجيزة عندما قرر (نيتشه) إرجاع البيانو

(1) قارن على سبيل المثال شكواه بأن (شتراوس) قد خلص نفسه من الإيمان المسيحي ولكن ليس الأخلاق المسيحية (UOI)، أو قوله المأثور حول ظلال بوذا (GS: 108)

(2) KSAB II: 36

المستأجر والإمتناع عن كل ما يتعلق بالموسيقا والقصائد، وهذا تنازل كبير، يشير إلى أنه بدأ بتنظيف داخله النفسي.[1] وعلينا الآن أن نأخذ في اعتبارنا تلك الدروس الدينية التي كانت تسبب لـ(نيتشه) كل تلك الحيرة. خلال الفصل الأول، كان (نيتشه) يأخذ منهاجاً واحداً في إنجيل يوحنا وآخر حول التاريخ المبكر للكنيسة. وكان أستاذ تاريخ الكنيسة هو (فيلهلم لدوفيغ كرافت Wilhelm Ludwig Kraft)، والذي كان أورثوذوكسياً نسبياً، كان مجال الدراسة هذا محفوفاً بالتوتر، منذ أحداث أربعينيات القرن التاسع عشر عندما حاولت مجموعة ما تدعى (مدرسة توبنجن Tübingen School) أن تتعامل مع ظهور الكنيسة المسيحية كموضوعٍ تاريخيٍ مثل أي موضوعٍ آخر. استنكر أعضاءٌ هذه التفسيرات مثل التدخلات الإعجازية أو إرشاد القدرة الإلهية، مفسرين الفترة الأولى من حياة الكنيسة المسيحية بعدسة الطموحات الشخصية والديناميكيات الإجتماعية. وقد تسبب هذا بقدرٍ كبيرٍ من الإنزعاج بين المزيد من مؤرخي تاريخ الكنيسة المتشددين، الذي تمكنوا من رد بعض نظريات مدرسة (توبنجن) على أنها زائفةٌ بشكلٍ قاطع.[2] ومع ذلك فإن دعوة المجموعة لدراسة تأسيس الكنيسة من وجهة نظر تاريخية دقيقة شكلت تحدياً لا يمكن إنكاره بسهولة. وقد واجه (كرافت) هذه المعضلة بصراحةٍ حقاً، وهذا أدى إلى وضع (فرديناند كريستيان بور Ferdinand Christian Baur)، قائد المدرسة في مركز اهتمام (نيتشه).[3] وكان واضحاً أيضاً أن صف (كرافت) الدراسي هو ما أغرى (نيتشه) بقراءة كتب سيء السمعة (ديفيد فريدريك شتراوس David Friedrich Strauss)[4] وكان (نيتشه) على علمٍ مسبقٍ بالمؤلف، وعملياً كل شخصٍ آخرٍ في الولايات الألمانية، لأن (شتراوس) تمكن لوحده من صناعة ما يمكن أن يعبر عنه بأنه أكبر فضيحةٍ في الدراسات المسيحية الألمانية في القرن التاسع عشر. ففي عام 1835 نشر كتابه «حياة يسوع» حيث كان الكتاب دراسة نقدية، وهذا العمل لخّص وفنّد الكثير من الأداء اللاهوتي في القرن السابق، وخلال العملية طرح أفكاراً جديدة. على مر العقود الماضية قام الباحثون بالدراسة المتكررة للتناقضات في كتاب «العهد الجديد». حتى أصبح الكتّاب المتدينون

(1) KSAB II: 40، 41، 75

(2) على سبيل المثال قدم (بور Baur) الادعاء غير القابل للدوام بأن الصراع بين (بولين Pauline) والإصدارات اليهودية الأكثر تقليدية للمسيحية قد استمرت إلى نهاية القرن الثاني

(3) إن هذه الرواية مدينة بشكلٍ كبير لـHarris 1975 ولرواية أقصر بكثير (ومختلفة بشكلٍ كبير) انظر Beiser 2014: 24 - 25 ولوجهة نظر (نيتشه) عن (بور) انظر KGW I - 4: 367 - 368

(4) Figl 1984: 89

أيضاً غير مرتاحين لمفهوم المعجزات، لأنها تبدو وكأنها تعيق عمل النظام الطبيعي، وبدا هذا غير مقبولٍ في عصر العلم. وانقسم اللاهوتيون إلى مجموعتين، أولئك الذين يميلون لقبول المعجزات بظاهرها ـ (كرافت) و(شلوتمان Schlottmann) كانا من أتباع هذا الرأي ـ والمجموعة الثانية من أولئك الذين سعوا إلى تفسير هذه المعجزات باللجوء إلى الدراسات التي لا تعترف بمبدأ القوى الخارقة للطبيعة. أوضح كتاب (شتراوس Strauss) «حياة يسوع» منهجه في البحث برفضه كلا النهجين والقيام مراراً بثلاث عمليات:

كشف (شتراوس) التناقضات واللامعقولية في الأناجيل. وأظهر أن كلا الفريقين، أولئك الذين تضرعوا للمعجزات (خوارق الطبيعة كما دعوها) وأولئك الذي سعوا لاستبدال المعجزة بالتفسير الطبيعي (العقلانيين)، متشابهان من حيث أنهما قد أجبرا على تقديم السخافات. وأخيراً (وهذا ما سبب أكبر فضيحة)، فقد جادل بأن كل هؤلاء الباحثين قد ضلّوا في افتراضهم أن الأناجيل سجلت الحقيقة التاريخية. في الحقيقة فإن (شتراوس) ادعى بأن قصص الأناجيل هي مجموعة من الأساطير استُحضرت لتربط (يسوع) مع الشخصية المعروفة جيداً وهي ميسايا اليهودي [ميسايا: الاسم العبري للمسيح]. وبعيداً عن كونها تاريخياً لا تضم إلا القليل من شهادات شهود العيان، شكلت الأناجيل تجميعةً من القصص الرنانة التي وجدت في عصرها وجُمعت مع بعضها من خلال حبكة وهمية. لم تكن روايات أكثر واقعية من (الإلياذة والأوديسا)، ومع أنه هناك نواةٌ صحيحةٌ تاريخياً في الإنجيل فإن معظم نصوصه كانت مجرد شعر أسطوري.[1]

إن رجال الدين الألمان (والحكومات التي دعمتهم) تداعوا ضد هذه الهرطقة. وسرعان ما فقد (شتراوس) منصبه في الجامعة، وفي عمر السابعة والعشرين وجد أن حياته المهنية انتهت بشكلٍ فعلي. وبينما كان الرجل يعاني، فإن كتابه حقق انتشاراً واسعاً بين القرّاء، وتدرج بين عدة طبعات. وقبل وصول (نيتشه) إلى (بون) كان (شتراوس) قد نشر فعلاً أربعاً من هذه الطبعات. يبدو أن الشاب (نيتشه) لم يكن مطلعاً ولا على واحدةٍ منها وعلى أي حال، ففي عام 1864 أصدر المؤلف نسخةً معدلة بشكل جذري من كتابه «حياة يسوع معاد الصياغة للشعب الألماني»، وكما يشير العنوان، فإن هذه النسخة صُممت لتكون شعبيةً، أي بمعنى أنها لم تكن موجهة لعلماء اللاهوت، ولكنها موجهةٌ للعامة ذوي القدرة على التفكير.[2]

(1) ويستند هذا العرض على قراءة الإصدار الرابع لكتاب (شتراوس) بترجمة (إليوت Eliot) كما إصدار German 1864. انظر أيضاً Harris 1973، Neill 1964، Law 2012: 58 - 62

(2) Strauss 2005: xi - xii

وتختلف بشكلٍ جذريٍ في الصياغة، تتضمن انخراطاً أقل في الجدلية الهيغلية للتوفيق بين المدارس المختلفة، وبدلاً من ذلك قدمت محتواها بشكلٍ مباشرٍ كمحاضرةٍ مشبعةٍ بالحقائق. وقد يقارن المرء النسخة الأولى بقصة تحقيق، حيث تطرح لغزاً ثم تُريك كيف هي مراحل الحل، بينما النسخة الأحدث هي كتقرير الشرطة، حيث استبعدت التخمينات وتم تلخيص ما اتضح فعلاً.[1] وإذا كانت النسخة الأحدث أبسط، لكنها أيضاً تضحي بما يمكن أن نسميه المشروع الفكري، والتوتر الدرامي، والتلاعب الذي يجعل من النسخة الأقدم أكثر نشاطاً وتحفيزاً. ولهذه الأسباب وغيرها، فإنه أحياناً يُنظر إلى طبعة 1864 على أنها دون المستوى.[2] ولعل الكتاب بمحتواه المتأصل أثّر على (نيتشه) بشكلٍ أقل من تقبله الداخلي لهذا الموضوع. لقد كان مستعداً للتغيير، وأعطاه الكتاب دفعة. ولم يُشر (نيتشه) أبداً إلى أي علاقةٍ بين كتاب (شتراوس) وبين رفضه المسيحية. وعلى العكس من ذلك، فقد تعامل مع شكوكه مبكراً من عامي 1861 و1862، وهذا يسبق بوقت طويل عام 1865، وهو العام الذي قرأ فيه هذا الكتاب. وعلى أي حال فهو قد انتقد المسيحية على أساس الأعراف الثقافية المطبقة، وليس على أساس السلطة التي اكتسبتها (الأناجيل) عبر التاريخ. ويبدو أن الكتاب الفاضح عمل بشكلٍ أساسيٍ كعاملٍ محفز، سمح له بحشد تركيزه والوصول إلى قرارٍ طالما أجله. وسيلوّح (نيتشه) بالكتاب كسلاحٍ خلال زيارته القادمة إلى البيت. قد لا يكون الكتاب هو السبب الذي جعله يرتد عن المسيحية، ولكنه بالتأكيد مهد الطريق لإعلانٍ على الملأ.

5

في 2 فبراير، أي بعد شهر فقط من بداية العام الجديد، كتب (نيتشه) إلى والدته بمناسبة عيد ميلادها رسالةً ذات حدين. على السطح كانت مرحةً وعادية كأنها مجرد ذكرٍ للأحداث التي جرت. ومع ذلك فقد انقطعت لهجته المرحة مرتين بإعلانين غير عاديين. قرب البداية، صرّح بشكلٍ مفاجئٍ أنه سيترك (بون) في نهاية العام الدراسي: كانت المدينة ببساطةٍ مكلفةً جداً. ومع قرب النهاية، صرّح بأنه اختار علم اللغة كاختصاصٍ له، وهو قرارٌ لابد وأنه صعق العائلة. بالأصل كانت العمة (روزالي) قد أعربت بقوةٍ عن شكوكها حول اختياره لاختصاص مزدوج.[3] وقد اعترف (نيتشه) الآن بحق هذه الشواغل، لكنه قفز إلى النتيجة المعاكسة. كتب

(1) لاحظ مقارنة (شتراوس) الخاصة للطرق التحليلية والتركيبية Strauss 2005 I: 159 - 161

(2) Schweitzer 1960: 194 - 195

(3) KGB I - 3: 9

إلى (فرانسيسكا): «إن اختياري لعلم اللغة حاسم»، «أن أدرس اختصاصين يعني تحقق نصف العمل لكل واحد».[1]

اختفى رد (فرانسيسكا). ومع ذلك يجب أن يتم تذكر أنه بعد وفاة (لودفيغ)، وجدت ملاذها في الدين، وافترضت أن مهنة زوجها سوف تتابع بعده من قبل ابنه. تلقى ذلك الافتراض ضربةً قاضية، وهذه الضربة جاءتها في رسالة تهنئةٍ بعيد ميلادها. من المحتمل أنها لم تصدقها تماماً، ويمكن أنها أحست بالراحة لعلمها أن عيد الفصح أصبح قريباً جداً. وسيعود ابنها إلى المنزل لأول مرة منذ ستة أشهر، وعندها تستطيع إقناعه أن يغير رأيه.

زيارة الفصح هذه أخذت حيزاً كبيراً من المراسلات التالية، حيث أن (فرانسيسكا) و(إليزابيث) من جهة، و(نيتشه) من جهة أخرى، حلموا بلم شملهم بشغفٍ وبسعادة. افتقدت كلٌ من الوالدة والأخت، الابن والأخ بشكلٍ كبير. ففي عيد الميلاد، كتبت (فرانسيسكا) أنها سوف تمضي العيد في مدينة قريبة، «لأنه من شبه المستحيل البقاء هنا من دونك».[2] أما بالنسبة لـ(إليزابيث)، فقد بدأت تكتشف مع غياب شقيقها أن صداقاتها من الطبقة العليا في (نامبورغ) كانت ضحلةً بشكلٍ أكبر مما كانت تدرك. فلم تتم دعوتها ووالدتها إلى كثيرٍ من المناسبات الإجتماعية (يتضمن ذلك حفلة الرقص التي استضافتها عائلة بايندر)، وكانت متفاجئةً بقدر ما كانت متألمة لاستبعادها من الدعوة. وقد أشارت (فرانسيسكا) عليها «لا تعتمدي كثيراً على الصداقة، إن الأولوية للرتبة والمقام الاجتماعي»، ولكن قدرة (إليزابيث) المراهقة على الاستفادة من هذه النصيحة كانت محدودة، خصوصاً وأنها في الوقت نفسه كانت تعاني من التهاب في العين، وفيما يبدو كانت تتعافى من آثار صدمة عاطفية.

أما شقيقها الذي نادراً ما أخذ شقيقته على محمل الجد، فقد سخّف من ألمها، طالباً منها بكلمات عديدة «أن تتجاوز ذلك» وأن تنظر للوضع من وجهة نظر الإنسانة المرحة كما يفعل هو.[3] ولم يتم تلقي هذه النصيحة بشكلٍ جيد، وأفادت (فرانسيسكا) أن (إليزابيث) «تألمت بشدة» بسبب الرسالة. كما لاحظت (فرانسيسكا) أنه خلال غياب ابنها وتحت ضغط هذا الازدراء الاجتماعي والرومانسي، فإن ابنتها قد نضجت بشكلٍ قد أثار هلعها. ولهذا فقد توسلت إلى (نيتشه)، أن يكون أكثر احتراماً لمشاعر (إليزابيث). «إنها تستشعر غيابك كثيراً،

(1) KSAB II: 38 - 40

(2) KGB I - 3: 20

(3) KSAB II: 19

لذا اكتب لها **بشكلٍ مفرح**، أظهر حبك وإخلاصك، ابني الحبيب. قم بواجبك، أنفق القليل من المال... رسائلك هي نور قلوبنا وشمسها».[1] (فرانسيسكا هي من قامت بالتأكيد)

وعلى الرغم من أن هذه المراسلات قد جرت قبل الميلاد بفترةٍ بسيطة، فهي تعطي بعض الأفكار عن الوضع الذي خلفه (نيتشه) وراءه، وعن الإستقبال الذي سيتلقاه لدى عودته. وعندما بدأ الشاب رحلة العودة في منتصف مارس عبر الولايات الألمانية إلى (نامبورغ)، وجد نفسه مرحباً به من قبل عائلة محبةٍ أبدت إعجابها بحسن منظره ونضجه الظاهر.[2] قد يكون لم الشمل فردوسياً، لولا أنه أحضر معه نسخةً من كتاب (شتراوس) سيئ الذكر.[3] وفيما يبدو أنه أراه لأخته مقترحاً عليها أن تتخلى عن المسيحية كذلك. ووفقاً لأخته فقد رفض أيضاً تناول القربان المقدس. وإذا كانت قصتها صحيحة، فإن قصة ردته عن الدين كانت واضحة العيان للجميع، وبالنسبة لـ(فرانسيسكا) لا بد وأنها كانت نهاية العالم. على أي حال، ومرة أخرى وفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه)، فقد وصلت النجدة من حيث لا يعلمون. لاحظت العمة (روزالي) أن كل رجل لاهوتٍ عظيم قد راودته لحظاتٌ من الشك، وربما يجب على المرء أن يتجنب النقاش مؤقتاً، حتى يعود إلى رشده.[4] وإذا كانت (روزالي نيتشه) قد قالت هذا فعلاً، فيبدو أن نصيحتها كانت أقل دبلوماسية مما يبدو، ولم تصب هدفها. إن (إدموند أولر) شقيق (فرانسيسكا)، وهو كاهنٌ كان (نيتشه) غالباً ما يزوره، أصابه الإحباط من مهنته في أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر وترك الكهنوت لفترة، ليعمل كميكانيكي في (مرسيبورغ Merseburg). ولكنه عاد في نهاية المطاف إلى منبره، وقد تعزز إيمانه بسبب انتكاسته، ولكن ذكراها ستبقى في نفسه، وبدا من المؤكد أنه هو الرجل الذي خطر ببال (روزالي) في اقتراحها المفاجئ.[5] من الصعب معرفة ما إذا كانت هذه المقارنة بين الأخ والابن جعلت (فرانسيسكا) تشعر بالراحة ـ أو إذا كانت قد حصلت في الواقع ـ لقد سلمت نفسها للواقع وأبلغت (فريدريك) أنه بإمكانه أن يؤمن بما يراه صحيحاً في وجدانه، طالما يحتفظ بآرائه لنفسه. وعلى كل حال فقد طلبت منه أن يمتنع عن مناقشة الدين مع (إليزابيث).

---

(1) كافة الاقتباسات من KGB I - 3: 18 - 20

(2) Förster - Nietzsche 1912: 133 - 134

(3) كان (شتراوس) في رأس قائمة الكتب التي خطط أن يأخذها لأجل عطلته، انظر KGW I - 4: 50

(4) Förster - Nietzsche 1912: 135

(5) Pernet 1989: 124، n. 24 يجب على (نيتشه) أن يكون واعياً لهذا، انظر KSAB I: 86 وإشارة (فرانسيسكا) الموجزة لها، مقتبس في Goch 1994: 258 وانظر أيضاً Goch 1994: 366، n. 126

وإلى حدٍ كبيرٍ يبدو أنه فات الآوان على هذا الطلب. فإذا كانت (فرانسيسكا) وجدت السلام في الاستسلام، فقد كانت (إليزابيث) في فورة من الاضطرابات الروحية. لقد آمنت دائماً بأخيها، ولكن الضعف في ثقافتها المحدودة أعادها للهاوية التي جلبها كتاب (شتراوس). استشارت (إليزابيث) شخصين، (إدموند) وخالاً آخر لها والذي كان كاهناً أيضاً، وقد طمأنها الاثنان حول حقيقة المسيحية. مسلحة بنصائحهما، نقلت شكوكها في رسالة.[1] وقد استجاب (نيتشه) بطريقتين. في يوليو سيرسل لشقيقته الترجمة الألمانية لكتاب «أفكار حول الحياة Thoughts on life » لـ(هنري وارد بيشر Henry Ward Beecher)، وهو تحرري أمريكي (وشقيق هارييت بيشر ستو Harriet Beecher Stowe)، ويصف (نيتشه) الكتاب «عزيزتي إليزابيث، خذي هذا الكتاب كإجابةٍ على الأسطر المتدينة في رسالتك الأخيرة».[2] وعلى أي حال فقد كتب في البداية رداً طويلاً مرحاً متيناً. وقد جادلت (إليزابيث) قائلة: «من الأسهل كثيراً ألا تؤمن من أن تؤمن»،[3] وقد اعترض على ذلك، بأن كلامها ينطبق على إيمان الأسلاف ***(مجرد سمع بإيمان الأسلاف ولم يتربَّ عليه)***، وليست هذه الحالة هنا. «هل هو صحيح أنه من الصعب أن يتقبل المرء كل ما نشأ عليه والذي أصبح تدريجياً منغرساً عميقاً في روح المرء...؟ وهل ذلك أصعب فعلاً من أن يتخذ المرء لنفسه طريقاً جديداً، مكافحاً ضد التعود، غير متأكدٍ من مساره المستقل وسط حيرة القلب المتكررة؟».[4]

وكما في الماضي، شدد (نيتشه) على أن الإيمان هو معتقداتٌ مشروطةٌ ثقافياً، وبالتالي ليس موثوقاً كحجةٍ مقابل حقيقة أكثر شمولية: «لو كنا آمنا من الصغر بأن خلاصنا يأتي ليس من (يسوع) ولكن من شخصٍ آخر ـ لنقل مثلاً (محمد) ـ هل غير مؤكدٍ أننا كنا سنتمتع بنفس البركات؟» وفي النهاية، أرجعَ الموضوع إلى طبيعة البشر. «هنا مفترق طرق البشرية. إذا كنت تريد راحة البال والسعادة، خذ طريق الإيمان، إذا كنت تريد أن تكون مريداً للحقيقة، إذاً ابحث».[5]

ربما كان رد (نيتشه) على (إليزابيث) هو أفضل رسالةٍ كتبها معروفة لنا،[6] ويعتبر أنه

(1) ولرسالة (إليزابيث) انظر KGB I - 3: 43 - 47
(2) Campioni et al. 2003: 138
(3) KGB I - 3: 44
(4) KSAB II: 60 تمت الترجمة عن طريق (كريستوفر ميدلتون Christopher Middleton) بتعديلٍ طفيف
(5) KSAB II: 61
(6) وللنسخة الإنجليزية انظر Middleton 1969: 6 - 10

تصريحٌ مليءٌ بالعاطفة من جهة والقيم العلمانية من جهةٍ أخرى. في الحقيقة، إن مواقفه هذه قديمةُ نوعاً ما، لم تتغير إلا بصورةٍ بسيطة منذ أن خطها قبل ثلاث سنوات في كتاب «المصير والتاريخ». وحقيقةً إن عبارة «هنا مفترق طرق الإنسانية» هي من لمعات فكر (إمرسون) الذي كان قد كتب «يعرض الرب على كل عقل الخيار بين الحقيقة وبين الراحة. خذ أحدهما من فضلك ولكن لا يمكنك أبداً أن تأخذ الاثنين».[1] قد يلاحظ المرء الطبيعة غير الأخلاقية لهذه المشاهدة. إن (إمرسون) و(نيتشه) لا يقولان إننا يجب أن نطالب بالحقيقة، فهي ليست المفتاح السحري. بدلاً من ذلك فإنهما يقولان: بغض النظر عما نختاره، فإنه سوف يكون انعكاساً لطبيعة شخصيتنا. البعض سوف يثابر والبعض لن يفعل، اعتماداً على مزاجهم.

إذا كانت الأفكار ليست جديدة، فإن البساطة والمباشرة التي تمتع بها عرض (نيتشه) كانت بعيدةً جداً عن الحجج المعقدة في «المصير والتاريخ». لم تعد هذه المبادئ نظرية ولكنها أصبحت مبادئ حيوية، وتتطلب التطبيق. وهذا الإختلاف يظهر كمّ المسافة التي قطعها (نيتشه) خلال الأشهر التسعة الأولى له في (بون). لقد كسر حاجز ممانعة الأسرة، وفعل ذلك في ضوء قيمه وحكمه. في نظره يمكن الآن أن يكرس نفسه للسعي وراء الحقيقة، مثاليةٌ بطولية ومحفزة، وهي قيمٌ مؤكدة في تراث البحث والباحثين الذين ينتمي إليهم. لمرة واحدة، يبدو أن كل قيمه قد تراصفت.

6

لم يكن بإمكان (نيتشه) أن يختار وقتاً أسوأ ليختص بعلم اللغة في جامعة (بون). حتى عندما كان يتخذ قراره، كانت هناك فضيحة تختمر سوف تعيق ذلك القسم لعقدٍ قادم. كان قسم علم اللغة بطبيعة الحال، معروفاً بأنه ساحة صراعات على الأقل منذ عصر النهضة، عندما حاول أحد العلماء المشهورين اغتيال زميلٍ له لأنه سخر من لغته اللاتينية.[2] كان ضجيج هذه الفتنة التي اشتعلت في (بون) استثنائياً بكل المعايير، وقد وصفها أحد الباحثين الأمريكيين «كلما ازدادت مرارة العداء كلما أُثير مجتمع علم اللغة في العالم»[3] وسجل كاتباً: «أنا لا أنظر

(1) Intellect.» Emerson 1983: 425»

(2) Pfeiffer 1976 II: 34 لقد حاول (بوجيو براتشيوليني Poggio Bracciolini) أن يقتل (لورنزو فالا (Lorenzo Valla

(3) Gildersleeve 1884: 340

بإعجابٍ إلى أحد في مجال التعليم الألماني... ولكن كلما رأيت أكثر من الغطرسة والغيرة، المناورات الكريهة، الغيبة البغيضة... كلما تكشفت حقائق أكثر عن حياة الأستاذ في ألمانيا، كلما كنت سعيداً لأني أعيش في [مكان آخر]».[1]

والأستاذ المعني هو (باسيل جيلدرسيلف Basil Gildersleeve) حيث كان يشير إلى التالي.[2] مما يجدر ذكره أن (أوتو جان) و(فريدرك ريتشل)، الأستاذان الرائدان في القسم، كانا في الظاهر متمدنين، ولكن في باطنها شكوكيان قليلا الثقة. في عام 1863 بدأ (جان) بالترتيب لأستاذ آخر (هيرمان سوب Hermann Sauppe) أستاذ الدراسات الإغريقية الشهير، ليتم تعيينه في قسم علم اللغة في جامعة (بون). وعندما خشي (جان) أن يعترض (ريتشل)، وهو قد علم أنه ليس نداً له في المهارات السياسية، ناور من وراء ظهر زميله تاركاً أعضاء مجموعة المدرسين الآخرين خارج الاعتبار أيضاً.[3]

ساعده في هذا، الدعم السياسي القوي من قبل اثنين من الأصدقاء ذوي النفوذ: (فيلهلم بيسيلر Wilhelm Beseler)، ابن خال (جان) وممثل الحكومة البروسية في الجامعة،[4] و(جوستوس أولهوسن Justus Olhausen)، صديق طفولة (جان) الذي كان يرفع التقارير مباشرة إلى وزير التعليم في (برلين). ولهذا فقد عمل (جان) لا كفرد ولكن متواطئاً مع رجلين كانا بشكلٍ شخصي يحابيانه، وكان لهما نفوذٌ حكوميٌ كبيرٌ على الجامعة.

ليست هناك حاجةٌ كبيرة للذهاب إلى تفصيل أفعال (جان) بعد ظهور النتائج. في أواخر يناير 1865 قبلت الحكومة، وتمت الموافقة على اختيار (جان). بعد أقل من أسبوع واحد تلقى (جان) رسالةً تفيد بأن (سوب) غير رأيه، واختار البقاء في منصبه الحالي، وبالتالي ترك كفيله في السفينة المترنحة.

علاوة على ذلك فقد تم تنبيه (ريتشل) وأعضاء آخرين من هيئة التدريس إلى الخديعة،

---

(1) Gildersleeve 1884: 354

(2) تستند هذه الرواية للمصادر التالية 1964; Ribbeck 1969; Bezold 1920; and Müller 1990 Herter 1975; Hübinger

(3) لمناقشة كيفية انتقاء وتقديم المرشحين المناسبين للتعيينات الأستاذية وكيف كان في كثيرٍ من الأحيان يتم التحايل على ذلك من قبل الحكومة البروسية انظر 187 - 182 :McClelland 1980

(4) كان منصب (بيسلر) الفعلي هو (المشرف Curator) وهو منصب غير موجود في الجامعات الناطقة بالإنجليزية وبالتالي لا يمكن ترجمته. ولوصف لهذه الصلاحيات انظر Paulsen 1895: 93 - 94; Fallon 1980: 35

وتم إعلان قصة التعيين الفاشلة على صفحات الجرائد، مسببة الإحراج لـ(ريتشل)، حيث كان متضمَناً في سياق القصة أنه سيتقاعد قريباً بسبب المرض. لم تمس القضية (جان) بشكلٍ مباشر، وبهذا فإن التوتر بينه وبين (ريتشل) لابد أنه وصل إلى أقصى درجاته.

قد تكون الحادثة انتهت هنا وقد رأى (ريتشل) أكثر مخاوفه كآبة، لم يحدث أي ضرر. ولكن لسوء الحظ، قام اثنان من المقربين لـ(ريتشل)، أحدهم هو صهره المستقبلي، باتهام (جان) بالاحتيال، ونتيجةً لذلك واجه مجلس تأديب. وصادف أن يكون (ريتشل) في منصب العميد ومسؤولاً عن الإجراءات القانونية، وتحت رعايته، وبناءً على توجيهاتٍ غير مباشرةٍ منه، وُجد صهره المستقبلي مذنباً لكن لم يحكم عليه بأي حكم. (الشخص الآخر المقرب فقد حقه في التدريس). استفز هذا الحكم خصومه، الذين اتهموه بالاحتيال على النظام. والآن أصبح (ريتشل) بدلاً من (جان) تحت التدقيق القضائي. تلت ذلك مجموعةٌ من الحوادث المؤسفة، حيث قام أصدقاء (جان) ذوو النفوذ بالإيعاز بتوجيه اللوم والتأنيب مراراً لخصومه. ولأن العديد من الوثائق التي يفترض بها أن تكون سرية قد تسربت إلى الصحافة ـ ليس فقط في (بون) ولكن أيضاً في (كولونيا)، (إلبرفيلد Elberfeld)، برلين، (فايمر Weimar)، و(أوغسبورغ Augsburg) ـ [1] وكان عامة الشعب بمن فيهم الطلبة، مواكبين لهذه التطورات المروعة، وانقسم الناس بين فريقين، قسم يحبذ (ريتشل)، (الريتشليون)، وقسم يحبذ (جان)، (الجانيون).

حتى أن القضية وصلت إلى البرلمان، ورأى بعض الليبراليين في طريقة معاملة (ريتشل) وسيلةً للضغط على حكومة بسمارك.[2] ويبدو أن البرلمانيين كانوا الأكثر دهاءً، ففي حين صُورت القضية على أنها شجار بين أستاذين ـ وهي بدأت هكذا بالفعل ـ إلا أنها تطورت فيما بعد إلى شيءٍ مختلف، إلى نزاعٍ بين أولئك الذين يدعمون استقلالية الجامعة وبين أولئك الذين يحبذون الإشراف الحكومي.[3] (بيسلر Beseler) الذي كان بشكلٍ خاصٍ قد اصطدم مع (ريتشل) وأهانه، كان قاسياً في المقاضاة وطالب بأن يتعهد الأستاذ القدير بأن لا يعمل مرة أخرة للحكومة البروسية.[4]

(1) Bezold 1920: 506 - 507

(2) يقدم Bezold 1920: 510 and Hübinger 1964 أفضل معالجة سياسية للخلاف

(3) Bezold 1920: 507

(4) Ribbeck 1969 II: 364

يستحق موقف (ريتشل) التشديد بخصوصه، لأنه ذو آثارٍ مستقبلية على (فريدريك نيتشه). فالجامعة التي كان قد ازدهر فيها (ريتشل) والذي لاحقاً سيحاول زرع مثله العليا في الشاب الأصغر عمراً كانت تتغير ببطءٍ وتصبح مؤسسةً مختلفة، أكثر عملية ومفيدة للدولة، ولكن خلال هذه العملية سيتم هجر وربما عملياً إلغاء مثاليات الأجيال السابقة، والتي كانت تموت على أي حال.

ربما كان طرد (ريتشل) حادثة، نتيجة لمؤامراتٍ وأحكامٍ فرديةٍ سيئة، ولكنها كانت أيضاً انعكاساً لتوجه تاريخي، سوف يكون نذير سوءٍ للشاب الذي كان قد قرر تواً أن يختص في علم اللغة، وبالتالي من الناحية النظرية أن يلتزم بالجامعة لما تبقى من حياته.[1]

هذا السياق السياسي الأوسع نطاقاً لن يتضح قبل عدة سنوات، على الرغم من أن (ريتشل) رآه بشكلٍ واضحٍ بما فيه الكفاية.

وبدلاً من ذلك تم تسطيح وتبسيط المسألة على أنها شجارٌ واضحٌ بين أستاذين متخصصين، كما سيذكر مدرسٌ آخر لعلم اللغة «الفصل الأكثر حزناً في تاريخ نظامنا في القرن التاسع عشر».[2] وعلى الرغم من أن السياسيين أمثال (أولوسن Olhausen) وبالأخص (بيسلر Beseler) قد انتصروا، فإن إدارة (بون) قامت بتسوية لبعض الوقت. فقد غادر (ريتشل) ليبدأ بدايةً جديدة في جامعة (لايبزيغ)، في حين أن ضمير (جان) أصبح مثقلاً بالحزن على دوره في القضية، محاولاً الحصول على راحة البال، والتعافي، واستمر في التدريس وفي كونه محبوباً من الطلبة وخصوصاً من الذين ساندوه (ومن بينهم نيتشه).[3] على الرغم من ذلك لم يتعافَ (أوتو جان) من هذه الأحداث، وكتب أحد الطلبة واصفاً حاله «لقد كان رجلاً محطماً، عمله فقط هو ما أبقاه على قيد الحياة».[4] ولاحقاً يسجل أحد المؤرخين بشكلٍ صادق «بعد 1866 لم يستمع لأي موسيقا».[5] وكونه يعاني من مرض رئوي (ربما كان السرطان)، فقد توفي

(1) جادل البعض بأن الصراع بين (ريتشل) و(جان) عكس مناهج لعلم اللغة أو أراء سياسية معارضة. يرفض (أنتوني جينسن Anthony Jensen) بشدةٍ وجهة النظر الأولى ويجادل الثانية Jensen 2013: 45، 50 and 50، n. 75 ويشير الدليل أنه على صواب

(2) Alfred Körte مقتبس في Calder 1991: 198

(3) KSAB II: 56 دعم اثنان من أساتذة (نيتشه) المفضلين (جان) وهما (فون سيبيل) و(سبرنجر)

(4) Wilamowitz - Moellendorff 1928: 85

(5) Bezold 1920: 511

(جان) بعدها بأربعة أعوامٍ فقط، تاركاً خلفه طلاباً غاضبين على ما اعتبروه المصير الظالم له، وقد حاول أحدهم أن ينتقم له.[1]

حدث كل هذا في فترة أشهرٍ قبل وبعد إجازة (نيتشه) في عيد الفصح. خلال هذه العملية حضر (نيتشه) محاضرات عند الرجلين وكتب بحثاً تحت إشراف (جان).[2] وبفضل الصحف وردود الفعل الساخطة للطلبة، فقد كان من الصعب عدم ملاحظة الدراما في القسم، ومن المؤكد أنها كانت شاهداً على كل هذا الإذلال والأذى الذي أصاب الأستاذين. ومع ذلك، من المدهش أن (نيتشه) لم يذكر أياً من هذا حتى 3 مايو في رسالةٍ إلى أمه.[3]حيث أخبرها أن (ريتشل) قد سمح له بالمغادرة، وهو كلام عادي جداً بدون أي شرح كما يعني أنه قد شرح الوضع فعلياً في عيد الفصح (وبالطبع ربما تكون والدته تقرأ الجرائد أيضاً).

قد يكون (نيتشه) إلى حدٍ ما منعزلاً عن الأحداث في القسم بسبب شبابه الغض ومشاكله الشخصية. ومع ذلك، وكونه كان يملك وقتاً كثيراً وطاقةً للدراسة خلال حياته القصيرة، فمن المحتمل أنه أصبح يعتبر أساتذته بديلاً عن الأبوين، ومصدراً للقيم (العلمانية) التي لم يعد يجدها عند (فرانسيسكا) أو في الدين. ولا بد أنه قد انزعج من رؤية حرم الدراسة وقد انتهك، وأن ممارسيها فقدوا مصداقيتهم. لقد احتاج مؤسسةً مستقرة، ورأى إحدى أكثر المؤسسات احتراماً تنحل بسبب فضيحةٍ أمام عينيه. كان هذا الإنهيار هو الأكثر سوءاً بالنسبة له، حيث أنه كان غير عادي. لم يكن (نيتشه) مستقراً هو نفسه، سابقاً، وجد صعوبة في اختيار اختصاص، وبعد تبنيه لخيار علم اللغة لم يعد بإمكانه أن يتحجج بهذا العذر ***(عذر الضياع بين اختصاصين)***، ومع ذلك استمرت عاداته السيئة، والتحول الوحيد الذي قام به هو تركه لصفوف اللاهوت. وهكذا في فصله الثاني، أخذ صفاً واحداً عند (جان)، وآخر عند (ريتشل)، اثنين عند (شارشميدت)، واحداً عند (سبرينجر)، وواحداً عند (كارل جوزيف سيمروك Karl Joseph Simrock) حول شاعر القرون الوسطى (والثر فون دير فوجلويد Walther von der Vogelweide). وتلك ستة صفوف، أي أقل بصفٍ واحدٍ من الفصل السابق، وستكون في أربعة

(1) الإشارة بالطبع لـ(ويلاموتيز) الذي أصبح مريداً لـ(جان) وسوف يهاجم (نيتشه) بعد ثمانية أعوام.

(2) وكان هذا البحث هو الأساس لمنشور (نيتشه) اللاحق عن (دانيلاد Danaelied) لـ(سيمونيدس (Simonides

(3) KSAB II: 49، ناقش (نيتشه) كامل الموضوع مع (ريتشل) في مرحلةٍ ما، كما يشرح لـ(جيرسدوف) KSAB II: 75

مواضيع مختلفة: علم اللغة والفلسفة وتاريخ الفن والأدب، فوق كل ذلك واصل فشله في التحكم بأموره المالية. عندما وصل لأول مرة إلى (بون)، خطط ميزانيةً بنشاطٍ بالغ، وأظهر علاماتٍ تدل على معرفته بالإدارة المالية. ومع ذلك وبشكلٍ غامض كان مديوناً دائماً، مما جعل عائلته في المنزل غير سعيدة. شعر (نيتشه) بالإهانة لأن (فرانسيسكا) لم تفهم إلى أي مدىً يمكن أن تكون (بون) مكلفة. ولابد أنها بدورها رفعت حاجبيها عندما ذكر لها ذهابه الأسبوعي لقاعات الحفلات الموسيقية ودار الأوبرا المحلية. وكانت الأمور جيدةً ولطيفة أنه قد سمع (أديلينا باتي Adelina Patti)، و(كلارا شومان Clara Schumann) ورأى (كارل أوغست ديفرينت Karl August Devrient) في «فالنستين Wallenstein». ولكن من أين أتى بكل هذه الأموال لتمويل هذه الرحلات؟ وماذا أيضاً عن جلسات الشراب مع الأخوية؟

يمكن تذكر أن معظم حياة (فرانسيسكا) كبالغة كانت فقيرة، وعلى الرغم من أن أشد رسائلها صرامة اختفت، ولكن فيما يبدو أنها وبخت ابنها بشكلٍ مباشرٍ لدرجة أحس فيه بالإهانة، ولهذا فإنه لا يبدو أنه ساعد نفسه كثيراً عندما أخبرها بطريقةٍ شعرية «يختفي المال، كما الزهور في الحقل، وكما التموجات في الجدول».[1]

ومما قد يريح نيتشه أن محنته المالية لم تكن بأي حالٍ من الأحوال غير مألوفة في الأخوية. معظم الأعضاء عرفوا طريق مكتب الإقراض،[2] وهو انحطاطٌ يبدو أنه استطاع تجنبه. وفوق ذلك فقد تمادوا في الاستدانة من بعضهم البعض ومن أصحاب المتاجر، ووصل بهم الأمر إلى التخفي في الشوارع الخلفية وهم متجهون إلى بيوتهم أو إلى البارات، حتى يتجنبوا الإهانات والتهديد بإجراءات قانونية من قبل دائنيهم.[3]

إن محنة (نيتشه) التي تشارك بها مع الأخوة تبدو أقل تسليةً كلما اقترب العام من نهايته، ذلك لأنه هو و(فرانكونيا) على طرفي نقيض. لقد تعرض للسخرية من الأعضاء بسبب تفانيه في الدراسة، وفشل أيضاً في أن يشارك رفاقه الأعضاء تعاطفهم السياسي، وهو اختلاف يبدو أنه سيقود أخيراً لخيبة أمله الأخيرة بهذه المؤسسة. في بدايات الصيف قررت الأخوية أن

(1) KSAB II: 50

(2) كان (هيرمان موشاك) قد انحدر إلى هذا الحد KGB I - 4: 17

(3) طالب سكان المدينة المحليون الجانحين بالدفع لأنهم لن يتمكنوا من تقديم الالتماس للسلطات المدنية للإنصاف عندما يتعلق الأمر بالطلاب.
Hart 1874: 315 - 316

تتبنى شعار الألوان الثلاثية، أحمر، أسود، ذهبي، المرتبطة بالمثل الثورية،[1] ويبدو أن (نيتشه) استهجن هذا الاختيار، ولم يكن سعيداً حتماً أن يلبس تلك الألوان علناً. وللمرة الأولى بدأ (نيتشه) بكتابة تعليقات احتجاجية في رسائله. وقد شعر بالجزع من أخوته السابقين «المادية الجعوية»،[2] ومواقفهم السياسية الساذجة. وقد سجل أن ثلاث أخويات عقدت مؤخراً اجتماعاً حيث كان هناك تبجحٌ كبير: «مرحى! يا لها من سعادة، مرحى! ماذا بقي من أمرٍ لم نفعله في الأخوية! مرحى! ألسنا مستقبل ألمانيا، أساس مجلس ألمانيا البرلماني!» واختتم قائلاً «كما قال (جوفينال)، أحياناً يكون من الصعب أن لا تكتب السخرية».[3]

ومع انهيار عالمه عليه، التفت (نيتشه) إلى الصداقة ولكن ليس لصديقه القديم (ديوسن) على وجه الخصوص، وتشير مذكراتٌ احتفظ بها أحد معارفه إلى أن (ديوسن) بقي في دائرة (نيتشه) ولكن فقط على نحوٍ عرضي.[4] وهذا ليس بالشيء المفاجئ، بما أن عضوية (فرانكونيا) وأنشطتها كانت محور الحياة الإجتماعية لـ(نيتشه) في (بون)، وكان (ديوسن) قد تخلى عن العضوية منذ فترة طويلة. وعلاوة على ذلك فقد اتخذت صداقتهما منحىً مؤسفاً. مثل صديقه، وجد (ديوسن) نفسه محبطاً في (بون) ـ كتب قائلاً «السنة الأولى في الجامعة كانت مؤذيةً بالنسبة لي» ـ ولكن على عكس (نيتشه)، لم يستطع أن يحمس نفسه لينخرط في أعمال مثيرة.[5] وقد لامه (نيتشه) فيما يبدو بشدة كبيرة، وشعر (ديوسن) أن علاقتهما بدأت تنهار. وفي حديث له عن صديقه السابق كتب (ديوسن) «كان الأمر وكأنه تم استعبادي من قبل قوى شيطانية، وكان إعجابي به كأنه نوع من الألم».[6] وعلى العكس من (ديوسن) فإن (نيتشه) لم يكن من النوع الذي يستكين للخسارة، وتحول بدلاً من ذلك إلى (هيرمان موشاك Hermann Mushacke)، وهو أخ من الأخوية وابن أستاذ في (الجيمنازيوم) في (برلين). يبدو أن هذا الشاب كان مضيافاً ومسلياً، وتشير المذكرات التي ذكرت قبل قليل أنه

(1) KSAB II: 59, 67 كانت ألوان (فرانكونيا) الأصلية هي الأبيض والأحمر والذهبي KSAB II: 15 ويخبر (ماكس إيفرت Max Eyffert) عن رؤية قبعاتٍ جديدةٍ في 3 يونيو عام 1865. BAW III: 407

(2) KSAB II: 55

(3) KSAB II: 66 - 67

(4) انظر يوميات ايفرت BAW III: 403 - 414

(5) KGB 1 - 4: 70 يشير (ديوسن) في نفس الرسالة إلى أن (نيتشه) وجده «محدوداً» ومتضايقاً حتى أنه لم يقدم نفسه بطاقةٍ وتركيزٍ كافيين

(6) مقتبس في Feldhoff 2008: 54

و(نيتشه) اعتادا قضاء الأمسيات في مسكن (موشاك). عندما وصل أهل (هيرمان) في زيارة، قام بتقديمهم إلى صديقه الجديد.

كما تواصل (نيتشه) بشكلٍ مكثفٍ أيضاً مع (كارل فون جيرسدورف)، وهو سليل أسرةٍ ترفعت مؤخراً إلى طبقة النبلاء، في (أوبيرلوسيتز Oberlausitz)، وهي منطقة تقع شرق (درسدن Dresden)، كان طالباً أصغر سناً في (شولبفورت). وبينما لا يقوم (نيتشه) بذكر (جيرسدورف) في كتاباته في (بفورتا)، فقد أُخذ هذا الأخير بارتجالات (نيتشه) على البيانو بينما كانا هناك، تشير رسائل تالية إلى أن علاقتهما كانت أكثر دفئاً مما تشير إليه الأدلة الموثقة. فقد كتب نيتشه إليه «العلاقة الوثيقة مع شخص أو اثنين هي ضرورة بالنسبة لي». «طالما أن لدي (هذه الصداقة) يمكنني أن أتعامل مع البقية كنوع من الطبق الجانبي، البعض كالفلفل والملح، البعض كالسكر، وما تبقى بدون طعم».[1] ويبدو أن (جيرسدوف) كان بالنسبة لـ(نيتشه) في فئة «العلاقة الوثيقة»، وأصبح مهماً له، بحيث أنه عندما اختار الشاب الأصغر أن ينتقل إلى جامعة (لايبزيغ)، اختار (نيتشه) أن يسجل هناك أيضاً.[2] كان (نيتشه) قد قرر أن يترك (بون) ولكنه لم يعرف أين سوف يكمل دراسته لاحقاً. ويبدو أن رغبته في أن يكون مع (جيرسدورف) أمالت كفة الميزان، ولكن (لايبزيغ) كانت جذابةً لأسبابٍ أخرى أيضاً. كان فيها مواقع فنية مذهلة، وكانت تقع بالقرب من (نامبورغ)، لكي يتمكن من زيارة عائلته بسهولة.[3] وفوق كل ذلك كان (ريتشل) في طور الإنتقال إلى (لايبزيغ) كذلك، كما صرح (نيتشه) في الرسالة نفسها. وعلى الرغم من أنه قد حُذّر من دراسة علم اللغة في (لايبزيغ) بشكلٍ خاصٍ بسبب ضعف البرنامج التدريسي، فإن وجود (ريتشل) سيكون أساساً للتغيير: «سوف يحول هذا كلية الدراسات الفلسفية في (لايبزيغ) إلى الأكثر تميزاً في ألمانيا».[4]

7

قرر (نيتشه) مغادرة (بون) خلال عطلة منتصف أوغست. وفي الحقيقة فقد غادر في 9 أوغست. ومع كل ما يحمله هذا التاريخ من حسم، فقد حمل معه أيضا «الروماتيزم»،

(1) KSAB II: 55

(2) KSAB II: 56

(3) KSAB II: 58, 65

(4) DSAB II: 56. في الجامعات الألمانية لم تتألف هيئة التدريس في الفلسفة من الفلسفة فقط ولكن كل مواد الأمور الأخرى حتى اللاهوت والقانون والطب

وهو مصطلحٌ يشير في ذلك الوقت إلى ألمٍ ليس في المفاصل فقط ولكن في أعضاء أخرى أيضاً،[1] وفي هذه الحالة يشير إلى ذراعيه، عنقه، ظهره، وأسنانه، مترافقاً أيضاً مع الصداع. حتى الإقامة في (باد أيمز Bad Ems)، وهو منتجعٌ زاره مع (ديوسن)، لم يعط نتيجة. مثل هذا الألم المديد لن يؤدي إلى تحسين مزاجه، وأصبح ينظر كثيراً إلى نفسه بطريقةٍ سلبية. فقد انقلب بحزمٍ ضد الأخوية، وسينظر لها من الآن فصاعداً بكراهية. لم يكن لديه أي شي جيدٍ ليقوله عن (بون)، كما عنّف بقسوةٍ على وجه المساواة كلاً من كاثوليك المدينة على مواكبهم وتماثيلهم، والطبقة الأرستقراطية على سلوكها الرسمي، الذي وجده محبطاً.[2]

بدأت إقامته في (بون) تبدو خطأً فادحاً، وهو أمر سيأسف عليه لسنواتٍ قادمة. ومع ذلك فهو نادراً ما اعتبر عدم حصوله على القليل من الذهب [مالاً أو أمور أخرى قد تكون ثقافية] بسبب سوء الحظ، رغم ذلك فهو أدرك لاحقاً أن سنته في (بون) أعطته فائدةً جليلةً واحدة: لقد تعلم القدر الكثير عن نفسه، ربما من عدد المرات التي انتهك فيها طبيعته الخاصة.[3] «لقد كنت منطوياً على نفسي بخجل، ولم أكن أملك القوة لألعب دوراً مستقلاً ضمن كل المؤثرات التي كانت تحيط بي»، وكما سيكتب «وقف كل شيء في وجهي، ولم أستطع أن أنجح في السيطرة على محيطي».[4] وبدلًا من ذلك فهو يتخلى عن قيمه لتصبح في المرتبة الثانية، وهو تنازلٌ لا يوجد ما يماثله في ماضيه أو مستقبله. موقفان شكلا تحدياً له خلال سنته، الأول كان الأخوية، التي لم توافق والدته عليها وعلى أي شيء يخصها، والتي كان لدى (نيتشه) نفسه تحفظات عليها، كما سيكتب لـ(موشاك):

«كوني بقيت في الأخوية خلال الفصل الدراسي الصيفي الأخير يبدو لي بصراحة خطأً اجتماعياً (faux pas)... بفعلي هذا، فإني انتهكت مبدأي في عدم تكريس نفسي لوقت أطول لأشخاصٍ أو أشياء بمجرد أن أتوصل إلى معرفتهم. أمر كهذا هو عقابٌ بحد ذاته، أنا متضايقٌ من نفسي. مثل هذا الشعور أفسد صيفي، وجعل حكمي الموضوعي على الأخوية أكثر كآبة... وهنا يا صديقي، يجب عليّ دائماً أن أفكر بك بامتنان، كم مرة معك، ومعك وحدك، انزاح

(1) Volz 1990: 151
(2) KSAB II: 65
(3) KSAB II: 81
(4) KGW I - 4: 507

عني المزاج النكد الذي عادة ما كان يتملكني. ولذلك فإن ذكرياتي السعيدة عن الاستمتاع في (بون) مقترنةٌ دائماً بصورتك».[1]

الجملة الأخير مهمة، لأنه في فقرة تالية من نفس الرسالة، يعزو (نيتشه) تحرره من الإعتمادية إلى صداقته مع (موشاك): «في تقديري، كان الكسب الأعظم من هذه السنة أني تعلمت بشكل أفضل كيف أفهم نفسي. وليس آخراً، أني ربحت صديقاً مشاركاً حميماً. بالنسبة لي ***هذه الأمور بالضرورة تسير جنباً إلى جنب***. ذلك أني ومع صراعاتي الداخلية المعقدة، وإهمالي، وأحكامي الطائشة غالباً، مع كل هذا أستطيع أن أجذب اهتمام انسانٍ رائعٍ مثلك أنت، يفاجئني ذلك أحياناً، ولكنني أتمنى أن يكون ذلك لنفس الأسباب [يقصد تفاجؤه]».[2] (تمت إضافة التأكيد) إن العبارة بالخط المائل مثيرةٌ للاهتمام لأنه ـ وعلى العكس من موقف (نيتشه) المعتاد والذي يتمثل بالفردانية المطلقة ـ يقر بأن نمو النفس والعلاقات البشرية يسيران بالتوازي ويعززان بعضهما البعض. وبالطبع كون (نيتشه) هو (نيتشه)، فهو لا يمكن أن يقوم بمثل هذا الإعتراف بدون أن يتراجع عنه، ولا يمكن أن يقدم تنازلاً لصديقه بيد حتى ينتزعه باليد الأخرى، ويكمل: «وفقط في لحظات عندما ترفض الروح كل شي فإني أتساءل فيما إذا كان صديقي (موشاك) يعرف عني فقط أقل القليل».

وبمعزلٍ عن الأخوية، تقبع البؤرة الدرامية لعام (نيتشه) في حاجته إلى اختيار مجالٍ يركز عليه. وها هو يرفع التحدي إلى درجة تركه اللاهوت وتأكيد رفضه هذا برفضه المسيحية أمام عائلته. وعلى الرغم من قدرته على الدفاع عن إلحاده، فقد كان أقل نجاحاً في اعتناق مسار إيجابي. إن قراره باعتماد علم اللغة لم يسمح له بتركيز قدراته في الفصل الثاني بشكلٍ أفضل مما فعل في الفصل الأول. ربما وكما سيعترف لاحقاً، فهو أدرك للتو أنه لم يولد عالم لغة وأن الطرق الجافة والإخماد الذاتي في التعليم الأكاديمي كانت غير مناسبة لمواهبه ودوافعه. وفي الوقت نفسه ظهرت الفلسفة كمسارٍ ثالثٍ مشتت. خلال فصله الأول حضر ندوة لـ(جان) حول الحلقات الدراسية، ظاهرياً هذا صف عن علم اللغة، ولكن مع مضامين فلسفية. خلال الفصل التالي حضر محاضرات (شارشميدت) حول (أفلاطون)، وحضر أيضاً مقرره عن تاريخ الفلسفة، وهذه الأخيرة هي دراسة استقصائية موسعة من فترة ما

(1) KSAB II: 79 - 80

(2) في الأصل إن بداية الجملة «هذه الأمور بالضرورة» تبدأ فقرة جديدة

قبل (سقراط) إلى (كانت)، وربما تتضمن انتقادات (شوبنهاور) حول الأخير.[1] خلال السنة، درس كتاباً أيضاً،[2] قام (توماس بروبيير) بالإشارة إليه على أنه كتاب (كارل فورتلاج Carl Fortlage) في التاريخ الحقيقي للفلسفة منذ (كانت).[3] ولا يكشف (نيتشه) على أي نطاق توسع في دراسة (فورتلاج)، ولكنه بالتأكيد تصفحه خلال الخريف. وفي عطلة الفصح بعد ذلك بستة أشهر كان لازال متعلقاً بكتاب التاريخ الحقيقي، لأنه أدرجه كأحد الأشياء التي سيحزمها معه في رحلته إلى (نامبورغ). وباختصار، طوال فترة وجوده في (بون)، كان (نيتشه) يدرس الفلسفة بشكلٍ جانبي، واضعاً ملاحظة أستاذه القديم نصب عينيه: «[الفلسفة] هي حيث تقوده أعمق دوافعه الداخلية». ومما يجدر قوله إن (نيتشه) قد يكون اشتد على نفسه عندما لام نفسه على الرسوب في السنة الأولى. وقد اعتبر بعض التربويين أن مثل هذا التردد والخطوات الفاشلة هي مبنية ضمن النظام ومتضمنة ضمن العملية التربوية. كان للـ((بيلدانغ)) بعض الجوانب الإيجابية وأخرى سلبية. وكان (الجمنازيوم) نظرياً قد غذى إمكاناتٍ ربما تكون مخربة بإيقاظ اهتمامات ومواهب غير متوقعة، وهذا على أي حال، يبقى ضمن الاختبار من خلال حدود خارجية من الضوابط الصارمة. في الجامعة سُحبت مثل هذه الحدود. وأعطي الطلبة الآن حرية كاملة تقريباً، وكان يتوقع منهم بشكلٍ ما أن يديروا اهتمامات وقدرات متنوعة في نظام نابضٍ بالحياة ولكن متماسك. وطلب منهم كنتيجة أن يتحملوا مسؤولية أنفسهم، فكانت مهمةً صعبةً ليتم تحقيقها في مثل هذا العمر الغض، وكان الطلاب الذين لم يتخرجوا «يلحق بهم الخراب» خلال هذه العملية.[4] وطبقاً لما قاله (فريدريك بولسن Friedrich Paulsen)، الذي عين لاحقاً صاحب السلطة على نظام التعليم الألماني مستخدماً لغةً عكست نوع الترتيبات في ذلك الوقت:

«فقط من خلال ممارسة الحرية... يمكن للمرء أن يتعلم ماذا يفعل بالحرية، كيف يتواصل

(1) انظر الفصل 10 القسم 3

(2) رسالة إلى (كليتسشك Kletschke). KGB I - 4: 15. يذكر (نيتشه) هنا كتاب عن «تاريخ الفلسفة منذ كانت» وكانت الرسالة مؤرخة في 31 اكتوبر 1864. وإذا كان (بروبير) محقاً بأن الكتاب لـ(فورتلاج) بالتالي (نيتشه) احتفظ به لأفضل جزءٍ من العام

(3) Fortlage 1852 مقتبس في Brobjer 2008: 46 كما يشير العنوان فإن كتاب (فورتلاج) تماماً بعد كانتي في التوجه ويبدأ مع (فيشت Fichte) الذي يعتبره (فورتلاج) قمة في المجال. ثم يتوسع الكتاب إلى (شيلينغ Schelling) وهيغل ومعاصريهم، بدون استثناء (آرثر شوبنهاور) الذي خصص له 17 صفحة، انظر KGW I - 4: 37, 50. ويشير (نيتشه) في الأخير أنه سيأخذ الكتاب إلى (نامبورغ) لعطلة عيد الفصح.

(4) Jarausch 1982: 240 تأتي الاقتباسات من ترجمة من (بولسن)

مع نفسه وكيف يدير نفسه. صحيحٌ أنها طريقة خطيرة للتعليم، ولكن لا توجد وسيلة غيرها. قد يضل المرء، وسوف يضل الكثيرون، وحتى ولو حدث ذلك، معظم الناس يضلون لفترة تطول وتقصر حتى يكتشفوا ما هو صحيحٌ ومناسبٌ لهم. ولكن يجب أن تضل كمخاطرة على مسؤوليتك الخاصة، ثم تجد الطريق الصحيح بجهودك الخاصة، عندها سوف تكون قد اكتسبت خبرة عظيمة».[1]

وأنهى الكلام باقتباس من (روسو Rousseau) «يجب علينا أن نخاطر بالأولاد إذا كنا نرغب في كسب الرجال».[2] بكلماتٍ أخرى، فإن ما فسره (نيتشه) على أنه فشلٌ شخصي كان بالنسبة للتربويين جزءاً من خطة نظام التعليم.[3] وكون (نيتشه) ليس مطلعاً على حصافة (بولسن) ومحبطاً بسبب فشله في تحقيق النجاح، فقد أمضى الساعات الأخيرة في (بون) مع (هيرمان موشاك) و(بول ديوسن)[4]. وسيرافق (موشاك)، المحاصر في (بون) مؤقتاً بسبب ديونه غير المسددة، صديقه إلى (لايبزيغ). فيما سيبقى (ديوسن)، الذي كان ساخطاً من فرص التعليم في (بون) أيضاً، في المدينة لمدة تسعة أشهر، وبعدها سيتنقل إلى مدرسة لاهوتية في (توبنجن Tübingen)، وهي الخطوة التي عارضها صديقه من (نامبورغ) بشدة. لم يتردد (نيتشه) في إخبار أصدقائه عندما اعتقد أنهم ضلّوا عن مسارهم الصحيح، وقد يكون قدم بعض النصائح الجيدة ذلك المساء. عندما وقف الطلاب الثلاثة بالقرب من الباخرة التي سوف تحمل واحداً منهم بعيداً، كان (ديوسن) فريسةً لمشاعر مختلطة. كان الاثنان قد أمضيا ستة أعوامٍ حميمةٍ معاً، منذ بدء ارتباطهم الرسمي عندما استعملا السعوط، وخلال أزمات (نيتشه) في أعوامه الأخيرة في (شولبفورت)، إلى الأشهر المتعثرة في (بون). والآن سوف يفترقان، ويشعر (ديوسن) أنه يغرق في موجة من الوحدة. وعلى أي حال، فقد اعترف قائلاً «لقد تنفست الصعداء أنا أيضاً، كشخص أزيل عن كاهله حملٌ ثقيل. كانت شخصية (نيتشه) قد مارست نفوذاً قوياً خلال ستة أعوامٍ قضيناها سوياً. كان دائماً يبدي اهتماماً

(1) Paulsen 1895: 207 - 208

(2) Paulsen 1895: 209

(3) إن آراء (نيتشه) حول هذا الموضوع وعلى نطاقٍ واسع هي الأكثر عرضاً حتى نهاية سلسلة محاضراته، «حول مستقبل مؤسساتنا التعليمية»
KSA I: 737 - 747 ولسوء الحظ فإن هذا المقطع لا يفسح المجال لاقتباس موجز

(4) وفقاً لـ(ديوسن) وعلى الأقل فإن (نيتشه) يذكر فقط حضور (موشاك) ذلك المساء. انظر: KGW I - 4: 507

صادقاً لوضعي، ولكن أيضاً كان ميالاً للتصحيح، والانتقاد، وأحياناً كان يضايقني».[1] وبالرغم من نداءاتٍ متكررةٍ من صديقه، فهو لن يزور (نيتشه) ولو لمرة خلال الأعوام الثلاثة والنصف القادمة، حتى عندما عاش في (برلين)، التي تبعد مسافة رحلة أقل من يوم. في الحقيقة، باستثناء ليلة واحدة قضاها مع (نيتشه) تحت الإكراه، فإن الرجلين لن يلتقيا مرةً أخرى لمدة سبعة أعوام، وحتى عندها كان تواجههما كالحاً في النهاية.[2] أما بالنسبة لـ(نيتشه)، فإنه لا يشعر بأي تناقض مهما يكن، ففي (بون) زرع الضعف وحصد الإرهاق، ولم يكن قادراً على انتظار الباخرة لتحمله بعيداً. وبينما كان القارب يبتعد عن الشاطئ، «وقف على سطح الباخرة الندي، في ليلة رطبة ممطرة، وشاهد الأضواء القليلة التي تميز ضفة شاطئ (بون) تتلاشى مبتعدة». وبناءً على حكمه،» أعطاني كل شيءٍ الإحساس بأنني أطير».[3]

---

(1) Deussen 1901: 26

(2) Deussen 1901: 85 وللبقاء المفاجئ انظر الفصل 12 القسم 4

(3) KGW I - 4: 508, 507

الفصل العاشر

الشوط الرابع

إن لم يكن للشخص والدٌ جيد، عليه أن يحصل لنفسه على واحد، فإنه من المعقول أكثر أن يتبنى الابن والداً عن العكس، لأنه يعلم بوضوحٍ أكبر بكثير ما يحتاجه الابن.[1]

1

قام (نيتشه) بمغادرة (بون) مرتبكاً، مهزوماً نوعاً ما، وهو لايزال يتعافى من مرضه. كانت أولى خطواته هي النقاهة وانتهت به رحلة القطار عبر الولايات الألمانية في (نامبورغ) حيث تنتظره عائلته. وفي هذا الموقع الهادئ والجذاب تنعّم بإعجابهم به وشرع في لملمة أجزاء حياته. وعلى الرغم من أن العام الذي أمضاه في (بون) لم يكن فشلاً ذريعاً إلا أنه خدش كبرياءه، وبالتأكيد لم يلبِّ التوقعات العالية التي تصورها لحياته. كتب (نيتشه) رسائل لصديقه (هيرمان موشاك) عبّر فيها عمّا في قلبه، وشجب ما اعتبره سلوكه المتهور خلال العام وتأسّف على الوقت الذي أضاعه في الأخوية والذي ورطه مع رفقة سيئة.[2] مثل هذا الاستنكار قد يكون أخفى قلقاً لأن مغادرة (بون) لم تحل مشاكل (نيتشه) الأصلية. فهو نادراً ما كان ليهرب بكل بساطة، وهو تصرفٌ من أنواع الفرار الذي لا طائل منه، إلا إذا تعلم من هذه التجربة.

في غضون ذلك كان من الممكن أن يختار طريقاً مساعداً أكثر من العودة إلى منزل طفولته. تحسنت صحته تقريباً على الفور، وروى أنه على الرغم من أنه بدا مريضاً عند وصوله، سرعان ما سمّنته والدته.[3] وقضى قرابة شهرين في ذلك المكان البديع والرزين،

(1) KSA VIII: 334 قارن HAH I: 381

(2) KSAB II: 79 - 80

(3) KSAB II: 82

مستسلماً لما أسماه «سكون وتحرر المدينة البسيطة».[1] قام هناك بعزف البيانو وتمتع بما كان بالنسبة له قراءةً خفيفة ـ غالباً كانت أعمالاً ثانوية لـ(ديفيد فريدريك شتراوس) ـ وكان يستيقظ في الخامسة صباحاً بشكلٍ يومي للاستمتاع بأواخر أيام الصيف الزرقاء الصافية.[2]

هذا لا يعني أنه لم تكن هناك لحظات محرجة، ففي 16 أكتوبر كان على وصي (نيتشه) أن يسأله «ما هو المبلغ اللازم لإنهاء أمورك العالقة في (بون)؟»[3] كما أدلت والدة (نيتشه) المقتصدة بدلوها في هذه المسألة الحساسة أيضاً. وبعد أسبوعين فقط من وصوله إلى (نامبورغ) تلقى (نيتشه) رسالة من (موشاك)، لم يتمكن هذا الأخير من أن يغادر (بون) قبل أن يدفع فواتيره، وقد سبق له أن رهن ساعته الفضية بالفعل. وذكّر صديقه وهو يائسٌ للحصول على الأموال أن (نيتشه) اقترض منه قطعتين فضيتين (2 غروشن) فهل يمكن أن يعيدها الآن؟[4] واعترف (نيتشه) ولا شك، وكانت من أكثر الرسائل إذلالًا التي كتبها في حياته على الإطلاق، بأنه لا يستطيع أن يسدد لأنه لا يجرؤ على إخبار والدته بأن عليه ديوناً أخرى. وكان عليه أن يترك صديقه مقطوعة به السبل.[5] لم يكن (موشاك) الواسع الحيلة متضرراً، وسرعان ما وجد المال في مكان آخر. ومع ذلك يوضح هذا التراسل كيف كان (نيتشه) محطم المعنويات عند عودته وكم شعر بالعجز حتماً.

ربما كتب (نيتشه) في تلك الفترة سيرته الذاتية الشخصية عن عامه السابق، والتي فُقدت.[6] هو بالتأكيد وضع الملاحظات لها،[7] وإن لم يكملها ستكون هذه الفترة الوحيدة من شبابه التي لم يكتب عنها الكثير. وبصرف النظر عما إذا كان كتب مذكراتٍ كاملة، لكنه بالتأكيد راجع إقامته في (بون) وخلص إلى عبرتين: الأولى، كما ذُكر آنفاً، كانت عضويته في الأخوية «نزوة» وربما كان من الحكمة أن يستقيل. والثانية، كان العلاج الأمثل للانحراف هو أن ينهمك في «العمل الشامل والمتواصل».[8] وبناءً على ذلك، بدأ بحثاً جديداً عن (ثوغنيس)،

---

(1) KSAB II: 85

(2) KSAB II: 82, 85

(3) KGB 1 - 3: 59

(4) KGB 1 - 4: 17

(5) KSAB II: 79

(6) أحرق بعض القصائد في (لايبزيغ) ودمّر دفتر مذكراتٍ كامل. KGW I - 4: 516

(7) KGW I - 4: 62 - 64

(8) KSAB II:80

الشاعر اليوناني القديم الذي كان موضوع أطروحة تخرجه في (شولبفورت). الواقع أن (نيتشه) كان قد استأنف بالفعل العمل على هذا الموضوع خلال ربيع وصيف وجوده في (بون)،[1] ولكنه عاد إليه الآن بِنيّةٍ متحفّزة لاستخدامه في تأمين مدخل إلى حلقة علم اللغة الدراسية في (لايزبيغ)، وحاول على وجه الخصوص تحديد مصدر الإضافات الزائفة التي أدخلت على النصوص الأصلية. كتب لـ(موشاك) «لقد تمت إساءة التعامل مع (ثوغنيس) بشكل مقيت» «وأنا بمقصٍ كبيرٍ دقيق، وباتباع منهجٍ موضوعي مطوّل، أقصّ منه يومياً بعض الرقع من البهارج الخادعة».[2]

كما أن بحثه عن (ثوغنيس) الذي استخدمه في (شولبفورت) قد تمت كتابته في (نامبورغ) أيضاً، وغالباً هذا المزيج من الدراسة والحياة المنزليّة ـ في عمله على مكتبه في حين اهتمت والدته وشقيقته باحتياجاته بهدوء ـ ربما أيقظ فيه الذكريات التي عجّلت شفائه. لقد وجد حضور عائلته شافياً جداً، وفي الواقع أنه لفترة من الوقت تمنى لو تنتقل والدته وشقيقته معه إلى (لايزبيغ)، وطُرح هذا الاحتمال في أوائل أغسطس قبل أن يغادر (بون)، وأشاد (نيتشه) بأنها «فكرة مبهجة فعلاً!»[3] ووفقاً لـ(فورستر ـ نيتشه)، عارضت (فرانسيسكا) الانتقال على أساس أن على ابنها ترسيخ استقلاليته معتمداً على ذاته.[4] إذا كان الأمر صحيحاً فعلاً فمن السهل فهمها لأن قلةً من الطلاب الجامعيين الذكور سيرحبون بأنباء انضمام أمهاتهم وشقيقاتهم إليهم في الجامعة، وكان لحماس (نيتشه) دلالته على أنه لم يقم بعد بقطع ارتباطه بالمنزل. ومع ذلك وبالرغم من ادعاء (فورستر ـ نيتشه)، كان لـ(فرانسيسكا) أسبابٌ عمليةٌ مباشرةٌ أكثر صراحةً للاعتراض، فهي على الأرجح لم تكن تملك النية بالمخاطرة بالمدينة التي عاشت فيها لأربع عشرة سنة للحاق بهذا المسرف لمدة ثلاث أو أربع سنوات فقط إلى (لايزبيغ).

ولكن لو أصبح ابنها فجأة متمسكاً بها، لربما انعكس ذلك بصعوبةٍ على الأم نفسها بتركه يذهب. وستظهر رسالة كتبها (نيتشه) بعد فترة وجيزة لوالدته إدراكاً ملفتاً لاحتياجاتهم

---

(1) KGW I - 4: 45 كان (نيتشه) يعمل على «ثوغنيس» في وقتٍ قريبٍ من عيد الفصح 1865. KGW I - 4: 50. انظر أيضاً KGW I - 4: 64

(2) KSAB II: 81 مقتبس من ترجمة في Porter 2000a

(3) KSAB II: 77

(4) Förster - Nietzsche 1912: 148 انظر KSAB II: 82

المشتركة. فقد اتهمته على ما يبدو بأنه غير ممتن للهدايا منزلية الصنع التي كانت قد أرسلتها. وردّ (نيتشه) نادماً بالقول إنه يفضل جورباً صوفياً من (فرانسيسكا) على إقليمٍ من ملك. مَلكٌ خالصٌ لن يقدر بأي شكلٍ على أن يتصرف بناءً على مثل هذه الأسباب النابعة من القلب، وكتب أن «[الأم] تقدس كل شيء بمحبتها وترغب بتحويل كل هديةٍ إلى تميمة لابنها».[1] وفي حين أن هذه المقارنة كانت بلا شك استرضاءً لمشاعر والدته المجروحة، إلا أنها تحمل في طياتها حقيقةً صائبةً مزدوجة. اعتنت (فرانسيسكا) بولدها بتفانٍ كان في بعض الأحيان غير حكيم، ولكن سيثبت في النهاية بأنه تفانٍ مطلق غير مشروط. وتستولي استعارة التميمة بدقةٍ على التركيبة من المودة والاهتمام والتوق الذي لا حول له ولا قوة، والذي معه أطلقته إلى عالمٍ لم تستوعبه. وفي ذات الوقت كان رد (نيتشه) يشير إلى حاجته هو أيضاً إلى تلك التميمة، وأن الملابس التي ارتداها (التي ستستمر (فرانسيسكا) بغسلها حتى يبلغ الرابعة والعشرين وإرسالها ذهاباً وإياباً بالقطار)[2] حملت معها جرعة سحر من حبها والتزامها، فكانت وسيلةً لجعل مودتها قابلةً للسفر.

مع ذلك لم يستطع (نيتشه) البقاء في (نامبورغ) لفترةٍ طويلة، كما أنه لم يرغب بذلك. في البدء بدا راضياً بمتع الحياة الأسرية، ولكنه سرعان ما انطلق لزيارة خاله (إدموند) في (غورنزن Gorenzen)،[3] وهي قريةٌ معزولةٌ على قمة جبل حيث كان قد أمضى العديد من العطل في فترة مراهقته. كان التعرض المستمر للأنشطة الريفية بدأ يتعب أعصابه، فهو عاد لتوه من مدينة (بون) الصغيرة لكن المتنوعة، وأرض الوطن لم تبل حسناً بالمقارنة. فسخر من المسرح المحلي الذي تعوزه الخبرة، وقارن إقامته في (نامبورغ) بالتواري في أيام الخريف الغنية، هادئة ولكن مملة.[4] وكان قد دعاه (هيرمان موشاك) للانضمام إلى عائلته في (برلين)، فقبل الشاب اليافع دونما ترددٍ حتى لو أن ذلك عنى أن يقضي عيد ميلاده الحادي والعشرين بعيداً عن عائلته. عندما كان مريضاً، كانت (فرانسيسكا) و(إليزابيث) ملجأه الأول للتعافي، أما عندما كان بصحة جيدة فهو لم يطق انتظاراً حتى يرحل بعيداً. في 1 أكتوبر 1865 غادر إلى العاصمة البروسية.

---

(1) KSAB II: 92

(2) KSAB II: 333

(3) KGW I - 4: 90

(4) KSAB II: 86

2

لم تفلح معنويات (نيتشه) المرتفعة بالنجاة من الرحلة إلى (برلين). لم يسبق له أن زار تلك المدينة قط، وكان ينبغي أن يكون متحمساً، ولكنه بدلاً من ذلك كان مزاجياً وساخراً، وعندما قابل هو و(موشاك) بعض الإخوة (فرانكونيا) في المسرح وتمت دعوتهم بعدها إلى أخويتهم للشرب، انصرف عنهم في صمتٍ وحملقةٍ واضحةٍ ووقحة. قد يعود تجهم (نيتشه) إلى المدينة نفسها ـ فهو كمحبٍ للطبيعة نادراً ما انجذب للمدينة الكبيرة ـ وقد تكون معنوياته أيضاً تأثرت بـ(إدوارد)، والد (هيرمان) الكئيب. إن (موشاك) الأكبر سناً جمع بين السلطة العلمية ـ قام بتحرير العديد من التقويمات والكتب السنوية الأكاديمية ـ والعلاقة الحميمة المغرية بكونه والد صديق (نيتشه) المحبب، كما أنه كان على ما يبدو على معرفة ببعض الفلاسفة الذين ازدهروا في أربعينيات القرن التاسع عشر وبعدها. ونتيجةً لذلك، استمع الشاب المحتفل بعيده الحادي والعشرين مصدقاً بسذاجةٍ ما أفصح عنه الرجل الأكبر، «أفكاره فيما يخص إدارة التعليم العالي وازدرائه لـ(برلين) اليهودية وذكرياته عن حقبة الهيغليين الشباب». ويمكن للمرء من خلال تلخيص (نيتشه) لهذه الآراء على أنها «المزاج المتشائم كلياً لرجل شهد الكثير مما وراء الكواليس»، أن يفترض أن القليل من هذه «الأفكار» أثرت بشكلٍ جيدٍ سواء على التعليم العالي، اليهود، أو «الهيغليين الشباب»، مجموعة من الفلاسفة ذوي الميول اليسارية نسبياً من ضمنها (لودفيغ فيويرباخ) و(ديفيد فريدريك شتراوس) و(ماكس ستيرنر Max Stirner). كما اعترف (نيتشه) نفسه أيضاً بأن (موشاك) الأكبر سناً دفعه إلى عالمٍ أكثر كآبة، «تعلمت في ذلك الوقت أن أحب رؤية الجانب المظلم من الأشياء عندما ـ دونما خطأ مني، كما كنت أعتقد ـ حصلت لي أشياء مظلمة».[1]

لو كان (نيتشه) معجباً بآراء (موشاك) الكبير الفلسفية والاجتماعية، لكانت لديه الفرصة لتطبيقها بمجرد نزل هو وصديقه في 17 أكتوبر 1865 في محطة للقطار في (لايبزيغ). فعلى عكس (نامبورغ) أو (بون) الهادئتين، كانت تلك المدينة قد ازدهرت كمركزٍ تجاريٍ لقرابة ألف عام، وعُرفت بالمعارض التجارية التي استضافتها منذ القرن الثاني عشر على الأقل. خلال

---

(1) KGW I - 4: 509 ترجمة (ديفيد ف تينسلي David F. Tinsley) تم التعديل قليلًا. كان (نيتشه) التقى تقريباً بدون شك (موشاك) الأكبر وزوجته مسبقاً في أواخر يوليو BAW III: 413 وسوف يحتفظ بكتاب لـ(إدوارد موشاك) حتى نهاية حياته. Campioni et al. 2003: 402

الفترة ما بين ثلاثينيات وستينيات القرن التاسع عشر، مع مجيء خطوط السكك الحديدية وإدخال الاتحاد الجمركي البروسي، دخلت أولى بذور الثورة الصناعية إلى ألمانيا، وتحرك مواطنو (لايزبيغ) للاستيلاء على حصتهم من الثروة. على الرغم من أن المدينة كانت بعيدةً كل البعد عن التضخم، إلا أنها كانت ستصبح كذلك في عقدٍ لاحق، فازدادت النسبة السكانية 37 بالمئة بين عامي 1860 و1870[1] إلى حوالي 100000،[2] وفي الأثناء تعدّت على جيرانها وابتلعتهم، متضخمةً في الحجم مع قليلٍ من السيطرة المدنية على المشاكل الإجتماعية الناجمة.[3] وفي الوقت نفسه، تطورت طبقة عمّالية فعليّة (بروليتاريا). ففي 23 مايو 1863 أي قبل أكثر من عامين بقليل من مجيء (نيتشه)، أسّس (فيرديناند لاسيل Ferdinand Lassalle) وآخرون الاتحاد العمالي الأول في الولايات الألمانية في (لايبزيغ).[4]

كان (نيتشه) منعزلاً عن العديد من المشاكل الإجتماعية الصاخبة في المدينة، لأنه قضى معظم أيامه وأمسياته في المراكز التعليمية والثقافية. تقع (ثوماسكيرش Thomaskirche) في مأمنٍ بعيداً عن المعامل والأحياء الفقيرة حيث ألّف (باخ Bach) مرةً وحيث غنى (نيتشه) في كثير من الأحيان، وحيث كان قد انضم إلى جمعية (ريدل Riedel) الكورالية، كما حضر حفلات موسيقية في الـ(جيوانداهاوس Gewandhaus) أيضاً، واستمع إلى محاضراتٍ في الجامعة نفسها والتي كانت قد احتفلت مؤخراً بالذكرى السنوية الـ450 لها. كل هذه بالإضافة إلى أن معظم المقاهي التي تردّد عليها تقع ضمن المدينة «القديمة» المسوّرة سابقاً. وبحلول عام 1865 تمت الاستعاضة عن هذه التحصينات بطوق من الأشجار والحدائق، ولكن في وقتهم كانت لا تزال قائمة. فقط عند عودته إلى المنزل في المساء، كان (نيتشه) معرضاً إلى الأثر المتزعزع للاقتصاد الجديد.

قام (نيتشه) و(موشاك) في 17 أكتوبر يوم وصولهم بالبحث سريعاً، واستأجروا مسكناً في الـ(بلومنغاس Blumengasse)، مكان يقع إلى الشرق قليلاً من المدينة القديمة ويبعد عن الجامعة 15 دقيقة سيراً على الأقدام. أخذ (نيتشه) من غرف الطابق العلوي وكان ميالاً إلى محبة شقته في البدء، وهو يسجل أن مالك العقار كان بائع كتبٍ مستعملةٍ وهي مهنةٌ كانت

(1) Heise 2000: 16

(2) Green 2001: 29 قارن Heise 2000: 16

(3) انظر Heise 2000: 17 لبعض المواصفات

(4) ولمزيدٍ عن (لايبزيغ) في تلك الفترة انظر Legrelle 1866 وBazillion 1990

في صالح (نيتشه)، ولكن تصريحه لم يكن صحيحاً تماماً على ما يبدو، لأن مالك العقار رجلٌ يدعى (رون Rohn) باع بلا شكٍ الكتب لفترة، ويبدو بأنه كان مصدراً ثانوياً للدخل في أحسن الأحوال، (لا توجد وثائق عن متجر الكتب الخاص به، ويدرجه دليل عناوين (لايبزيغ) لسنة 1865 على أنه مساعدٌ في السوق).[1] في غضون ذلك، كان المكان الذي استأجره (نيتشه) يقع في مبنىً منفصلٍ عن المبنى الرئيسي الخلفي فكان يدخله عبر حديقة، الأمر الذي كان غالباً مبعثاً لراحةٍ ثمينة في هذه المدينة الصاخبة. وكلمسةٍ إيجابيةٍ أخيرة، وجد صديقه الصالح (موشاك) مكاناً للإقامة في المبنى المجاور.[2]

كان (نيتشه) تحت تأثير أنه ورفيقه دخلوا الجامعة في الذكرى المئوية لتسجيل (جوته) نفسه. ولكن، وكما اكتشف اثنان من الباحثين في السيرة الذاتية، فإنه كان مخطئاً بيومٍ واحد.[3] ومع ذلك بدت المصادفة فألاً حسناً، وتمنى لو أن الجامعة تحتفل بالذكرى السنوية لدخوله هو يوماً ما، وهو خيالٌ لم يتحقق.[4] لم يكن راضياً عن مستوى زملائه في الجامعة، الذين وجدهم «كالأقزام وأغبياء على ما يبدو»،[5] وأقل شأناً بوضوحٍ من الشباب المتألقين الذين كان قد استمتع معهم بتجارب حافلة بالحياة في (بون). وعلى الرغم من أن ازدراء (نيتشه) كان نابعاً من الفخر البروسي، إلا أنه قد يكون محقاً ـ على الأقل فيما يخص المسجلين الجدد لعلم اللغة ـ كان القانون موطن قوة الجامعة، أما سمعة قسم علم اللغة فكانت رديئة.[6] ومن بين 163 طالباً ممن التحقوا خلال تلك السنة الدراسية الأولى، تقدم 66 منهم إلى كلية الحقوق و22 إلى علم اللغة وروحٌ وحيدة سجلت في الفلسفة.[7] وقد اقترح (أولف هيس Ulf Heise) أنه مع أعدادهم الكبيرة ومكانتهم، فإن طلاب الحقوق سيتسلطون على الطلاب من الاختصاصات الأخرى، وكما سيتبين لاحقاً، لن يكون (نيتشه) سعيداً حتى يجد رفاقاً من مجال دراسته نفسه.

في تلك الأثناء، لم يتحسن مزاجه العكر منذ (برلين) ويعود السبب جزئياً لوقوع حادثة.

---

(1) Heise 2000: 17 - 18

(2) كان عنوان (نيتشه) هو رقم 4 بينما كان عنوان (موشاك) 3B. Heise 2000: 13, 16

(3) إن Ross 1980: 114 and Heise 2000: 11 ff صحيحان ولنقاش حول المسألة انظر Blue 2012: 368 - 369

(4) Heise 2000: 11 لم يكن (نيتشه) معروفاً في GDR

(5) KSAB II: 88

(6) Ribbeck 1969 II: 392

(7) Heise 2000: 20

فهو كان قد ترك وراءه بعض الأغراض في (بون)، وبالرغم من أن مالك العقار السابق قد ضبهم وأرسلهم إليه فقد وصلوا متأخرين كثيراً بحيث كان الشاب قد بدأ يعتقد بأنهم فقدوا إلى الأبد، والأسوأ من ذلك أن الأمتعة التي أرسلتها والدته من (نامبورغ) فُقدت بالكامل.

إن خسارة الشخص غير المتوقعة لممتلكاته من شأنها أن تزعج أياً كان، وكانت بالنسبة لـ(نيتشه) ضربةً في صميم مخططاته الجديدة. فقد كان يتوق بشدةٍ ليتجاوز الانحراف وقلة التركيز اللذين أصاباه في (بون)، وأن يشغل نفسه بدلاً من ذلك بالدراسة والعمل الدؤوب. ولكن كانت جميع أدواته ـ الأعمال المرجعية التي لا غنى عنها ومخطوطاته الخاصة، وبصورة عرضية، أغراضه المنزلية وملابسه ـ اختفت. وعلى وجه الخصوص البحث عن (ثوغنيس)، الذي كان قد أعده ليؤهله للحلقة الدراسية في علم اللغة، بدا الآن أنه فقد دونما عودة. وبغض النظر عن مقدار العمل الذي قام به، كان عليه أن يشاهد تاريخ 21 أكتوبر وهو تاريخ تسليم الطلبات من قبل الطلاب يأتي ويذهب وهو يقف عاجزاً لا يملك شيئاً ليقدمه. «السكك الحديدية القذرة، وكلاء الشحن القذرون»، قال بغضب «أنا غاضب من العالم بأسره».[1] على الرغم من ظهور الصندوق المفقود في نهاية المطاف ـ بعد أسبوعين فقط ـ فإن سرور (نيتشه) بظهوره لا يبدو حتى بمضاهاة شدة يأسه عند فقدانه. كان قد خسر الفرصة في ذلك الوقت للمشاركة في الحلقة الدراسية، وكما سنناقش أدناه، كان قد وجد أسباباً جديدة لترك معنوياته تزداد في الانحدار. ولدى وصوله إلى (لايبزيغ) عاد (نيتشه) تقريباً على الفور إلى المعايير الدقيقة للصداقة التي وجّهت طفولته ومراهقته. ولم يعلن سوى عن ندمه لمشاركته في الأخوية، وفي يومه الثاني في المدينة كتب رسالةً متعجرفة يطلب فيها من (فرانكونيا) شطبه من قوائمها.[2] (وهم وافقوا بسرور).[3] وبرغم أنه في الأشهر التالية أمضى عدة ساعات من اليوم في المقاهي، إلا أنه حصر صحبته إلى حد كبير بـ(موشاك) و(جيرسدوف) و(رودولف شنكل Rudolf Schenkel)، وهو على ما يبدو قريبٌ له لكن ليس قريبه بالدم على الإطلاق، كونه أخاً لزوج إحدى أخوات (فرانسيسكا). وكما يؤكد (نيتشه) وتظهر رسائل (شنكل)، كان (رودولف) مرحاً وجذاباً وراقصاً متحمساً ولديه حساسية شديدة من الفلسفة ـ ليس من نوع الأشخاص الذي سيستمتع بما يفضله (نيتشه) ـ في الواقع كان هذان الاثنين متوافقين كفاية

(1) KSAB II: 89

(2) KSAB II: 88 - 89

(3) Deussen 1901: 24

للاختلاط والسفر معاً وحتى العيش لفترة من الزمن في شقق متجاورة. قد يأسف (نيتشه) على نفور (شنكل) من الفلسفة- وربما ارتأى (شنكل) بأن (نيتشه) كان «متنزهاً بائساً»،[1] ولكن (شنكل) ظل حاضراً في حياة الأخير خلال إقامته الأولى في المدينة مما سرّ قلب (فرانسيسكا) محبّة العائلة بلا شك.

قد يعود سخط (نيتشه) خلال الأسابيع في (برلين) والشهر الأول في (لايبزيغ) إلى إدراكٍ قاتم. فبالرغم من تصميمه على تولي زمام المسؤولية في حياته، كان لا يزال على الأغلب هائماً بغير هدف. لا شيء تقريباً في حياته الحالية يتوافق مع الرغبة الجامحة التي عزم عليها، وهو لم يكن في (لايبزيغ) لأنه أحب المدينة بل وصل إلى هناك على إثر رفضه لـ(بون)، فهو لم يكترث لعلم اللغة بشكلٍ خاص بل لم يستطع ببساطة أن يفكر باختصاص عملي أكثر، حتى أن صاحبه (هيرمان موشاك) قد يبدو مجرد صورةٍ زائفةٍ لصديق، كبديلٍ بين (بول ديوسن) ورفيق الروح التالي الذي لن يظهر لعدة سنوات أخرى. جميع ما يفترض بأنه مهم في حياة (نيتشه) كان مجرد بديل، ما عدا مرارته ومزاجه السيئ المزمن.

أنصت (نيتشه) في كل حياته لهمسات مرور الوقت الرقيقة، وهو لم يكن ليدع عيد ميلاده الحادي والعشرين يذهب دون أي اهتمام. احتفل به مع عائلة (موشاك) في (برلين)، وبعد أسبوعين من ذلك ذكّر عماته في (نامبورغ) (روزالي) و(فريدريكا) بأن الجسم بأكمله يجدد نفسه كلياً كل سبع سنوات. سجل عيد ميلاده المنعطف الثالث للعجلة. «ولكن ما الذي سيحدث لي في هذا الشوط الرابع من سبع سنوات؟ كل شيء يجب أن يتقرر ضمنه. فبمجرد ذهابه يجب أن يكون الإنسان كاملاً والبدن بأكمله لا عيب فيه، بعدها يمكننا بالكاد زخرفته وليس إعادة بنائه».[2] كانت تلك نظرية الشخصية التي أثقلت كاهل الرجل الشاب كثيراً. إذ كان عليه إجراء تغييراتٍ ولكنه لم يكن متأكداً من ماهيتها. مهما كانت الحالة النفسية الجيدة التي حشدها (نيتشه) عند مجيئه فقد هجرته الآن، وبدأ يرى شقته على أنها مسكن كئيب نوعاً ما ويشبه سكن الطبقة العاملة وعلى الأرجح كان كذلك. «إنه بعد ظهر أحدٍ حزين جداً»، كتب لوالدته في ذلك الخريف، «تتساقط قطرات المطر بلطفٍ على سقف الزنك الذي يمر تحت نافذتيّ. يعيش الكثير من الناس بالقرب مني وبإمكاني الرؤية عبر شققهم، لا شيء سوى

(1) KGB I - 4: 463

(2) KSAB II: 93

وجوهٍ قبيحة، وكل شيءٍ في الحدائق التي تمتد عن يساري ويميني أصفر اللون كالمومياء ومقفر. هذا هو عالمي الآن».[1]

3

بفطنة غير عادية لمن في الحادية والعشرين من العمر، يبدو أن (نيتشه) أدرك طبيعة مأزقه بالضبط. فهو بحاجةٍ لإيجاد أسلوب حياةٍ مماثلٍ لطبيعته الخاصة. كان قد فشل في (بون) لأنه خضع لتأثير الآخرين. ومن المحتمل أن يؤدي ذلك إلى فشلٍ مماثلٍ إن هو لم يقم بتقييم قيمه الخاصة، ويصر على تطبيقها حتى النهاية. وهذا ما دعا إلى العودة للبحث عن تعريف الذات الذي كان قد شغله كثيراً سابقاً في فترة المراهقة، وبدأ بإصرارٍ في تحديد المثل والأنشطة التي تناسبت مع احتياجاته. «من الصباح حتى المساء»، كتب عن ذلك الوقت، «سعيت جاهداً إلى صناعة حياةٍ تلائمني أنا».[2]

بينما كان في خضم هذا الصراع (وخلال أسبوعين من وصوله إلى لايبزيغ)، قام بزيارة متجر الكتب الذي يديره مالك العقار. هناك أخذ مجلداً من الرف، فتحه ووجد نفسه منتشياً. «لا أستطيع أن أقول أي شيطانٍ همس لي:' خذ هذا الكتاب إلى المنزل معك'» كتب قائلاً «حدث ذلك على أي حال على الرغم من شيمتي الاعتيادية في عدم التسرع بشراء الكتب.»[3] وفي هذه المناسبة تغلب على تردّده مسرعاً إلى شقته مع كنزه، ألقى بنفسه على طرف الأريكة، واستسلم لسحره. كان المؤلف هو (آرثر شوبنهاور)، الكتاب: «العالم إرادةً وتمثيلاً»، والقارئ: (فريدريك نيتشه) الذي يبدو أنه قد أنهاه بنهمٍ كما لو أنه كتب خصيصاً له.[4]

على الرغم من أن (نيتشه) يعطي انطباعاً ـ أثناء الاستغراق في ذكرياته ـ بأن مصادفته لـ(شوبنهاور) كانت محض صدفة، لكنه بالتأكيد كان على درايةٍ بالاسم وربما بعض من العقائد الأساسية للرجل قبل أن يقرأ كتابه. فقد كرّس «تاريخ الفلسفة الحديثة» لـ(فورتلاج) الذي امتلكه وفرضياً قرأه ـ أقله على عجل في (بون) ـ قسماً كاملا لفلسفة (شوبنهاور)، ويبدو أن صف (شارشميدت) عن تاريخ الفلسفة انتهى بذكر نقد (شوبنهاور) لـ(كانت)، كما أوحت

(1) KSAB II: 89 في نص (نيتشه) فإن الجملة الأخيرة تبدأ فقرةً جديدة

(2) KGW I - 4: 513

(3) kGW I - 4: 513

(4) UO III: 2; KSA I: 346

مذكرات (نيتشه) نفسها بهذا الأمر.[1] ويشير (ديوسن) مؤيداً أن كلا الرجلين كانا على علمٍ بسمعة الرجل عند وجودهما في (بون) على الرغم من أنهما «نادراً» ما ذكراه.[2] وأخيراً كانت شهرة (شوبنهاور) في ذلك الوقت واسعة الانتشار بين الجمهور الألماني، ويبدو أنه من غير المعقول أن (نيتشه) لم يكن على درايةٍ برؤيته العامة على الأقل. وإذا لم يكن قد يقرأ يوماً عمل الرجل فقد كان على جهوزيةٍ لقراءته.

عند هذه النقطة، فإن بعض المعرفة بفلسفة (شوبنهاور) أمرٌ أساسيٌ لا استغناء عنه، إذا كان للقارئ أن يفهم ما وجده (نيتشه) هناك. ولكن في البداية، هناك اثنان من المحاذير: أولاً: إن التوصيف التالي يهدف فقط إلى نقل مواقف وآثار عمله الرئيسي [شوبنهاور]، ومن الواضح أنه ليس ببديلٍ عن التعامل مع نصوصه. ثانياً: قبل أن يتمكن المرء من البدء حتى في تناول أفكاره، عليه أن ينخرط في عمل (إيمانويل كانت Immanuel Kant)، الفيلسوف المعاصر الذي كان أكثر من كرّمه، والذي اعتبر نفسه تلميذاً له، تلميذاً مشاكساً إلى حدّ ما.

وجد (كانت) نفسه مندهشاً من قدرة البشر على معرفة العالم بشكلٍ مطلق. كيف يمكن أن يكون هناك مثل هذا الانسجام بين المخلوقات المحدودة والواقع، بحيث أنهم يقدرون ليس فقط على فهم العالم من حولهم ولكن أيضاً على إصدار أحكامٍ خالدةٍ عنه. لماذا يجب أن تكون التجربة الإنسانية والواقع الذي يواجهها ظاهرياً متطابقين بسلاسة لدرجة يمكن معها أن يتوقع علماء الرياضيات لنظرياتهم والفيزيائيين لقوانينهم بأن تستمر في جميع أنحاء الكون. لشرح ذلك، افترض (كانت) ـ وأثبت بشكلٍ شخصي ـ أن البشر يمكنهم معرفة العالم لأنهم في ملاحظتهم له، استوعبوا البيانات بالطرق التي تمكّنهم من قبولها وتنظيمها. لم «تحدد» التجربة أبداً بشكلٍ سلبي، ولكن اقترح (كانت) بدلاً من ذلك أن البشر استخدموا نماذج معينةٍ من الحساسية (المكان والزمان) وفئاتٍ متناسقة (الفردية والتعددية، السبب والنتيجة من بين أخرى غيرها) لخلق تجربةٍ مترابطةٍ وترتيب البيانات بطرق يمكنٍ أن يفهموها. وقد أمكنهم فهم العالم لأنهم، إن جاز التعبير، أعادوا تكوينه وفقاً لشروطهم الخاصة.

كانت فرضية (كانت) عبقرية ولكنها انطوت على معضلة ميتافيزيقية. كان قد ألقى ضوءاً جديداً على بعض بنى التجربة وشرح كيف يمكن للأخيرة أن تكون متغيرة ويمكن التنبؤ

(1) انظر 188 - 185 :Figl 2007 لنقاشٍ متحفظٍ حول الموضوع

(2) Deussen 1901: 25 - 26

بها بثقة معاً. ولكنه فعل ذلك من خلال رسم حدود لا مرئية بين ما أطلق عليه اسم «العالم الظواهري» أي العالم المبني بقدراتٍ إدراكيةٍ بشريةٍ و(لنستخدم تعبيراً غير لائقٍ لكنه مفيد من الناحية التعليمية) «العالم كما كان فعلاً»، واقعٌ يفوق إدراك البشر. فمن جانبٍ يقع عالم التمثيل، العالم الذي وجده البشر مفهوماً بسبب أنهم خلقوه بأنفسهم إلى حدّ ما. ولكن هناك أيضاً يوجد، حسب اعتقاد (كانت)، بُعدٌ يطلق عليه معظم الناس «الواقع المطلق»، والذي فيه لا يمكن أن يمتلكوا معرفة نهائية، وذلك لأنه لم يكن قابلاً للاستيعاب بالطرق التي نظموا فيها التجربة. دعى (كانت) هذا العالم فوق التجريبي بـ«الشيء في حد ذاته»، وقاوم بشدة محاولات التكهن في ماهيته، وقال إن الإنسانية بإمكانها أن تفهم وتتحرّى العالم المتمثل لها من خلال التفاعل بين الفكر والحواس، ولكن لا يمكنها الذهاب إلى أبعد من ذلك دون الإنخراط في سخافات ميتافيزيقية. لكن، كما هو الحال مع جميع الأشياء المحرمة، ما إن نشر (كانت) هذا التحذير حتى بدأ الفلاسفة المعاصرون بالضغط عكسه موجهين اهتمامهم في نفس الاتجاه الذي استنكره.

في عام 1818 في سن الثلاثين، دخل (آرثر شوبنهاور) إلى ساحة النزاع، وهو كان قد قرأ لـ(كانت) في الجامعة ودرس تحت يد أحد أكثر نقاد الأخير شدة (غوتلوب إرنست شولز (Gottlob Ernst Schulze.[1]

في البداية كان (شوبنهاور) مقاوماً إلى حدٍ ما لنظريات (كانت)، ولكنه في نهاية المطاف وجد العديد منها تنويريةً وصحيحة. ومع ذلك اختلف معه بأقوى العبارات على نقطة واحدة. قرر (شوبنهاور) بأن «الشيء في حد ذاته» لم يكن غريباً أو بعيداً جداً بعد كل شيء، بل كان قريباً ومباشراً وحميمياً كما يكون جسمنا المادي. قال (شوبنهاور): «لنعتبر أن جسمنا قد أعطي لنا بطريقتين، فمن ناحيةٍ بإمكاننا رؤيته مادياً: نحن نلاحظ كوعنا متكئاً على الطاولة أو ننظر إلى المرآة ونلاحظ بأن شعرنا بحاجة إلى تسريح».[2] إلى ذلك الحد فإن جسمنا هو جزء من الواقع الذي يمكن إدراكه، جزءٌ مما يسميه هو و(كانت) عالم التمثيل، «كائن بين الكائنات.» (100)[3] ومع ذلك، يقول (شوبنهاور): «نحن أيضاً مدركون بأن أجسادنا هي وسيلة

(1) كان (شولز (Schulze) قد نشر «إينيسيديموس Aenesidemus» نقد مؤذٍ لـ(رينهولد (Reinhold وبالتالي لـ(كانت). Henrich 2003: 147 - 153.

(2) كل الأمثلة المعطاة في هذا القسم هي للمؤلف وليست لـ(شوبنهاور)

(3) Schopenhauer 1969: I, 100 جميع أرقام الصفحات الواردة بين قوسين تشير إلى هذه الطبعة والترجمة (E. F. J. Payne) ما لم يذكر خلاف ذلك، المراجع هي لـ vol. I

لإرادتنا، أي هي: كالتعبير عما هو غالباً غامض الإحساس ولكن دائم الحضور ومركبٌ من الشوق والكره الذي غالباً ما يظهر في الأعمال ضمن العالم ككل. نحن نريد رشفةً من القهوة ونرى يدنا وهي تمتد إلى الكوب، تقع خزانة كتب ونحن نقفز لنتفاداها». يحثنا (شوبنهاور) على رؤية كل ما نقوم به كتعبيرٍ عن هذا الرابط بين الموقف الداخلي والموقف الخارجي. «إن فعل الجسد ليس سوى فعل الإرادة لكن مجسّداً أي مترجماً إلى إدراكٍ حسي». (100) بالفعل يعبر جسدنا عن إرادتنا حتى عندما نبدو جامدين، لأنه لدينا عواطف دائماً وهذه لا يمكن فصلها عن أجسادنا، كما يظهر في العواطف الفظة، عندما يملؤنا الغضب، مثلاً، أو تشلنا رغبة جنسية، أو تستحوذ علينا الحاجة إلى الطعام أو الشراب. كما نجده يعبّر بشكل أعمّ: «[كـ]ـل حركة متحمسة ومفرطة للإرادة، وبكلماتٍ أخرى، كل عاطفة تهيج الجسد وعملياته الداخلية بشكلٍ مباشرٍ وفوري وتقلق مسار وظائفه الحيوية.» (101)

يعود بعد ذلك (شوبنهاور) إلى الطريقتين اللتين أعطينا الجسد بهما، طريقتان نعلم الآن أنهما تعملان على التوازي: الوصول إلى القهوة ورؤية يدنا تمتدّ لتصل إليها هما جانبان من الحدث ذاته، أو لوصفها بعموميةٍ أكبر إلى حدّ ما، إن امتداد ذراعي والرغبات الجسدية التي يبديها ذلك هما جانبان من واقعٍ واحد. فإرادتي وجسدي أصبحا منسجمين الآن. يقترح (شوبنهاور) بعدها أنه إذا كان جسدنا، عند رؤيته من الخارج كأي كائن آخر في العالم، مكشوفاً ليكون تجلياً لإرادتنا، عندها علينا التفكير في احتمالية أن بشراً آخرين هم أيضاً تعابير من نفس نوع الكينونة الداخلية. وبعبارةٍ أخرى، الأجساد البشرية الأخرى ـ كأجسادنا ـ هي تعبيرٌ عن الإرادة. في الواقع يذهب (شوبنهاور) أبعد من ذلك، ويطلب من القرّاء بأن يفسّروا كل ما يرونه ـ وليس فقط بشراً آخرين وإنما جميع الكائنات الحية وحتى الأثاث المادي للطبيعة (كالحجارة، والسماء، والأشجار، والتربة) ـ على أساس هذا الجانب المزدوج. ظهورهم في التمثيل هو أيضاً تعبير عن الإرادة (أو كما يدعوه (شوبنهاور) «تجسيد»). من الواضح هنا أن الفيلسوف يتوسع بمعنى «الإرادة» لتشمل الكائنات التي يحكمها ما أسماه العلماء في عصره بـ«القوة» وهي: الأنواع من السبب والنتيجة التي ناقشها الفيزيائيون. فهي حركة كبيرة، وقد لا تكون آثارها واضحة على الفور. يبدو بأن (شوبنهاور) يعني للوهلة الأولى بـ«القوة» المفاهيم البيولوجية غالباً، مثل عمل المحفزات والغرائز. في نهاية المطاف، يصبح من الواضح أنه يعتزم أيضاً استبدال مثل هذه المفاهيم في الفيزياء كفعلٍ عن بعد مثل فعل (الجاذبية والمغنطة). هذا الامتداد الشامل للإرادة إلى القوة يسمح له بتفسير كل

شيء في العالم كتعبيرٍ عن فرديةٍ ديناميكية. ويؤكد لنا «يبقى علينا فقط أن نأخذ الخطوة النهائية» ونحن أيضاً سوف «نلاحظ الدافع القوي الذي لا يقاوم وبسببه تتدفق كمياتٌ المياه إلى أسفل، والمواظبة والإصرار اللذين معهما يتحول المغناطيس إلى القطب الشمالي دائماً، والرغبة الحثيثة التي معها ينجذب الحديد إلى المغناطيس... وإذا لاحظنا كل هذا، لن يكلفنا الأمر الكثير من عناء المخيلة لنتعرف مرة أخرى على طبيعتنا الداخلية حتى ولو على مسافة كبيرة جدا». (117 ـ 118)

هذا هو نوع الفرضية التي قد تؤدي بالعديد من القرّاء إلى توقفٍ موقت. ومع ذلك، فهي تملك جاذباً تخيلياً وكانت ضروريةً إذا ما أراد (شوبنهاور) أن يحافظ على أطروحة محورية: كل الواقع الظواهري كان عبارةً عن جزء، عبارة عن التمثيل لجانب داخلي أكثر شراً بكثير. وهو نابع عن «تصحيحه» الثاني لـ(كانت). كان الأول هو أن لدينا طرقاً لمعرفة ما الذي يفلت من بُنى التمثيل. وتجدر الإشارة إلى أن (كانت) نصّ على نوعين من الواقع، واحد من تمثيلاتنا (الذي يدعوه «العالم الظواهري») وواحد هو «الشيء في حد ذاته». باتباع هذا المنطق جادل (شوبنهاور) بأننا نحن أنفسنا نكون كلاً من موضوع الإدراك و«الشيء في حد ذاته»، وإذا كان لدينا هذا النمط الثاني من الوعي، عندها يجب بطريقةٍ ما على هذا الوعي الداخلي لجسدنا أن يقدم إدراكاً للشيء بحد ذاته أيضاً، أي هو «الواقع المطلق» الذي يؤسس عالم التمثيل.

كانت هذه قفزةً وكانت تبعاتها هائلة. فإذا كانت الإرادة هي «الشيء في حد ذاته» فهي عندها لا تخضع للحركات والقواعد التي تنظّم عالم التمثيل. ولا يمكن لها أن تكون فردية، مثلاً، بما أنها لم تكن خاضعةً لقيود المكان والزمان. ولا كانت الإرادة خاضعة للسببية لأن هذه كانت مبدأ حاكماً يقتصر على عالم التمثيل. لم يكن يجب على الإرادة أن تكون معروفة أيضاً، على الأقل ليس بالطريقة التي يمكننا بها إدراك الأشياء من التجربة الحسية. ولكن يبدو أن (شوبنهاور) كان يعتقد أنه تجنب هذا المأزق بالإدعاء بأننا نعرف «الشيء في حد ذاته» ـ ليس بموضوعية ـ ولكن عبر «ممر خفي ـ تحالف سري ـ الذي، كما لو كان عن طريق الخيانة، يضعنا دفعة واحدة في الحصن الذي لا يمكن احتلاله بالهجوم من الخارج. على هذا النحو بالتحديد، فإن ***الشيء في حد ذاته*** يمكن أن يأتي على الإدراك فقط بشكلٍ مباشرٍ تماماً أي ***يكون مدركاً لذاته من تلقاء ذاته***» (II، 195: التأكيد لـشوبنهاور). وعلاوة على ذلك، بإمكاننا فهم الإرادة من خلال مشهدٍ من الطبيعة، لأن الأخير هو تجلٍّ للإرادة وضمنياً للصورة الذاتية للإرادة.

في كلا الشكلين، بدا أن الإرادة جشعة، لا تهدأ، وقاسية. وتظهر ذاتها في المقام الأول من داخل نفسيتنا عن طريق الرغبة. لقد أردنا أشياء وسنقاتل للحصول عليها. حتى بمجرد أن حصلنا على أهداف رغبتنا، نادراً ما كانت كافية، كما أن متعة الحصول عليها لم تستمر. ونحن بعدها سنرغب في شيءٍ آخر. لقد بدا أن الإرادة بالمختصر لم تكن متطلبةً فحسب بل لا تشبع. فهي لن تعطينا يوماً السلام، وعلاوة على ذلك، لأننا تشاركنا العالم مع ملايين المخلوقات الأخرى، فإن كل واحد منا يتنازع على موارد محدودة من المنافع، فالرغبة جلبت الصراع والصراع جاء بالمعاناة والخوف. وكان هذا صحيحاً وهو لا ينطبق على ذواتنا فحسب بل على العالم بأسره. «في كل مكان بالطبيعة»، يكتب (شوبنهاور)، «نحن نرى الصراع، النزاع، وتذبذب النصر». (146) يعيش كل فردٍ على حساب الآخر أو (كما يصوغه بطريقته اللاذعة المعتادة)، «تقتات]الـ[إرادة للحياة عموماً على نفسها وبأشكالٍ متعددةٍ تكون هي غذاءها الخاص.»(147) فكان أكل لحم الجنس نفسه ـ مجازياً أو غير ذلك ـ هو مبدأ الحياة والنمو.

وبما أننا كنا جميعاً مظاهر للإرادة الواحدة، لم يكن أحد منا بريئاً. بعضنا قد لا يكون تورط في أعمال القسوة العلنية بنفسه (على الرغم من أننا نقتات على النبات واللحوم)، ولكن هذا لا يعفينا من أصولنا في الكفاح الشرس للإرادة. «المعذِّب والمعذَّب هما واحد. فالأول مخطئٌ في اعتقاده أنه لا يتقاسم العذاب والثاني في أنه لا يتقاسم الذنب». (354) أو لوصفها بشكل تصويريٍ أكثر: «في شراسة وشدة رغبتها]الإرادة[ستغرز أسنانها في بدنها نفسه». (354)

كان (شوبنهاور) في نهاية المطاف صاحب رؤيةٍ وطوّر صورةً مروعةً عن «الواقع الظواهري» كمنزل حفظ موتىً كبير تملؤه القسوة والعقاب المتواصل. لقد عشنا جميعنا في رعب وكنا جميعاً غارقين بالذنب. «إذا أردنا معرفة ـ انطلاقاً من اعتبارٍ أخلاقي ـ ما هي قيمة البشر ككل وبصورة عامة، فلننظر إلى مصيرهم ككل وبصورة عامة. هذا المصير هو حاجةٌ وتعاسةٌ وبؤسٌ وعويلٌ وموت. تسود العدالة الخالدة: فلو لم يكونوا ككلٍّ جديرين بالازدراء، ما كان مصيرهم ككلٍّ سوداوياً إلى هذا الحدّ. وبهذا المعنى يمكننا القول إن العالم نفسه هو محكمة العالم». (352)

في مواجهة هذا البؤس والشعور بالذنب ما هي الكفارة التي يمكن العثور عليها؟ صبر (شوبنهاور) على بعض الفتات الشحيح من العزاء، وكرّس ربعاً كاملاً من كتابه للفنون وأعلن أنه بقدر ما كانت تأمليةً سترفعنا من دنيا المصلحة الذاتية وتعطينا راحةً من الأنا. كما أتاحت أشكالٌ معينة من المعرفة أيضاً السمو الذاتي. عندما كنا نفكر ملياً في موضوع المعرفة

بدون مبالاة، واجهنا وقفةً مؤقتةً من القتال، مريحة ولكن غير مستمرة. كانت مثل هذه التعزيات عابرة وبالكاد مسكّنة. لقد بدأ الحل الفعلي عندما أدركنا بأن الأفراد الآخرين كانوا مثلنا غارقين في خضم الإرادة والمعاناة. لقد تم منحنا التعاطف من خلال رؤيتنا لأنفسنا في الآخرين، فعزمنا على عدم التسبب بمزيد من المعاناة والتخفيف من الموجودة بالفعل. «تتحول الإرادة الآن بعيداً عن الحياة، وتنتفض في متعة إدراكها تأكيد الحياة». (379) وبما أن جوهرنا بحد ذاته، وهو الإرادة، ينتج القسوة العقيمة التي تحيط بنا، فالحل الوحيد أمامنا هو إنكار الإرادة، أي مصدر الحياة نفسه. إن الذات تحتضن الزهد الآن، التخلي المتعمد عن المتعة، وتبذل قصارى جهدها لفك الارتباط عن كل رغبة بدءاً بالجنس.

لا يمكن أن تكون هناك نهاية سعيدة تقليدية لهذا الإنسحاب ولم ينهض (شوبنهاور) من التبعات. فنحن نتاج الإرادة ولنتخلى عنها علينا تحقيق ليس السعادة ولكن النسيان. عندما نُحجم عن الإرادة ينتهي وجودنا بالمجمل. «لا إرادة: لا تمثيل، لا عالم». (411) لم يؤيد (شوبنهاور) الإنتحار لأن ذلك يمثل هروباً من الألم وبالتالي تأكيداً على الرغبة. وبذلك لا يزال المرء عالقاً في الإرادة. فكان ملجأنا الوحيد هو، إن جاز التعبير، إبطال حقنا بالولادة عن طريق التوقف عن التنفس (مجازياً)، والتخلي عن كل رغبة وخوف إلى أن نطفئ أنفسنا في لا مبالاةٍ كاملة. قد يبدو هذا أحمق، ولكن البديل كان كذلك أيضاً. أنهى (شوبنهاور) الذي كان قارئاً متحمساً في «الأوبانيشاد Upanishads» [مجموعة من النصوص السنسكريتية القديمة التي تحتوي على بعض المفاهيم الفلسفية الأساسية للهندوسية، وبعضها يتم تقاسمها مع البوذية، واليانية، والسيخية] كتابه بالتأمل في العدم، النوع الجيد منه والسيئ: «ونحن نعترف بالكامل بأن ما يتبقى بعد الإلغاء الكامل للإرادة هو، لجميع من لا زال ممتلئاً بالإرادة، بالتأكيد لا شيء. ولكن بالعكس أيضاً، بالنسبة لهؤلاء الذين تحولت فيهم الإرادة وأنكرت ذاتها، فإن عالمنا هذا الحقيقي جداً بكل شموسه ومجراته، هو لا شيء». (412)

4

يمكن أن يكون هناك القليل من الشك بأن مصادفة كتاب (شوبنهاور) كانت واحدة من التجارب الحاسمة في حياة (نيتشه). وفي غضون عشرة أشهر فقط سيقوم بالتشكيك بجوانبه الميتافيزيقية، وبعد عقدٍ من الزمان سيعلن استقلاله الفكري تقريباً بالكامل. ومع ذلك، ولّدت قراءته الأولية لهذا الفيلسوف حماساً كبيراً، وطبّق بعدها هذه الأفكار بشموليةٍ كبيرةٍ لدرجة

أنه بالكاد يمكن المبالغة في تقدير التجربة. وكما ذكر سابقاً، يبدو أن (نيتشه) أحرق أحد دفاتر ملاحظاته، وبصرف النظر عن رسالةٍ لوالدته وروايةٍ للسيرة الذاتية الشخصية مكتوبةٍ بعد سنتين، من الصعوبة بمكان أن يُعرف بدقة كيف كانت ردة فعله في ذلك الوقت. ولكن، في السيرة الذاتية الشخصية يتذكر الحيرة والإحباط والقلق الذين كانوا قد طاردوه منذ مغادرته (بون)، ولخّص قائلاً: «أنا أقف معلّقا في تلك الأيام وحيداً مع بعض التجارب المؤلمة وخيبات الأمل... تخيل الآن أثر قراءة عمل (شوبنهاور) الأكبر في مثل هذه الظروف... هنا رأيت مرآةً شاهدت فيها العالم، الحياة وطبيعتي الخاصة في عظمةٍ مهيبة... هنا رأيت... المرض والعلاج، المنفى والملجأ، الجحيم والفردوس». [1]

وبشكلٍ ملحوظ، فإن هذه الرواية لا تؤكد على الإنجاز الفكري لـ(شوبنهاور) بشكلٍ كبير بقدر عظمة رؤيته. إنه «عظمة مهيبة»، إنه استحضار للسموّ. إن ردة فعل (نيتشه) العملية جديرةٌ بالذكر أيضاً. فهو يصرح بأنه عقب قراءة «العالم إرادةً وتمثيلاً» وبخ نفسه في عتابٍ «مرير، ظالم، وغير محدود» ووصف لنفسه كفّارةً جسدية. ولمدة أربعة عشر يوماً على التوالي لم يذهب للنوم قبل الثانية صباحاً ونهض في تمام السادسة.[2] وسيعترف لاحقاً، «إغراءات الحياة من الغرور والدراسة المنتظمة القسرية» فقط، أنقذته من أن يصبح زاهداً مشوشاً. وفي حين أن (نيتشه) يربط كل هذا بسخريةٍ خفيفة، لابد وأن قيمته كانت حاسمةً في ذلك الوقت. لقد كان بالفعل يخضع لتجربة تحوّلٍ بغض النظر عن مدى تعامل المرء باستخفافٍ مع الميلودراما الخارجية، وكان بذلك يضع فجوة بين حياته السابقة غير المجدية والبداية الجديدة التي أمل أن يحققها في (لايبزيغ).

سرعان ما انتكس (نيتشه) من ممارساته التنسكية (دون أي ندمٍ واضح)، غير أنه استبدلها بعاداتٍ جديدةٍ واهتماماتٍ سيوافق عليها سيده. وللمرة الأولى يصور (نيتشه) نفسه يتنازع على الفلسفة في كثير من الأحيان مع الأصدقاء، ليس كخلاف كثيراً، وإنما كمحاولةٍ لنشر وتقدير معتقدات سيده. في تلك الأثناء كان سيتوسع في آفاقه الفلسفية عبر القراءة ـ ليس فقط جميع ما لـ(شوبنهاور) ـ ولكن أيضاً أعمال (فريدريك آلبرت لانج) و(كونو فيشر Kuno Fischer) ومحتمل لـ(كانت)، وبالتأكيد لـ(رودولف هايم Rudolf Haym). كان (نيتشه) بطبيعة الحال قرأ قليلاً في الفلسفة قبلاً، ولكن بشكلٍ متقطع كما هو مبين من

(1) KGW I - 4: 512 - 513

(2) KGW I - 4: 513 - 514 يخبر والدته أنه يستيقظ الساعة 6:30 صباحاً KSAB II: 96

خلال التأثيرات التي كان قد تعرض لها: «علم الدفاع عن العقائد المسيحية»، و«الماديين المعاصرين»، (فيويرباخ)، (شتراوس) وعدد قليل من حوارات (أفلاطون) وأفكار مستمدة من التاريخ الذي قدمه (شارشميدت) و(فورتلاج). تفتقر هذه المجموعة إلى الوحدة، وتشير بشكلٍ متناسب إلى إحساسٍ قليلٍ بالالتزام أو بالفرصة للتقدم. وعلى النقيض من ذلك، ألزم (نيتشه) نفسه بـ(شوبنهاور) بشكلٍ شبه ديني، وحتى إذا تابع جوانب عديدة من سيده لوقت قصير فهو لم يخجل من الولاء الأساسي والتحري أحادي الفكر في عقائده. فكان (شوبنهاور) قد أعطاه مركز ثقلٍ فلسفي، ويشير الرقي المتزايد الذي يبديه في كل من القراءة والرسائل إلى الثقة بالنفس والقدرة المتزايدة اللتين يعود السبب فيهما غالباً إلى التطور على طول مسار غير متشعب.

وعلى الرغم من أن (نيتشه) يوحي بأن (شوبنهاور) قد طغى عليه، إلا أنه يعطي دليلاً ضئيلاً بأن الأخير اجتاح روحه بعنفٍ ليستبدل المعتقدات القديمة بالمجمل بأخرى جديدة. على العكس من ذلك، ربما استجاب (نيتشه) لأن رؤية سلفه تلاءمت بشكلٍ جميلٍ مع رؤيته هو. وقد يعود السبب للموروث المسيحي الخفي في رؤية (شوبنهاور). وقد يُظهر «العالم إرادة وتمثيلاً» قليلاً من الحب ولكنه لا يظهر رحمة، وكان الرب غائباً بشكلٍ واضحٍ، وبذلك برزت عقائد الفساد البشري والنعمة وشرور العالم أكثر وضوحاً لغياب الإله.[1] فكرياً أيضاً، كانت آراء (شوبنهاور) تتفق بشكلٍ ملحوظٍ مع آراء الشاب (نيتشه). ويمنع المكان الفحص الدقيق لأوجه الشبه بينهما، ولكن القرّاء الذين يعرفون عمل (شوبنهاور) سيعترفون بأن تمييزه بين الذات «الواضحة» و«التجريبية» تسير على التوازي وبشكلٍ ملحوظٍ مع محاولات (نيتشه) ليكتشف ذاته الأصلية وسط ستار من مظاهرها.[2] شدد (شوبنهاور) أيضاً على الطبيعة اللاواعية للدافع والفعل، وهو الموقف الذي لمحه (نيتشه) مبكراً منذ أول سيرةٍ ذاتية له، ووصل للتصالح معه بشكلٍ حاسمٍ من خلال قراءاته لـ(إمرسون). ونتيجةً لذلك، لأجل سلطة الرجل الأكبر سناً المهمة والمعلنة عن ذاتها، لا بد أن تأثيره بدا لطيفاً ومطمئناً. وقد عرض رؤى (نيتشه) على درجة عالية، وبالتالي أيد صحتها وألهمه لملاحقتها أكثر. وأخبره، إن جاز التعبير، أنه كان محقاً منذ البداية. كان هذا هو الإقرار الذي احتاجه (نيتشه) المحاصر، واستخدم الرجل كمرشدٍ له في جوانب أخرى من حياته. وكما سيكتب بعد تسع سنوات «عندما كنت في أيامي الأصغر

---

(1) قارن HAH I: 26

(2) Leiter 1998: 248 - 250 يلاحظ التشابه بين (نيتشه) و(شوبنهاور)

سناً أشبع رغباتي حتى يشفى قلبي، كنت أعتقد أنه من شأن المصير أن يريحني من الجهد والواجب المضني لتثقيف نفسي: في اللحظة المناسبة بالضبط سأجد فيلسوفاً ليكون معلمي، فيلسوفاً حقيقياً أستطيع أن أطيعه دون مزيدٍ من التفكير لأنني قادرٌ على الثقة به أكثر من نفسي».[1] ويمكن القول بأنه وجد هذا السيد في خريف عام 1865، وأكد له الأمان الروحي الذي قدمه الأخير أن أولى فتراته في (لايبزيغ) ستكون مُرضيةً ومنتجةً أكثر بكثيرٍ من السنة التي أضاعها في (بون).

5

لم يكن فريدريك (نيتشه) هو الواصل الجديد الوحيد إلى (لايبزيغ)، لأن (فريدريك ريتشل)، الأستاذ الذي سبب خلافه مع (أوتو جان) متاعب جمة لقسم علم اللغة في (بون)، الذي كان أيضاً قد غادر المدينة ـ وقرر عدم العودة للعمل في (بروسيا) ثانيةً مطلقا ـ[2] كان قد استقر مؤخراً في هذه المدينة السكسونية. كان (ريتشل) غالباً على علم بشكلٍ ثانويٍ أن طالبه السابق ـ بالأحرى كان طالباً في السنة الأولى وغير ملتزمٍ عندما كان في (بون) ـ قد انتقل أيضاً إلى (لايبزغ)، وسيكون عبورهم المشترك محورياً لـ(نيتشه). إذ يمكن القول إنه اختار (لايبزيغ) لأن (جيرسدوف) كان سيسجل هناك، ولكنه أيضاً انتقل ليدرس تحت إشراف (ريتشل). وكما كان يعلم جيداً فإنه يُتوقع من أساتذة الجامعات الألمانية ليس فقط التدريس وإنما التوجيه أيضاً. إن النجاح في هذا النظام يعتمد على إقامة علاقات مع بعض المدرسين ذوي النفوذ. وربما عقد (نيتشه) آماله على (ريتشل). لا بد وأنه كان هناك فرقٌ اجتماعيٌ هائل بين الأستاذ الرئيسي القادم منتصراً والتلميذ ذي الواحد والعشرين ربيعاً الملتاع بألم إخفاقاته الأخيرة. ولكن كان لكليهما جراحٌ ليشفى منها.

كان (ريتشل) في التاسعة والخمسين من العمر، وبغض النظر عن الإذلال والخيانة التي عانى منها في (بون)، كان سيجد الإنتقال إلى سكنٍ جديدٍ مثيراً للرهبة. فهو لم يترك منزله حيث عاش ودرّس لمدة خمسةٍ وعشرين عاماً فحسب، ولكن صحته كانت ضعيفةً منذ طفولته وهو الآن بالكاد يمشي. ومن بين الأمراض وأنواع العجز الأخرى ـ قصر نظرٍ حاد، وضعفٌ في سنوات دراسته الجامعية، وحمى مزمنة، والتهاب مفاصل وجلطة محتملة في عمر السادسة

(1) UO III: 2 تمت الترجمة عن طريق (ريتشارد ت. غراي 342 - 341 :Richard T. Gray). KSA I
(2) Ribbeck 1969 II: 372

والعشرين، وورمٌ تمت إزالته من أنفه (الأمر الذي غير صوته بشكلٍ دائم) ـ [1] كان فريسة للنقرس أو داء المفاصل وكان لمدة عشرة أعوامٍ غير قادرٍ على ارتداء الأحذية: كان يتعين عليه الذهاب إلى أي مكان بالجوارب المصنوعة من اللباد والخفّين.[2] وعلى الرغم من مقدرته على السفر بالقطار، إلا أنه كان لا يزال يتوجب عليه التنقل بين المحطات، وكانت رحلته عبر الولايات الألمانية مؤلمةً جداً.

على الأغلب أنه وصل مرتاحاً أكثر بما أن زوجته (صوفي ريتشل Sophie Ritschl) جاءت إلى (لايبزيغ) مسبقاً ورتبت المنزل فوجده مفروشاً سلفاً.

منذ وصلوا (لايبزيغ) كانت تجربتا الرجلين مختلفةً تماماً. سكن (نيتشه) قبالة صانع خزنات، وكانت إطلالته على منازل العمال. أما (ريتشل) فتلقى جمهوراً من (يوهان) وهو ملك (ساكسونيا)، الذي سيحضر محاضراته لاحقاً،[3] وقدّم الوزراء ولجان المواطنين شهاداتٍ شرفية للأستاذ الجديد، واستقطبت محاضرة (ريتشل) الإفتتاحية في 25 أكتوبر عام 1865 حضوراً كبيراً ليس فقط من الأكاديميين وإنما من المواطنين المحليين وصحفيي الجرائد أيضاً، وقد استاء هؤلاء لأن الخطاب كان باللغة اللاتينية.[4] كانت خطبة (ريتشل) حدثاً مثيراً بالنسبة لـ(نيتشه) الذي يستذكر: «كان الجميع متحمساً بشكلٍ عامٍ لظهور هذا الرجل المشهور الذي كان اسمه وُضع على إثر سلوكه في قضية (بون) في الجرائد وعلى كل لسان: وكنتيجة كان المواطنون الأكاديميون جميعهم حاضرين في حين وقف في الخلف أعدادٌ لا تحصى من غير الطلاب أيضاً». وصل (ريتشل) بعد أن اكتمل الحشد مرتدياً بزّة رسمية مع ربطة عنق بيضاء، وكان مظهره مثالي لولا خفه المصنوع من اللباد. واجتاز في الحشد متحمساً ومبتهجاً بالتهنئات إلى أن ـ في الوقت الذي تحرك نحو القاعة ـ صرخ فجأةً «آوه! سيد (نيتشه) هنا أيضاً!» ولوح له باليد. فكانت تلك بتسجيل الصبي المتحمس أول تجربةٍ سعيدةٍ له في (لايبزيغ).[5] لفترةٍ من الزمن تحرك هذان الرجلان ضمن مساراتٍ مختلفة. فاستقر (ريتشل) في بيته الجديد، وشاهد بحذرٍ ابنته وهي تخطط لزواجها من تلميذٍ كان قد دافع عنه في (بون). وفي العمل حاول إصلاح قسم علم اللغة الذي كان في تراجع منذ وفاة (غوتفيلد

(1) Ribbeck 1969 I: 31 - 32, 77, 78, 79; II: 29

(2) Ribbeck 1969 II: 322 - 325

(3) KSAB II: 109

(4) Heise 2000: 21 - 23

(5) KGW I - 4: 510 - 511

هيرمان Gottfried Hermann) ذائع الصيت.[1] أما (نيتشه) الذي كان بسبب ضياع أمتعته غير مؤهلٍ للانضمام إلى الحلقة الدراسية التي عقدها (ريتشل)، فقسّم وقته بين الدراسة وحضور الحفلات الموسيقية والتجول في المواقع المحلية والذهاب في رحلات مع الأصدقاء إلى (نامبورغ) والمدن السكسونية (كولديتز Colditz) و(جريما Grimma).

وبرغم أنه لم يعد باستطاعته وضع اللوم على الأخوية، فإنه سرعان ما تجاوز ميزانيته وأجبر على طلب قرضٍ عاجلٍ من (فرانسيسكا).[2]

نال (نيتشه) فرصته في أوائل ديسمبر. إذ وجد إثر عودته من رحلة إلى (نامبورغ) ملاحظةً من (ريتشل) تدعوه لتناول الشاي في منزل هذا الأخير. ولدى وصوله وجد تلاميذ آخرين حاضرين، وبدا أن جميعهم غير متأكدين من سبب استدعائهم.[3] بعد الطعام والمجاملات ـ خلالها تعرف (نيتشه) على (صوفي) زوجة (ريتشل) وابنته المخطوبة (إيدا Ida) ـ تم جمعه هو والرجال اليافعون الآخرون وعرض اقتراح عليهم. كان (ريتشل) قد بدأ جمعيةً لعلم اللغة في (بون)، ووجده مكاناً مفيداً يجتمع فيه الطلاب ليقدموا عملهم الخاص أمام زملائهم. واقترح أن يؤسس الرجال منظمةً مماثلةً في (لايبزيغ).[4]

(نيتشه) وثلاثةٌ مرشحين آخرين منتخبين واعدين، قادت جلسةٌ تنظيميةٌ أولية إلى الاجتماع الرسمي الأول في 11 يناير 1866. ووافق (نيتشه) على القيام بالعرض التقديمي، وكان البحث المشؤوم عن (ثوغنيس) الذي كان قد عمل عليه في أواخر الصيف، (والذي ضاع لبرهة أثناء النقل)، قد تم استرجاعه أخيراً وقراءته على العلن. قدمه في 18 يناير ولقي استحساناً كبيراً لدرجة أن التلميذ المنتشي بالمجاملات قام من تلقاء ذاته بإعطاء نسخةٍ لـ(ريتشل) نفسه. قرأها (ريتشل) على مضض لكنها أعجبته. وبعد مضي بضعة أيامٍ دعا (نيتشه) إلى مكتبه وامتحنه بما يناسب سنه، خلفيته، وهدفه، ثم اعترف بأنه لم ير على الإطلاق عملاً لطالبٍ في فصله الثالث بهذا القدر من الدقة في الأسلوب والثقة في الحدس. إذا كان (نيتشه) على استعدادٍ لتحويله إلى كتابٍ صغيرٍ، فسيساعده بالمواد الإضافية و ـ كان الوعد ضمنياً ـ يحاول التأكد من أنه قد تم نشره.

---

(1) KSAB II: 81 قارن Ribbeck 1969 II: 392

(2) KSAB II: 97

(3) وقع هذا الحدث في 4 ديسمبر 1865، Gilman and Reichenbach 1981: 65

(4) KSAB II: 100

كما يمكن للمرء أن يتصور، غادر (نيتشه) المقابلة وهو مبتهج، وسجل بالقول «وصل تقديري لذاتي حتى السقف» وقد طرب لمديح الأصدقاء عندما أخبرهم لاحقاً عن حظه السعيد «عندها ولدت عالم لغة».[1] وعلى مدى أربعة أشهرٍ انهمك في بحثٍ محمومٍ ورفع عرائض إلى كاتدرائية (الجمنازيوم) و(شولبفورت) للحصول على كتبٍ عن (ثوغنيس)، والتمس عند الأصدقاء وعلى الأقل أحد الأكاديميين في (برلين) ليعثروا له على نصوصٍ نادرة. كانت هذه الجهود المضنية قصيرة الأمد إلى حدٍ ما عندما اكتشف (ريتشل) أن اثنين من الباحثين المعروفين في باريس كانا على وشك نشر نسخةٍ جديدةٍ عن الشاعر. وقد عوّض لتلميذه بإمكانيةٍ تعادل سابقتها في الفخامة: بأنه سينشر البحث المعاد كتابته في متحف «رينيشس Rheinisches» المرموق، وهو صحيفة في علم اللغة شارك (ريتشل) في تحريرها.

من الممكن أن تكون كثرة الثناء والإثارة قد صرفت انتباه (نيتشه) عن الخسارة التي كانت ستسبّب له الاكتئاب خلاف ذلك. وفي نهاية فصله الأول في (لايبزيغ) فإن كلاً من أصدقائه المقربين رحلوا فجأة، (هيرمان موشاك) ليعود إلى (برلين) و(كارل فون جيرسدورف) ـ الذي كان اختياره لـ(لايبزيغ) قد قلب موازين (نيتشه) في المقام الأول ـ من أجل مهنة عسكرية. صمد (نيتشه) أمام ما كان سيكون كارثةً بسهولة، ربما لأنه لم يكن مقرباً كثيراً من هؤلاء الرجال كما كان يوماً من (فيلهلم بايندر) أو (بول ديوسن). ويبدو أنه نقل صِلاته الإجتماعية إلى عدد من أعضاء جمعية علم اللغة الجديدة، فانضم إليهم كل ليلة لتناول القهوة أو العشاء أو الذهاب إلى المسرح. وعلى الرغم من أنه كان قاسياً بشكلٍ خاصٍ على أعضاء تلك المنظمة، يبدو أنه قد حقق حلماً كان قد رعاه منذ تفكك (جيرمانيا). وبعد ذلك سكن محيطاً تقاربت فيه الدراسة والصداقة.

وفي الوقت نفسه، كان تأييد (ريتشل) لبحث «ثوغنيس» بالكاد أول الحسنات التي أغدقها على تلميذه. فما كاد أن انتهى المشروع حتى عرض على (نيتشه) ـ الذي لم يكن بعد في الثانية والعشرين ـ أن يعد قاموساً لأجل الطبعة الجديدة لأستاذٍ متميزٍ عن (أسخيلوس Aeschylus). فشل هذا المشروع بسبب خيبة أمل (نيتشه) من كلٍ من العمل والأستاذ، ومع ذلك عندما سمع (ريتشل) أن (نيتشه) مهتمٌ بـ(ديوغنس لارتيوس Diogenes Laertius)، وهو يونانيٌ من القرن الثالث كانت ملخصاته عن نصوصٍ فلسفيةٍ وحكايات حاسمةً في نقل

(1) KGW I - 4: 515

بعض التقاليد، شجعه على الاستمرار. سرعان ما أعلن القسم عن مسابقةٍ لأفضل مقالٍ عن تلك الشخصية، والتي ربما كانت محض مصادفةٍ سعيدةٍ ولكنها قد تعكس أيضاً تصرفاً غير أخلاقيٍ مثيراً للريبة للإفادة من جانب راعي (نيتشه).[1] في كلتا الحالتين أبقى الرجل الأكبر سناً تلميذه مشغولاً بالمشاريع التي من المفترض أنها ذات قيمةٍ في علم اللغة، ستجعل اسمه معروفاً في الوسط الأكاديمي وتقوّي التزامه بهذا المجال.

في ضوء شكاوى (نيتشه) الأخيرة من علم اللغة، ونوحه بأنه لم يكن منجذباً لهذا المجال بطبيعته، قد يشكك المرء فيما إذا كان تشجيع (ريتشل) له في مكانه أم لا. ومن المؤكد أن ثناءه ودعمه أنقذا (نيتشه) من حيرته الوقتية، ولكنّ ذلك قاده أيضاً إلى طريقٍ لا يتوافق مع مزاجه ولا يثير اهتمامه حقاً. حتى عندما كان يعمل على كتاب «ثوغنيس» المخفق اعترف الصبي ذو الواحد والعشرين ربيعاً أن المشروع كان يفوق قدراته.[2] وبطبيعة الحال فإن عروض (ريتشل) كانت غير قابلةٍ للرفض وكتلميذٍ لم يكن له خيار فعلي. وكان قد تخلى منذ فترة طويلة عن الموسيقا والشعر مدركاً أنه لم يمتلك الدافع ولا الموهبة للنجاح بهما. وقد كتب: «علم اللغة» «قد ردم الفجوة الناتجة».[3]

ولكن السؤال المحير ليس لم ابتلع (نيتشه) الطعم، وإنما لماذا قدمه (ريتشل) له في المقام الأول. يمكن القول إنه ببساطة اكتشف الموهبة والذكاء اللذين ضمنا لـ(نيتشه) العديد من القرّاء حتى يومنا هذا. ولكن لا بد من وجود عوامل أخرى ظهرت في الصورة. فقد أحب (ريتشل) أن يقارن نفسه بعازف المزمار من (هاملين)،[4] وافتخر بقدرته على إلهام وقيادة الرجال الموهوبين. ولابد وأن (نيتشه) بدا من نوع التلاميذ الذين كان خبيراً بهم كل حياته. ثانياً، كما لاحظ (فيرنر روس Werner Ross)، امتلك الاثنان الكثير من القواسم المشتركة بينهما، وربما انسجم (ريتشل) مع (نيتشه) الشاب.[5] كلاهما كانا ابني قسِّين ـ ولأسباب من الضغط الأبوي ـ كلاهما فكر باختصاصٍ مزدوج (اللاهوت وعلم اللغة) قبل اختيار الثاني.[6]

---

(1) قارن KSAB II: 182 - 183 مع KSAB II: 196

(2) KSAB II: 145, 168 انظر أيضاً KSAB II: 171 حيث يتكلم عن عمل (ريتشل) «رعاية غير مستحقة» وأخيراً انظر KGW I - 4: 520 «في القيام بذلك هو مال نوعاً ما إلى المبالغة في كل حبكة منتجة للطالب»

(3) KGW I - 5: 53

(4) Ribbeck 1969 I: 284

(5) Ross 1980: 121 - 122

(6) Ribbeck 1969 I: 16

ومثل (نيتشه) كان (ريتشل) منجذباً للموسيقا،[1] على الرغم من أنه لم يكن من الموهوبين تقريباً. وكان كلا الرجلين متوعكاً ومع ذلك منضبطاً ذاتياً.[2] ثالثاً، كان (ريتشل) في منعطفٍ حاسمٍ في حياته، فهو لم يكن فقط قد ترك لتوه قاعدةً راسخةً في (بون)، ولكن أولاده الثلاثة جميعهم كانوا قد غادروا أو على وشك مغادرة العش.[3] ولعله، فيما كان منزله يغدو فارغاً، وجد في التلميذ يتيم الأب والذكي بديلاً بنوياً عن أبنائه. وأخيراً، يمكن القول إن (ريتشل) كان شخصاً اجتماعياً للغاية ويميل ليكون صانع ملوك. فكان معتاداً على زراعة قسم علم اللغة بتابعين له ليعِظوا بأساليبه في جميع أنحاء الولايات الألمانية، ولا بد أن (نيتشه) بدا كرهانٍ آمن.

مهما كانت دوافعه، فقد قدم (ريتشل) للشاب اليافع ما احتاج إليه بالضبط من الإرشاد القوي ولكن الذكي. كان من المحاربين نوعاً ما ـ فكان يحب القول إن: «الحياة تعني أن تكون مقاتلاً» ـ [4] وكان يميل ليعبر عن نفسه بصراحةٍ وجدها (نيتشه) أحياناً مسلية وأحياناً أخرى وقحة. ومع ذلك كان (ريتشل) في الأساس متواضعاً، واستمتع بالسخرية الجذابة، وإن كانت غير ديبلوماسية، بلهجة (تورينجيان).[5] كان يتمتع بحبٍ كبيرٍ للصرامة، وازدراء مماثلٍ بالشدة للهواة، ومثل هذا الشغف للجدال، حتى أنه خلال أحد النقاشات أرسل، في حركة من قدمه، واحداً من خفيه البيضاوين سابحاً في الهواء.[6] وربما لا شيء يخبر أكثر عن (ريتشل) وتلاميذه الذين ألهمهم (من ضمنهم نيتشه) أكثر من النزعة إلى المثالية، والواجب، والتنمية الذاتية، الموجودة ضمناً في نصيحته النموذجية: «عندما أستشعر في شخصٍ ما موهبةً غير قادرةٍ على الخروج، عندها أعطيه ـ بدون عطفٍ كبير ـ مشورة لهذا الغرض: «أنت قادرٌ فإذاً يجب عليك». نادراً ما خذلني هذا الأسلوب».[7]

(1) Ribbeck 1969 I: 79

(2) وبوصفه رجلًا شاباً سوف يستيقظ (ريتشل) في الساعة 5 صباحاً ولا يعود إلى السرير حتى 11 منتصف الليل، سبعة أيام في الأسبوع
Ribbeck 1969 I: 40

(3) كانت إحدى البنات متزوجة والأخرى مخطوبة وابن (كان أكبر من نيتشه بعامٍ واحد) سوف يغادر قريباً للعمل في (نيويورك)

(4) Ribbeck 1969 II: 459

(5) Ribbeck 1969 II: 338

(6) Ribbeck 1969 II: 400

(7) Ribbeck 1969 II: 284

من الواضح أن الرجلين وجدا علاقتهما مرضية، وكان الأستاذ يدعو تابعه إلى مكتبه مرتين في الأسبوع. وهناك كانا يتحادثان مع كأسٍ من النبيذ ـ غالباً بصراحةٍ مشكوكٍ فيها ـ عن سياسات الجامعة والخصال المميزة لزملائه الأساتذة ومجموعة من القضايا التي ربما لم تكن من شأن (نيتشه)، ولكن بالتأكيد جعلته يشعر بأنه جزءٌ من القسم.[1] وهو أيضا قد أدخل (نيتشه) إلى منزله، حيث سيظهر جوانب أخرى للأستاذ. فلربما اكتشف (نيتشه) مثلا أن (ريتشل) أحب تصميم الحدائق،[2] وهي هوايةٌ قد يكون تذكرها عندما استخدم لاحقا البستنة كواحدةٍ من أهم استعاراته، تماماً مثلما دعا نفسه بعازف المزمار كان من شبه المؤكد يتذكر معلمه الجليل.[3]

فيما كان (نيتشه) يحاول أن يعتاد على هذا البيت البرجوازي بما قدمه من ألفة الحياة العائلية، أصبح مقرباً ومتعلقا بشكل متزايد بزوجة الأستاذ المطيعة. ولدت (صوفي غوتنتاغ Sophie Guttentag)، الابنة المعمّدة لطبيب يهودي في (بريسلاو Breslau)، لم تكن (صوفي ريتشل) ذات موروثٍ مختلفٍ عن زوجها فحسب، بل أيضاً أصغر منه بخمسة عشر عاماً، وهو فارقٌ أكبر بقليل فقط من فرق العمر الموجود بين والدي (نيتشه). كما أنها كانت أكبر بأربعة وعشرين عاماً من الرجل اليافع مما أهّلها لتكون بمثابة الأم. وعلى خطى زوجها كانت (صوفي ريتشل) تصادق طالبه الموهوب، وعندما اكتشفت هذه المرأة التي في منتصف العمر والرجل اليافع قاسماً مشتركاً ـ بأن كليهما يحب الموسيقا ـ عزفا البيانو كثنائيٍ سوياً.

يبدو أن هذا الإعتياد على بيت أستاذه سينقل رحلة (نيتشه) في (لايبزيغ) من انعدام الأمان إلى الاستقرار والنجاح. فإذا ما أعاد النظر ـ وهو غالباً فعل لأنه كان يحب إعادة استعراض حياته ـ كان سيعترف وسيوافق على كل خطوةٍ أخذها لاستصلاح حاله بعد (بون). أعطاه (شوبنهاور) شعوراً بأساسٍ روحيٍّ كما قدم له (ريتشل) مساراً عملياً ومهنة. وقد وفرت جمعية علم اللغة مصدراً جاهزاً لأصدقاء مناسبين، كما منحه منزل أستاذه عائلة ثانية مما أدخله إلى عالمٍ أكثر سلاماً وانضباطاً مما عرفه يوماً. لم تكن تنقصه إلا علاقة عاطفية ـ أو على الأقل صداقةٌ حقيقيةٌ مع رجل ـ وسرعان ما سيتحقق ذلك.

قد يبدو بأن لديه ما أراده، ولكن كما كان الحال في سنواته الأولى، كان (نيتشه) نوعاً ما

(1) KGW I - 4: 519 - 520

(2) Ribbeck 1969 II: 56, 391

(3) لـعازف المزمار انظر GS: 340; BGE: 205; TI المقدمة، وللبستنة انظر GS: 17, 290

يمثل دوراً، بأنه الابن المطيع أو الطالب المتقن لعمله الذي يسير مع الحركات ولكنه يُبقي آراءه الحقيقية طي الكتمان. ففي حين حرص على وحدة الهدف والعمل الفعال، كان على درايةٍ أيضاً بفقدانه لشرطٍ لا غنى عنه من النزاهة المهنية والإحساس بالتوحد مع مجاله. حتى عندما كان يبني بنشاطٍ مهنةً عامةً وأعطى كل الدلائل على أنه يتحمل المسؤولية والحمل، فإن تفكيره وشكوكه كانا يعملان ويتآكلانه من الأعماق. وبرغم ثقة (ريتشل) به، فقد كان (نيتشه) مثل البلبل يدور قائماً في مكانه، ويمكنه في أية لحظة أن ينزلق خارجاً عن مساره إلى الأرض.

الفصل الحادي عشر

«نهاية الأداء الأول»

الحقيقة بشعة. ونحن لدينا الفن، كي لا نهلك من الحقيقة.[1]

1

عمل (نيتشه) خلال ربيع وأوائل صيف عام 1866 باهتمامٍ على كتابه «ثوغنيس Theognis» ـ الذي سيتم اختصاره قريباً إلى بحث ـ أحب العمل في (نامبورغ) التي وصفها بـ«ذلك المنعزل المريح»،[2] وأمضى معظم شهر مارس ونصف أبريل هناك خلال عطلة عيد الفصح، متابعاً بحوثه بينما لبّت كلٌ من والدته وأخته احتياجاته.[3] كما أنه استخدم مساعدة اثنين من أساتذة (شولبفورت) السابقين: (فيلهلم كورسن Wilhelm Corssen) الذي جعل مكتبة المدرسة متاحةً و(ديدريك فولكمان Diederich Volkmann) الذي يملك معرفةً بالدراسات البيزنطية اليونانية من شأنها أن تساعد (نيتشه) على مر السنتين القادمتين. وفي هذه الأثناء كان يقرأ الصحف بعنايةٍ حيث أن الحرب تبدو وشيكةً، ويمكن أن يأخذه التجنيد من دراساته في أي لحظة. لم تكن هذه الحملة العسكرية الأولى التي تهدد (نيتشه) خلال شبابه. وعلى كلٍ فإن أعمالاً قتاليةً كانت قد ركّزت على مناطق بعيدة عن مسكنه ولم يرد ذكرها في رسائله.[4] إن ما يُلاحظ الآن لم يكن صراعاً محدوداً في مكانٍ ما بالوكالة، ولكنه شيءٌ مخيفٌ أكثر وذو نتائج ملموسة ومباشرة: وهو التصادم المباشر بين العمالقة. وسوف ينظر

(1) KSA XIII: 500

(2) KSAB II: 214

(3) Oehler 1940: 68 - 69

(4) في عام 1859 كانت (بروسيا) قد انضمت تقريباً إلى نزاعٍ بين (النمسا) و(فرنسا) على (إيطاليا)، وفي عام 1864 حاربت (بورسيا) و(النمسا) ضد (الدنمارك) في معركة (جوتلاند Jutland).

المؤرخون في المستقبل إلى الحرب الوشيكة كنقطة تحولٍ منها وإلى هذا اليوم فإن الكثير من الأعمال في (ألمانيا) الحديثة تنتهي عام 1866 مع تداعياتها المباشرة.[1] كان (نيتشه) على وشك أن يشهد إعادة تعريفٍ للدولة الألمانية.

بدأ الصراع من خلال شذوذٍ جيوسياسي. فقد تم خلال وبعد الحروب النابليونية تقليص الوحدات السياسية الألمانية من 812 (كمية الدول والمدن والأقاليم المشمولة بـالإمبراطورية الرومانية المقدسة القديمة)[2] إلى 39[3] عندما ظهرت أيديولوجية جديدة للقومية، وبرز سؤال: لماذا لم يتم تخفيض العدد أكثر من ذلك، إلى 1 مثلاً؟ اعتقد اليساريون أن القضاء على الكثير من الملوك واللوردات أمرٌ مرغوبٌ فيه أصلاً. وجد المتحمسون الثقافيون من المؤلم أنه يجب أن يوجد الكثير من الفن والأدب الألماني بدون كيانٍ سياسيٍ مقابل. ورأى التجّار فوائد الوحدة الاقتصادية. ومشجعين من هؤلاء وأنصار آخرين، استوقفت فكرة الدولة الواحدة خيال الناس وبدأ يظهر أن تطبيقها أمرٌ لا مفر منه. واتضح أيضاً أن بلداً كهذا يجب أن ينشأ تحت رعاية إما (النمسا) أو (بروسيا) وهو وضعٌ زاد التوتر بين هذين المتنافسين.

في عام 1866 أثار (أوتو فون بسمارك Otto von Bismarck) حرباً مع (النمسا)، مما أدى إلى القضاء فعلياً على الكونفدرالية الألمانية في السلطة وجعل الأمة في حالة فوضى.[4] وهكذا في حين أن الصراع الذي أعقب يعرف بالإنجليزية باسم (الحرب النمساوية البروسية Austro ـ Prussian War) فمن الأدق وصفه بـ(الحرب الألمانية German War). ـ إنه في الواقع يدعى كذلك في البلدان الناطقة بالألمانية وهذا هو العنوان الذي استخدمه (نيتشه) ـ [5] وبما أن (بروسيا) لم تسمح لأي دولة ذات أهمية بأن تظل محايدة، فقد أصبح الصراع في الواقع حرباً أهلية، وكان على (بروسيا) أن تهزم ليس فقط (النمسا) ولكن القوات العسكرية لحلفاء ذلك البلد بما فيهم (ساكسونيا Saxony وبافاريا Bavaria وهانوفر Hannover وهيس الانتخابية Electoral Hesse) وعدة أقاليم أخرى.

لقد توسع (بسمارك) بحذر وحدّث القوات البروسية. ووفقاً لذلك عندما تم إعلان القتال (16

(1) انظر كمثال Nipperdey 1996و Sheehan 1989, Schulze 1991

(2) Williamson 2005: 4, 15و Gagliardo 1980: 5; Simms 1998: 9 قارن Brose 2013: 4 و2006 :I Winkler 44

(3) Williamson 2005: 14

(4) تم حل الكونفيدرالية الألمانية رسمياً عن طريق سلام (براغ Prague)

(5) KGW I - 4: 528

يونيو)، قامت جيوشه على الفور تقريباً بإيقاف (هانوفر) و(هيس الانتخابية) عن العمل. وكان الاستيلاء على (ساكسونيا) أمراً حيوياً لأنها تسيطر على الممرات التي من خلالها تستطيع (النمسا) دخول الأراضي البروسية. ولحسن حظ (بروسيا) فإن جيش ذلك البلد قد انتقل إلى (بوهيميا Bohemia) للانضمام إلى الفريق النمساوي تاركاً شعبه دون حماية. وتطلب المهاجمين يومين فقط للوصول إلى (دريسدن Dresden) عاصمة (ساكسونيا)، مستولين على (لايبزيغ) في الطريق.[1] وبالتالي كان هناك شابٌ معين يدرس في الجامعة المحلية وجد نفسه في خضم قوىً استعمارية والتي لحسن الحظ بالنسبة له كانت من بلده. لم يكن بعض الزملاء محظوظين جداً. كان في إمكان الوصي عليه أن يسمع المدافع خلال معركة (لانجنزالزا Langensalza) التي في أعقابها تم هزيمة القوات الهانوفرية.[2] وأفادت أخته أن (نامبورغ) كانت في ذعرٍ بسبب التقدم المبلغ عنه من البافاريين وقد أرسلت خزائنها العامة إلى (ماغدبورغ Magdeburg) ـ اتضح أن الشائعات مجرد كذبة ـ[3] وقد شعر (جيرسدورف) بالقلق من أن ممتلكات عائلته التي تقع بالقرب من الحدود البوهيمية قد تقع فريسةً للجنود الغازين.[4] أما (بول ديوسن) الذي كان يدرس في مدينة (فورتمبيرغ Württemberg) في (توبنغن Tübingen) فقد وجد نفسه معتبراً كأجنبيٍ معادٍ وفي حين أنه لم يكن مسجوناً فكان يعامل باشتباه وازدراء.[5] وبوضوح، لم تكن هذه حرباً قد تابعها المرء في الصحف. كثرت التهديدات وبسبب قطع الاتصالات بشكلٍ كبير وصف (نيتشه) نفسه كمن يعيش على جزيرةٍ مع أشخاصٍ غريبي الأطوار كمصادر للمعلومات. كما كتب أيضاً أنه واجه صعوباتٍ في إرسال الرسائل خارج المناطق البروسية، على الرغم من أن هذا الإدعاء يبدو مبالغاً فيه نظراً لعدد الرسائل التي أرسلها وتلقاها في ذلك الوقت. وفي الواقع يمكن القول إن (نيتشه) كان أكثر أعضاء عائلته أماناً لكونه عاش فيما سمّاه «مدينة لايبزيغ البروسية» وكان محاطاً بحاميةٍ من القوات المنزلية.[6] لم يجر طلبه للتجنيد بعد على الرغم من أنه كثيراً ما يُسأل عن وضعه. قد لاحظ الوضع من وجهة نظرٍ مزدوجة، فمن ناحية كان من دواعي سروره أن يرى أبناء بلده يحتلون منطقةً كان يعتقد دائماً بأنها قليلة

(1) Wawro 1996: 77 وبالنسبة لخيارات وسياسات (ساكسونيا) انظر Bazillion 1990: 343 - 347
(2) KGB I - 3: 105 وخشي (دايشل) أيضاً أن الساكسونيين س-»يزورون»: 91
(3) KGB I - 3: 113
(4) KGB I - 3: 87, 103
(5) Deussen 1922: 90 - 91
(6) KSAB II: 135

الشأن. وهكذا في رسالته الأولى للمنزل بعد الاحتلال البروسي اعترف بالتناقض حول أساليب (بسمارك)، بعدها أضاف بأن ذلك لا يهم: «وضعنا بسيطٌ جداً، عندما يحرق منزل، لا يسأل المرء من سبب ذلك ولكن يطفئه أولاً. (بروسيا) مشتعلة. الآن يجب انقاذها.»[1] وفي الوقت نفسه فإن رسائل (نيتشه) تظهره يحاول مراراً الهروب من الاندماج الشخصي والارتقاء إلى رؤيةٍ أقل تحزباً. لم يكن يطمح لأن يكون منصفاً ويعرض التعاطف على الساكسونيين. بل حاول التخلي عن الولاء تماماً ورؤية الحرب بشكلٍ جمالي كأداءٍ على المسرح. وهكذا وفي رسالةٍ إلى (موشاك) قارن الأحداث الأخيرة لمسرحيةٍ شاهدها بتشويقٍ منبهر. «كم نحن محظوظون» كتب لزميله المدني «أنه حتى الآن باستطاعتنا الصراخ بكلمة برافو وأن نصفق. أنا في هذه الأثناء لست متأكداً بأن الدراما لا يمكن بأن تتحول إلى تراجيديا بالنسبة لنا. نحن أيضاً يمكن أن تتم دعوتنا لتولي واحدٍ من الأدوار الزائدة التي لا تحصى».[2]

ولاحقاً قدّم نفس التجانس لـ(جيرسدورف)، «أحاول لبضع دقائق بأن أفصل نفسي عن وعي الأوقات وعن التعاطف البروسي الطبيعي الذاتي. ثم أرى مسرحيةً هزليةً من النوع التي يجعلها التاريخ مرةً واحدةً ***بأي حال من الأحوال أخلاقيةً*** ولكن جميلة جداً ومعبرة بالنسبة للمتفرج».[3] (تمت إضافة التأكيد).

قدّم هذا الموقف الجمالي حسنةً واحد تمثلت بالفرصة لمراقبة ديناميكيات نفسية، لاسيما كدر الساكسونيين كونهم مغلوبين. كان هذا في نهاية المطاف حرباً لم يريدوها أبداً ولم يريدوا الانخراط بها في حين كانت تهم مباشرةً البروسيين والنمساويين. والآن وجدوا أنفسهم وقد تم احتلالهم من قبل القوات البروسية المتغطرسة وكما لاحظ أحد الصحفيين على سكان (درسدن)، «إنهم مستاؤون، يفعلون ما يجب عليهم، ويتمنون أن يذهب البروسيون إلى الجحيم».[4] فكّر (نيتشه) بهذه الصورة البائسة ورفض استيعاب أنه لماذا بلد أقاربه ـ كانت عائلة (نيتشه) بالأصل من (ساكسونيا) ولا تزال لها فروعٌ في ذلك البلد ـ لم تقبل خسارتها ببساطةٍ أكثر. وكان منزعجاً بشكلٍ خاصٍ أن «عقولهم الصغيرة تثير عدم الثقة بشكلٍ مستمرٍ بالنظر إلى نجاحاتنا».[5]

(1) KSAB II: 135
(2) KSAB II: 140 - 141
(3) KSAB II: 159
(4) مقتبسٌ ومترجمٌ في Green 2001: 57
(5) KSAB II: 138

كان (نيتشه) أيضاً مفتوناً بمعنىً مروع أن التحولات السرية التي كانت مخبأةً لفترةٍ طويلة قد كُشفت فجأةً للرؤية. «لم نكنُ الشعور الغريب كما لو أن زلزالاً ضرب الأرض التي بدت وكأنها لا تتزعزع وجعلها غير آمنة كما التاريخ بعد سنواتٍ من الصلابة تم وضعه فجأةً في الحركة ووقعت منه ظروفٌ لا تحصى ذات صلةٍ بسبب وزنها... وإذا نظرنا للخلف نشعر بأن العاصفة القادمة تكمن في أطرافنا. لا أعني أن قوىً طيفية أعلى لها يدٌ في اللعبة. بل إن الأبنية الفاسدة تقع بسبب صدعٍ لمجرد أن يضرب ولدٌ عموداً».[1] وقبل كل شيء فقد تفكر (نيتشه) بشخصية (بسمارك) الذي بدأ هذا الزلزال وقاده بمهارةٍ نحو نهايته. كان (نيتشه) نفسه حريصاً على التعبير عن الحزن التقي إزاء فجور قادته، الذي وكطالبٍ للأخلاق الشوبنهاورية كان ملزماً لأن يشجبها. كما علّق أيضاً على موقف (بسمارك) السياسي المتناقض. على الرغم من أن الرجل مثّل حكومةً محافظة فإن هدفه «إنشاء دولةٍ موحدة»، ووسائله ـ التي تضمنت مطالب بتنازل الحكام بالوراثة، بمن فيهم الملك ـ لم تكن فقط يسارية ولكن اعتبرت من قبل البعض (بونابارتية).[2] تم تأييد هذه الرؤية بما لا يقل سلطةً عن (فريدريك إنجلز Friedrich Engels) الذي علّق على حركات (بسمارك)، «إن لم تكن ثورية فأنا إذاً لا أعرف ما يعنيه العالم».[3] ووافق (نيتشه) كما هو واضحٌ بإشارةٍ ساخرةٍ قام بها في رسالةٍ إلى والدته.[4] ومع ذلك كتب إلى (جيرسدورف) أنه كان من المهم إدراك أنه «كانت لعبة (بسمارك) بارعةً للغاية، وإن سياسةً تجرؤ أن تتجه نحو الإفلاس يمكن أيضاً أن تُلعن كما تُعبد، [اعتماداً على نجاحها]. ولكن هذه المرة إن النجاح هناك، إن ما تم تحقيقه عظيم».[5]

إن هذا التناقض بخصوص (بسمارك) والذي يذكره خلال هذه الفترة في كل رسالةٍ ما عدا واحدة، يمثل ولاءً مزدوجاً في (نيتشه) نفسه. لقد كان من أتباع (شوبنهاور) بعد كل شيء، وأخلاق هذا الأخير لم تكن مختلفةً عن تلك المرتبطة بالمسيحية المبكرة، مع التأكيد بشكلٍ خاص على التعاطف. إن هذه بالتأكيد ليست طريقة (بسمارك) رغم أن (نيتشه) أحبه بشكلٍ عام. هنا مناشدة زلزالٍ واضطرابات مفاجئة قد تنزل على نفسه هو. عندما تكلم عن (بسمارك) فإن نهجاً طي النسيان أُزيح نحو القيم الأخلاقية وظهر إلى العلن. وخلال اجتماعٍ

(1) KSAB II: 140

(2) قارن العداء الموجه نحو (بسمارك) من قبل اليمين Green 2004: 85

(3) مقتبس في Winkler 2006 I: 165

(4) KSAB II: 135

(5) KSAB II: 159

لـ(جيرمانيا) عام 1862 قام (نيتشه) بفضح (فيلهلم بايندر) بمحاضرةٍ أشاد فيها بـ(نابليون الثالث) لرغبته بتجاوز الأخلاق التقليدية سعياً لتحقيق صالحٍ سياسيٍ أعلى.[1] خلال الاحتلال البروسي لـ(لايبزيغ) حتى عندما قام (نيتشه) باعتبار (نابليون الثالث) كحقير، لم يستطع (فيلهلم) مقاومة تذكيره بذلك المقال والسؤال ضمناً ما هو ظنه ببطله الفرنسي الآن؟[2] لم يتناول (نيتشه) الطعم ولكن بالتأكيد لاحظ سخرية (فيلهلم)، وربما كان قد بين أنه لم يغير رأيه كثيراً كما أنه أعاد توجيه تقديره من رجل دولةٍ فرنسي إلى آخر بروسي. على الرغم من أن الوضع الحالي كان أكثر تعقيداً، ففي عام 1862 وبعمر السابعة عشرة كان قد أنهى للتو قراءة كتاب «الأمير The prince» لـ(ميكافيلي Machiavelli) وكان قد أشاد بـ(نابليون الثالث) لإعادة تجسيد ذلك النموذج من القرن السادس عشر. والآن فإن لدى (بروسيا) أميراً من جانبها، ولدى (نيتشه) أسبابه ليسأل نفسه فيما إذا كان هذا هو حقاً ما أراده. من الناحية النظرية لم يكن بإمكانه أن يوافق على أن الحرب المعنية عرضت من البداية إلى النهاية مشهداً من سخريةٍ سافرة، عملية نفاق، تنمر، انتهاكٌ متقلبٌ للمعاهدات، عنفٌ جسدي، و(في شروط السلام النهائي) اكتسابٌ عنيف وانتقامٌ مُهين، كل هذا تم السعي إليه بدون كرم، أو رحمة، أو إظهار احترام.[3]

في البداية كان السكان عموماً غير مخدوعين إلى حدٍ كبير. ليس حتى الأيام الأخيرة من الحرب، حين بدأ البروسيون بشكلٍ عام التجمع حول الزعيم المحقر كثيراً. بل وفي نهاية هذا التسلسل غير المؤكد للأحداث، انتفضت قطاعاتٌ كبيرة من العامة المتحدثة بالألمانية من اليسار واليمين لتهلل بالحرب باعتبارها مظهراً مقدساً للمصير التاريخي، وهو أمرٌ اتفق معه (نيتشه) إلى حدٍ ما. ومن المؤكد أنه شعر بالحيرة إزاء تناقض هذه التقييمات كما يتضح من تعليقه بأنه لا يمكن الحكم على سياسةٍ مثل سياسةِ (بسمارك) إلا بالنتيجة. وبعد دراسة التاريخ طوال حياته فقد رأى ذلك الآن في الأداء. وإن التناقضات بين الروايات العامة والحقائق التي شهدها لا بد وأنها أعطته وقفة.

لا عجب أنه سعى إلى رفعها من المستوى العملي إلى المستوى الجمالي كما لو كان

(1) (نابليون الثالث رئيساً Napoleon III als Präsident) KGW I - 2: 357 - 362

(2) KGB I - 3: 115

(3) عندما سار البروسيون نحو (فرانكفورت) المدينة التي كانت حرةً لعدة قرون قام العمدة المحلي بشنق نفسه

يراقب (هنري الخامس Henry V) أو (فالينشتاين Wallenstein) عوضاً عن المشاركة في فرض وحشيٍ للقوة. ربما كان يفكر في الساكسونيين والبروسيين ولكن أيضاً في نفسه في البوح النهائي الذي قدمه إلى (فيلهلم): «يمكن للمرء أن يتعلم الكثير في مثل هذه الأوقات... وقبل كل شيء، يلاحظ المرء كيف أن قوة الفكر لا تكاد تذكر».[1]

وفي النهاية، هُزم النمساويون في معركة (كونيغراتز Königgrätz). انتقل البروسيون بعد ذلك ببطء جنوباً، وأُضعِفوا كثيراً بسبب وباء الكوليرا، حتى وبحلول 18 يوليو كانوا على بعد 19 كيلومتر من (فيينا Vienna). تدخلت كل من (فرنسا) و(روسيا) في هذه المرحلة، واكتسب الصراع الذي كان من المتوقع عالمياً أن يدوم لأشهرٍ إن لم يكن أعواماً لقب (حرب الأسابيع السبعة The Seven Weeks War). لقد حقق (بسمارك) هدفه. فـ(النمسا) التي كانت جزءاً من (ألمانيا) ـ يمكن القول إنها كانت مركزها ـ لألفية، قد فصلت فعلياً الآن، وسيكون هناك فقط خمسة أعوام حتى تأخذ (بروسيا) كامل السيطرة. وقد تمت تسوية قضيةٍ واحدة: إذا كانت الولايات الألمانية سوف تتوحد فإن ذلك سوف يحدث تحت رعايةٍ بروسية. وعلاوة على ذلك استفادت (بروسيا) بشكلٍ هائلٍ من اكتساب أراضٍ جديدة وفرض سلطتها. ومع ذلك فلم يعتقد أحدٌ عملياً أن الحرب قد حلّت المشكلة الأساسية. فقد تكون (ألمانيا) مستعدةً لأن تتوحد ولكنها لا تستطيع القيام بذلك دون موافقة باقي (أوروبا) وخصوصاً (فرنسا). كان من غير المحتمل حدوث هذا دون حربٍ أخرى، وأمضى العديد من الألمان وقتهم في الاحتمال السعيد لتسوية الحسابات مع الدولة التي كانت قد أذلتهم قبل ستين عاماً. وانتظر (نيتشه) وأصدقاؤه على نحوٍ متوقعٍ تقدم التجربة السياسية الأكبر في حياتهم إلى الأمام ببطء. كتب (جيرسدورف): «هل نحن في نهاية الأداء الأول للأغنية والرقص العظيمين؟»[2] كان السؤال بلاغياً بحتاً بالنسبة لـ(نيتشه) والآخرين من أبناء جيله.

2

في وقتٍ ما بين منتصف أغسطس ومنتصف سبتمبر أنهى (نيتشه) مسودة بحثه «ثوغنيس»،[3] ولأول مرةٍ في ستة أشهر كان بإمكانه التمتع ببعض وقت الفراغ. لقد كان خلال

(1) KSAB II: 138

(2) KGB I - 3: 145

(3) KSAB II: 157

هذه الفترة أن التفت إلى عمل (فريدريك ألبرت لانج Friedrich Albert Lange) في «تاريخ المادية ونقد معناها في الوقت الحاضر»، وهو كتابٌ لا بد وأنه وجده أخّاذاً، وبحلول نهاية شهر أوغست كان إما قد أنهاه أو قرأ كفايةً ليقتبس بسخاءٍ من صفحاته. وأوصى به على الفور لـ(جيرسدورف) و(موشاك).[1] وعلى الرغم من أنه كان صامتاً لفترةٍ بخصوص الكتاب، إلا أنه عاد للإشادة به في عام 1868 عندما قام بحملةٍ مرةً أخرى موصياً به لـ(جيرسدورف)،[2] وألح على زميلٍ سابقٍ (هاينريش روموندت Heinrich Romundt)[3] لقراءته، ومن الواضح أنه أقرض نسخته الخاصة لصديقٍ آخر (إرفين رود Erwin Rohde).[4] ناقش الباحثون المدى الذي استمر فيه الكتاب يلهم (نيتشه) بعد عام 1869،[5] ولكن لا يمكن المبالغة بالأثر خلال أعوام دراسته الجامعية.

لا يفسر (نيتشه) كيف صادف العمل، ولكن (لانج) كان مرةً طالباً عند (ريتشل Ritschl)، وربما لفتت ملاحظةٌ من ذلك الأستاذ انتباهه. وقد رأى (جيرسدورف) نسخةً على رفوف كتب (رون Rohn)، لذا ربما وجده (نيتشه) بنفس الطريقة التي وجد بها تحفة (شوبنهاور) الفنية.[6] وكان العنوان وحده قد أسره. خلال هذه الحقبة عندما كان العلم والتكنلوجيا صاعدين وكانت تُباع كتب عن المادية عادةً مع معانٍ إضافيةٍ فلسفية بشكلٍ جيدٍ وقد نوقشت بجدية. (كان نيتشه قد نظر في نفس الموضوع عندما كان في شولبفورت). استولى أربعة كتّابٍ بشكلٍ خاصٍ على الخيال العام وهم (لودفيغ بوشنر Ludwig Büchner، وكارل فوغت Carl Vogt، وجاكوب مولشوت Jacob Moleschott، وهاينريش تشولب Heinrich Czolbe) ليس فقط في (ألمانيا) ولكن خارجها أيضاً.[7] وبحلول منتصف ستينيات القرن التاسع عشر كان المد قد تحول نوعاً ما، أكاديمياً على الأقل. أشار الكيميائي الشهير (جوستوس فون ليبيغ Justus von Liebig) إلى مروجي المادية هؤلاء على أنهم (هواة dilettantes)، لأن معرفته بالعلوم كانت

(1) KSAB II: 159 - 160, 184

(2) KSAB II: 257 - 258 اشترى (جيرسدورف) نسخةً وقرأ بعض الأجزاء KGB I - 3: 278

(3) KGB I - 3: 293

(4) KGB I - 3: 299

(5) كان هناك أربعة إصداراتٍ من الكتاب ويختلف النقّاد أي نسخةٍ هي التي قرأها (نيتشه) في السنوات اللاحقة. انظر Salaquarda 1978 وStack 1983

(6) انظر KGB I - 3: 146

(7) قارن ملاحظة (كارل فورتلاج Carl Fortlage) عام 1857: «تسوي نظرة العالم الجديد نفسها في أذهان الرجال. إن الأمر يحدث كالفيروس» مقتبس في Gregory 1977: 10

غير كافية. وفي الوقت نفسه قرر (لانج) الذي يملك دكتوراه في الفلسفة أن يعالج الموضوع بتكلفٍ أكبر مما قام به أنصاره الهواة. كما أمِل أيضاً في تخليص الفلسفة، مع ملاحظة أنه في حين كان (بوشنر Büchner) وجماعته يفتقرون المعرفة بالكيمياء، فإن بعض العلماء الطبيعيين الذين يعقلون على الفلسفة يعرفون القليل عن الكيمياء ويمكن أن يطلقوا على أنفسهم لقب (هواة dilettantes).[1] وكما تقترح هذه السخرية المنصفة فإن (لانج) لعب دور المرجح قليلاً. قد تكون المادية هي هدفه، ولكنه لم يكن عديم الاحترام بأي حالٍ من الأحوال. وكان ادعاؤه نوعاً ما بأنه كنظامٍ فلسفي فشل في النهاية،[2] وحتى علمياً فقد تم استبدال فرضياته.[3]

بشكلٍ افتراضي، فإن رواية (لانج) تفتتح بعبارةٍ تعيد تعريف القضية مباشرةً. يقول: «إن المادية قديمةٌ قدمَ الفلسفة ولكن ليست أقدم منها»،[4] ووجهة نظره أن المادية ليست مجرد موقفٍ من معنىً عام متعنّت، بالأحرى هي مدرسة للفلسفة وبالتحديد نظامٌ للميتافيزيقيا. وبالتالي يجب أن يتم النظر فيها ضمن سياق الأنظمة الميتافيزيقية الأخرى، ومهمة (لانج) الأولى هي دراسة مكان المادية ضمن تاريخ الفلسفة. وفي النسخة الأولى من عمله، وهي التي قرأها (نيتشه) في (لايبزيغ) والنسخة الوحيدة المعنية في كتابنا هذا، فإن (لانج) يبدأ بشكلٍ فعّالٍ بـ(ديمقريطس Democritus) الذي رفض أسباباً نهائية والذي بناءً على (ليوسيبوس Leucippus) ابتكر النظرية الموسّعة الأولى للذرات في الفضاء الفارغ. ثم يكمل (لانج) إلى شخصياتٍ مثل (أبيقور Epicurus) و(لوكريتيوس Lucretius) و(غاسندي Gassendi) و(هوبز Hobbes) و(لا ميتري la Mettrie) و(د' هولباش d'Holbach) وإلى مذاهب مثل السفسطائية وأرسطوية القرون الوسطى وأصلاً باستطلاعه التاريخي إلى (هيوم Hume) و(كانت Kant). يعالج (لانج) في هذا القسم التاريخي ممثلين عن النظرة المادية مع تقديرٍ كبير، لأنه يعتقد، وبشكلٍ منهجي، أن منهجهم قام ببعض الضرر في العلوم وكان بمثابة الوقاية من وجهات النظر المثالية، ويعتبر أن أغلبه خاطئ ويؤدي إلى نتائج عكسية. وفي النهاية قد يجد المادية محدودةً في نطاقها الخيالي ومخطئة في ادعائها الميتافيزيقي، ولكنه

(1) Lange 1866: 320 ff

(2) للحصول على أمثلةٍ لرفضٍ حاسم، انظر Lange 1866: 276, 371, 379, 499 - 500

(3) انظر Lange 1866: 365 , 371 , 379, 483, 499 - 500

(4) Lange 1866: 3

يعتقد أنها مفيدة كـ«مقولة في البحث العلمي».[1] وعلى الرغم من أن العنوان في كتاب (لانج) تم اختصاره إلى «تاريخ المادية» فإن العنوان الفعلي ـ تاريخ المادية ونقد معناها في الوقت الحاضر ـ يشير إلى غرضٍ مزدوج. وبصرف النظر عن عرض أصل وتطور المذاهب، فإن (لانج) يستكشف علاقتها مع الفعل والفكر المعاصرين، وهنا يستكشف الطبيعة الإشكالية للميتافيزيقية بشكلٍ عام. بالنسبة لـ(لانج) فقد وقعت اللحظة الحاسمة مع عمل (كانت) الذي كان باسم «الثورة الكوبرنيكية Copernican Revolution» إن وجهة النظر بأنه بدلاً من أن نسأل كيف تستطيع المعرفة البشرية أن تتكيف مع المواضيع، يجب أن نسأل كيف يجب أن تتكيف المواضيع مع المعرفة البشرية.[2] يكتب (لانج) «لا يمكنك الالتفاف على (كانت)»، «هنا تكمن بداية النهاية للمادية، كارثة المأساة».[3] لم يكن إعجابه غير مشروط. تختفي مساحاتٌ شاسعة من النقد الأول «التحليلي المتفوق Transcendental analytic» دون ذكر، كما يلوم (لانج) سلفه لمحاولة اكتشاف إنتاج المصطنع مسبقاً من خلال (التفكير النقي).[4] «وهنا كان الرجل العظيم مخطئاً تماماً كما كان أي ميتافيزيقي».[5] ومع ذلك يشيد (لانج) بالثورة الكوبرنيكية نفسها. «حقيقة أن [لدينا] بالتأكيد تجربة، هي... مشروطةٌ بتنظيم قوى التفكير خاصتنا»، كما يوافق، ويفسر العمليات المنطقية المختلفة بأنها «ليست فقط ما قبل تجريبية ولكن... حالة من التجربة».[6] وبعبارةٍ أخرى يعتقد (لانج) أن هناك أحكاماً مسبقة موثوقة، أي الأحكام الصحيحة بالعموم وبالضرورة. هو فقط لا يعتقد بأن هذه الأحكام يمكن أن تكون صالحة بالبراهين المنطقية. يمكن أن تُزّيف، ولكن قبولها الإيجابي يجب أن يكون مؤقتاً دائماً. (وتجدر الإشارة إلى أولئك الذين يعرفون (كانت)، بأنه ما عدا في دراسته

---

(1) Lange 1866: 238 للإطلاع على نقاشٍ حول عدم الاحساس العام للماديين بالجمالية والروحانية، انظر 200 - 204 يفترض (غريغوري Gregory) بأن اقتراح المقولة أشار إلى ما يسمى (الخفضيون) Gregory 1977: 148

(2) Critique of pure reason, B xvi لقد عبرت عن (الثورة الكوبرنيكية) بمصطلحات (كانت). إن (لانج) الذي يرتكز عمله بشكلٍ كبيرٍ على (مقدماتٍ نقدية Prolegomena) هو ليس النقد الأول بل يفسرها بشكلٍ مختلفٍ إلى حدٍ ما. انظر Lange 1866: 287 ff

(3) Lange 1866: 241

(4) لم يناقش (لانج) أبداً الاقتطاعات الميتافيزيقية أو الفائقة، وتذهب مسألة الإدراك الباطن (باستثناء إشارة في الصفحة 280) دون ذكر. إن حواشيه التي تشير حصرياً إلى (المقدمات النقدية Prolegomena) تشير أنه عند تأليف كتابه لم يستخدم The critique of pure reason مطلقاً.

(5) Lange 1866: 248

(6) Lange 1866: 241

لـ(كانت) نفسه فإن (لانج) لا يميز بين الاقتراحات المسبقة التحليلية والمصطنعة، يجب أن يخضع الكل لمحاكمة التجربة).

إذا كانت المقترحات السابقة إشكاليةً جداً فلماذا الإعتقاد بأن أياً منها صحيح؟ يجد (لانج) التفسير في منعطفه الكوبرنيكي الخاص. فالبيانات المسبقة الصالحة تعكس الهياكل التي نخلق من خلالها التجربة وإلى ذلك الحد يجب أن تكون صحيحةً دائماً.

ويضع (لانج) تلك الهياكل في منظمتنا (الفيزيائية ـ النفسية)، وهو مفهومٌ يتركه غير محددٍ وإلى حدٍ كبيرٍ غير مميز في النسخة الأولى من عمله.[1] وهو يقدم أمثلةً عن تلك المنظمة في العمل، ومع ذلك، وخصوصاً في المجال الفيزيولوجي، يقدم (لانج) تجارب تتم فيها مقارنة تطبيق المحفزات مع العتبات والأشكال التي من خلالها يستوعب الإنسان تلك المحفزات. مثلاً عند أي تردد وعند أي شدةٍ صوتية يجب أن يتم إنتاج النغمة قبل أن يتمكن الشخص من الإبلاغ عن سماعها؟ وعلاوةً على ذلك، ما هو الارتباط الموجود بين لذة الإدراك (الصوت) ونوع ودرجة الحدث الالكتروني الذي (أنتجه)؟

من ناحية يدّعي (لانج) أن هذه التجارب الفيزيولوجية قد أظهرت الحياة كنتاجٍ لعملياتٍ ميكانيكية، تماماً كما ادعى الماديون. كما لم يتنبأ الماديون على الإطلاق، وعلى كل حال غالباً ما يكون هناك القليل من التطابق بين الأحداث المسببة والطرق التي تستخدمها القدرات البشرية لتسجيل تلك الأحداث. وبعبارة أخرى، لا وجود لها ـ ويجادل (لانج) بأنه لا يمكن أن يكون هناك ـ أي ارتباطٍ تناظري بين السبب الفيزيولوجي والأثر «المدرك» المقابل. كتب (لانج) العشرات من الصفحات موضحاً الطرق التي لا تتوائم فيها الأحاسيس البشرية ـ وأيضاً تسيء تمثيل ـ مع القوى التي سببتها. ولأسبابٍ متنوعة ـ إن الحدود التقبلية لأجهزتنا الحسية، وعدم التكافؤ في القياس بين السبب الخارجي والمضمون المثير، والطريقة التي تبدو فيها الأحاسيس تعدل نفسها في مرحلة ما بعد السببية وما قبل الإدراك ـ فإن الواقع الذي نسكنه فعلاً، لا يقوم ولا يستطيع مزامنة العالم الذي ندركه.

وهذا ينطوي على العديد من الآثار بعضها سوف يُناقش أدناه. وفي الوقت نفسه من الواضح أن المفكرين بحاجةٍ لتوخي الحذر عن اتخاذ أحكام بالجملة حول الكون، كما يتطلع

---

(1) يصيب (لانج) بالكاد نجاحاً أفضل في النسخة الثانية. حيث يضيف حاشيةً مطولة في محاولةٍ لتوصيف هذا المفهوم. انظر

Lange 1892: III, 193 - 195, n. 25

الميتافيزيقيون أن يفعلوا. يجب على البشر أن يدركوا أن أي علم أنطولوجيا [علم الوجود] يطالب لأن يتم الأخذ به بشكلٍ عام وبواقعٍ كليٍ لا يمكن أن يستمر، وهذا يتضمن المادية مع افتراضها بأن الواقع يتكون من المادة والقوة.[1] بينما المادية هي بالتأكيد عرضة لجدال (لانج)، كذلك فلسفة (آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer). ذلك الفيلسوف الذي يطور أيضاً نظاماً من الميتافيزيقيا من خلال الإدعاء بأنه يعرف طبيعة «الشيء في حد ذاته». وكما يجادل (نيتشه) بعد سنتين، فإن هذا الإدعاء لن يكون قادراً على قول أي شيء حول الواقع المطلق فهو ليس متناغماً حتى مع افتراضات ذلك الفيلسوف نفسه وبالتأكيد ليس مع تلك الخاصة بـ(كانت) التي عدّلها (لانج).[2] لا يقوم (لانج) نفسه بتبيان الضرر الذي سببته اكتشافاته لـ(شوبنهاور) بشكلٍ دقيق. هو يذكر هذا الأخير بشكلٍ مهم فقط ثلاث مراتٍ في النسخة الأولى من كتابه: مرةً في المقدمة،[3] حيث يرفضه كشخصيةٍ رجعية، وبعد ذلك حيث تعليقاته أكثر سطحية.[4] ليس من الصعب مع ذلك معرفة لماذا بدا (شوبنهاور) انكفائياً بالنسبة له وكما سيتبين، يبدو أن (نيتشه) أدرك الضرر بنفسه.[5]

قد يظن المرء أن الإقصاء الصريح لـ(شوبنهاور) في المقدمة والنص الرئيسي من شأنه أن يسيء لـ(نيتشه)، الذي مال لأن يكون ملامساً لانتقادات محبوبه. وعلى كلٍ يرجع (لانج) عن الإدانة بالجملة بطريقةٍ مفاجئة. بعد أن وجه ضربةً قاضية للميتافيزيقية، أو بالأحرى بعد أن أعاد ضربة (كانت) القاضية، وهو جرحٌ مميتٌ نجت منه الضحية بشكلٍ غامض، يقوم بتقديم تعازيه الكريمة. «إن الميتافيزيقيا كعلم هي خادعة ذاتياً»، يكتب «في حين أنها تكتشف

(1) بما أن هذا كتابٌ عن (نيتشه)، وليس (لانج)، قمت بتبسيط رواية (لانج) إلى حدٍ كبير. في الواقع إنه يعلن أن المادية «انتهت»، في عدة مناسباتٍ ولعدة أسباب، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر: (1) على أساسٍ ما قبل كانتي، لأن الضغط السفسطائي على أولوية الإحساس يؤدي إلى موقف بيريكلياني لا يمكن دحضه. (2) عن طريق (كانت) كما هو موضحٌ في النص (3) عن طريق اكتشافاتٍ فيزيولوجية كما هو موضحٌ في النص و(4) عن طريق إنجازات علماء رياضيات القرن التاسع عشر الفرنسيين ولاسيما (غاي لوساك Gay - Lussac) و(أمبير Ampère) و(كوشي Cauchy) الذين قاموا وبطرقٍ مختلفة بتخفيض الذرة إلى مقادير لا بعدية تمثل حقول قوى، وبالتالي إزالة مادتها كلياً، جانب ميتافيزيقي.

(2) انظر «On Schopenhauer»، KGW I - 4: 418 - 427

(3) Lange 1866: v - vi

(4) Lange 1866: 292, 298, 299

(5) للحصول على رواية أكثر ثراءً عن تفنيد (لانج) الضمني لـ(شوبنهاور) انظر مقالتي غير المنشورة «مكافأة عزاء (لانج): نقد (نيتشه) الأول لـ(شوبنهاور) Lange's consolation prize: Nietzsche's first criticisms of Schopenhauer» (على الملف مع المؤلف)

قيمتها الحقيقية في بنية المفاهيم».[1] يجادل (لانج) بأنه لو أننا لا نعرف الطبيعة المطلقة للواقع فعندها لا شيء يمنعنا من التفكر، طالما أننا لا نقوم بادعاءات دوغماتية للحقيقة. ويبدو أيضاً أن الحاجة للخيال والإرتقاء هي جزءٌ من التنظيم الإنساني وهي حاجةٌ يجب الوفاء بها. إن الميتافيزيقيا والفن والدين كلها تمثل بالنسبة لـ(لانج) تعبيراً ضرورياً عن الطموح البشري وإلى ذلك الحد تقتضي الإحترام. عندما تقدم الميتافيزيقيا رؤيةً للواقع ـ رؤيةً بدون وجود ادعاءات للحقيقة العلمية ـ فإنها تقدم ارتقاءً وإلهاماً، ولا يجب تشجيعها فقط بل ويجب التهليل لها. غالباً ما يدعوها (لانج) «شعر المفاهيم»، وهذا التلازم للميتافيزيقيا مع الفنون ينشط لغته كلما تم المساس بهذا الموضوع. «إن الفن حرٌ حتى في مملكة المفاهيم»، يصرح، «من سيدحض حركةً لـ(بيتهوفن)، ومن سيوجه نقداً للوحة السيدة لـ(رافاييل)؟»[2] بالتأكيد شعر (نيتشه) بالارتباك عندما استوعب أول مرة آثار كتاب (لانج). لقد كان (شوبنهاور) محوره الروحي للأشهر العشرة السابقة، وتطابقت قيم الفيلسوف مع تلك التي تاق (نيتشه) أن يجسدها في هذا الوقت. وعلاوةً على ذلك كانت أفكار (شوبنهاور) العملة المشتركة للتبادل بين (نيتشه) وأصدقائه وخصوصاً (جيرسدورف) و(موشاك). (ومن أجل إزعاجه رفض (ديوسن) احترام محبوبه الجديد).[3] ما الذي سيقوم به (نيتشه) الآن وقد تم دحض هذا السيد؟ لا شيء يمكن ملاحظته، على ما يبدو. ومن المؤكد أنه لم يبدِ أي تراجعٍ لأي أحدٍ ما عدا (جيرسدورف). وبدلاً من ذلك تعلّق بمكافأة عزاء (لانج) وبدّل بهدوءٍ الأسس من حقيقة نظام (شوبنهاور) إلى طبيعة رؤيته المحددة. «يعتقد لانج»، كتب لـ(جيرسدورف)، «يجب أن نترك الفيلسوف حراً، مفترضين أنه يمكن أن يثقفنا. إن الفن حر حتى في مملكة المفاهيم». بعد أن بدأ يقتبس من (لانج) (انظر في الأعلى)، تابع بشكلٍ حرفي وأنهى بملاحظة. «ترى أنه حتى ضمن وجهة النظر الصارمة الحرجة هذه فإن (شوبنهاور) يبقى صامداً، وذلك يعني الكثير لنا على ما أعتقد».[4]

كان الكثير يعتمد على الفعل «يعني». على الرغم من أن (نيتشه) يمكن أن يزعم أنه لا شيء مهماً تمت خسارته فلسفياً، كان عليه أن يقوم بتنازلٍ كبير نوعاً ما للحفاظ على «وجهة النظر الصارمة الحرجة». سوف يقرأ الآن (شوبنهاور) بالطريقة التي يقرأ بها المسيحيون

---

(1) Lange 1866: v

(2) Lange 1866: 269

(3) KGB I - 3: 110 - 111 ولاحقاً بالطبع سوف يصبح (ديوسن) معجباً بـ(شوبنهاور) طوال حياته

(4) KSAB II: 160. Middleton 1969: 18 تم تعديل الترجمة نوعاً ما.

الليبراليون الكتاب المقدس، يلقى العزاء في رؤيته ولكن لا يأخذ بمطالباته الفعلية حرفياً أيضاً. من الواضح أن (نيتشه) درس (شوبنهاور) بتحفظاتٍ مماثلة، مزيلاً الميتافيزيقية بصمت. وبعد سنتين سيكتب لـ(ديوسن) أن:

«باستثناء علماء اللاهوت وعددٍ قليل من أساتذة الفلسفة والعامة، فلا أحد لديه أي أوهامٍ هنا. إن مملكة الميتافيزيقيا وبالتالي منطقة الحقيقة «المطلقة» وُضعت حتماً في مرتبة الشعر والدين. كل من يريد أن يعرف شيئاً فليرضِ نفسه الآن بنسبية واعية من المعرفة، كما على سبيل المثال كل العلماء الطبيعيين المعروفين. كذلك تنتمي الميتافيزيقيا إلى عدد قليلٍ من الناس في مملكة الحاجة المزاجية، وهي أساساً التثقيف، وبدلاً من ذلك هي فن، أي شعر المفاهيم، مع ذلك ضع في الإعتبار أن الميتافيزيقيا ليست أكثر من الدين أو الفن في علاقته مع ما يسمى «صحيحٌ في حد ذاته أو كائن».»[1]

لم يُذكر (شوبنهاور) هنا، لكن لم يجب ذكره. فالحقيقة تدعي ضمناً أن ***العالم إرادةً وتمثيلاً*** يتلاشى نوعاً ما بنفس الطريقة التي يتلاشى فيها ذوو الشعر، من خلال «التوقف الإرادي لعدم الإيمان».[2] لقد لوحظ في وقتٍ سابقٍ أن إصرار (لانج) على حدود التجربة انطوى على آثارٍ كبيرة. أحدها كان دحض معظم الأنظمة الميتافيزيقية. وآخر كان إعادة تعريفٍ وتأهيلٍ كافٍ للميتافيزيقيا كرؤيةٍ روحية. ويجب إضافة أثرٍ ثالث، على الرغم من أن الأمر سوف يستغرق (نيتشه) عاماً ليستوعبه. ولما كان لا يمكن للتعميمات أن تُستمد إلا من التجربة، فإنها تحتاج إلى تأكيدٍ إيجابيٍ من نوع أو آخر، إما عن طريق استقصاءٍ تجريبي في العلوم الطبيعية أو عن طريق إثبات حقائق في المعرفة. وقد استحقت العلوم ((ويسنشافتن Wissenschaften)) (العلوم الطبيعية والمعرفة) التقدير لأنها قدمت حقائق مستدامة وإن كانت مؤيدة واقتراحية. ما هو التقدير الذي قد تحظى به الفنون بعد ذلك؟ كفرد، أُعجب (لانج) كثيراً بذلك وكان (شيلر Schiller) بطلاً له، وأنهى كتابه بأنشودة شكرٍ من عشرين صفحة إلى عظمة الفنون ومنافعها.[3] ومع ذلك فإن الفنون بالتأكيد لم ترمِ إلى إثبات الحقائق، وفي الواقع إن كتاب (لانج) حيّد الأنشطة المترافقة مع الإنسانيات عن تلك التي اعتُبرت متعمقة وعلمية. أصبح كلٌّ من الفن ((كونستKunst)) [كلمة ألمانية ودانماركية وهولندية واستونية نرويجية بمعنى

(1) KSAB II: 269

(2) إن هذا التعبير بالتأكيد ليس لـ(نيتشه) وإنما لـ(كوليريدج Coleridge)

(3) بالنسبة لـ(شيلر) أنظر Lange 1866: v ولمحاولة (لانج) لإعادة تصور وظيفة الفنون انظر 539 - 557

فن] والعلوم ((ويسنشافت)) شروطاً استبعادية الآن، ورُحب بالانفصال عنهما كتقدمٍ مفيدٍ في اكتشاف الحقيقة. كانت عواقب الحركة الإنسانية بما يمكن القول إنها خطيرة. إذا تم ايقاف التثقيف والمعرفة، إذا طالب التقدم في العلوم بإلغاء شخصية الممارس بدلاً من اكتساب الذات لهذا الأخير عن طريق الاستيعاب الخيالي، عندها فإن تطور الذات عن طريق النشاط كما توخاه (همبولد)، (جوته Goethe)، و(شيلر) أصبح مشكلةً كبيرة.

ستتم دراسة هذا التحول في الفصل التالي. وللآن فمن الكافي ملاحظة أنه بقبول وجهات نظر (لانج) فإن (نيتشه) كان يتخلى ضمنياً عن المثاليات التي أرشدته خلال مرحلة المراهقة والتي كانت قد سهّلت قراره باختيار علم اللغة كمهنة. لم يكن لدى (لانج) ميتافيزيقيا إيجابية ليقدمها، ولم يستطع أبداً إثبات عالمٍ من الروعة الخيالية كما فعل (شوبنهاور). كانت وجهة نظره نوعاً ما كما يلي، فيما يتعلق بالحقيقة فقد انتهى العصر الخيالي. وفي قبول وجهة النظر هذه والإعتراف بالعلوم ((ويسنشافتن)) كحكمٍ وحيد للافتراضات التي تخص الواقع، فقد كان (نيتشه) يدير ظهره إلى المحافظة [مبادئ المحافظين] والمثالية التي ميّزت شبابه. لسنواتٍ كان ينمي النظرة الريفية لـ(نامبورغ) ولتجارها ولصناعها الصغار ومحاميها. والآن بدأ يرى ما وراء الإرث الفكري لـ(شولبفورت) أيضاً. قد يكون اليونانيون والرومانيون والفلاسفة الكبار قد تم إجلالهم هناك، ولكن فضّل أساتذة (الجمنازيوم) خاصته وجهة النظر الإنسانية للكلاسيكيات، وبالتأكيد لم يعتبروا العلوم الطبيعية كموضوعٍ حاسمٍ بخصوص مستقبل الثقافة. وفي نفس الوقت وخارج جدران (شولبفورت) كان يجري تجديد التاريخ، وهو تحولٌ لا بد وأنه كان واضحاً بشكلٍ خاص في الصخب التجاري والصناعي لـ(لايبزيغ). في صيف عام 1866 كان (نيتشه) رأى خريطة (ألمانيا) وقد أعيد رسمها. والآن وفي أعقاب تلك التجربة مباشرةً ـ تمت كتابة رسالته إلى (جيرسدورف) خلال الأسبوع الذي تم توقيع السلام فيه ـ اكتشف وحالف نفسه مع الروّاد من العصر القادم. قال (لانج) «أود أن أعمل نحو التقدم البشري».[1] وعندما بدأ (نيتشه) في انتقاد علم اللغة كما سيفعل قريباً فإن شكوىً أساسية ستشارك قليلاً في «التقدم». ربما توقف عن قراءة (لانج) لمدة عامين، ولكنه كان يجلب الآثار ليتحملها في ممارسته اليومية. وخلال العامين نفسهما ألقى (نيتشه) نظرةً غير راضيةٍ على نحو متزايد على تعليمه التقليدي وبدأ يُعجب بالعلوم بدلاً عنه. فقد أيقظه (لانج) ولم يعد في حاجةٍ لتحريض كتابه ليذكره بالحاجة إلى التغيير.

(1) Lange 1866: viii

3

بينما كان (نيتشه) يقرأ (لانج) كانت هناك أحداثٌ أخرى لم يُلق عليها إلا القليل من الإهتمام. ففي الصيف السابق بينما كان لا يزال في (بون)، قامت سفنٌ في البحر الأبيض المتوسط بنقل (الكوليرا)، وهو وباء يُحمل في الماء والبراز، من (الشرق الأوسط) إلى الـ(أوديسا). ونقله الحامل إلى (ألتنبورغ) حيث انتشر عبر طريق نهر (ساكسون Saxon) إلى (لايبزيغ) حيث أوقفت أشهر الشتاء انتشاره بشكلٍ مؤقت. ومع الربيع تابعت العدوى انتشارها عن طريق الجيش البروسي الغازي ملتقطاً العدوى وحاملاً إياها إلى (بافاريا) و(بوهيميا) و(النمسا).[1] وبعد ذلك سارت القوات العائدة مرةً أخرى عبر (ساكسونيا) مما أدى إلى إصابة ذلك البلد بالعدوى مرةً ثانية.[2] أصبحت شائعات تفشي المرض بعد ذلك أكثر بروزاً من أوائل الربيع حتى الصيف. وبحلول أواخر أغسطس عام 1866 عندما عاد (نيتشه) إلى دياره لقضاء العطلات كانت ثلاث مدنٍ بجواره مصابةً بالعدوى بشكلٍ سيئ، وهذه المدن هي (زيتز Zeitz) و(فايسنفيلز Weissenfels) وخاصةً (هاله Halle). شكلت هذه المدن مثلثاً وكانت (نامبورغ) في المركز، و«في (نامبورغ) حيث كانت المراحيض وأكوام الروث كريهة وضخ المياه سيئ» كتب طبيب «انتشر المرض بسرعة في كل المدينة»[3] وكانت فرانسيسكا تشعر حقاً بالذعر بعد أن زارت (هاله) في نهاية أغسطس ووجدتها بؤرةً للمرض، حيث كان الجيش البروسي قد وضع قواته المريضة. في تلك الأثناء وفي (نامبورغ) مات جارها في الدور السفلي وهو صانع أمشاط اسمه (لورينستين Lurgenstein). كانت ابنتها (إليزابيث) بعيداً في زيارةٍ لأصدقاء وأقارب في جنوب غرب (ساكسونيا). وفي 15 سبتمبر رحلت (فرانسيسكا) فجأةً أيضاً وأخذت ابنها إلى فندقٍ بالقرب من (باد كوسن Bad Kösen). لا نعرف فيما إذا بقيت كلٌّ من (روزالي) و(فريدريكا) لتتحديا الوباء (توفيت لينا عام 1862) ولكن في (سانجرهاوزن Sangerhausen) في الشمال، كتب (برنارد دايشل) الوصي على (نيتشه) أن أربعاً من أصل ستة أشخاصٍ مات في شارعه لوحده.[4] وجديرٌ بالملاحظة أن (نيتشه) ذكر القليل عن هذا في الرسائل، ونادراً ما أشار إلى عدوى (نامبورغ)، وعادةً ما ذكرها فقط ليخبر عن تغير

---

(1) بعد (كونيغراتز Königgrätz) تأخر تقدم الجيش البروسي بسبب تفشي المرض

(2) Peters and McClellan 1875: 648 - 651K 651 - 654

(3) Quoted in Peters and McClellan 1875: 652

(4) KGB I - 3: 153

عنوانه.[1] توجه انتباهه بشكلٍ كبيرٍ نحو إعادة صياغة بحث «ثوغنيس» والقيام بأعمال قاموسٍ تحضيرية لنسخة من (إسكيلوس Aeschylus). بينما سادت الكوليرا يبدو أنه كان سعيداً تماماً في الفندق، مرحباً بفرصة العمل بانتظام مع عدم وجود تشتيت فعلياً.[2] ومع ذلك فإنه من المستحيل ألا يكون على بينة من الخطر، خصوصاً وأنه كانت هناك عدة وفيات في الآونة الأخيرة من دائرة معارفه، مما جلب الموت بشكلٍ متكررٍ إلى اهتمامه.

توفي ثلاثة أشخاصٍ كان يعرفهم في (لايبزيغ) بسبب الكوليرا بمن فيهم (كريستيان فايس Christian Weisse) وهو هيغلي في دائرة الفلسفة، ويعرف اليوم بمرشد (رودولف لوتزي Rudolf Lotze).[3] وبعيداً عن زملاء (لايبزيغ) هؤلاء فإن (نيتشه) اختبر خسارةً أقرب بكثير. علم في أغسطس أن اثنين من معارفه بمن فيهم الطالب المسؤول الأول في (شولبفورت) المحترم جداً (أوسكار كرامر Oskar Krämer) قتلا في الحرب.[4] وفي مايو تلقى كلمةً مفادها بأن (هيدويغ شميد Hedwig Schmid)، وهي إحدى عماته غير الشقيقات من (بلاوين) ماتت وهو حدثٌ تطلّب رسالة تعزية إلى أختها (جولي أوبتز Julie Opitz).[5] ثم وفي أغسطس توفيت (جولي) أيضاً. على الأقل سبعة معارف، أصدقاء، أو أقارب اختفوا في غضون أربعة أشهر، دون احتساب الجار في الطابق السفلي أو آخرين لم يفكر (نيتشه) في ذكرهم. بينما يبدو أنه لم يكن قريباً لكلٍ من عماته من (بلاوين) فقد كان قد قابلهما عدة مراتٍ وزارهما في الآونة الأخيرة قبل ثلاثة أعوام.[6] واعترف عند كتابة رسالة التعزية لعمته (فريدريكا) أنه تذكرهما باحترام كبير. وهناك بدلاً من أن يسهب التفكير في الموت نفسه، أشار إلى أن تلك المغادرات عنت أن الوقت يمر بلا رحمة تاركاً جيل الشباب أكثر عرضةً وضعفاً. «لقد تم أخذ (روكن) منا، أصبحت (بوبلز) غريبةً بالنسبة لنا، و(بلاوين) تسكن الذاكرة فقط... نحن الشباب لا نزال وحيدين أكثر في الحاضر، يغادرنا حماة الماضي المخلصون بهدوء».[7] استكملت مثل

(1) Exceptions: KSAB II: 154, 172

(2) KSAB II: 176

(3) Willey 1978: 41 - 43. قدم (ويس Weisse) مساهمات هامة في دراسة الكتاب المقدس. Strauss: 99 - 104K Law 2012: 63

(4) KSAB II: 151

(5) KSAB II: 130

(6) KGW I - 4: 86, 88 تشير أخته إلى أنهم قد ذهبوا أيضاً إلى هناك في صيف 1854 وصيف 1857. Förster - Nietzsche 1895: I, 61

(7) KSAB II: 149

هذه الأفكار مقارناتٍ أكثر إيجابيةً بين الحاضر والماضي. وبينما كان (نيتشه) في الفندق وجد صحيفة «لايبزيغ». كان ينظر إلى صفحاتها تواقاً إلى تلك المدينة حيث كان سعيداً جداً. وبينما اقترب عيد ميلاده، قارَن وضعه في أكتوبر عام 1866 مع حالته في أكتوبر الماضي عندما كان قد غادر (بون Bonn) للتو.[1] وعلى النقيض من الإخفاقات الشائنة للسنة الفائتة، فقد كان (نيتشه) في عام 1866 قد ساعد على تأسيس جمعية علم اللغة، وتم اقتلاعه من الظلام الأكاديمي من قبل (ريتشل)، وكتب مقالاً ليتم نشره قريباً في واحدةٍ من المجلات الفيلولوجية المرموقة في (ألمانيا)، راقب حرباً، اكتشف ما كان بالنسبة له كتاباً تاريخياً «تاريخ لانج»، وقريباً سوف تعرض له الفرصة لإنتاج عملٍ جديدٍ متعلق بالمعرفة. كل ذلك قبل أن يصل إلى سن الثانية والعشرين.

إذا أمكن (نيتشه) أن يرضى عن تقدمه أيضاً، فقد أدرك تياراً عكسياً للزمن أعطى طموحاته طبيعةً محمومة. كما عرضت رسالته إلى (فريدريكا)، فقد كان مذعوراً أكثر من أي وقت مضى من تسرب الوقت، وواجه في ذلك الخريف وبدايات الشتاء أشدّ خسارةٍ له طوال عشر سنوات. بعد الكثير من الوفيات مرضت عمته الحبيبة (روزالي)، وكان (نيتشه) الآن كبيراً كفاية ليدرك المدى الكامل للخسارة الوشيكة. كان قد عاش مع (روزالي) حتى عمر الحادية عشرة، وعلى النقيض من والدته يبدو أنه كانت لديه مشاعر إيجابيةً فقط لقريبته المزاجية أحياناً. كتب لها بانتظام في كلٍ من (شولبفورت) و(بون)، وكانت الرسائل إلى (روزالي) حنونةً دائماً ومليئة بأنواع المعلومات (أغلبها أمورٌ كنسية) وكان يعرف أنها سترحب بذلك.

ويصفها لـ(موشاك) على أنها « إلى جانب والدتي وأختي، هي الأكثر حميميةً والمحببة من أقاربي»، ويدعوها «التي لا يمكن استبدالها». الآن وقد أخذت صحتها بالتدهور كتب إلى والدته «أنا سعيدٌ جداً، ليس لأني أستلم رسالةً منكِ تشير إلى وجود أمل لعمتي (روزالي). إذا وجدت أي شيء يجلب لها الراحة فأعطه لها باسمي وعلى نفقتي».[2] أي آمالٍ ربما ساعدت (نيتشه)، أثبتت أنها وهم. تابعت صحة (روزالي نيتشه) تدهورها، وحوالي الساعة الخامسة مساءً من 3 يناير من العام الجديد 1867 توفيت، فيما كان يبدو معاناة كبيرة. وصف (نيتشه) الذي كان حاضراً ساعاتها الأخيرة لـ(موشاك) ذاكراً «غرفة مريضٍ مؤلمةٌ تماماً، ونزيف عدة ساعاتٍ قبل موتها. لقد كان وقت الغسق. تجمعت ندف الثلج في الخارج. جلست منتصبةً في

(1) KSAB II: 166, 171 - 172

(2) KSAB II: 187

السرير ووصل الموت ببطء بكل مظاهره الحزينة».[1] لم يترك (نيتشه) أي وثيقة عن كيفية استجابته لاحقاً لهذا الحدث. على كلٍ فإن الحادثة التالية تسمح بتخمينٍ محتمل. بعد عذاب (روزالي) بعشرة أيامٍ، تقريباً تلقى رسالةً من (جيرسدورف) فيها تفاصيل حية لتراجع صحة ووفاة أخيه الأكبر (إرنست Ernst). أصيب هذا الشاب البالغ من العمر السابعة والعشرين بجروحٍ خطيرةٍ في (كونيغسغراتس Königsgrätz)، لكنه كان قد شفي تماماً في ذلك الوقت باستثناء اليد التي يحمل بها السيف. مصراً على جراحة لتلك اليد أيضاً، تحمّلها وبدأ يتماثل للشفاء ولكنه شعر بالحيوية، حيث مشى لمدة ثلاث ساعات في الهواء الطلق. ثبت أن هذه المحاولة كارثية. بعد ذلك انهار وبدأ الالتهاب بالإنتشار. كانت ساعاته الأخيرة مؤلمة، وطلب من والدته المغادرة حتى لا ترى ما سوف يلي ذلك. بقي (جوردسورف) ليشهد ذلك وبعد ذلك ثكل بأخيه. كان قد أحب أخاه واستخدمه كمنوذجٍ في الأوقات الصعبة. والآن أطلق حزنه وذهوله الروحي في رسالةٍ بأكثر من سبع صفحاتٍ فيها رسم شخصية أخيه النبيلة ورعب وفاته.[2] استجاب (نيتشه) بحساسيةٍ ربما ازدادات بسبب ثكله الأخير. واعترف أن الوفيات لم تكن متشابهة، فقد عاشت (روزالي) حياةً كاملة ولكن (إرنست) توفي في العشرينيات من عمره. ومع ذلك قام بحثّ (جيرسدورف) لمحاولة ايجاد العزاء في أعمال (آرثر شوبنهاور). فإذا كانت بلاغة ذلك الرجل قد قدمت العزاء فإن ذلك يقدم الدليل النهائي على حكمته وبصيرته. وعلى العكس فإن أخفقت تلك الأفكار فبالتالي يجب رفض كتب ذلك الفيلسوف.[3] استجاب (جيرسدورف) الحزين مع ارتياح. «من بين كل الرسائل التي قرأتها خلال هذا الوقت الصعب والكئيب، لم يترك أي منها مثل هذا الانطباع المهدئ لي مثل ما فعلت رسالتك». معترفاً بالراحة الممتازة التي قدمها (نيتشه) (وشوبنهاور)، قارن (جيرسدورف) أفكارهما المفيدة بأجوبة عائلته المتدينة، والتي كانت سفيهة نسبياً، وأزعجته.[4] ومع ذلك فإذا أثبتت مشورة (نيتشه)، صحتها فإن هذا بالتأكيد عكس عزاءً كان قد وضعه لنفسه. منذ سن الثالثة عشرة على الأقل عندما كتب سيرته الذاتية الشخصية الأولى، «من حياتي» كان على علمٍ تام وبشكلٍ فعلي بالمرور السريع للوقت، إن عبوره خلال موسمٍ من الوفيات كشف عن جرحٍ كان مألوفاً منذ زمن طويل. ما كان جديداً هنا هو الارتياح والمنظور المقدم من وجهة نظر (شوبنهاور).

(1) KSAB II: 194

(2) KGB I - 3: 175 - 182

(3) KSAB II: 194 - 196 الترجمة موجودة في Middleton 1969: 19 - 20

(4) KGB I - 3: 183 - 185

ربما بدأ (نيتشه) في التشكيك بميتافيزيقيا الرجل قبل عدة أشهرٍ، عندما قرأ (لانج). ومع ذلك تبدو الآن العظمة التخليصية لرؤية الفيلسوف وقد دخلت نفسه وختمت بولاءٍ كان قد تخلى عنه. على الرغم من أن (نيتشه) كان قادراً تماماً على رؤية الضعف في نظام (شوبنهاور)، إلا أن امتنانه واحترامه للرجل لن يتراجعا لعقدٍ قادم، وكان أحد الأسباب واضحاً في يناير 1867، عندما قام (شوبنهاور) بتقديم العزاء والمساعدة وكان هو في حاجةٍ ماسةٍ لذلك.

الفصل الثاني عشر

تثقيفٌ في عدم الثقة

أفتقر موهبة أن أكون وفياً، وما هو أسوأ، أفتقر حتى ادعاء أنني كذلك.[1]

1

في أعقاب وفاة عمته، عاد (نيتشه) إلى (لايبزيغ) وتابع دراسته بحماسه المعتاد. ومباشرةً قبل عيد الميلاد كان قد قام باكتشافٍ يخص (ديوجنس لارتيوس Diogenes Laertius) وأراد أن يطوّر ذلك.[2] خطط أيضاً لإلقاء محاضرةٍ لـ(جمعية علم اللغة) في الأول من فبراير واحتاج أن ينهي كتابتها.[3] وفي وقت ما خلال هذه الأشهر أصبح رئيس تلك الهيئة وألقى خطاباً.[4] ودائماً في الخلفية يقبع ضغط المراجعات الدراسية ومشاريع المقالات المتنوعة التي احتفظ بها كاحتياطي. كان في خضم مهام علم اللغة المتنوعة والمتطلبة عندما شرع فيما ستكون واحدةً من أغنى وأمتن الصداقات بالنسبة له. والآن بعد أن غادر كلٌ من (جيرسدورف) و(موشاك)، تألفت دائرة (نيتشه) الإجتماعية في (لايبزيغ) بشكلٍ كبيرٍ من الطلاب المقربين الذين بإمكانه مناقشة الدروس والمشاريع معهم. كان هؤلاء زملاء وليسوا أصدقاء بالمعنى الذي يريده. قد يكون مقرباً من بعضهم بشكلٍ شخصي ـ (هاينريش روموندت Heinrich Romundt ورودولف كلينباول Kleinpaul Rudolf) بشكلٍ خاص ـ ولكن أياً منهما لم يكن شخصاً يمكنه معه مشاركة الوفاق الصميمي كما كان مع (بايندر) و(ديوسن) و(موشاك).

كتب في ذلك الوقت لـ(جيرسدورف) «هناك العديد من الأشخاص اللطيفين والأذكياء

(1) KSA VIII: 501

(2) انظر. KGW 1 - 4: 379, 526

(3) «Die PINAKES der aristotelischen Schriften.» KGW I - 4: 137 - 151

(4) KGW I - 4: 154 - 156

هنا ـ وخصوصاً (كلينباول) ـ ولكن الوقت الذي كنت فيه أستطيع صنع الأصدقاء بسرعة... انتهى».[1] كان (نيتشه) فقط في عمر الحادية والعشرين عندما كتب هذه الرسالة، وهو نادراً ما يكون عمراً لكتابة كلمات الوداع. ومع ذلك كان محقاً بأنه كان بطيئاً في تكوين علاقاتٍ وثيقة. كان كذلك حتى بعد تسعة أشهر، عندما جاء أحد من رفاقه غير الرسميين واخترق قوقعته وحرره من العزلة. لا بد وأن (نيتشه) كان عارفاً بـ(إروين رود) على الأقل من حيث الشكل. ومنذ ذلك الصيف في 1865 عندما حضر الاثنان حلقة (ريتشل) الدراسية في (بون)،[2] انتقل الرجلان بشكلٍ منفصلٍ إلى (لايبزيغ) وانضم (رود) إلى (جمعية علم اللغة) في منتصف أغسطس عام 1866، وعلى الرغم من أنه بدأ هو و(نيتشه) بالاختلاط اجتماعياً في الأشهر السابقة،[3] وبينما كان الرجلان مجتمعين في كثيرٍ من الأحيان على مر الأشهر التالية،[4] يبدو أنهما لم يكونا متقاربين حتى شهر مارس من عام 1867، أي بعد وفاة (روزالي نيتشه) بثلاثة أشهر. يسجل (رود) أنه بعد ذلك أصبحت أمزجتهما متقاربة،[5] وتعمّق ذلك في يونيو عندما أخذا دروساً في ركوب الخيل سويةً. وكانت الأشهر التالية من بين الأغنى على الصعيد الشخصي لحياة كلا الرجلين.[6]

«أمضينا أياماً رائعة خلال الصيف» كتب (رود) «كما لو أننا في دائرةٍ سحرية ليست مغلقة نحو الخارج بطريقة غير ودية ولكن ترتبط غالباً بشكلٍ حصريٍ مع دائرةٍ واحدة أخرى».[7]

على السطح كانت هناك كثيرٌ من القواسم المشتركة بين الاثنين. فقد كان (رود) أيضاً مسحوراً بـ(شوبنهاور) وتشارك الرجلان مع الفيلسوف ذلك المزاج الساخر والنظرة الشكوكية لما يسمى بمتع الحياة. كان الاثنان غير مستقرين عاطفياً ـ وكدفاع ضد عدم الاستقرار هذا

---

(1) KSAB II: 152

(2) KSAB II: 140. Ribbeck 1969 II: 555 - 556

(3) KSAB II: 140

(4) KSAB II: 200 - 201

(5) KGB I - 3: 213 يصف (رود) فترة الصداقة على أنها تدوم «نصف السنة» السابقة. ويعود تاريخ رسالته إلى 10 سبتمبر عام 1867 وقبل ستة أشهر من شهر مارس، مباشرة بعد ذلك أعلن (نيتشه) لأصدقائه احتمال رحلة باريس.

(6) خلال عقد بعد ذلك كان بإمكان (رود) أن يسترجع بحزنٍ ارتجالات صديقه المسائية على البيانو. Cancik 1985: 447

(7) KGB I - 4: 475 - 476

فقد مارس (نيتشه) الكثير من الانضباط ـ وربما كان (رود) أكثر عاطفيةً بشكلٍ مباشر، كما تشير اهتماماته الأدبية. حيث أنه عندما كانا في (الجمنازيوم) دقق (نيتشه) في «إرماناريش» و«ثوغنيس» بينما ترجم (رود) «كاتولوس Catullus» وكتب عن «أموريس Amores» لـ(أوفيد Ovid) وعن «إيروتيكيات» (بلوتوس Plautus)، وعن شعر الحب في القرون الوسطى.[1] عندما انضم إلى (جمعية علم اللغة) في (لايبريغ) حاضر مرةً أخرى عن «كاتولوس» ـ من المحتمل إلى حدٍ بعيد أن يكون مفضلاً عند (نيتشه)،[2] الذي يميل مزاجه في الشعر اللاتيني إلى (هوراس Horace) و(جوفينال Juvenal).[3] وعلى نحوٍ مميز كان (رود) هو من وصف صداقتهم بشكلٍ أكثر تواضعاً وأكثر إسرافاً.

سوف يعترف لـ(نيتشه)، «قد تكون [هذه الرسالة]، يا صديقي العزيز، بمثابة تعهدٍ من الحب الثابت الذي معه أنا أفكر دائماً بك. لك وحدك أدين بأفضل ساعات حياتي. أتمنى أن تستطيع القراءة في قلبي كم أنا ممتنٌ داخلياً لك لكل ما قدمت لي. لقد أيقظت فيَّ البلد السعيد صاحب أنقى صداقةٍ فيها ألقي نظرةً للأوقات السابقة بقلبٍ عطشٍ للحب كطفلٍ بسيطٍ في حديقةٍ خضراء».[4] بينما كانت رواية (نيتشه) عن علاقتهما صادرةً من القلب وممتنة، كانت أيضاً أكثر تحفظاً بشكلٍ كبير وفي بعض الأحيان إلى حد المكر، وبالتالي يرى (رود) أن الاثنين ارتبطا بطريقةٍ أعمق أساساً في مارس، وهو بالتأكيد على حق حيث يشير (جيرسدورف) بأن (نيتشه) اعترف بالصداقة الجديدة في أبريل.[5] ومع ذلك وفي رسالةٍ لـ(ديوسن) في 4 أبريل يذكر (نيتشه) خطةً لزيارة (باريس) ـ فكرة (رود) ـ [6] دون ذكر الكثير كاسم الشخص الذي اقترح المشروع ومن سيرافقه. ويقوم بنفس التصريح لـ(جيرسدورف) ـ مع إخفاء نفس الأمور التي لم يذكرها لـ(ديوسن) ـ .[7] وفي أواخر يوليو وبعد دروس ركوب

(1) Cancik 1985: 442

(2) الإشارات إلى Catullus: KGW I - 4: 41, 43, 45, 64; KGW I - 5: 6; KSAB II: 250 كما اشترى أيضاً نسخةً من «كاتولوس» إما في 1867 أو 1868 والتزم بها عام 1868. Campioni et al. 2003: 168

(3) كتب (نيتشه) مقالًا عن (هوراس) وآخر عن الأديب التهكمي بينما كان في (شولبفورت). وكان مرةً أخرى يفكر في مقالٍ عن (هوراس) عام 1868. KGW I - 5: 19

(4) KGB I - 3: 321 - 322

(5) KGB I - 3: 195

(6) KSAB II: 264

(7) KSAB II: 205, 212

الخيل يشير (نيتشه) إلى (رود) وكأنه مجرد صديقٍ آخر، بالتوازي مع (كلينباول)،[1] وفي رسالةٍ أسبق إلى (فرانسيسكا) يخطئ في كتابة الاسم فيكتبه (Rhode بدلاً من Rohde).[2] وعلى الرغم من أن صديقه يعيد تاريخ إنجاز ذلك الإعجاب العميق إلى الربيع ويتحدث عن الطريقة التي جلس بها الاثنان على مقعد لوحدهما بعيداً عن الأصدقاء،[3] ويصف (نيتشه) بشكلٍ معبرٍ العملية بشكلٍ متأنٍ وتدريجي أكثر. «في رسالةٍ استخدم (رود) صورةً مثلتنا ونحن نجتاز الفصل الدراسي الأخير وإذا صح التعبير نجلس على مقعدٍ منعزل. ذلك صحيحٌ كلياً، ولكنني لم أستسلم إلا عندما انتهى الفصل الدراسي [في أغسطس]».[4] على كل حال كان (نيتشه) مقيداً ـ ولا يدلي بأي تصريحٍ يتناسب مع شدة تصريحات صديقه ـ قد يكون ذلك جزئياً بسبب أن بإمكان (رود) أن يكون وقحاً اجتماعياً. وصفه (نيتشه) مرةً لـ(جيرسدورف) بأنه «ذكي جداً لكنه أيضاً شخصٌ مشاكس ومتعنت»،[5] ووافق (جيرسدورف) على ذلك، واصفاً إياه بـ«العنيد والمتشبث برأيه».[6] يعترف (رود) بنفسه أن سلوكه الظاهري يمكن أن يبدو منفراً ـ وفي وقتٍ ما يعبر لـ(نيتشه) «أقدم امتناني للاهتمام المخلص الذي أظهرته لشخصٍ عنيدٍ ومزعجٍ مثلي» ـ [7] وربما كان ذلك أن مهاراته التبادلية تضررت بتجربةٍ سابقة كانت قد أحبطت تطوره الاجتماعي وتركته ساخطاً بشكلٍ دائم. عانى (نيتشه) بالتأكيد كصبي ولكنه وجد الملجأ وربما الراحة عند والدته وعلاقاتٍ أخرى. وعلى النقيض يبدو أن (رود) اعتبر نفسه مهجوراً بشكلٍ أساسي. مولوداً لعائلة من أعلى الطبقة المتوسطة في (هامبورغ Hamburg)، كان قد تم إرساله في عمر السابعة إلى مدرسةٍ داخلية في (جينا Jena)، على بعد أكثر من 300 كيلومتر. أُجبر هناك على البقاء حتى بلغ الرابعة عشر، وهو منفىً اعتبره (رود) مؤلماً ومدمراً. قال «لم تتم تنشئتنا، بل تم ترويضنا»،[8] وأخيراً تم استدعاؤه إلى (هامبورغ) ليرتاد (الجوهانيوم

---

(1) KSAB II: 220 ومن أجل (كلينبول) و(رود) انظر KGB I - 3: 245, 289

(2) KSAB II: 217

(3) KGB I - 3: 213

(4) إن «نهاية الفصل الدراسي» التي يشير لها (نيتشه) حدثت رسمياً في 6 سبتمبر، مع أنه يعني افتراضياً 31 يوليو، نهاية دراستهما. وبحلول أواخر أغسطس على الأكثر انفصل الرجلان، ولم يلتقيا مرةً أخرى إلا في الزيارات. من وجهة نظر (نيتشه) قد اجتمعا لاحقاً كأصدقاء فعليين لمدة ثلاثة أسابيع.

(5) KSAB II: 158

(6) KGB I - 3: 226 انظر أيضاً KGB I - 3: 226

(7) KGB I - 3:213 انظر أيضاً KGB I - 4: 475 - 476

(8) مقتبس في Blunck 1953: 166 وأعيد كتابته في Janz 1978 I: 208

(Johanneum) ـ واحدٍ من أرقى الجمنازيوم في الولايات الألمانية ـ ولكنه لم يتخل عن حقده تجاه والدته، التي كان أخوها (ماتياس ج شليدن Matthias J. Schleiden)،[1] الذي كان قد اختار مؤسسة (جينا). توفي والده في 1866 وبعد ذلك بسنوات سيأخذ ابنته لزيارتها ويكتب لزوجته، «لا يمكن لطفلٍ أن يكبر بجوار والدتي. منذ البداية لم تحب في حياتها أحداً سوى نفسها ـ ولا حتى زوجها الذي غازلته لاحقاً ـ ولا نحن، أطفالها، أبداً».[2] كانت هذه كلماتٍ قاسية ولكنها تعبر عن حقدٍ ومشاعر خيبةٍ يبدو أنها لازمت (رود) إلى نهاية أيامه،[3] وكانت واضحةً بالتأكيد في (لايبزيغ).[4] ليس من السهل العيش معه ولكن رأي (نيتشه) أن يتجاوز الطبع الفظ إلى ما اعتبره عمق المشاعر في الداخل. وسيكتب عن صديقه، «كنا عادةً كمن يصارع الآخر، في الواقع كان هناك عددٌ مهولٌ من الأمور التي تعارضنا فيها. وحالما تأخذ المحادثة منعطفاً نحو العمق ينتهي التنافر في الآراء ويظهر تناغمٌ هادئ وتام».[5]

لا بد وأن هذا «التناغم الهادئ والتام» خلق ارتياحاً في خضم أنشطته المسعورة نوعاً ما والمتعلقة بعلم اللغة، وربما ذكر (نيتشه) أن المعرفة ليست هي القيمة الوحيدة التي كرّمها. وإذا كان الأمر كذلك، فهو لم يترك أي وثيقة. وعلى النقيض من ذلك فهناك مؤشرات وفيرة لتغيرٍ آخر وقع بعد مارس هو أنه يتآلف صراحةً مع رفيقه الجديد. ومباشرةً قبل ما قاله للتو، ذكر أنه و(رود) متخصصان في مجالاتٍ مختلفة ولكنهما ملكا أرضيةً مشتركة من الناحية المهنية. «كنا متحدين فقط في التهكم والسخرية من السلوك والزخرفة المتعلقين بعلم اللغة».[6]

يتم تأكيد هذه الملاحظة بوفرةٍ في رسائله. وفي 6 أبريل عام 1867 وبستةٍ أيامٍ بعد الشهر الذي اعتبر فيه (رود) أن الرجلين يتيقظان إلى احتمال الصداقة الحقيقية، كتب (نيتشه) رسالةً

---

(1) كان كلٌ من (شليدن وثيودور شوان Schleiden and Theodor Schwann) من مؤسسي نظرية الخلية الحديثة.

(2) Cancik 1985: 443

(3) انظر شكاوى (رود) المتكررة من العلل غير القابلة للتشخيص (Cancik 1985: 459, 468) وكرهه من تغيير الأعراف (عشوائياً)، وأسفه كل مرةٍ ينتقل فيها (461 - 462, 464, 466)

(4) عندما غادر (رود)، كتب لـ(نيتشه) «سوف أحاول أن أعمل قليلًا على تطوير موهبة الإختلاط الاجتماعي خاصتي» KGB I - 3: 214

(5) KGW I - 4: 527

(6) KGW I - 4: 527

إلى (جيرسدورف) هاجم فيها علم اللغة وللمرة الأولى على الإطلاق وبشكلٍ واضح.[1] من الآن وصاعداً أي من وقت الترابط الأولي مع (رود) بدأ بالسخرية من مجاله المهني وحتى الأسف على أنه قد اختاره. إن المرارة الناتجة والتمزق الذاتي يتغايران بشكلٍ واضحٍ مع الرؤية التي عُبر عنها في رسائل مكتوبة خلال سنواتٍ سابقة وأكثر سعادة في (لايبزيغ)، وتقترح أن المرح الذي وجده في صداقته مع (رود) قابله قلقٌ جديد. ومن خلال الحط من قدر علم اللغة كان (نيتشه) يعرّض الهياكل نفسها التي كانت قد مكّنت نجاحه للخطر ـ ليس فقط الإيمان بمجاله ولكن النظام الأخلاقي من الانضباط والتركيز الذي جلب الكثير من الاستقرار والارتياح ـ ولكن إذا كان (رود) هو المحفز فإنه لم يكن السبب. «بقيادة غريزةٍ راسخة»، يقول (نيتشه)، كان قد انجذب لهذا الصديق الجديد. وربما اختار (رود) بالضبط لأنه احتاج مسافةً لنفسه عن الانضباط الذي بدأ يشك فيه. ربما يكون الرضُّ الناتج ضرورياً روحياً ولكنه كان أيضاً مؤلماً، وسيوفر شريكٌ في المسعى إعادة الطمأنينة والراحة.

2

تجدر الإشارة إلى أن (نيتشه) كان قد التزم بعلم اللغة على الأقل ثلاث مرات: خلال الأشهر الأخيرة في (شولبفورت)، وبعد رفض علم اللاهوت في (بون)، وفي (نامبورغ) عندما تعهد بالالتزام بآخر مرةٍ له في (لايبزيغ). في حال تجددت هذه العهود بشكلٍ متكرر فيمكن للمرء أن يتكهن بأن التزامه كان ضعيفاً. وفي الواقع إن تفاني (نيتشه) للمجال كان كرغبةٍ تقية أكثر منه كرد فعلٍ لمصلحة فعلية. لم يكن علم اللغة هو ما سعى له كثيراً بمعنى الهدف. ذكر ذلك بنفسه بعد التخرج من (شولبفورت)[2] وتعثر بعد هذه الحقيقة غير السارة مرةً أخرى بمسودة رسالةٍ موجهةٍ إلى (ديوسن)، مكتوبةٍ في سبتمبر 1866. كان قد أظهر (بول) ميلاً إلى العودة لدراسة اللاهوت، وسعى (نيتشه) إلى إعادته إلى مهنته السابقة بالإصرار على أولوية إيجاد المرء لحرفته. بدأ يصور نفسه كأنه في الساحات الأمامية لعلم اللغة، وقد تم منحه نظرةً خاطفةً على (أماكنه المقدسة). قال «إن الشعور القوي والمميز بمهمة الحياة يظهر سريعاً بما فيه الكفاية لعالِم اللغة الحقيقي»، وهو كلامٌ يفترض أنه كان هناك علماء

(1) KSAB II: 209 - 210 قارن النقد «الأول» اللطيف الذي قام به (نيتشه) قبل ثلاثة أيام في رسالةٍ إلى (ديوسن) (206).

(2) انظر ختام الفصل الثامن

لغة «حقيقيون» وأن (نيتشه) كان واحداً منهم. ثم لاحظ متحدثاً عن تعويضات علم اللغة إزاء المهن المربحة أكثر، «يجب علينا ألا نعتمد، عزيزي (بول)، على منظمة تأمين الحياة أو المنصب المناسب. حقاً، نحن الاثنان نتوق لأبعاد تلك الحالة السيئة للأمور، حيث لم تجد روح الشباب طريقاً يمكن أن تسلكه بشكلٍ صحّي». وفي هذه المرحلة تخرج جملته عن السياق دون أن يكون ذلك بمثابة وقفٍ نهائي، ربما لأن (نيتشه) قام سهواً باعتراف.[1] كان قد كتب «نحن الاثنان نتوق لأبعاد،» مستخدماً الزمن الحاضر للفعل وبالتالي مقترحاً أنه نفسه لم يكن قد وجد أي «مسارٍ» مقدرٍ سلفاً، وبالتأكيد ليس مع القطعية التي كان قد تصورها. في الواقع لم يكن (نيتشه) (عالم لغةٍ حقيقي) مطلقاً وكما سيعترف بذلك في المستقبل وكما كان يجب أن يعرف في 1866.[2] قد يكون عالم لغةٍ جيداً، وربما يستمتع بممارسة ذلك، ولكنه بالكاد مؤهلٌ كواحدٍ كان (يدعى) بتلك المهنة. بل كما لاحظ فقد اختار ذلك كتدبيرٍ مرحلي سوف يجلب الانضباط والنظام لحياته. «كنت أتوق لثقلٍ موازن للطبيعة المتحولة والقلقة لميولي المبكرة، لمجالٍ ((ويسنشافت)) [العلوم التي تضمنت البحث المنهجي وفيها العلوم والتعلم والمعرفة والدراسة وتنطوي على أن المعرفة هي عملية ديناميكية يمكن للمرء اكتشافها بنفسه أكثر منها أمراً معطى. ولا تتضمن بالضرورة البحث التجريبي] الذي يمكن أن يكون معززاً برصانة هادئة، مع تثلجٍ منطقي، ومع عمل ثابت، دون نتائج تلمس القلب بشكلٍ مباشر. فكرت لاحقاً أني سأجد كل هذا في علم اللغة».[3] إن «دعوته» لم تكن «مهمة حياة» بل بديلاً عن أحدها، تظاهرٌ حاول به أن يحقق صالحاً. مثل هذا اللجوء إلى ثاني أفضل خيار لا يمكن أن يرضي شخصاً طموحاً جداً مثل (فريدريك نيتشه)، رجلٌ تاق ليجد في مهنته «الهدف الأكثر جديةً وبشوقٍ الأكثر توخياً لكل طواف حياته».[4] لقد كان قادراً على تجاهل هذه الحيلة حتى الآن، ولكن يبدو أن الصداقة مع (رود) سمحت له أخيراً بمعالجة ذلك. متخبطاً، يأتي بشكلٍ متزايدٍ للاعتراف بأنه كان على مسارٍ لم يناسب طموحاته. لقد بدأ بشكلٍ جدي بالاستخفاف بعلم اللغة، مسجلاً مجموعةَ انتقاداتٍ محددة. ويظهر أكثرها

(1) KSAB II: 163 ينهي (نيتشه) المسودة بدون نقطة ولكن مجرد إلقاء كئيب، «حقاً، نحن الاثنان نتوق...»

(2) KGW I - 5: 44 - 45

(3) KGW I - 5: 47

(4) KGW I - 5: 44

دقةً وبراعةً في دفاتر مذكراته وهي معقدةٌ جداً لتلخيصها هنا.[1] يعالج (نيتشه) الأمور في رسائله ببساطةٍ أكبر ويقوم بتقطيرها إلى ما بعد ذلك. تم إثقال الطلاب بالعمل وتم حشوهم بشكلٍ زائدٍ بالمعلومات أكثر من أن يجدوا الوقت أو المسافة للنظر بشكلٍ نشيطٍ للأدب الذي أعلنوا إعجابهم به.[2] وعلاوةً على ذلك فقد كان المجال بكامله محتضراً بعد أن تجاوزته العلوم الطبيعية.[3] وأخيراً بدأ يلقي نظرةً حادةً على الموجه الذي إذا لم يكن قد أرشده إلى هذا المجال، فقد قام بما في وسعه بالتأكيد لإبقائه هناك وذلك بتعيين المهام المثمرة. كان (نيتشه) بالفعل حذراً من تأثير معلمه في (بون)، وكان قد كتب لـ(موشاك) «أنا مأخوذ كثيراً بالتنمية الذاتية وكم من السهل أن يعجب المرء برجالٍ مثل (ريتشل) وربما انحرفوا لمساراتٍ بعيدة عن طبيعة المرء الخاصة».[4] في (لايبزيغ) خضع لتوجيه معلمه (وتفاخر في تمجيده)، على الرغم من أن استجابته كانت حادة. فمن ناحيةٍ أذاع (ريتشل) اسمه ووجد له عملاً رائعاً، وكتب للزملاء بالنيابة عنه وأتاح له دخول مكتبات المخطوطات القديمة.[5] ومن ناحيةٍ أخرى أحبه (نيتشه) شخصياً ورد له بمجاملاتٍ غير عادية. كان يكتب «إنه الرجل الوحيد الذي أستمع لانتقاداته بكل سرور، وأحكامه صحّية وقوية جداً مع قدرٍ كبيرٍ من الحساسية للحقيقة، إنه نوعٌ من الضمير العلمي بالنسبة لي»،[6] ولكن في الربيع من عام 1866 أخبر (موشاك)، «تقبّل (ريتشل) تأجيلي الانضمام للحلقة الدراسية بشكلٍ سيءٍ للغاية. هؤلاء الناس يمكن أن يكونوا متعجرفين بشكلٍ فظيع».[7]

وكانت هذه بالطبع الحلقة الدراسية نفسها التي كان (نيتشه) قد سعى بشغف لينضم

(1) انظر على سبيل المثال KGW I - 4: 397 - 398, 399, 470, 495 - 496; KGW I - 5: 96 - 98 بعضها يصعب فصله عن ملاحظاته بخصوص التاريخ الأدبي، والذي بدوره أيضاً يملك آثاراً في علم اللغة. انظر .KGW I - 4: 221 - 223, 223 - 225, 361 - 368, 394 - 396, 404 - 408, 534 - 537

(2) هذه مقدمة بأكثر بساطة في رسالة إلى (جورسدورف) KSAB II: 209 - 210 مكتوبة في 6 أبريل عام 1867 مباشرة بعد مارس الذي يشير له (رود) على أنه بداية لعلاقته الأوثق مع نيتشه.

(3) بالنسبة للانتقادات الموسعة لعلم اللغة وممارسيها، انظر KSAB II: 283 - 284, 316, 320 و328 - 329 ولتحقيق ثاقب بالخصوص حول عدم تمكن علم اللغة من الوفاء بمعايير العلوم الطبيعية انظر KGW I - 5: 96 - 98

(4) KSAB II: 81

(5) KGW I - 4: 524

(6) KSAB II: 205

(7) KSAB II: 127 انظر، مع ذلك ملاحظات لـ: Wilhelm Wisser, Gilman and Reichenbach 1981: .65 - 66

إليها قبل سبعة أشهرٍ عندما عمل على بحث (ثوغنيس) في (نامبورغ). وبما أنه سعى للعضوية مؤخراً فيمكن التساؤل لماذا الآن يقوم بصد (ريتشل) في هذا الأمر الدقيق، وسيعترف لاحقاً بأن هذا الرفض كان جاحداً.[1] يشتكي في إحدى الرسائل بأن طلاب الحلقة الدراسية كانوا من النوعية الرديئة،[2] ولكن ممانعته ربما عكست أيضاً حاجته إلى حاجزٍ بينه وبين معلمه المزعج أحياناً. ومن الواضح أنه حافظ على هذا الحل، ويشير سجل الأسماء الذي نشره (أتو ريبك Otto Ribbech) إلى أن كلاً من (رود) و(نيتشه) لم ينضما رسمياً إلى الحلقة الدراسية.[3] وفي النهاية أصبح (نيتشه) عضواً في ((سوسيتات Societät))،[4] وهو تجمعٌ مستقلٌ عن المشاركة في الحلقة الدراسية، ولكن لا بد وأن العلاقات بينه وبين راعيه كانت مشحونة منذ البداية. كان لدى (نيتشه) أسبابٌ أخرى لوضع مسافةٍ بينه وبين (ريتشل)، حيث يمكن أن تمرر شحنته من الغطرسة على أنها فورة لحظية. تغاضى (نيتشه) بشكلٍ معبر عن عيب (ريتشل) هذا، مشيراً إلى أنه معجبٌ بالرجل لأنه يفتقر للغطرسة التي كثيراً ما وجدها في الأساتذة.[5] ومع ذلك فقد كان لدى (نيتشه) تحفظاتٍ أخرى وأكثر ثباتاً. وكما أشير في فصل سابق، كان يشعر بالقلق من أن (ريتشل) بالغ في تقدير قدرات طالبه وأسند مهاماً تتجاوز قدراته.[6] كما اشتكى أيضاً من انعدام لباقة معلمه وكرهه للفلسفة وتقديره المفرط لعلم اللغة.[7] لقد كان (نيتشه) محقاً بخصوص النقطة الأولى. فقد تم الاعتراف بوقاحة (ريتشل) حتى من قبل (ريبيك Ribbeck)، وربما يفسر بعض الخبث الموجه ضده في (بون).[8] إن الشكاوى حول التحامل ضد الفلسفة وتقدير علم اللغة كانت أيضاً صحيحة، ولكن تقييم (نيتشه) ـ افتراضه أن هذه كانت عيوباً ـ يستحق تحقيقاً

---

(1) KSAB II: 168 إن (نيتشه) يتحدث في الواقع عن ال-((سوسيتات))، ولكنه كان مؤلفاً من طلبة حلقة دراسية

(2) KSAB II: 152 مرةً أخرى إن (نيتشه) يتحدث عن الـ((سوسيتات)).

(3) Ribbeck 1969 II: 555 - 556 يحكي (ريبيك) أن كلًا من (نيتشه) و(رود) كانا مستمعين في الحلقة الدراسية الخاصة بعلم اللغة في (بون) وهو لا يذكر أي طالبٍ مسجلٍ في حلقةٍ دراسية في (لايبزيغ).

(4) KSAB II: 182 للحصول على وصف لـ((سوسيتات Societät)) انظر KGB I - 4: 424; Ribbeck 1969 II: 401 - 403; Blunck 1953: 150 وJanz 1978 I: 188 - 189

(5) KSAB II: 205

(6) انظر الفصل 10، ص 281 الحاشية (2).

(7) بخصوص عدم لباقة (ريتشل) انظر KSAB II: 341 وللمبالغة في تقديره لمجال عمله ونفوره من مزج علم اللغة والفلسفة انظر KGW I - 4: 520

(8) Ribbeck 1969 II: 338 - 339

عن كثب. إن اهتمامات (ريتشل) بعلم اللغة ربما تستند جزئياً على استخفافه بـ(هيغل) والمثاليين الرومنسيين، وهي مجموعة ربما ضمّن فيها (شوبنهاور).[1] مع ذلك ربما عكست هذه المجموعة رؤيته العالية لمهنته الخاصة، وبرأيه أنه مجالٌ لا يمكن أن يكون فيه أي منافسين خطيرين. إن حقيقة أن الرجل يقدّر مهنته بشكلٍ كبيرٍ، بأي طريقة لم تكن كما يقدمها (نيتشه) ضمنياً، كخصلة أو نزوة شخصية، بل كان أمراً جوهرياً في رؤيته، وربما أثر على اختيار (نيتشه) لمهنته أيضاً. ولد (ريتشل) عام 1806 أي تقريباً هو أكبر من (نيتشه) بأربعين عاماً، وحتى أواخر 1820 كان قد أصبح عالم لغة، وهي فترة قصيرة في الحركة الإنسانية الجديدة حيث تم تجاوز الإعتراضات السابقة ولم يتم بعد التقدم بالمزيد. وخلال هذه الحقبة ارتبطت خشية دينيةٌ تقريباً من إتقان اللغتين اليونانية واللاتينية، وهي مهارةٌ كان يُظن أنها تضع القارئ في اتصالٍ مباشر مع نماذج البشرية جمعاء. تم دعم هذه الهالة الأخلاقية الضمنية وبالتالي إثبات صالحيتها من قبل واحدٍ من المبادئ التأسيسية للبيداغوجية [علم التربية] الحديثة.

عندما قام (همبولد) بإعادة تشكيل النظام التعليمي قام بعزل علماء اللاهوت ووضع بدلاً منهم علماء اللغة الكلاسيكيين كموجهين في (الجيمنازيوم).[2] كما قال (فريدريك بولسن Friedrich Paulsen) «كانت الإنسانية هي الدين الجديد وعلماء اللغة هم الكهنة الجدد».[3] ولا يقتصر الأمر على أن الأخيرين أتقنوا المواد الأساسية الأكاديمية، بل كانوا يرون أنفسهم (ويراهم الآخرون) كمرشدين روحيين للأجيال القادمة، وصانعي شباب المستقبل الألماني.[4] لقد كان (ريتشل) نفسه عضواً فيما يسمى (الجيل الثاني) لعلم اللغة، وهو فوجٌ أقل رومانسية. وباعتباره شخصيةً ناضجة عاطفياً فهو يشجع الطلاب بأن يتوجهوا نحو البحث العلمي بدلاً من

(1) يناقش (أنطوني جنسن Anthony Jensen) بأن (ريتشل) لم يكن معادياً جداً للفلسفة كمعاداته لممارسيها الهيغليين، والذي ربما ضمن إليهم (شوبنهاور). انظر Jensen 2013: 47

(2) Paulsen 1885: 569 - 570 من أجل السبب الجوهري الـ(وولفي) لاستبدال المسيحية بالمعرفة اليونانية، انظر نفس العمل 535 - 539. إن هذا الموقف له جذوره في Herder, 520. ولبعض القواعد الاجتماعية للتحول انظر 593 - 596. ولمزيد عن آراء (هيردر) انظر Jeismann 1990: 321 - 322

(3) Paulsen 1885: 591

(4) للاطلاع على نقاشٍ غني لهذه الروح والتوترات التي أحدثتها، انظر Jeismann 1990 للاطلاع على وجهات النظر الممجدة عن أنفسهم يترفهون بكونهم علماء لغة، انظر Jeismann 1990: 339, n. 42 وللاطلاع على الجوانب الدينية لل-((بيلدانغ)) انظر
Koselleck 1990: 16 - 17, 24 - 25

يتظاهروا بأنهم مبشرون للإنسانية.[1] ومع ذلك فعندما اشتكى (نيتشه) بأن معلمه بالغ في تقدير مهنته كان على الأرجح يعترف بحقيقتين: أولاً بأن (ريتشل) فكّر كثيراً بمجاله ليخلطه مع مجال آخر (الفلسفة)، نقطة حساسة لدى (نيتشه) الشوبنهاوري، وثانياً بأن معلمه احتفظ ببقايا من التقدير القديم (وبالنسبة لـ(نيتشه) قد عفا عليه الزمن) لعلم اللغة كأمرٍ مؤسساتي، وقام (همبولد) بإضفاء هذه السمة عليه. في الواقع وبالنسبة لكل حداثة أساليب (ريتشل) التي كانت وبدون شك في الطليعة،[2] فقد كان محافظاً كأكاديمي، يعزز القيم التي كانت لها جذورها في الثورة الهمبولدية. وكما سبق أن رأينا، في (بون) في ستينيات القرن التاسع عشر كان قد دافع عن مبادئ مشاعة ضد تدخل الحكومة، وهو عمل بائس في عهد (بسمارك). وفي وقتٍ سابق كان قد اعترض عندما صوّت الأساتذة لإلغاء الشرط القاضي بأن تكون جميع مرافعات الأطروحات باللاتينية.[3] ولاحظ (ريتشل) بحق أن الطلاب الوحيدين الذين يغتاظون من هذا التقييد هم العلماء الطبيعيون، وناقش بأن مراعاة عدم قدرتهم سوف يقسم وحدة الجامعة ويحولها إلى مدرسة تقنية. ـ بعد أربعين عاماً سوف يعترف (فريدريك بولسن) وهو ليس صديقاً للاتينية واليونانية الإلزاميتين، بأن (ريتشل) كان على حق ـ[4] ورغم رغباته بصياغة مسارات جديدة بقي مخلصاً لرؤية أساتذته، وأيد هذه القيم ضد من سعوا إلى إضعاف أو تشويه سمعتهم. قد يكون (نيتشه) سريع التأثر لنفس التقدير شبه الديني لعلم اللغة، كما يمكن أن يرى في الرسالة المشار إليها مسبقاً عندما أشار إلى «الأماكن المقدسة» لميدان العمل. ومع ذلك كان قد جاء في عصرٍ بعد (ريتشل) بكثير، وكان وريث التطورات التي كان سيده يصدّها. وكمثال، كانت المواقف المصّرفة دينياً تجاه القدماء والأساتذة الذين علّموهم لا تزال تُحترم في يوم (نيتشه) كما كانت في أوقاتٍ تُحترم من قِبَل (نيتشه). ومع ذلك فقد تم تقويض الإيمان العميق بهم مع تقدم العقود. وفي بداية القرن كان الافتتان باليونان قد انتشر على نطاقٍ واسعٍ واستمر بقوةٍ من قبل جمهور القراءة.[5] ومع مرور الوقت بدأ الإيمان المثالي للرعاة الإنسانيين في التضاؤل كما فعلت المواقف المثالية من كل نوع، وبشكل ملاحظ بعد

(1) Paulsen 1885: 675

(2) Paulsen 1885: 674 - 675

(3) Ribbeck 1969 II: 146

(4) Paulsen 1885: 738

(5) للميول الكلاسيكية للمثقفين وجمهور القرّاء، انظر Paulsen 1885: 422 - 424, 514 - 530 ولمعالجةٍ أخرى انظر Vierhaus 1972: 518 - 519

عام 1831 وهو عام وفاة (هيغل)، وبشكلٍ حاسمٍ بعد خيبات الأمل لعام 1848.[1] سياسياً أدى هذا التحول إلى تفخيم الـ(ريلبوليتيك *Realpolitik*) [السياسة أو الدبلوماسية التي تقوم في المقام الأول على اعتبارات ظروف وعوامل معطاة بدلاً من مفاهيم أيديولوجية صريحة أو مقدمات أخلاقية] وهو مصطلحٌ اخترع في خمسينيات القرن التاسع عشر. وأكاديمياً تحت ستار «حتمية البحث»، أدى ذلك إلى تقسيم الكليات ومكّن تصوراً وضعياً للعلم.[2] وكان شعور التحرر من الوهم هذا مؤسفاً بشكلٍ خاص لعلم اللغة، لأنه كما أوضح (أنتوني لا فوبا Anthony La Vopa)، يتطلّب المجال رؤيةً فائقةً إذا كان سيتجاوز توتراتٍ معينة متأصلةً في ممارسته. وفي وقتٍ سابقٍ من هذا القرن استطاع الباحثون المتعبون إنعاش أنفسهم بالراحة التي كانوا يقدمونها لجميع الجنس البشري. قد أثبت هذا العزاء بساطته دائماً وبدرجةٍ كبيرةٍ مع مرور العقود، مما أثار قلقاً بالغاً عند الأساتذة الذين لا يزالون في (الجمنازيوم) ومن المفترض أن يلهموا ويشكلوا أجيالاً جديدة.[3] وقد فقدت رؤيته التخليصية مصداقيتها، بدا أنه تم ترك علم اللغة فقط مع جانبه الأكثر كآبة، وعدم فتنته، وتحقيقٍ مختصٍ أكثر من أي وقت مضى في اللغات التي كانت قد انقرضت منذ فترة طويلة.[4]

وقد يفترض أن هذا يعني نهاية رؤية علماء اللغة الكلاسيكيين لأنفسهم كمتبرعين ملَكيين بالإنسانية. مع أن العديد من المحترفين مثل (ريتشل) رفضوا الإعتراف بالتحول الروحي الذي لا يمكنهم اعتباره إلا كأحد عوارض التدهور.

هجرهم العامة الذين لم يعودوا يفهمون مثالياتهم، وتُركوا مع إيمانٍ دفاعيٍ متزايد، استمروا بالتمسك به ولكن أثاره بعض الطلاب أنفسهم خلال فترة التخلص من الوهم، ووجدوه فارغاً ومغروراً. وهكذا فإن عالم مصريات شاب سوف يعلق على (إرنست كيرتيوس Ernst Curtius) وهو أخٌ لأحد أساتذة (نيتشه) في (لايبزيغ)، «عندما، ومع رعشة، رفع عينيه إلى السماوات ثم تحدث باستمتاعٍ عن (اليونانيين)، أنا ببساطة لم أستطع أخذه على محمل الجد»،[5] مع أنه لا يزال متوقعاً من هذه الأجيال اللاحقة نفسها أن تقوم بالعمل الشاق بالنيابة

(1) Paulsen 1885: 671 - 673 ويتابع هذا مع بعض المشاكل التي واجهت علماء اللغة، مشيراً إلى (ريتشل) بالخصوص: 673 - 676 انظر أيضاً Lange 1866: 282, 292

(2) Turner 1974: 530 - 531, Schnädelbach 1984: 27 - 30

(3) Jeismann 1990

(4) La Vopa 1990: 27 - 45

(5) Quoted in Marchand 1996: 78

عن المثاليات التي لم تعد مجبرة على الاعتقاد العاطفي. وهكذا أشار (نيتشه) على (ديوسن) أن يخصص استخدام صيغة الجر في «أميانوس مارسيلينوس Ammianus Marcellinus»، كان ينصح حتى رفض (ديوسن) المجتهد ذلك قائلاً «أنا لست عالم لغةٍ كافياً بعد لذلك»،[1] بينما سجلت التغيرات التي وُصفت للتو بعضاً من شكوك (نيتشه) بخصوص علم اللغة، فإن الوضع كان في الواقع أسوأ، وضرب في قلب مثالياته التعليمية. ولم يكن علم اللغة هو المجال الوحيد الذي يمكن تحويله. وكما سبق أن نوقش في القسم الخاص بـ(لانج)، فخلال القرن التاسع عشر تطورت ببطء طبيعة ما يشكل المعرفة والبحث، متحولةً من الإصرار على هيكلٍ شاملٍ إلى مجموعاتٍ من الحقائق الوضعية.[2] ويمكن القول إن هذا التغيير كان قاتلًا للرؤية الإنسانية الجديدة.[3] وكان (همبولد) قد اعتبر الـ((بيلدانغ)) مرتبطاً بحميمية مع اكتشاف مجالات المعرفة. ومن خلال توسيع أذهانهم لاستيعاب واتقان ـ ولاحقاً لتوسيع ـ مجالات شاملة من المعرفة، كان متوقعاً من الطلاب أن يوقظوا ويطوروا قدراتهم الحيوية والخلّاقة.[4] إن هذا التحول وعلى الرغم من أن موضوع المعرفة الموحد منهجياً الذي سعوا له كان قد تم تغطيته بالمصطلح ((ويسنشافت)) وهي كلمةٌ أكثر مرونة في المعنى مما تستطيع ترجمات اليوم أن تشير إليه (معرفة، علم).[5] بالنسبة لـ(همبولد) وأتباعه في الإنسانية الجديدة، كما يشرح (تشارلز ماكليلاند Charles McClelland) «إن الـ((ويسنشافت)) والإكتشافات الأخرى المنبثقة منها كانت وسيلة الباحث وليست غايته. وكان الهدف هو التطور الكامل للشخصية وللسلوك المطواع واسع النطاق للتفكير الواضح الحقيقي... لم يكن ((ويسنشافت)) بأي حالٍ من الأحوال يُعتبر منتجاً غريباً للمجهود البشري. وبعبارةٍ أخرى تم التعبير عنها بأنها ـ بحثُ

---

(1) KSAB II: 204; KGB I - 3: 200 - 201

(2) انظر الفصل 11 القسم 2 ولتحويل ((ويسنشافت)) انظر ;Schnädelbach 1984: 24 - 25, 27 - 29 Jarausch 1974: 547; McClelland 1980: 172 - 189 ولرواية عن المساهمين في هذا التحويل، انظر Turner 1974 وخصوصاً 505 - 506 انظر أيضاً
Sweet 1980 II: 70 - 71; Daum 2004: passim

(3) وفقاً لـ(كوكا Kocka) 1989 فإن المعرفة النوعية والمهنية تداخلت وإلى حدٍ ما أزاحت ال-((بيلدانغ)) العادي خلال مسار القرن. قارن زع (هيلمهولتز) بأن عهد رجل عصر النهضة قد انتهى. Nicholls and Liebscher 2010: 89

(4) للحصول على رواية بليغة عن ال-(بيلدانغ) كما تم تصورها من قبل الإنسانيين الجدد في بداية القرن، انظر الوصف الذي قدمه (فريدريك ايمانويل نيثامر Friedrich Immanuel Niethammer). Bödeker 1989: 21

(5) ولنقاشٍ عن صعوبة ترجمة ((ويسنشافت)) إلى الإنجليزية انظر Ringer 1969: 102 - 103

(فيتش Fichte) عن الحقيقة المطلقة، أو تكريس (همبولد) نفسه للعلم، أو حتى بحث الشاعر الرومانسي عن)الزهرة الزرقاء) المتملصة ـ كان البحث مهماً.»[1]

فُقد معظم هذا التغير الحالم على مسار القرن. لا مزيد من نظام التعليم الشامل والديناميكي، أصبحت ((ويسنشافت)) أكثر تخصصاً ووضعيةً،[2] أصبحت نفس نوع «المنتج الغريب للجهد البشري» الذي كان (همبولد) قد ارتد عليه.[3] وبمجرد أن ثبتت المعرفة وعُزلت كحقيقة من النوع الذي يمكن نشره في محاضرة، فإنها تصبح نفس النوع من المعرفة الميتة التي كرهها علماء الإنسان في الأيام الحزينة من القرن الماضي.

كان قد تم تصور الـ((ويسنشافت)) حتى الآن ليس كنوع المعلومات التي يمكن للمرء أن يمتلكها ولكن كمسعى، كتحقيقٍ مستمرٍ في طبيعة الأشياء، ومثّلت الحقائق المجردة اكتسابات سابقة حيث تحل واحدة محل أخرى بمجرد تقدمها للأمام، مطورةً المصادر الروحية للمرء خلال العملية.[4] بما أن الـ((ويسنشافت)) توقفت عن كونها تحدياً يتعين الوفاء به وأصبحت عوضاً عن ذلك أمراً موضوعياً لكي تُعرف، تغيرت أيضاً قابلية نجاح الـ((بيلدانغ)). لم يعد يُتوقع من العلم أن يخدم الطالب ولكن أصبح يُتوقع من الطالب أن يخدم العلم، وأي علاقةٍ شخصيةٍ مع مجالِ دراسةٍ كان يُتصور أن يكون غريباً أو مشبوهاً حيث أنها قد تضر بالموضوعية.[5]

إن الـ((بيلدانغ)) بالمعنى الإنساني الجديد كان أصعب بكثيرٍ ليتم السعي إليه في هذا العالم الجديد من التعلم. ومع ذلك كان المصطلح مفيداً جداً كشعارٍ تحذيري ليتم كلياً التخلي عنه. لقد أصبح كما يوّصفه (كارل إرنست جيسمان Karl ـ Ernst Jeismann)، «تم توقيفه كوظيفة أيديولوجية»[6] ليتم استدعاؤه في خطاباتٍ كالتي ربما استمع لها (نيتشه) بانغماسٍ وهو صبي. لقد أصبح الـ((بيلدانغ)) رايةً ملهمةً ليتم التلويح بها، حتى لو كان نادراً ما يتم تطبيقه عملياً، على الأقل في المعنى الأقدم للمصطلح. ولما فقد علم اللغة الكلاسيكي هالته المثالية، أصبح مفهوم تنمية الذات الذي كفله ضعيفاً أيضاً مع أن الخسارة الأخيرة لم

(1) McClelland 1980: 125
(2) Turner 1980a
(3) مقتبس في Schnädelbach 1984: 27
(4) انظر الاقتباس Humboldt in Fallon 1980: 25
(5) أدلى (نيتشه) نفسه بهذه الملاحظة UO II: 6; KSA II: 293
(6) Jeismann 1990: 345

يتم الإعتراف بها. مثل هذه التحولات الفكرية كانت غير محسوسة غالباً بسبب تدريجية التغيير، وربما لم يلاحظ معظم الطلاب أو يهتموا بالفرق. غير أن (نيتشه) بلغ سن الرشد متأخراً بما فيه الكفاية وكان يقدر بما فيه الكفاية أيضاً التعهد التربوي للمصطلح الذي لا يستطيع التغاضي عن اختلافه. وبهدوء جاء إلى الإعتقاد بأن المثاليات التي تمت تنشئته عليها على مر الأعوام كانت زائفة، وأعرب عن غضبٍ نشأ من البراءة والتضليل. لقد آمن بحقٍ بالأيديولوجية التي قدمها له أساتذته.[1]

في رسالةٍ سابقة إلى (ديوسن) على سبيل المثال قدم (نيتشه) رؤيةً حول الـ((بيلدانغ)) بالمعنى القديم كما شرح كيف أن التفاني لموضوعٍ ما قد يحفز النضج في الروح. في حديثه عن مشروعه «ديوغنس لارتيوس Diogenes Laertius» كتب «كل عملٍ أكبر، كما ستجدون أيضاً، أن له تأثيرٌ أخلاقي. إن النضال من أجل التركيز على موضوع ثم تشكليه بانسجام هو حجرٌ يقع في حياة أرواحنا، ومن الدوائر الصغيرة ستأتي الدوائر الأكبر».[2] إن هذه التبادلية بين الطالب والموضوع يطورها أحدهما حتى يتم إتقانها ثم يمد بها الآخر، وهي تبادليةٌ تردد وجهة النظر التي أيدها علماء اللغة في النصف الأول من القرن. وتُظهر أيضاً مدى التزام جزء واحد من (نيتشه) بالمثالية. وبوقت (نيتشه) كان قد أصبح علم اللغة الكلاسيكي اختصاصياً ومفصلاً جداً بحيث تكاد تكون أي رؤية شاملة مستحيلة البقاء. (كان قد كتب صديق (نيتشه) (هاينريش روموندت Heinrich Romundt) أطروحته عن الجذر اليوناني «leg»). وعلاوةً على ذلك لا يمكن أن يقوم الـ((بيلدانغ)) بوظيفته إلا إذا احترم المرء المجال المدروس. وعندما جاءت المعرفة لتبدو تراكمية أكثر منها تحويلية، فقدت الكثير من تعهدها التوسعي. وعندما توقف (نيتشه) عن تقديره مشروع علم اللغة، فإن احترامه لدراسة علم اللغة سوف يتبدد أيضاً.

لم يقم نيتشه بعلاقةٍ صريحةٍ مطلقاً، ومع ذلك بعد ارتباطه مع (رود) أبلغ (ديوسن) أنه تم إخفاء تلك العواطف البارزة تماماً. وبعد ذلك بعامٍ ونصف سوف لن يكون هناك المزيد من الحديث عن «الأثر الأخلاقي» على الأقل بما يتعلق بالدراسة. وبدلاً عن ذلك سوف يكتب بوحشية (مرةً أخرى لـديوسن) «فقط صدقني بأن المواهب اللازمة بأمانةٍ لتعمل كعالم لغة طفيفةٌ ***للغاية*** وإن أي شخصٍ وُضِع في البقعة ***الصحيحة*** سيتعلم كيف يقوم بعمله. الاجتهاد

(1) كان بالتالي حريصاً على ألا يخدع جيل الشباب. انظر KSAB II: 329

(2) KSAB II: 206

قبل كل شيء ومن ثم المعرفة وثالثاً الوسيلة، تلك هي الخطوات الأولى لأي عالم لغةٍ منتج، بافتراض أنه هناك من **يوجهه ويريه بقعة**».[1] (التأكيد بالأصل)

إن التفاعل الديناميكي بين الطالب والموضوع الذي من خلاله يتم إثراء الطرفين لم يعد موضع تساؤل. أصبحت المعرفة معلوماتٍ وتعلم مسألة استيعابٍ ميكانيكي. وهكذا كتب (نيتشه) في الشهر التالي، مؤكداً على امتلاءٍ استيعابيّ: «الآن... أرى بوضوح ذرّية علم اللغة المحتشدة في عصرنا حيث يجب أن أرى يوماً جميع حيوانات الخلد تتدافع، الوجنات الممتلئة والعيون العمياء، الفرح بالديدان الملتقطة وعدم الإكتراث بمشاكل الحياة الحقيقية والمستعجلة».[2] يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذه المواقف تعكس رؤية (نيتشه) تجاه مرحلة محددة في حياته ولحظة معينة في التاريخ. على الرغم من أنه تابع شجب علم اللغة خلال سنواته المبكرة، إلا أنه عندما نضح أصبح ينظر له بامتنانٍ أكبر،[3] وعلى أي حال فقد كان ممزقاً لأنه كان مخلصاً لآراء عصورٍ تاريخيةٍ مختلفة. لقد آمن بالـ((بيلدانغ)) كما فعل (ريتشل) ولكن مع هذا الإختلاف: استطاع الأخير الحفاظ على قيمه التي عفا عليها الزمن كثيراً بوجدانٍ جيد لأنه كان مدركاً بأن الأزمنة قد تغيرت، هو ببساطة رفض أن يرضخ لها، أما (نيتشه) فقد أتى بعمرٍ في منتصف العبور التاريخي، كان بالتالي قد أمسك بين النسخة الأقدم والنسخة الجديدة، لم يستطع مساعدة العالم التقليدي الذي شكّله ولكنه كان يحترمه، ولكن قام العالم الحديث بتشكيله أيضاً، وكان بأي حالٍ من الأحوال هو العصر الذي فيه يجب عليه أن يعيش. وقد أعلن بقوة «Soyons de notre siècle!» «دعونا ننتمي إلى قرننا!».[4]

وكما أظهرت مباراته البطولية مع (لانج)، فقد أخذ هذا المبدأ على محمل الجد. وفي العام القادم سوف يجد (نيتشه) طريقةً للخروج من هذا المأزق، وفي الأثناء أفسد تثبيط همته وإحساسه بالضيم الكثير من السرور الذي أخذه في مجاله وبطريقةٍ ما برهن على أنه مدمرٌ ذاتياً.

(1) KSAB II: 316

(2) KSAB II: 344

(3) انظر على سبيل المثال، المدخل لـBGE

(4) KSAB II: 275, 329

3

في عام 1867 كان (نيتشه) قد حقّق الكثير بالفعل في المهنة التي اختارها وافترض أنها كانت البداية فقط. سيثبت لاحقاً أن هذه الآمال مجرد أوهام. ففي الوقت الذي واصل فيه انتقاد علم اللغة، بدأ يفقد اهتمامه بالمواضيع والأساليب التي من الممكن أن يوافق عليها زملاؤه الأكاديميون. هذه النقلة لن تكون واضحة للعيان فوراً بسبب الفاصل الزمني بين التقديم والنشر. ومع ذلك يمكن للمرء أن يجادل بأن كل مقالات (نيتشه) التي خرجت للطباعة كانت قد كتبت إما خلال أعوامه كطالب أو رؤاه التي توسع فيها وكوّنها في فترة وجوده في (بون) أو (لايبزيغ)،[1] وبشكلٍ خاص أول مقالاته (الرائدة) عن «ديوغنس لارتيوس»، وهو العمل الذي اعتبر عادةً إسهامه المميز في علم اللغة،[2] قد أصبح الآن من الماضي.[3] وقد يواصل (نيتشه) التوصل لاكتشافاتٍ في مجاله وبشكلٍ خاصٍ في مجال علم نظم الشعر اليوناني،[4] ولكن هذه الجهود لن تنشر. كانت مسيرته المهنية قد تجاوزت ذروتها بالفعل وبدأت بطور النهاية.

لم يعلم أحد بذلك في عام 1867. وبما أن المقالات التي أنتجها كانت محور كل عمله اليومي حتى خلال العطلات، سيعتقد المرء بأنها ستتلقى الكثير من التدقيق والفحص. في الواقع، تم تجاهل عمل (نيتشه) في علم اللغة بالكامل تقريباً، على الأقل من قبل مؤرخي السيرة (ولكن ليس من قبل الباحثين) ولأسباب مفهومة.[5] إذ كانت مواضيع وأساليب النقاش

---

(1) وبصرف النظر عن دفعتين من مقاله «ديوغنس لارتيوس» (وإضافتين كتبتا في بازل) سينشر (نيتشه) فقط دراسته عن «سيمونيدس» التي عُمل عليها في (بون)، ومادتين عن المسابقة المفترضة بين (هوميروس وهيسيود) وهو موضوعٌ تناوله مرتين في محاضراتٍ في (لايبزيغ). وعن (سيمونيدس) في (بون) انظر KGW I - 4: 44, 6

(2) Barnes 1986: 17

(3) نشر (نيتشه) ثلاثة أبحاث عن «لارتيوس» ومع ذلك يتعامل الثاني والثالث مع مجموعة متنوعة من الموضوعات غير الموحدة وغير الابتكارية كأول مساهمة أساسية له. انظر Gigante 1994: 9 - 13

(4) انظر Bornmann 1989: 472 - 489. Porter 2000a: 127 - 166

(5) قام الباحثون بمعارضة كتّاب السيرة الذاتية وكانوا أكثر استفساراً وازدادت سرعة الخطى في السنوات الأخيرة، انظر على سبيل المثال

O'Flaherty et al. 1979; Barnes 1986; Conway and Rehn 1992; Borsche et al. 1994,Porter ,2000a and 2000b

Bishop 2004; Benne 2005; Berry 2010; Jensen 2013; and Jensen and Heit 2014

غامضة والتأثير على عمل الفيلسوف اللاحق ليس واضحاً على الفور. ولكن دراسات (نيتشه) في علم اللغة تمثل حيّزاً من حياته أخذ وقتاً وجهداً أكبر بكثير من أي شيء آخر أنجزه خلال هذه الفترة. ومن غير المقنع ألا تكون قد غرست فيه عاداتٍ من الفكر وآراءً للتاريخ سيحتفظ بها لوقت طويل بعدها.[1] فهي تستحق التّفحص، إن لم يكن لشيءٍ آخر، فلأنها تمثل طريقاً لم يُسلك ولأنها قدّمت مساراً خفياً لدراسة الفلسفة.

وهناك أيضاً سببٌ آخر لتجاهلهم، إذ كانت أعمال (نيتشه) السابقة والأكثر أهميةً لا تتمحور على روائع الأدب الكلاسيكي التي قد تثير اهتمام غير المهنيين، بل على مجموعة من النصوص التي قلّة من غير علماء اللغة سمعوا بها على الإطلاق، والتي تم تجميعها بعد قرون من مضيّ العصور الكلاسيكية. قد يفكر القرّاء اليوم بأن الكتّاب اليونانيين واللاتينيين ألّفوا كتباً متكاملة مثل «الاينيد Aeneid» [شعر لاتيني ملحمي] أو «الساتريكون Satyricon» [عمل لاتيني خيالي] الأمر الذي كان صحيحاً في العصور الذهبية والفضية، ولكن بعد القرن الثاني فإن كلّا من مهارات الكتابة والقراءة كانت قد تراجعت في حين أصبحت الملخصات رائجة. كما أصبح العوام يقدرون الكتيبات والكتب المدرسية التي أُخِذت فيها مختاراتٍ من أعمال سابقة قد تم اقتباسها وأحياناً خلطها. وهذه الكتب كانت عبارة عن قصاصات وكذلك كانت الكتب المعجمية أيضاً، والتي كانت مفضّلة بشكل خاص عند علماء اللغة.[2] تكمن أهمية هذه المجموعات في حفظها للنصوص القديمة التي غالباً ما تخدم اليوم كمصدرٍ وحيدٍ للباحثين عن كتابات الأوقات السابقة. أما المساوئ فهي واضحة، فمن الصعب معرفة أي من النصوص أصلية في المجمل، أين يبدأ الاقتباس وأين ينتهي، وإلى أي مدى تم تعديله.

قام (نيتشه) في العديد من مقالاته ومحاضراته السابقة في جمعية علم اللغة بفحص مثل هذه المجموعات وحاول استخراج المراحل التي من خلالها كانت قد تشكلت أو تم تعديلها. ففي ثلاثة عروضٍ تقديمية على سبيل المثال ـ تلك التي تناولت «ثوغنيس» و«سودا Suda، كان يدعوه سويداس Suidas [معجم موسوعي مكتوب باليونانية]» وقائمة من كتابات أرسطو ـ بدأ بنسخة معينة وشقّ طريقه إلى الأمام أو الخلف محاولاً معرفة ما الذي حلّ بالأصلية وذلك لتقييم النسخة المشوّهة الموجودة في ذلك الوقت. في جميع الحالات فإن البدايات والنهايات (النص «الأصلي» أو الطبعة المنشورة حالياً) تخدم فقط كموضوع تمهيدي

(1) Emden 2008: 42

(2) Reynolds and Wilson 1974: 31 - 33

لأبحاثه. لم يكن تركيز (نيتشه) منصباً على المخطوطات الأولى أو الأخيرة بل بالأحرى على الانتقال بينها. إن تتابع النقل الأدبي على شكل نصوصٍ تم تناقلها من باحثٍ إلى آخر، ما أدّى لتغييرها أحياناً في أثناء العملية. إن التعددية والإختلافات في المصادر، وليس مظهرها البدائي أو النهائي، هي ما لفت انتباهه. وفي حين أنه يمكن القول من الناحية الفنية أنه تعامل مع «كلنفورشونغ Quellenforschung» وهو دراسة مصدر النصوص، ولكنه لم يكن من المؤسسين بأي شكل من الأشكال.[1] الأمر الملفت أكثر للنظر أنه ورغم انشغال علماء اللغة في زمنه غالباً إما بالتنقيح (محاولة إنشاء طبعة موثوقة لعمل معين) أو التصحيح (المحاولات لتصويب قراءة خاطئة)،[2] وكلاهما حاول صناعة نصٍ أكثر وثوقيه (وربما نص نهائي)، فإن (نيتشه) لم ينخرط مطلقاً في الحالة الأولى وانخرط بالكاد في الحالة الثانية، ووقع تركيزه بشكلٍ كبيرٍ على التّغيير المؤقت، على الإنزلاق عبر الزمن، وليس على الإنتاج الجامد لأي عصرٍ محدد.

كان هذا التفضيل للتعددية على الإنتاج الفريد من نوعه ضمنيّاً أيضاً في تعامل (نيتشه) مع (ديوغنس لارتيوس)، هذا الكاتب الذي لم يعرف له أي عمل تقريباً عدا أنه ازدهر في القرن الثالث الميلادي. ويذكر (نيتشه) أن أول مرة استرعى انتباهه «حياة وآراء الفلاسفة البارزين» لهذا الكاتب كان منذ بداية الفصل الدراسي الأول في (لايبزيغ) أي قبل مارس عام 1866.[3] وقد يعتقد المرء بأن (شوبنهاور) الذي كثيراً ما أشار إلى (ديوغنس) سيكون من قاده إلى الكتاب.[4] وإذا كان الأمر كذلك فإن (نيتشه) لا يعترف بهذا ويصرّح فقط بشعوره بالألفة الفورية مع المشاكل التي طرحها العمل.[5] وهو بالتأكيد لم يثن على (ديوغنس) بكونه باحثاً. وكان من المفترض أن هذا الكاتب موضع الإعجاب قد كتب تاريخاً تم البحث فيه بعناية عن الفلاسفة اليونانيين، وفيه قام شخصياً بتقييم الأدلة ذات الصلة ولخّصها في دراسة شاملة مكتوبة بكلماته الخاصة. ولم يصدّق (نيتشه) سوى القليل منه. وادّعى أن (ديوغنس) كان

(1) Porter 2000a: 48

(2) وللإطلاع على مناقشة موجزة حول التنقيح والتصحيح انظر Reynolds and Wilson 1974: 207 - 208 انظر أيضاً Kenney 1974 ولمزيدٍ من المعالجة الموسعة والتي تشير مراراً إلى كل من (ريتشل) و(برنايس Bernays) انظر Tempanaro 2005

(3) KGW I - 4: 526

(4) يشير (لانج) إلى (ديوغنس) ولكن (نيتشه) قد بدأ بالفعل بدراسة الـ«حياة وآراء» قبل آذار عام 1866 في حيث لم يقرأ تاريخ المادية حتى الصيف

(5) KGW I - 5: 38

منتحلاً وأن كتابه كان في الغالب تجميعاً لوثائق سابقة، ومساهمة (ديوغنس) كانت في الغالب عبارة عن مجموعة من قصائد قليلة. وسمحت هذه الفرضيّة لـ(نيتشه) بالتعامل مع الكتاب مثل الملخصات الأخرى التي كان يقوم بتحليلها، وجعل مهمته أولاً أن يظهر أن الكتاب «حياة وآراء الفلاسفة البارزين» كان حقاً عبارة عن تجميع، وثانياً تعقب مصادره الفعلية.

إن حجج (نيتشه) بكون (ديوغنس) محتالاً لا تهمنا في السياق الحالي.[1] إنما يقع التركيز بالأحرى على الجوانب من (ديوغنس) التي لم يناقشها (نيتشه) علناً لكونها لا تتعلق كثيراً بمهنته. فما قدمه الكاتب له كان فرصةً ليتحرى في الفلسفة تحت غطاء ملاحقة علم اللغة. كما أعطاه بديلاً عن فلاسفته المفضلين. لم يقدر (ديوغنس) مطلقاً أن يعطي لوجهات نظره جوهراً بالدقة الفكرية لـ(شوبنهاور) و(لانج) ولكن كان لكتاب «حياة وآراء الفلاسفة البارزين» قوة تخيّليّة أعجبت (نيتشه) وطرحت نظرة مختلفة للفلسفة عن تلك التي كان سيصادفها في أماكن أخرى. وبهذا أعطاه أسياده الألمان مجموعة من المفاهيم في حين أعطاه (ديوغنس) مجموعةً أخرى.

كبداية، فإن (ديوغنس) قدّم 300 سنة من تاريخ الفلسفة اليونانية من (تاليس Thales) إلى (أبيقور Epicurus) مصوّراً بدقةٍ ليس فقط الأفراد وإنما التفاعل والتعارض بين المعلمين، التلاميذ، والأقران. وعلى الرغم من أن معظم الفلاسفة يتلقون فصولاً خاصة بهم وتم التعامل معهم منفردين بالتأكيد، فإنه تم ترتيب الكتاب وفقا للأنساب والمذاهب الفكرية، وبالتالي فإن أبطاله يعملون أيضاً كمرسلين ومغيّرين لنهجٍ معينٍ نحو الواقع. وأيضاً في تناقضٍ شديدٍ مع (شوبنهاور) و(لانغ) اللذين قدّم كلاهما دراسات واضحة وحاكمة ضمن مجالاتهما، إن كتاب (ديوغنس) يقدّم العديد من الأصوات بحيث يكون التأثير متعدد النغمات، أحد الفلاسفة، ثم آخر، يصدحان بحدة ولكن دون أن يغلب أحدهما فيعطي ـ كما كانت ـ الكلمة النهائية في أي موضوع. ينتهي الكتاب بـ(أبيقور) ولكن لم يتم تقديمه بأي شكل من الأشكال على أنه التكملة بل يحصل فحسب أن يأتي في النهاية.

وعلاوة على ذلك، وكما يوحي العنوان، فإن (ديوغنس) يقدم سلسة من السير الذاتية ـ رواية لحياة كل فيلسوف تم فيها عرض المواقف والسلوكيات الفلسفية وحبكها ضمناً ـ يستمتع (ديوغنس) بالحكايات والاقتباسات الملائمة، وكتابه مليءٌ بقصصٍ غير متجانسة،

(1) للإطلاع على رواية الجدال في مقال (نيتشه) انظر Barnes 1986: 16 - 40; Gigante 1994: 3 - 16; and Jensen 2013: 27 - 31

وغالباً حكايات لاذعة تجمع بين إغراء النميمة في الخفاء مع مسحة من التنوير الروحي. هنا على سبيل المثال مقتطفات من روايته عن (زينو Zeno) ذي المذهب الرواقيّ:

نصّت على... أنه قام باستشارة العرافة ليكتشف ما يتوجب عليه فعله للحصول على الحياة المثلى وكان رد الإله بأن عليه أن يأخذ هيئة الموتى. على إثر ذلك ولإدراك ما عناه ذلك، درس المؤلفين القدامى.[1]

يخبرنا (أبولونيس Apollonious) من (صور) [في لبنان] كيف أنه عندما قبض (كريتس Crates) على]زينو[من عباءته لجرّه بعيدا عن (ستيلبو Stilpo)، قال (زينو) «الطريقة الصحيحة لتمسك فيلسوفاً يا (كريتس) هي من الأذنين: أقنعني إذاً ثم اسحبني من خلالهما ولكن إذا أنت استخدمت العنف فإن جسدي سيكون معك أما عقلي فمع (ستيلبو)».[2]

تقول القصة إن (زينو) من (سيتيوم Citium) بعد أن تحمّل العديد من الصعاب بسبب الشيخوخة، تم إطلاق سراحه. في حين يقول البعض بسبب التوقف عن تناول الطعام أما آخرون فيقولون إنه بعد أن تعثّر ذات مرة، ضرب الأرض بيده وبكى قائلاً: «أنا آتي طوعاً بملء إرادتي فلماذا إذا تستدعيني»[3] ومن ثم فإن (زينو) «مات على الفور عبر حبس أنفاسه».[4]

لا ينبغي أن يُعتقد بأن (ديوغنس) قصر نفسه على الاقتباسات والحكايات فهو يقوم بمحاولة جدّية لتسمية الكتب وعرض معتقدات كل فيلسوف. وبالتالي فبالإضافة إلى روايته غير المركزة عن حياة (زينو) فهو يدرج إحدى وعشرين صفحة عن المنطق الرواقيّ واثنتان وعشرين صفحة عن الأخلاقيات الرواقيّة وثلاث عشرة صفحة عن الفيزياء والميتافيزيقية الرواقيّة.[5] كما أنه يقدّم قوائم بكتب كل فيلسوف ـ وهي بيانات بغض النظر عن عيوبها ـ ستثبت بأنها ذات قيمةٍ لا تقدّر بثمن للباحث المتحرّي. وبالنّسبة لـ(نيتشه)، على الأقل، قد يبدو كتابه سخيفاً ولكن لا يمكن تجاهله.

وفي الحقيقة، فإنّ الانطباع الذي ينقله (نيتشه) في نهاية المطاف هو من أشكال الإعجاب

---

(1) Diogenes Laertius 1925 II: 111

(2) Diogenes Laertius 1925 II: 134 - 137

(3) Diogenes Laertius 1925 II: 143

(4) Diogenes Laertius 1925 II: 141

(5) يمكن العثور عليها في Diogenes Laertius 1925 II كالتالي: المنطق 151 - 193، الأخلاقيات 193 - 237، الفيزياء والميتافيزيقية 237 - 263. عدد الصفحات المدرجة لكل موضوع قد انخفض إلى النصف منذ أن أصبحت الطبعة ثنائية اللغة.

الإلزامي. فهو يعتقد بوضوح أن (ديوغنس) محتالٌ شنيع، وهو كثيراً ما يشجبّه بأنه غبيٌّ ووقحٌ ومهمل.[1] إلا أن ذلك كان مشاجرة عاشق، وفي كل ذمّه القاسي المحيّر لم يقدر إلا أن يتبنّى كتاب الرجل ويشير إليه بحماسٍ خاصة عند مقارنته مع التاريخ الفلسفي للقرن التاسع عشر.[2] وتظهر الاقتباسات من «حياة وآراء الفلاسفة البارزين» (تقريباً لم يعترف بها مطلقاً) في العديد من كتبه اللاحقة[3] على الرغم من أنها الأكثر وضوحاً في «الفلسفة في العصر المأساوي لليونانيين». كما قدّمت مقاربة (ديوغنس) الخاصة بالسيرة الذاتية الأساس لجدال (نيتشه) في كلٍّ من تلك «المقدمة البديلة» لذلك العمل ولاحقاً في «شوبنهاور كمربّي» حتى في «ما وراء الخير والشر»[4] بأن أهم إرث يتركه الفلاسفة كان حياتهم. أي الطريقة التي جسّدوا فيها فكرهم وعبّروا عنه من خلال أعمالهم.[5]

بالعودة إلى جداله، من المفارقات بأن العمل كان بمثابة احتيال، كان باستطاعة (نيتشه) الأخذ من كتاب (ديوغنس) (ومادة موضوعه الفلسفي) مباشرةً إلى دراساته المهنية بطريقةٍ لا يستطيع أبداً فعلها مع (شوبنهاور) و(لانج). وسيقدم «حياة وآراء الفلاسفة البارزين» في نهاية المطاف مادة الموضوع لمقالين ـ واحدٌ من جزأين ـ تم نشرها جميعها في متحف «رينيشس»، فضلاً عن قطعة ثالثة نشرت لاحقاً كجزء من كتاب تذكاري ((فيستشريفت Festschrift)).[6] كما كان بمثابة خلفية لعمله عن (ديمقريطس Democritus) و(مينيبوس Menippus). ولعلّ (نيتشه) قرأه خلال سنواته في (لايبزيغ) على نحو أكثر انتظاماً وعنايةً من كتب أي فيلسوف أكثر حداثة، ومحتمل جداً بما فيهم (شوبنهاور). فقد يكون أحبّ الأخير لكن (ديوغنس) كان جزءاً من عمله.

وحتى اليوم عند مراجعة أبحاث (نيتشه) في علم اللغة، اقتصر النقاش على عددٍ قليل من

---

(1) هذا ليس موقفاً يميل إليه علماء لغة آخرون. كان (جوزف سكاليجر Joseph Scaliger) قد دعى (ديوغنس) ذاتي التعليم، كما أيد (نيتشه) BAW IV: 217. يظهر Barnes 1986 بأن الكثير من معالجة (نيتشه) ضعيفة (24 - 35). كما يقوم (غيغانت Gigante) بدعم (لارتيوس) أيضاً. Gigante 1994: 5.

(2) انظر المقاطع التي ذكرها Barnes 1986: 21

(3) على سبيل المثال في UO III: 8 فإن الإشارة إلى الاحترام الذي أعطي لـ(زينو) فهو يأتي من (ديوغنس)، 117، 121. والادعاء بأن (سقراط) ساعد (يوريبيدس Euripides) بكتابة مسرحياته في «ولادة المأساة in The birth of tragedy» (القسم 13) أيضاً من (ديوغنس)، I، 149.

(4) BGE 6

(5) انظر على سبيل المثال UO III:3

(6) انظر ص 318 الحاشية (4).

النصوص التي «نشرها» سواء كان ذلك حرفياً في متحف «رينيشس» أو رمزياً كخطبٍ أمام جمعية علم اللغة. فهو أيضاً ألقى محاضرات، وكتب مقالات، أو فكّر مراراً وتكراراً في مجموعةٍ من المواضيع الأخرى من ضمنها: (مينيبوس) والساخرين، والمعاصرة المحتملة لـ(هيسيود Hesiod) و(هوميروس Homer)، وتاريخ من الدراسات الأدبية للقدماء. لم يكتمل الأخير مطلقاً، وبقي فقدانه مبعثاً للأسف، وذلك لأن هذه المحاولة لربط الإنتاج الفنّي الدراسات اللّاحقة في علاقة تكافلٍ أدّت إلى الإنتقال من (هوميروس) إلى (الإسكندرية) وإلى الأمام إلى الرومان، كانت عملاً وحده (نيتشه) قادرٌ على إنهائه.[1] في وقتٍ لاحقٍ سيعبّر نيتشه عن أسفه لتخلّيه عن إكمال المهمات التي بدت بشكلٍ خاص «خاصةً به» وعلى الأغلب أنه كان يفكر في بعض وجهات نظر (بازل Basel) ولكنه سيتذكر أيضاً المشاريع مثل هذه التي تم ابتكارها في (لايبزيغ) ولكن ثبت أنها فاشلة. فإذا كان لدى (نيتشه) أي من الهواجس لتلك الفرص الضائعة خلال أواخر العام 1860 فإنها لم تتمكن إلا من تعزيز إحساسه المؤلم بالحيرة. فهو قد تمنّى لو تثبت حياته أهمية كبيرة. ويبدو الآن أنها أخذت منعطفاً خاطئاً ولم ير سبيلاً لتصحيح ذلك. في السابق، كان يعظ (ديوسن) بضرورة اختيار مهنة مبكّراً وباختيار علم اللغة على وجه الخصوص. ولم يتراجع (نيتشه) مطلقاً عن هذه النصيحة بشكلٍ صريحٍ ولكنه إذا ما استرجعها الآن فلا بد وأن الأثر كان مخزياً. وبدأت الملاحظات المبالغ فيها تمطر رسائله ومذكّراته فيما كان يضع الخطط في محاولة لتخليص نفسه من هذه المحنة.

4

في عام 1867 كان (نيتشه) قد بدأ يصبح ساخطاً من مهنته، وخفّف من انزعاجه الألفة المتزايدة مع (رود). وكما ذكرنا، فإن ارتباطهما انتقل لمرحلة جديدة في نهاية يونيو عندما أخذا دروساً في ركوب الخيل معاً. وفي الوقت نفسه لم يكن (نيتشه) كارهاً للاحتفالات، واستمتع كثيراً في ربيع وصيف ذلك العام، تردد هو و(رود) وأعضاء جمعية علم اللغة على (شوتزنهاوس Schützenhaus) وهي مؤسسة إطعامٍ واسعةٌ بمنصات متعددة داخلية وفي الهواء الطلق حيث شربوا، تناولوا الطعام، واستمعوا إلى الحفلات الموسيقية.[2] أما وحدهما، كان الشابان يتمشيان في (الروزنتال Rosental) وهي حديقة تقع شمال الجامعة حيث جلسا

(1) Gerratana 1994 قارن KSAB II: 248 - 249

(2) KGW I - 4: 493, 527, 529

على ضفاف نهر (بليسيه Pleisse) ودشّنا بقعة هادئة استثنائية الـ«نيرفانا Nirvana».[1] كما أمضيا أمسياتٍ في المسرح ولاحقاً سيتبادلان رسائل مازحة بشأن الممثلات البارزات. وتذكر (رود) أنهما أمضيا خلال فترة الصيف نصف يومهما ـ وحتى أياماً بأكملها ـ في «كسل حقيقي»، وأوقات عديمة الجدوى، والتي جاءت بنظره بـ«أغنى النتائج».[2] مربحةً كانت أم لا، فإن كل هذه التسلية، التي اقترنت مع تحضير (نيتشه) لمحاضرة عن (هوميروس) و(هيسيود) لجمعية علم اللغة، كان لها أثرها.[3] وفي حين اقتراب 1 أغسطس، الموعد النهائي لمقال «ديوغنس لارتيوس»، وجد (نيتشه) نفسه متأخراً جداً. لحسن الحظ، كان خبيراً في التأليف السريع وفي وقتٍ متأخرٍ من عشية الموعد النهائي و«بدون إضاعة ساعة أخرى» كتب اكتشافاته وجرى بالمخطوطات إلى منزل صديقه. كان (رود) بانتظاره مع الكؤوس والنبيذ.[4]

في اليوم التالي ومع ادّعاء (نيتشه) بأن مالكي العقار الجدد كانوا يطالبونه بمبلغٍ كبير، قام بإخلاء شقته مسبقاً.[5] وبما أنه لن يغادر (لايبزيغ) لأسبوعٍ آخر فقد انتقل إلى (الحديقة الإيطالية Italienische Garten) فوق صديقه بطابقٍ واحد.[6] وكان غالباً هذا هو اليوم الذي عناه عندما قال لاحقاً أنه وأخيراً «سلّم نفسه» للصداقة مع (رود). كان قد أصبح لكلا الرجلين حرية التوقف عن العمل والتطلع إلى تطورات جديدة في حياتيهما. وكان (نيتشه) قد قرر عدم أخذ المزيد من الصفوف وبالتالي التخلص من لقب «تلميذ»، وهو مصطلح تقني نوعاً ما في (ألمانيا)، والذي اعتبره غير مناسبٍ لمستوى إنجازاته.[7] علاوة على ذلك قرر كلا الرجلين ترك (ريتشل) ومغادرة (لايبزيغ)، لينتقل (رود) إلى جامعة (كيل Kiel) و(نيتشه) إلى جامعة (برلين). وقد اعتُبر قسم علم اللغة في الأخيرة معادياً لـ(ريتشل)[8] ولكن (جيرسدورف، ديوسين، موشاك وبيندر) جميعهم عاشوا في تلك المدينة كما العديد من أعضاء جمعية علم

(1) KSAB II: 234, 235, 247; KGW I - 4: 527 - 528, 530 انظر Heise 2000: 100. وأصبح (بليسيه) لاحقاً ملوثاً جداً بحيث أنه أصبح خطاً يمر من تحت المدينة

(2) KGB I - 4: 475 - 476

(3) KGW I - 4: 526

(4) KGW I - 4: 526 - 527

(5) KSAB II: 219 - 221

(6) KGW I - 4: 529

(7) KSAB II: 329 انظر أيضاً «وداعاً لكوني طالب» KGW I - 4: 529

(8) KSAB II: 107, 230

اللغة السابقين[1] ناهيك عن (فيلهلم كورسن Wilhelm Corssen) وهو موجّه محبوب من (شولبفورت).[2] وبهذا ستكون هناك دائرة من الأصدقاء. ومع ذلك، فإن الدافع الحاسم بشكلٍ شبه مؤكد الذي كان قد أقلق (نيتشه) منذ وصل (لايبزيغ) لأول مرة بأنه إن لم يذهب إلى جامعةٍ بروسية في نهاية المطاف ستكون إمكانات توظيفه ضئيلة في ذلك البلد.[3] وبناءً على ذلك أبلغ (رود وموشاك وديوسن) ووالدته والوصي عليه وفي النهاية (ريتشل) نفسه بقراره[4] فوظف «عبداً» (تعبيره هو) ليقوم بتوضيب كتبه وأوراقه وغيرها من البضائع الدنيوية.[5]

ومع حلّ جميع هذه المسائل العملية أصبح بإمكانه أن يرمي بنفسه في الإحتفالات باسترسال. خلال هذه الفترة شاهد «الحسناء هيلين La belle Hélène» لـ(أوفنباخ Offenbach) مسروراً بنغماتها الجذابة وغالباً بالسخرية المرحة من اليونانيين. (يصوّر نص الأوبرا اختطاف باريس لهيلين من مينلاوس). أثرت به هذه الأوبرا كثيراً بشكلٍ يتعذر محوه، حتى أنه دندن لحنها لرفع معنوياته عندما كان في الجيش.[6] وسوف يستشهد بها مرتين بشكلٍ خفي في كتبه الأخيرة.[7] في هذه الأثناء تمّ الإحتفال برحيل الرجلين بسلسلةٍ من التجمعات التي استضافها الرفاق ويتحدث (نيتشه) بحماسة: «لا شيء سوى حفلات الوداع جميعها سعيدة أكثر منها محزنة»، ويضيف بحزن «تموت (لايبزيغ) ببطء في آذاننا».[8]

مغادرة المدينة كانت حدثاً محورياً، ولأنه افترض عدم عودته ثانيةً استدعى الأمر سيرةً

---

(1) KSAB II: 215

(2) كان (كروسن) قد ترك (شولبفورت) في (ميكلماس Michaelmas) 1866. Rosmiarek et al. 2003: 329

(3) كان (نيتشه) يدرك بأنه إذا لم يأخذ ما يسمى «فحص الدولة» فلن يسمح له بالتدريس في (الجمنازيوم البروسي). Fallon 1980: 39. وفي رسالةٍ إلى (موشاك) يشير أنه سوف يحضر إلى (برلين) حصرياً ليأخذ امتحانات الدولة. انظر KSAB II: 254. قارن 217.

(4) لاقتراح (نيتشه) الانتقال إلى (برلين) انظر KSAB II: 217, 219, 220 - 221222; KGB I - 3: 207, 209; KGW I - 4: 530, إن (السيتنزيونيس Sittenzeugnis) وهي شهادة جامعية والتي تلقاها (نيتشه) في نهاية الفصل الدراسي تشير أنه غادر الجامعة من أجل صالحه. Heise 2000: 112 - 113 ويظهر أن (نيتشه) قد غير الخطط المقررة قبل موضوع التجنيد الخاص به في اللحظة الأخيرة ولكن هذا يتطلب معالجة أوسع لشرحه

(5) KSAB II: 222

(6) KSAB II: 235

(7) CW: «Postscript» and TI: «Skirmishes,» 1

(8) KSAB II: 223

ذاتيةً شخصيةً أخرى، عنونها (نيتشه) بـ«استذكارٌ لعاميّ في لايبزيغ».[1] كانت أقل تحقيقاً للذات من الأعمال المثيلة السابقة وبدأت مع انسحاب (نيتشه) من (بون) ووصفه لأيامه الأولى في (لايبزيغ)، اكتشافه لـ(شوبنهاور)، إشادة (ريتشل) ببحثه عن «ثوغنيس» وطلب هذا الأخير من (نيتشه) وآخرين تأسيس جمعية علم اللغة، في حين يصور معظم ما تبقى من القطعة مختلف الأصدقاء والموجّهين الذين صادفهم في المدينة وتختتم بمسابقة «ديوغنس لارتيوس» وصداقة (نيتشه) المتزايدة مع (رود). وأكّد أن رفقتهم قد ترسخت على تقدير (شوبنهاور)، وأنهى بالإبتهال لهذا السيد بوصف الـ(نيرفانا) ذلك المكان الخاص والهادئ بجانب (البليسيه) الذي كان هو و(رود) قد «دشّناه». هذان الصاحبان، يؤكد، استمتعا بالمكان «كالفنانين»، منتشين في «تأملٍ صرف وتحررا في لحظةٍ من وطأة ضغوط إرادة الحياة التي لا تهدأ».[2]

وفي الثامن من أغسطس أُطلق سراحهما من وطأة الضغط بشكل ملموس أكثر وإن يكن بشكلٍ أقل شوبنهاورية، مغادرين (لايبزيغ) في جولةٍ لأسبوعين معظمها في (بوهيميا) و(بافاريا) الريفيتين. كانا مبتهجين بحريتهما «مثل العصافير في الهواء»، (جملة رود)،[3] وعندما عادا لم يحزنا ظناً منهما بأنهما سيجتمعان من جديد في (باريس) قريباً. عاد (نيتشه) من هذا المشهد الريفي إلى (نامبورغ) لاستئناف العمل، وكان في بداية نقده لعلم اللغة، ولم يُظهر بعد أي تراجعٍ بالحماس أو بالإهتمام. بل على العكس، كانت لديه مهمتان معلّقتان، تولى أمر إحداهما باندفاع. قبل أن يغادر (لايبزيغ) اقترح هو و(رود) أن يؤلفا هما وتلاميذ آخرون كتاباً تذكارياً (عُنون مؤقتاً بـالرمز)[4] تكريماً لـ(ريتشل). بدأ المشروع في 3 يوليو وبحلول الأسبوع الأول من أغسطس كانا قد شكّلا فريقاً من تسعة (بمن فيهم نيتشه ورود) لاستكمال الكتاب.[5] وكان قد اختار (نيتشه) التحقيق في عدد وأسماء كتابات (ديمقريطس)، التي لم يبق شيء منها (عدا بعض الأجزاء) وانطلق للعمل

(1) KGW I - 4: 506 - 530 وللمزيد حول هذه السيرة الذاتية الشخصية انظر الكلمة الختامية القسم 1

(2) KGW I - 4: 527 - 528

(3) BAW III: 423

(4) KGB I - 4: 657

(5) كانوا (نيتشه، رود، إرنست ويندش Ernst Windisch، فيلهلم روشر Wilhelm Roscher، لودفيغ فيلهلم أوغست ثيودور كليم Ludwig Wilhelm August Theodor Clemm، جورج اندرسن Georg Andresen، أوتو كول Otto Kohl، وسيجيسموند سوسمان هاينمان Sigismund Sussmann (Heynemann

على المشروع بكدٍّ كبير بما أنه كان يحاول تجنب مهمة أقل جاذبية.[1] كان (ريتشل) قد طلب منه إعداد دليلٍ لمتحف «رينيشس» لسلسلةٍ تضم أربعةً وعشرين مجلداً. يمكن للمرء أن يتخيل بصعوبةٍ مهمةً لا تتناسب وقدرات (نيتشه) أكثر من هذه، إذ أنها ستتطلب عملاً شاقاً كثيراً وستحتاج قليلاً من الخيال والفرصة النادرة لإظهار الموهبة الأدبية. ولعل تلميذاً أكثر إخلاصاً لعلم اللغة كان سيرحَب بأن ينكبّ على مئات المقالات الممتدة على عقودٍ من الزمن، ولكن هذا الأفق لا يمكن أن يجذب (نيتشه) في أحسن الأحوال، وهو بالتأكيد لم يكن ميالاً إليه كثيراً الآن. بالإضافة إلى ذلك فقد أعطته تجربةٌ سابقةٌ بالفعل إحساساً سيئاً لعمل كهذا. في عام 1866 كان قد طلب منه إعداد قاموسٍ لنسخةٍ من «إسخيليوس» وقد فشل هذا المسعى ظاهرياً لأن نيتشه لم يثق بالأستاذ،[2] عدا عن أنه في ذلك الوقت تساءل أحد الأصدقاء عما إذا كان هذا المشروع ملائماً له[3] ووجده (نيتشه) نفسه عملاً مملاً.[4] والآن وقد أصبح لديه مهمة كتلك مرةً أخرى بين يديه ـ وبرغم أنه نادراً ما تذمر ـ فالوقائع تتحدث بنفسها، سينهي العمل في نهاية الأمر ـ بمساعدةٍ من أخته ـ ولكنه لن يفعل ذلك لعدة سنوات، وسيتطلب الأمر تذكيراً من أستاذه.[5]

في الوقت نفسه تابع مساعي أخرى في علم اللغة. فكان يفكر في تأليف كتابٍ عن الـ«سودا» مع (ديدريك فولكمان) وهو موجه سابق في (شولبفورت)،[6] كما تطلع أيضاً لمؤتمرٍ مهنيٍ سينعقد في (هاله) القريبة في نهاية سبتمبر. وكان يأمل هناك أن يراقب أسياد المهنة ويختلط مع زملائه السابقين، وبالطبع فهو الآن سيرتدي البريق المرافق لعبقريٍ حديث الظهور. وبالفعل حضر (نيتشه) التجمّع، وتشير رسائله إلى أنه استمتع كثيراً، فقال عنه: «في الوقت الراهن هو، الخاتمة السارّة، أو لنقل القفلة الموسيقية/الكودا، لعرضي التمهيدي في علم اللغة».[7] ومع ذلك فقد طغى على هذا الحدث غيابان اثنان هما (ريتشل) و(موشاك)، ولأسباب تثير القلق. كرجل، كان (نيتشه) البروسي خاضعاً للخدمة العسكرية وقد

(1) كان (نيتشه) صريحاً حول إهمال مهمة من أجل الأخرى. انظر KSAB II: 224, 232
(2) KGW I - 4: 521
(3) KGB I - 3: 145
(4) KSAB II: 167
(5) رسائل من (ريتشل) تسأل عن التقدم: KGB I - 3: 279 - 280, 290 - 291 رسائل من (نيتشه) تعد بالامتثال KSAB II: 313 - 314, 317 - 318
(6) KSAB II: 242 - 243
(7) KSAB II: 231

تم إبلاغه بفترة طويلة أن عليه التقدم للخدمة في موعد أقصاه 1 أكتوبر 1867 ولكن يبدو أنه قد نسي هذا أو افترض بأن نظره الضعيف سيؤدي إلى إعفاءه.[1] والآن وبعد سنوات من الانتظار لسيف (داموكلس Damocles) كي يغمد، اكتشف في عطلة نهاية الأسبوع تلك بالذات أن بصره الضعيف لم يعفه ويتوقع منه التقدم للخدمة في أقل من أسبوعين.[2] أحياناً في الماضي، كان قد سعى للإنضمام للتجنيد بشروطه الخاصة وقام بجهدٍ أخيرٍ مندفعاً بحماسٍ إلى (برلين) لينضم إلى الخدمة هناك. (أمضى الليل مع بول ديوسن). ولم يُقبل، وكان عليه أداء الخدمة في (نامبورغ). ومن المثير للسخرية أنه وبعد أن كان يتأمل بطرح مكانته كتلميذ والسعي للتحرر من الضغوط الأكاديمية سيجد أمنيته قد تحققت فجأة. ومن المفارقات أكثر أيضاً أن هذه المغامرة ستفتح أمامه أفقاً، وتحرّره بطرقٍ غير متوقعة.

(1) KSAB I: 275

(2) قارن الرسائل من Gersdorff: KGB I - 3: 116, 195 - 196. Förster - Nietzsche 1895: 259; and 1912: 167 تنص أن المفتشين فحصوا نظارات (نيتشه) بدلاً من بصره. وهي لا تشرح لماذا كان يجب أن يرتدي - وعلى ما يبدو أنه تكيف بنجاحٍ مع - عدسات ضعيفة بشكلٍ غير مناسب.

الفصل الثالث عشر

«اغْدُ ما أنت عليه»

الإنسان الذي لا يريد أن يكون جزءاً من العامة يجب عليه أن يتوقف عن التساهل مع نفسه، يجب عليه أن يتبع ضميره الذي يقول له: «كن ذاتك، هذه الأشياء التي تفعلها الآن لا تمثلك، فكر، امتلك الرغبة»[1].

1

يمكن توقع أن يكره (نيتشه) الخدمة العسكرية، بما أنها لم تتوافق مع مواهبه، وأبعدته عن أصدقائه. وعلى العكس، ففي بداية الأمر على الأقل، أثبت قدرةً على الإنصياع، واحترام ذلك. عكس هذا بشكلٍ جزئيٍ إعجاباً بالجيش بدأ في نفسه منذ الطفولة عندما كان يستمتع بمراقبة الجنود خلال تدريباتهم.[2] وتعزز هذا الإعجاب خلال عام 1866 عندما هلل للقوات البروسية خلال الحرب. وفي أعقاب هذا النزاع، كتب إلى (جيرسدورف)، الذي كان في الخدمة العسكرية، يخبره أن التحول إلى الحياة العسكرية بعد الدراسة الأكاديمية بدا بديلاً سليماً، لأنه يقدم «تبايناً فعالاً» مع الدراسة.[3] اعترض (جيرسدوف) على هذا،[4] ولكن (نيتشه) كان مصراً بما فيه الكفاية ليحتفظ بوجهة النظر هذه عندما اضطر إلى التعامل معها بنفسه. وقد كتب إلى (موشاك) أنه شبّه التجنيد المفاجئ بـ«وجبة حرّيفة... وضعت على طاولة حياتي». وغير قادرٍ على رفضها، « لقد جربتها ووجدتها ليست بهذا السوء. ويبدو أن طعمها تحسن خصوصاً بعد التخنث [التشبه بالنساء] الذي نتج عن طريقة الحياة والدراسة التي سببها كون

(1) UO III: 1; KSA I: 338
(2) KGW I - 1: 302 - 303
(3) KSAB II: 210
(4) KGB I - 3: 202

المرء طالباً. وهكذا فإني اعتدت على التفكير هذا العام في الجيش باعتبارها واحدة من الطرق التي نستطيع فيها استخلاص شيءٍ جيد من شيءٍ سيء».[1]

ويجب أن نلاحظ أن تجربة (نيتشه) في الجيش كانت حميدةً نسبياً. وعلى الرغم من أن قانون الخدمة العسكرية يقضي بخدمة ثلاث سنوات، فإنه خدم سنة واحدة فقط لأنه كان مؤهلاً لـ(Patent ـ Einjährige) (الامتياز الحولي) وهي ميزة تعطى للذين حصلوا على مستوى معين من التعليم.[2] وبما أن مثل هؤلاء الأشخاص يتوقع منهم أن يدفعوا ثمن ملابسهم، وطعامهم، ومسكنهم، فقد أرسل إلى محل إقامته (على النقيض من المناطق النائية، التي قد يُرسل لها من لا يتمتعون بامتياز (Patent ـ Einjährige)، وقد أقام في منزل والدته وليس في الثكنات. حيث كان يعود كل ظهيرةٍ ومساء إلى عائلته وإلى وجبات أمه المتفانية.

على الرغم من هذه الإمتيازات فقد وجد (نيتشه) أن حياته الجديدة صعبة. تم تعيينه في وحدة مدفعية الفرسان، وكثيراً ما كتب عن الخيول بل حتى أنه احتفظ بقائمة عن تشريح الخيول في دفتر ملاحظاته،[3] إلا أنه نادراً ما ذكر الذخيرة في رسائله ولما يذكرها أبداً في أوراقه الخاصة. وبسبب ضعف بصره، فمن غير المرجح أن يصبح ماهراً في الرماية، ولو كان امتلك أي مهارات في البارود والقذائف لكان قد ذكر ذلك. ادّعى بأنه كان محبوباً ـ «الجميع يتمنى الخير لي هنا بدءاً من النقيب وانتهاء بالمدفعيين» ـ [4] وقد قيل له بأنه بصفته يعمل على الخيل فهو يتمتع بأفضل مكانٍ في الوحدة، وهي مجاملةٌ كان فخوراً بها بالطبع.[5]

وفي نفس الوقت، كان جدول أعماله يبدو مرهقاً. فكتب إلى (جيرسدورف) أنه يتطلب منه أن يعمل إحدى عشرة ساعة في اليوم (مع ساعة استراحة للغداء)، ستة أيام في الأسبوع، ناهيك عن الوقت الذي يقضيه في التدريبات العسكرية، والأعمال الروتينية المتفرقة مثل

(1) KSAB II: 253 يحدث اختلاف هذه الآراء بشكلٍ متكررٍ في رسائل إلى أصدقائه. انظر KSAB II: 240, 242, 246, 247

(2) من الناحية النظرية ينبغي أن يخضع (نيتشه) إلى المناورات وبعد ذلك يوضع تحت الطلب في الاحتياط. وقد نجا من هذه المتطلبات ربما بسبب وضعه في سويسرا فقد تخلى عن الجنسية البروسية.

(3) KGW I - 4: 433 في مرحلةٍ ما من العام المقبل بحث (نيتشه) في (مولوميديسيناي Mulomedecinae) وهو عملٌ في الطب البيطري لـ(فيجيتيوس Vegetius) والذي يبدو أنه تعامل من بين أمورٍ أخرى مع أمورٍ طبية للخيول. KGW I - 5: 65 - 69

(4) KSAB II: 247

(5) KSAB II: 241، 247، 256

إطعام الخيول في أمسيات الأحد.[1] وقد أصبح هذا البرنامج أقل إرهاقاً بعد فترة، ولكن بقي حجم عمل (نيتشه) كبيراً.

بعد أن شرح مزايا الحياة العسكرية لـ(موشاك)، غيّر الموضوع قائلاً إنه يفضل أن يتحدث عن شيءٍ آخر عدا الجيش، بما أنه كتب لصديقه لينسى الجيش.[2] مع كل محاولاته لإيجاد الجوانب الإيجابية في حياة الجندية، عرف (نيتشه) أنه ينتمي لمكان آخر. وتبعاً لذلك ومع مضي الأشهر، ازداد ضجره. كتب قائلاً: «وقتـ[ي] وأفضل ما لدي من قوةٍ وطاقةٍ فكرية، تضيع في دائرةٍ لا تنتهي من التدريبات العسكرية».[3] وقد أشار إلى أقرانه في الخدمة بأنهم «المجندون المغفلون»،[4] وبدأ يندب حياته السابقة، والتي يتذكرها على أنها «حياة من الحرية وتقرير المصير، المتعة الأبيقورية في العلم والفن، مع مجموعة من الناس ذوي الطموح كالذي أملكه، على مقربةٍ من أستاذ محبوب... وبصحبةٍ راسخةٍ مع [رود]».[5]

مفضياً بما في داخله، لخّص (نيتشه) لصديقه الجوانب الإيجابية والسلبية لموقفه. فكتب قائلاً: «صديقي، هذه الحياة هي حياةٌ منعزلةٌ بمعنى الكلمة، وبدون أصدقاء. لا توجد محفزات غير التي أخلقها لنفسي، لا شيء هنا يعزف على أوتار الروح [كما في أماكن أخرى]». ومن ناحيةٍ أخرى، «مؤكدٌ أن هذه الحياة ليست مريحة ولكنك تتناولها كما ***الحلويات***، والتي هي بشكلٍ أكيدٍ مفيدة. إنها دعوة مستمرة لإبقاء طاقتك مشتعلة ويظهر مذاقها كترياقٍ مضادٍ للتشكك المعيق، وهو تأثيرٌ غالباً ما لاحظناه سوياً. ***وفي هذه العملية يتعلم المرء عن حقيقة ذاته***، كيف ترعى إلهامها بين الغرباء، أغلبهم جفاةٌ وبدون مساعدة من نظام التعليم ***[Wissenschaft]*** أو من سمعتنا التقليدية التي تحدد قيمتنا أمام أصدقائنا والمجتمع».[6] (تمت إضافة التأكيد)

الجملة الأخيرة ملفتة للنظر. لأن (نيتشه) يعتقد أنه بإمكانه أن يكتشف «طبيعته» على أفضل وجه، وذلك مشروعٌ سعى له طوال فترة شبابه، ليس بالتعامل مع أقرانه، ولكن

(1) KSAB II: 240 - 2471

(2) KSAB II: 253

(3) KSAB II: 254

(4) KSAB II: 242

(5) KSAB II: 234 الترجمة لـ(كريستوفر ميدلتون Christopher Middleton) للرسالة كاملة باللغة الإنجليزية انظر Middleton 1969: 24 - 28

(6) KSAB II: 247

بانعزاله بشكلٍ كبيرٍ عن الأشخاص المتعاطفين معه والمؤسسات التي استحسنت قدراته. قد يساعده البشر الآخرون على تشكيل وصقل ذاته، ولكنه يميل إلى عدم الثقة بهم ويسعى بدلاً من ذلك لتحقيق بعض الهوية المستقلة عن التفاعلات الإجتماعية والتأثيرات الشخصية. وللتعبير عن الأمر بشكل مجازي، فهو يعتقد أنه لكي يجد المرء ذاته يجب أن يذهب إلى الصحراء.

نادراً ما كان (نيتشه) في حالة عزلةٍ شديدةٍ كما ادعى. فقد عاش مع أمه وأخته، وتنقل بين عائلات ومناطق يعرفها منذ نعومة أظفاره. ومع ذلك وباستثناء إشارةٍ واحدةٍ مبهمة، لم يذكر هذه المعلومة القديمة في رسائله، ويبدو أنه نظر لنفسه كشخصٍ تقطعت به السبل.[1] وهذا قد يخبرنا شيئاً عن إهماله المزمن لأي دعم بنيوي، فقد أراد دائماً أن يعتقد بأنه مكتف ذاتياً. وكمثال فهو قد أهمل عمداً ذكر أن والدته كانت تنتظره بالقهوة كل صباح عند استيقاظه في الساعة الخامسة صباحاً.[2] على الرغم من أنه في النهار وبين الجنود ـ كان وبشكلٍ مجازيٍ على الأقل ـ منعزلاً كما ادعى.

كان لهذه الانعزالية في الواقع مزاياها. فقيود الحياة العسكرية لم تمس حاجاته أو طموحاته الأساسية. لم يعلم الجنود أو يهتموا بدراساته، وخلقت عدم مبالاتهم منطقةً حرةً يستطيع فيها مناجاة أفكاره بدون معوقات. وعلى الرغم من أنه لم يسبق له أن عاش تحت مثل هذه التعليمات المستبدة، ولكنه في الواقع تحرر من الضغط الأكاديمي والإشراف. ولمدة عامٍ كاملٍ يمكن له أن ينظر في طبيعة علم اللغة دون أن يعيقه تدقيق الأساتذة أو الأقران.

2

في 31 أكتوبر 1867 حصل مقال (نيتشه) عن (ديوغنس لارتيوس) على جائزة الجامعة. وقد لاحظ بسخريةٍ أنه فاز لأنه المتقدم الوحيد،[3] ولكنه على أي حال كان سعيداً بهذا التشريف وخاب أمله لأنه لم يستطع حضور الحفل في (لايبزيغ).

ويبدو أن (نيتشه) كان سعيداً بالأخص بخطبة التكريم التي رافقت تقديم الجائزة، والتي

---

(1) وبخصوص الإشارة الوحيدة، انظر KSAB II: 256

(2) Franziska Neitzsche 1994: 40

(3) KSAB II: 230

أشادت بسخاءٍ بمهارات المؤلف.[1] (قام ريتشل بتقديم تقدير آخر منفصل). وقد لاحظ أن كلًّا من (ريتشل) واللجنة استشهدا أثناء المراسم بعبارة إغريقية مقتبسة «Genoi' hoiosessi»، والتي تعني «اغْدُ كمثل الشخص الذي أنت هو»، وهي جملة سيعيد صياغتها في وقت لاحق إلى «اغْدُ ما أنت عليه».[2] أخذ (نيتشه) هذا التعبير من القصيدة الثانية من القصائد البيثونية لـ(بايندر)، وهذا سيعطي معنىً أوسع من المعنى الأصلي بإسقاطه عبارة التحويل.[3] ومن الواضح أن العبارة ألهمته، فقد ذكرها في ثلاث رسائل كتبت في ذلك الوقت.[4] ولاحقاً سيستحضر النسخة الألمانية منها في خمسةٍ من كتبه.[5] عندما جعلها العنوان الفرعي لسيرته الذاتية الشخصية ـ «كيف يتحول المرء إلى ما هو عليه» ـ فإنه أعلنها ضمناً كمبدأ أساسي لشخصيته ولتطوره الفلسفي.

على الرغم من الأصل التاريخي للشعار ورنين كلماته، فإنه من الصعب أن نفهم ما الذي عناه (نيتشه) به، ولماذا اختار أن ينشره كما فعل. منطقياً، يمكن أن يبدو التعبير على أنه إما tautologous [تكرار، وهي طريقة للتأكيد بإعادة الكلام بطريقة مختلفة]، أو أنه circular [دائري، وهو نوع من المنطق حيث تعيدك النتيجة إلى المقدمة]. ([أنت] تغدو/تكون ما أنت [أصلاً] هو). وربما لهذا السبب علّق (جيمس بورتر) James I. Porter قائلاً «[التعبير] ليس له أي معنىً حرفي ولكن فقط معنىً استراتيجي».[6] ويعتمد الكثير على الفعل الابتدائي،

---

(1) KSAB II: 237 - 238 and 247 - 248 ومن الجدير بالملاحظة في الرسالة الأخيرة سوف يضمن إشارةً لاذعة حول (ريتشل)، واصفاً إياه بالقوّاد (248) (Kuppler)

(2) تختلف الصيغة قليلًا في كل اقتباس. في HAH I: 263 يكتب (نيتشه) «so dass [jeder] wirklich ein Talent wird, also wird, was er ist» وفي GS 270 «Was sagt dein Gewissen?» يجيب، «Du sollst der werden, der du bist» (لاحظ التغير في الضمير) إن الترجمة في EH تقرأ، «Wie man wirdK was man ist». (مرة أخرى تغير في الضمير)

(3) السطر 72. يُقرأ السطر الأصلي «Genoi' hoios essi mathon» وقد حذف (نيتشه) الكلمة الأخيرة. الترجمة من الأصلية (المتضمنة mathon) تتغير، ولكن غالباً ما تدور حول المعنى، « كن النوع من الرجال الذي تعلمت [أو عُلِّمت] أن تكونه». انظر Hamilton 2004: 59 ولاستقصاء طنان أكثر وأوسع من الترجمات انظر Babich 2003: 31 - 33

(4) KSAB II: 235، 237، 247

(5) UO IV: 262; HAH I: 263; GS: 270, 335; Z IV, I: EH subtitle. See also EH, «Clever,» 9 وتظهر العبارة أيضاً في دفاتره، كما في KSA VIII: 340 وبالطبع هي متضمنةٌ في المطالبة «كن نفسك» التي تفتتح مقال (شوبنهاور).

(6) Porter 2000a: 197 للإطلاع على المفارقات التي نشأت، انظر Leiter 1998

وقام المترجمون الذين ترجموا لـ(بايندر) بالتأرجح بين عدة ترجمات، بين «be» يكون، «become» يغدو، وأيضاً قد يكون اشتق من فعل gignomai الإغريقي وهو الخلق، أن تصبح شيئاً بعد أن كنت عدماً «to become».[1] «Be what you are» وهذه العبارة توحي بأن المخاطب وهو «أنت» مختلفٌ من حيث القيم عن النتيجة وهي أيضاً «أنت» وينبغي أن تعيد الاتصال بهذه القيم. «Become what you are» تعطي أيضا بعداً زمنياً، وهي توحي أن الأمر سيبقى محل التنفيذ لفترة طويلة (ربما طول العمر) وتتضمن الإنتقال التدريجي من الشخصية المزيفة إلى الأكثر أصالة.[2] كلا العبارتين تفترض أن الإنسان يملك ذاتاً مثالية والتي تبقى نوعاً ما مستقلة عن أفعاله الفردية أو آرائه المؤقتة.

ويمكن ملاحظة جانبٍ خفي في الشعار من خلال طرق نشر (نيتشه) له خلال وجوده في (لايبزيغ). مثلاً، ربما يبدو الأمر محيراً أن يضعه على رأس مقاله عن (ديوغنس لارتيوس). فهذه العبارة، والتي يبدو أنها تتطلب صحة وجودية، تبدو ليست في مكانها عند وضعها في مقاله عن (ديوغنس)، وهو رجلٌ من وجهة نظر (نيتشه) لم يصبح كما «هو» أبداً، ولكنه قام بسرقاتٍ بالجملة من كتب غيره.[3] وفي إيماءةٍ رمزيةٍ منفصلة، شارك (نيتشه) قوله المأثور مع «رفيقه الفلسفي» (إروين رود)،[4] عندما أبلغ الأخير بأنه قد حصل على الجائزة، فقد تذكر كيف صوّر الاثنان ذكرى لمنطقة (النيرفانا) التي كانت ملاذهم على شاطئ النهر، ويحمل الكلمات التالية: «كلماتي المهيبة التي أثبتت أنها قد حققت نصرها، Genoi'hoios essi».[5] وهنا يبدو الجانب المزدوج في هذه العبارة بشكلٍ أوضح. بنظرةٍ إيجابية هو يستحضر الرؤية النبيلة الراقية التي يعتزم التمسك بها. وإن استخدام كلمة «victorious» المنتصرة، من جانب آخر يقترح وجود موقفٍ دفاعي، وبُعدٍ جدلي سلبي: يجب أن يحقق (نيتشه) هذا الهدف الشخصي رغم كل معارضة. إلى هذا الحد تخدم عبارة «Genoi' hoios essi» كصرخة حرب

(1) أنا ممتّن لـ(مارك أندرسون Mark Anderson) لتأكيد ذلك

(2) في نسخته الألمانية، يستخدم (نيتشه) بصورة قاطعة الفعل «Werde» «كن» أو «اغْدُ»

(3) يذكر (نيتشه) في رسالةٍ إلى (جيرسدورف) أن العبارة ظهرت في الجزء العلوي من مقال «لارتيوس» ولكنه يشير إليها ليس كعبارة مقتبسة ولكن كـ«شعاري» KSAB II: 237

(4) KGW I - 4: 420 يحدث هذا الاحتفاء وسط ملاحظاتٍ عن المقال، «عن شوبنهاور» وتثير احتمال أن (نيتشه) كان قد اعتزم أن يكرس ذلك المقال لـ(رود).

(5) KSAB II: 235 تستند هذه الترجمة على Christopher Middleton 1969: 28 وللمزيد عن (النيرفانا) الخاصة بـ(نيتشه) و(رود) انظر الفصل 12 القسم 4.

ضد القوى التي تتجمع لتعاديه. لتصبح ما أنت، يجب على المرء أن يتجنب أن يصبح ما ليس هو. وراء الدعوة الإيجابية يقبع رفض مناظر.[1]

بدون دليلٍ صريح، لا يستطيع المرء أن يتأكد من العوائق التي كانت في عقل (نيتشه). وعلى أي حال، يمكن للمرء أن يلاحظ أن مقال «ديوغنس» كان أول عملٍ منشورٍ صراحةً ليتحدى الآراء التي وصلته ممن هم أكبر منه سناً. كانت استقامة (ديوغنس) قد نادى بها الرجل صاحب المكانة العالية (جوزيف سكاليجر Joseph Scaliger) وهو أحد أهم علماء الفلسفة خلال الخمسمئة عامٍ الماضية،[2] وكل من أتى بعد هذا الرجل العظيم أبدى ميلًا قليلًا لمعارضة رأي الأستاذ العظيم. وبما أن (نيتشه) كان في مرحلة ما قبل التخرج، فربما قد تردد بالمغامرة بمهنته الأكاديمية بتقديم وجهات نظرٍ قد ينظر لها خبراء ذلك الوقت على أنها خارجة عن الموضوع.

وبشكلٍ ملحوظ، عندما أعد النسخة الأخيرة للنشر، أزال العبارة الاستشهادية واستخدم لهجةً ألطف في بعض الملاحظات الحوارية، وهي ايماءة اعتبرها (ريتشل) «مناسبة».[3]

لم يكن (نيتشه) يبدي الإحترام الدائم لأساتذته، ولا كانت الصفاقة في مقاله حول (ديوغنس) مقتصرة فقط على لغتها. فقط بعد مرور شهرين، وما زلنا في الحديث عن نفس المقال، يعلق (نيتشه) بسرور «لم يكن من طريقةٍ الآن أو لاحقاً لتجنب صفع علماء اللغة».[4] في بدايات 1867 وفقط عندما بدأ (نيتشه) بتبادل هواجسه مع (رود)، عندها كان أقل ميلاً لإظهار رغبته في الإعتراض على الذات الملكية بشكلٍ مباشر. وقد يظن المرء عندها أنه وجد في الإقتباس من (بايندر) شعاراً ملهماً عندما قرر اتخاذ خطوته الأولى الشجاعة في إبداء اعتراضه على السلطات القائمة، وكان سبيله الوحيد في إظهار هذا هو أن يتخذ موقفاً. وفي ظل هذا التأويل، لم يكن هدفه هو أن يجعل (أي الشعار) يتناغم مع المحتوى الداخلي للمقال بل كان هدفه هو تحدي القارئ منذ البداية. وهذا الفهم للشعار على أنه عملٌ من

(1) قارن «شوبنهاور كـمربي» القسم 4: «يدرك [شوبنهاور] بأن الآخرين يرغبون في خداعه بنفسه... يقاوم هذا، يقف منتصباً، ويقرر: أريد أن أظل ما أنا عليه!» الترجمة لـ(ريتشارد غري) مع تعديلٍ طفيف. KSA I: 374

(2) BAW IV: 21

(3) KSAB II: 243، KGB I - 3: 220

(4) KSAB II: 255

أعمال التحدي يتناسب مع شكل الشعار في المقال، والدور الذي خدمه في المزار المقدس الذي بناه مع (رود).

بناءً على هذا التفسير يحق للمرء أن يسأل لماذا يشعر بهذا القدر من الإغراء في فعل ذلك؟ قبل النظر في هذا السؤال، يجب على المرء أن يلاحظ أن الإفتراضات الكامنة وراء شعار (نيتشه) هي بشكلٍ مذهل مشابهةٌ لتلك التي تكمن وراء حيوية نظام الـ((بيلدانغ)) الهمبولدي [العائد لـهمبولد]. الاثنان يحضان على الطموح، النشاط، التنمية الذاتية. لابل أن (نيتشه) استخدم بعضاً من لغة (هومبولد) نفسها، كما حين قال الأخير واصفاً الإغريق بأنهم، من دون غيرهم من الشعوب، «قد أصبحوا ما يمكن أن يكونوا عليه».[1] الفرق الوحيد المباشر الذي يظهر بشكلٍ واضحٍ بين الاثنين، أن (هومبولد) أقل تشدداً، و((بيلدانغ)) يحض على عدم التأثر بالقيم المتشددة الناتجة عن المؤثرات الجانبية. وهذا لا يعني أن (هومبولد) كان من دعاة السلام الفكري. ولكنه كمدير للنظام التعليمي كان قد حارب عدة نظريات للتعليم قيد الطرح، وبالأخص تلك التي دعت إلى تعليمٍ ديني أو مفيد عملياً. وضمن حدود نظريته، فإن الحالة السلبية الوحيدة التي أدركها، هي استسلامية هؤلاء البشر المخدرين الذين لم يستيقظوا بعد على مدى قوتهم. إلى هذا الحد كانت رؤية (هومبولد) أقل تحسساً للحالة الإجتماعية من وريثه (نيتشه) الذي كان منزعجاً من التيارات المعادية للاعتبارات الهمبولدية منذ كان في السادسة عشرة. في ذلك الوقت، أي في 1861 كان (نيتشه) قد أدرك صعوبة أن تتبلور شخصية المرء في ظل الضغوط الإجتماعية والثقافية التي سبق ومورست على الطالب الحر المفترض. ولأجل أن يصل إلى تعريفٍ ضمن هذه القيود فقد أعد ملاحظاته حول «المصير والتاريخ» و«حرية الإرادة والمصير».[2] والآن مرت ستة أعوام، وقد تطورت وجهة نظره للأمور بشكل أكبر، فقد كان مستعداً للعودة إلى هذه المواضيع وإعادة النظر في الـ((بيلدانغ)). لا توجد أدلة قاطعة لتأكيد هذا التوجه، ولكن يظهر هذا الأمر في أنه كلما نضج (نيتشه)، كلما ازدادت ريبته بالـ((بيلدانغ)) وحتى أنه جعله في مرتبة ثانوية من حيث الأهمية، ناقلاً كل جوانبه القابلة للإنتقاد إلى شعاره الجديد. ومن المؤكد أنه منذ ذلك الوقت وصاعداً اتجه إلى الحط من شأن هذا التعبير مع تبني قيمه في الوقت نفسه.[3] ماذا

---

(1) مقتبس في Sweet 1980 II: 27

(2) تم وصف سير العملية في الفصل 6 القسم 4، 6، و7

(3) KSAB II: 322

كان الفرق إذاً؟ كما شرحنا سابقاً،[1] فقد نظر (همبولد) إلى الـ((بيلدانغ)) و((ويسنشافت)) كوحدتين متكاملتين، تنمو الواحدة بنمو الأخرى. علينا أن ننظر لـ(نيتشه) على احتمال أنه يحاول أن يمزق هذه التبادلية، وهو ينظر إلى الدراسة المنظمة ونمو النفس على أنهما شيئان منفصلان، مع التأكيد على أهمية الحيوية في الثانية. في وقت سابق كان هناك سؤال: ما هي الضغوط الخارجية التي ينوي (نيتشه) أن يجعل شعاره يقاومها؟ ويبدو أن إجابته كانت الـ((ويسنشافت)) نفسه، أي النظام التعليمي ككل. لقد كانت التضحية بشخصية الطالب على مذبح العلم هي ما أثار الاستياء في نفسه ورفض أن يتقبله، كتب قائلاً: «ليس من واجبنا في المقام الأول خدمة الـ((ويسنشافت)) ثم بعدها العمل على تنمية أنفسنا، العكس تماماً هو الصحيح»، ثم أضاف «إذا كان المرء يملك فائضاً من القوى الفكرية، فبعد أن يلبي حاجاته الشخصية، عندها فقط يستطيع أن يلبي الحاجات الإنسانية. الحالة العكسية هي قاسية، وبربرية». وبكلماتٍ أخرى، حاجات وطموحات الطالب لها الأولوية على متطلبات التعليم، ورسم (نيتشه) المسار التربوي: «يجب علينا ن نخبر الطلبة بهذا، حتى يتمكنوا من توجيه دراستهم وفقاً لذلك».[2]

وقد يجادل البعض بأن (نيتشه) بالغ في موقفه. والحقيقة أن خلافه لم يكن مع الـ((ويسنشافت)) بشكلٍ عام ولكن مع علم اللغة، وحتى ليس مع علم اللغة بحد ذاته ولكن مع الفرع الذي يدرسه وقتها. وأكثر من ذلك، فمن خلال تشديده على الفرد في مقابل المجالات الفكرية، فهو في الحقيقة كان يؤكد على تأييد القيم الأساسية لـ(همبولد) نفسه.

على أي حال، وكما وضحنا في الفصل السابق، فإن أساليب وحتى المعنى الفعلي للـ((ويسنشافت)) تغير منذ بدأ (هومبولد) بإعادة تشكيله.

إن بروز العلوم الطبيعية وإضفاء الطابع المهني الصارم بين الأساتذة، الذي تمثله وتغذيه ضرورة البحث، والممارسة الجديدة نسبياً، أدى لأن يصبح (نظام التعليم) أكثر تخصصاً وأكثر وضعية [ابتعاداً عن الدين] وفوق كل هذا أقل اتحاداً [مركزية].[3] لم يكن خلاف (نيتشه) فقط مع علم اللغة بشكله الحالي، ولكن كان مع أشكال العلوم والدراسات كما كانت تمارس في ذلك الوقت. ومع ذلك فقد بقي على احترامه للعديد من جوانب التعليم، كما يتجلى ذلك في

(1) الفصل 12، القسم 2

(2) KGW I - 4: 222

(3) وللإطلاع على تطور ضرورة البحث، انظر Turner 1974

إعجابه بـ(ريتشل)، ناهيك عن ذكر تقديره لـ(لانج) وللعلوم الطبيعية. ومع ذلك فقد وضع احتياجاته الإنسانية أولاً كما سنرى قريباً، عازماً على إعادة تشكيل الـ((ويسنشافت)) حسب تلك المعايير. لم يتخل عن دراساته، رغم أنه أخذ ذلك في الإعتبار،[1] بدلًا من ذلك اقترح أن يتابعها بطريقة مختلفة. خلال مرحلة كفاحه على مشروع «ديمقريطس» فقد حاول اكتشاف نهجٍ جديدٍ للدراسة بحيث يستطيع أن يستوعبه لوحده.

3

مستنزفاً من الدراسة ومنعزلاً عن أصدقائه، لاحق (نيتشه) الشيء الوحيد الذي نادراً ما يحتمل الحياة بدونه، العمل الموضوعي. المشاريع التي كان قد قبلها قبل التجنيد ـ فهرس متحف «رينيشس» وبحث «ديمقريطس» ـ ظلت غير مكتملة ولذلك فهي كانت مناسبة للعمل عليها في المناسبات. قام (ريتشل) بالترتيب لـ(نيتشه) كي يستطيع الولوج إلى المجلد الثالث والعشرين من السجل، (الجزء الرابع والعشرون كان تحت التجهيز)، كما أخبر (نيتشه) في نهايات سبتمبر.[2] ومع ذلك يبدو أنه قام بتأجيل العمل على هذ المشروع حتى أواخر الصيف التالي. وبدلاً من ذلك فقد ركز على بحث «ديمقريطس» وسجل في دفاتر يومياته حدة وتغير طبيعة نظرته لهذا الرجل وفلسفته.

من وجهة نظر فلسفية كان (نيتشه) يملك أسباباً واضحة لدراسة (ديمقريطس). فقد ذكره (شوبنهاور) مراراً وبشكلٍ إيجابي. واعتبره (لانج) كأول مادي ذي منهج متسق وكأول فيلسوف يستطيع بشكلٍ منظمٍ أن يعزل الأهمية الغائية عن السببية. وفي فصل الشتاء بدأ (نيتشه) الإعجاب بشخصية الرجل واكتشاف مذهبه الذري «الشعري».[3] وكما لاحظ (جيمس بورتر James I. Porter) فإن دراسته [أي نيتشه] لهذا «الفيلسوف الضاحك» سوف تؤثر على فلسفته من الآن فصاعداً.[4]

فلسفياً فإن اهتمام (نيتشه) بهذه الشخصية إذا كان أي شيء فهو كان مبالغاً فيه.

ومن وجهة نظر مهنية، لم يكن (نيتشه) فيلسوفاً ولكن كان عالم لغة، وإذا اختار أن يبحث

(1) انظر تحذير (رود): KGB I - 3: 244

(2) KSAB II: 224 انظر أيضاً 318

(3) لترابط الكوزمولوجيا (علم الكونيات) مع الشعر عند (ديمقريطس) انظر KGW I - 4: 380, 402, 414

(4) مواضع متفرقة في Porter 2000a

حول (ديمقريطس)، فيجب عليه أن يجد قضيةً لغويةً كذريعة. لذلك فقد حوّل المشروع إلى (فالنتين روز Valentin Rose)، كدليلٍ على احترامه للرجل، وهو كلاسيكي كان (نيتشه) معجباً بعمله.[1] أعجب (نيتشه) بشخصية (روز) السليطة، المكروهة، كما أعجب برفضه لمحاباة قرائه. إذا بدا الباحث أحياناً غامضاً بشكلٍ عنيد، فقد فسّر (نيتشه) هذا على أنه بادرة استقلالية. ولاحظ بإعجاب أن «[روز] كان معارضاً لتقديم الهبات، وأنه بينما كان يقدم الهبة بيد كان بيده الأخرى يحمي نفسه من التواصل مع العامة». وبكلامٍ آخر قام (نيتشه) بمقارنة (روز) مع رجلٍ يحفر بحثاً عن العملات الذهبية، ثم يدفنها مرة أخرى ولكنه على الأقل يشير للجيران أين يمكن أن يجدوها.[2]

قام (روز) بإيقاظ (نيتشه) على رؤية أمورٍ أكثر أهمية في علم اللغة، ولا سيما تلك المتعلقة بـ«pseudepigrapha»، [وهي في الأصل كتابات يهودية مزورة تنسب إلى الكتاب المقدس] والآن تشير إلى كتابات مزورة تنسب إلى كتّاب مشاهير من الماضي. وبالتالي إذا أراد ساحرٌ من القرن الثالث قبل الميلاد أن يضع كتاباً، فمن المحتمل أن يجد جمهوراً لهذا الكتاب إذا نسبه لـ(ديمقريطس) أكثر مما لو نسبه لنفسه.[3] كان النسب الخاطئ شائعاً أيضاً لأسبابٍ أكثر اعتباراً. فمثلاً إذا كان الكتاب يعبر عن تعاليم فيلسوفٍ مشهور، فإنه من المنطق أن ينسب الكتاب مباشرة إلى رأس المدرسة حتى ولو كان قد كتب من قبل أحد المريدين.[4] ولأجل هذا ولغيرها من الأسباب فإن ما يدعى بـ«pseudepigrapha» ـ أو كما يسميها (نيتشه) «counterfeits» الملفقات ـ كانت منتشرة بين الإغريق، واعتقد (نيتشه) أن (روز) كان أول من أولاها اهتماماً بالغاً.

كان علماء اللغة السابقون يميلون إلى التعامل مع مثل هذه النصوص المزورة على أنها مصادفات مزعجة، إما أن يتحرى عنها وترفض أو تتم إعادة تنظيمها تحت اسم مؤلفٍ جديد، كما حصل في «Dionysus ـ Pseudo» «ملفقات ديونيسوس».

---

(1) لمواجهة (نيتشه) مع (روز) انظر KGW I - 4: 83; KSAB II: 186 وخصوصاً KGW I - 4: 160 - 174
ولمزيد عن (نيتشه) و(روز) انظر
Porter 2000a: 36 - 40; BAW IV: 598 - 600

(2) KGW I - 4: 445

(3) الإشارة إلى (بولس Bolus) وهو ساحرٌ وصفه (نيتشه) بأنه يعمل كـ«مصنع» للتزوير الديمقريطسي. KGW I - 4: 307 ff

(4) يذكر (بورتر) الارتباك الذي سببته الأعمال الدوغسوغرافية [مصطلح يصف وجهات نظر الفلاسفة القدماء وقد استخدمه المؤرخون الكلاسيكيون] أيضاً. Porter 2000a: 39

ولكن (روز) كان على رأيٍ مختلف. فقد ادعى (نيتشه) أن إنجاز (روز) كان في التخلي عن معاملة كهذه والبحث عن مكانها التاريخي (النصوص) واستكشافها بصورة أكثر تنظيماً وشمولية. «لنلخص كل هذه الأعمال الملفقة، لنبحث عن صلة داخلية بين هذه [الأعمال الأدبية] التي لا تعد ولا تحصى، باختصار دعونا نضمّن الملفقات «pseudepigraphic» في تاريخ الأدب الإغريقي، هذا هو إنجاز (روز)».[1]

ولأن (نيتشه) كان يتبع خطى مؤلفٍ آخر بدلاً من البناء على اكتشافاته الخاصة، فقد أودى به مشروعه الجديد ـ محاولة تحديد عدد الأعمال التي كتبها (ديمقريطس) حقاً ـ إلى خضم قضايا في علم اللغة لم يكن يملك خبرة كافية بها.[2]

تجدر الإشارة فعلياً إلى أن كل اكتشافاته السابقة تضمنت قضايا محاولات تتبع مصدر الوثائق للنظر في كيفية حفظ الكتب أو تغيرها مع مرور الوقت. في تلك القضايا كان بحوزته على الأقل نصٌ يستشهد به (حياة ديوغنس، منقحات ثوغنيس، قائمة بكتابات أرسطو)، والتي كان يمكن أن يستخدمها كنقاط مرجعية. ولكن في قضية (ديمقريطس) لم تنج له أي كتب. بقيت قصاصات فقط، ويبدو أنها كانت مبهمة إلى الحد الذي لا يمكن الاستفادة منه. (وحتى أن نيتشه لم يكد يذكرها إلا في شكواه بأن آخر الطبعات كانت مفككة الأوصال). بدلاً من ذلك كان عليه أن يقارن عدداً كبيراً من الشهادات المتنوعة، واعتبارها كنوع من الأدلة الظرفية [أدلة غير قطعية ولكن بمجموعها قد تشير إلى اتجاه، ولو أنها ليست حاسمة]. وكان الإسكندريون [كتبة مكتبة الإسكندرية] قد صنفوا 300 كتاب على أنها لـ(ديمقريطس)، في حين أن (ديمتريوس Demetrius) المغنيسي [من ماغنيسيا]، وهو محك الذهب بالنسبة لـ(نيتشه)، صرح بأن (ديمقريطس) كتب كتابين فقط.[3] وحتى هذا العدد المنخفض قد يبدو مبالغاً فيه، وإنتاج كتابين في عهد ما قبل (سقراط) كان يبدو أنه نادر جداً.[4] فكيف يمكن تحديد العدد الحقيقي بعد 2500 عام ومع عدم نجاة أي كتاب؟

قام (نيتشه) بنخل حياة وزمان (ديمقريطس) للحصول على أدلة وقرائن. تحرى عن

(1) KGW I - 4: 446 - 447

(2) يمكن القول إن هذا النوع من المشاكل لم يجذب (ريتشل) الذي كان يعتقد بأن علم اللغة يجب أن يركز على النصوص وليس على التخمينات. Benne 2005: 62

(3) KGW I - 4: 173، 198

(4) KGW I - 4: 237 - 239، 241، 199

الأسباب التي قد تضطر الشهود للكذب.[1] وقد حيرته طرق الإغريق في إسناد الكتب إلى المؤلفين.[2] وتأمل في المدارس الفلسفية وفي عضوية (ديمقريطس) فيها.[3] وقام بالتحقق من الأحداث في سيرة (ديمقريطس) وما إذا كانت لها آثار متضمنة في كتبه. (مثلاً إذا سافر إلى مصر يجب أن يعرف أشياء معينة معروفة فقط في هذا البلد).[4] وبحث (نيتشه) أيضاً إمكانية أن يخلط بينه وبين أشخاص آخرين لهم نفس الاسم ـ مثلاً هناك (ديمقريطس) من (خيوس Chios) ـ [5] أو أن أعماله الموسيقية قد يكون كتبها شخص آخر بكاملها.[6] باختصار، كان على (نيتشه) أن يحل عدداً من القضايا التي تبدو بسيطةً قبل أن يستطيع أن يصدر حكماً على أعمال (ديمقريطس) بثقة.[7] وفي الوقت نفسه، كلما ازداد تدقيقاً في تحرياته، كلما ازدادت الأمور عناداً وتهاوت أي أحكامٍ قطعيةٍ إلى شظايا بين يديه.

وكما كتب إلى (رود) في الربيع، «أصبحت كل الأعمال مشكوكاً بأمرها ولا تنفك تتهاوى أمام البحث الصارم لضميري المهني».[8] وفي نهاية المطاف، كان عليه أن يتحمل الحرج من طلب تمديد الموعد النهائي. وسيضطر إلى تقديم بحثه في نوفمبر بدلاً من الربيع.[9] ويبدو أن (نيتشه) افترض أن مشروعه غير عمليٍ بوضعه الراهن، ولكنه رفض الإعتراف بالهزيمة. إلا أنه اعترف بدلاً بضرورة حل بعض المشاكل الثانوية التي ذكرت سابقاً وأن هذا سيؤخر تقديم بحثه. وكما تبين لاحقاً، فإن هذا التأجيل سيمتد إلى أجل غير مسمى، لأن (نيتشه) لم يكن المتقدم الوحيد الذي يعاني من مشاكل في بحثه. وباستثناء (رود) وزميلٍ آخر له،[10] لم يستطع أي من الكتّاب المشاركين إكمال أطروحاتهم، وهو فشل تسبب بامتعاضٍ شديدٍ لـ(نيتشه).[11] وكنتيجةٍ لذلك ظهرت احتمالية عدم نشر الكتاب، وهي احتماليةٌ استبقها (رود) بتعليقٍ خبيث،

(1) KGW I - 4: 326 - 327

(2) KGW I - 4: 238 - 242

(3) KGW I - 4: 172 - 173 والعديد من الصفحات الأخرى

(4) KGW I - 4: 379

(5) KGW I - 4: 381

(6) KGW I - 4: 329

(7) KSAB II: 270 - 271

(8) KSAB II: 262 الترجمة (تم التعديل قليلًا) من Porter 2000a: 46

(9) KSAB II: 249 - 250

(10) Sigismund Heynemann. KSAB II: 277 - 278

(11) KSAB II: 272 - 274، KGB I - 3: 250 - 252، 255 - 256

«نتيجة لهذا قد يظن العالم أن قوة الأب (ريتشل) في علم اللغة قد استُنفذت».[1] ولما لم يعد هناك ضغطٌ للاستعجال، فقد استغل (نيتشه) الفرصة ليتوقف عن العمل على «ديمقريطس» بشكلٍ كامل، مؤجلاً المشروع إلى «وقت ما في الأعوام القادمة»، وذلك بعد أن قام بقدرٍ كبيرٍ من العمل الأولي عليه.[2] (ولكنه في الحقيقة عاد إليه في أوائل الشتاء).[3]

4

على الرغم من أن نيتشه واجه مجموعةً من الصعاب في مشروع (ديمقريطس)، يمكن للمرء أن يلاحظ أن المشكلة التي استحضرها عند طلبه للتمديد هي «كل الأعمال... لا تنفك تتهاوى أمام البحث الصارم لضميري المهني». لقد بدأ في تحويل موهبته النقدية نحو جهوده الخاصة وخلال هذه العملية خاطر بمواجهة أكبر مخاوفه، التوقف عن أن يكون منتجاً. فمن ناحية أكبرَ (نيتشه) مبدأ الشك، وكان تصميم (روز) على التشكيك في التقاليد واحدةٌ من الصفات التي أعجب بها (نيتشه). ومع ذلك يجب على المرء أن يميز بين (أ) التشكيك المنهجي الذي يشكك في التأكيدات لمصلحة التفكير السليم والبرهان المقبول، وبين (ب) التشكيك العملي الذي يدقق في الدوافع وفعاليتها بحيث أن التدقيق المتشكك فيها قد يجعلها صعبة لتكون فعالة على الإطلاق. وبينما أشاد (نيتشه) بالأولى، كان من السهل بالنسبة للظروف الإنزلاق نحو الثانية. كان تلاميذ (شوبنهاور) بشكلٍ خاص أكثر عرضة لهذا العجز. لأنهم سيعتبرون في نهاية المطاف أن ممارسة الإرادة الحرة غير مجدية وحتى «خاطئة».

وعرف (نيتشه) و(رود) حالةً حزينةً من الضيق وندبا مصير أحد طلبة علم اللغة في جامعة (لايبزيغ)، الذي وصفه (رود) بأنه «[هينريك] روموندت [Heinrich] Romundt سيء الحظ، والذي في حالة متشائمة من التبصر بما يخص السر العظيم لعشوائية الأحداث، قِيد بشكلٍ كاملٍ إلى الهاوية».[4] تعاطف الرجلان مع هذا الصديق، ولكن يبدو أنهما اعتبراه كدرسٍ أساسيٍ في ما يجب تجنبه. لم يجدا هذا سهلاً، وقد ذكر (نيتشه) أن موقفه تجاه علم اللغة كانت تقوضه الشكوك إلى درجة أنه كانت تنتابه بشكلٍ مستمرٍ فكرة ترك المجال.

(1) KGB I - 3: 256

(2) KSAB II: 270 - 271

(3) KSAB II: 350

(4) KGB I - 3: 237, 259. KGW I - 4: 517. KSAB II: 351

ولهذا، فعندما فاز بالجائزة عن مقال «ديوغنس» كتب أنه كان سعيداً بالذات ببعض الأسطر في مديح (ريتشل) له، «لأنها كانت مشجعةً لي على المضي قدماً في الطريق الذي كانت ***تغريني الشكوك*** من قبل بتركه».[1] (تمت إضافة التأكيد). وبالمثل، وكما تم الإقتباس بالفعل، فإن (نيتشه) وجد في قسوة الحياة العسكرية «ترياقاً ضد ***الشكوك المثبطة***، هذا التأثير الذي كثيراً ما لاحظناه معاً».[2] (تمت إضافة التأكيد) واعترف (رود) بتأثره أيضاً بمثل هذه الميول الخطرة، وأضاف «لقد كنت دائماً خلال الممارسة أحمل مبدأ ألا أدع نفسي تهزم أمام مثل هذه الأفكار».[3] كانت ***البلادة*** التي ولدتّها الشكوك إغراءً تنبه له الصديقان وحارباه.

وربما ساعد (نيتشه) مزاجه المتفائل، الذي كان يفيض بالأمل والطموح، والذي جعل من الصعب عليه أن يتوقف عن كونه مبدعاً، بغض النظر عن وجهات نظره السلبية.

ومع ذلك، لم يكن دائماً قادراً على أن يصل بمشاريعه إلى نهايتها، وباستثناء الفهرس، فهو لن ينهي عملاً واحداً تابعه ذلك العام في (نامبورغ)[4]. وقد يبدو متفائلًا وهو يقول «إن حدود الشكوكية... لم تحدد بعد... ولم نستنفذ نقاط القوة من هذه الطريقة».[5] ومع ذلك، كان يختبر الجانب السلبي لسياسة الأرض المحروقة التي بدأ يتبعها ليخرج من هذا المأزق، ليس بالتخلي عن الشكوكية، ولكن من خلال الدفع إلى ما اعتبره جانبها الآخر. وكما اعتاد أن يقول، متنبئاً بشيءٍ مماثلٍ سيفعله لاحقاً، «إن [الشكوكية] ليست عارضاً مرضياً في دراستنا، بدلاً من ذلك يجب ألا ننسى أن ميزة طبيعتها الخاصة أنها تلتهم أطفالها، لأنها تسعى للوصول إلى حدٍ حيث تلتف عائدةً من نفس الطريق التي غادرتها قبل قليل».[6] [كالشكل الذي ينثني ويعود بنفس طريقه ملتهماً ما بين ثنياته].

لقد كان في حقيقة الأمر يستخرج القيم الإيجابية المتضمنة في سلبية الشك. وإذا كان (نيتشه) ناقداً صعباً، فيجب ألا يُظَن أنه وجد عيباً يأتي من هوىً أو في انعكاس شخصيته الساخرة. بدلاً من ذلك انطلقت شخصيته من الجهود الرامية لكبح النظرة الإيجابية بشكلٍ

(1) KSAB II: 237
(2) KSAB II: 247 «نحن» تشير إلى (نيتشه) و(رود)
(3) KGB I - 3: 237
(4) يقصد من العبارة «المشروع الذي خطط له» استبعاد الفهرس بخصوص متحف «رينيشس» الذي كان مشروعاً مخصصاً.
(5) KGW I - 4: 394 قارن BGE: 208 - 210
(6) KGW I - 4: 407

أساسي، لمنعها من تجاوز حدودها وأن تتصرف كما تصرفت والدته التي كانت تؤمن بكل واعظٍ عابر. وإذا درس الادعاءات بشكلٍ صارم، فقد يكون الإيمان هو الحل الأمثل الذي يمكن وجوده وينبغي ألا يُقبل بأقل من ذلك. بكلماتٍ أخرى فإن شكوكيته تنطلق من إيمانٍ بمعايير عالية، وليس من السلبية. ولهذا كان من الواضح نسبياً بالنسبة له أن يعكس القطبين ليفتش في شكوكيته الحالية عن جانبها الإيجابي، عن البنى الفكرية غير الملحوظة التي سمحت له بملاحظة أن بعض الأفكار كانت خاطئة. هكذا وفي رسالةٍ إلى (جيرسدورف) علّق قائلاً «عندما قام مسحي الشكوكي لكافة العواقب برصد كل شيء، قلبت الصورة بهدوءٍ بين راحتي يدي»، وذلك حسب المبدأ القائل «إنقاذ النفي عن طريق النفي».[1] كان (نيتشه) في هذه الحالة يشير إلى صورته عن (ديمقريطس) التي حاول إعادة تشكيلها من خلال وضع تصور مثالي له ومن ثم يحاول أن يستنتج من ذلك أي نوعٍ من الكتب يمكن لهذا الرجل أن يكتب. وبفعل هذا، فقد وضع الفرضية فوق الفرضية، حتى انهار البناء على سخافته. بعد شهرٍ ونصف الشهر لاحقاً وجد نفسه مرة أخرى حائراً،[2] وسعى لإيجاد سبلٍ أخرى لحل المأزق.

كان (نيتشه) مسرفاً في إيجاد الحلول لهذه الصعوبات. فدفتر ملاحظاته في (نامبورغ) زاخرٌ بالأفكار التي ابتكرها بسرعة، وبالتدوينات التي غالباً ما شُرحت بوضوحٍ والتي تعكس الطاقة والإثارة لعقلٍ يوسع مداه ورؤيته. ومع ذلك فإنه من الصعوبة فك تشفيرها بواسطة قارئٍ يفتقر إلى السياق الذي تم تدوينها بواسطته منذ البداية. كان (نيتشه) يسابق نفسه في التفكير أيضاً، أي أنه لا يكاد يرسم ملامح فكرة حتى يلمح منظوراً أكبر وسرعان ما يترك النظرة الأولى لأجل الفكرة الجديدة، وغالباً ما يعيد الكرّة حتى لا يبقى من الفكرة الأصلية إلا أثار باهتة. سيكون من المريح القول إنه حقق تقدماً واضحاً وشاملاً، وذلك إما أنه استطاع حل مشاكله أو أخذها إلى مستوى أعلى. ولكن هل فعل هذا حقاً، لو كان قد فعل لربما كان قد سجّل ذلك في وثيقة. ولكن بدلاً من ذلك تُظهر دفاتر ملاحظاته مقاطع مكتوبة ببراعة وتصل إلى حدودٍ فكرية لكن من دون أن تتخطاها تماماً. وهذا ليس إنكاراً أن إعادة بناءٍ شاملٍ لنظرية أساسية لا يمكن الوصول إليه. بيد أن القيام بذلك سيتجاوز نطاق هذه السيرة الذاتية، والتي يجب أن تحد نفسها على الخلاصات اللاحقة غير المناسبة والكئيبة.

أولاً، قام (نيتشه) بفحص مبادئ علم اللغة والتي على الرغم من ادعائها بأنها موضوعية،

(1) KSAB II: 255

(2) KSAB II: 262

إلا أنه اعتبرها في أساسها ذات قيمة جمالية. لإعطاء مثال سبق أن ناقشه (جيمس بورتر)، فقد لاحظ أن الإسكندريين الذين قاموا باختبار النصوص المنسوبة لـ(هوميروس) للتأكد من أصالتها، كانوا يختارون هذه المقاطع بناءً على ذوقهم الخاص، فعندما كانوا يرفضون أو يوافقون على أي أبيات، فإنهم كانوا يعبرون عن حكمهم كأنه مبني على شروط بحثية، ولكن في النهاية فإن قرارهم كان مبنياً على جمالية الشعر في تلك القطعة قيد المراجعة.[1]

ثانياً، درس (نيتشه) تاريخ البحث العلمي ((ويسنشافت)) خلال العصور القديمة، وناقش أن مثل هذه الأفعال كانت طفيلية على العمل الفني العبقري الذي يختبرونه. وأنه تم وضع نظام البحث العلمي لكي يساعد هؤلاء الذين لا يملكون موهبة شعرية على تذوق وفهم أعمال أبطالهم المتخيلين. وهو هنا لا يفسر وجهة النظر هذه بأنها سلبيةٌ بطبيعتها. وبينما هذه الفرضية قد تحط من قدر هؤلاء الذين يغالون في تقدير مهنتهم، فإن تركيزه الأساسي كان على كيفية تطور البحث العلمي تاريخياً ـ الطرق التي من خلالها يمكن للمتلقي أن يرتب ويصقل ما يتلقاه من أعمال نالت الإعجاب ـ .

واقترح بعد ذلك أن يُظهر كيف أن هذه الجهود الأولية قد عُمل عليها وعُدلت كدارسةٍ بحثيةٍ خلال العصور، ثم ظهرت في عمل علماء اللغة الكلاسيكيين في عصره.[2]

وأخيراً، بدأ (نيتشه) بإعادة النظر في بعض مناحي البحث العلمي، مثل إثبات المصادر.[3] وهي خبرةٌ شخصية قد يكون لها الأثر المحفز على خطوة كهذه. بعد أن فاز مقاله عن (ديوغنس لارتيوس) بجائزة الجامعة، عرض (نيتشه) البحث الأصلي على (ديدرك فولكمان)، خبير الـ«سودا» والذي كان يعمل معه على الأقل من الصيف الماضي. وهذه كانت المرة الأولى التي يرى فيها (فولكمان) البحث، واعتقد أن (نيتشه) يخطط أن ينشر باسمه اكتشافاتٍ ربما كانت من اكتشافات (فولكمان) نفسه. وفي رسالةٍ إلى (ريتشل) شرح (نيتشه) أنه و(فولكمان) كانا يعملان بشكلٍ منفصل، وأنهما توصلا باستخدام طرقٍ مختلفةٍ إلى نتائج متشابهة، «لا يحق لأي منا ادعاء الأسبقية لهذا [الكشف]، ولكنه سيكون محرجاً ومقلقاً لي،

(1) Porter 2000a: 63

(2) هذا هو الموضوع الأساسي للتاريخ الأدبي المذكور في الفصل 12 القسم 3

(3) جادل (ايغون فليغ Egon Flaig) بأن الباحثين في ذلك الوقت كثيراً ما اقترضوا من بعضهم بدون إسناد Flaig 2003: 11 وقد فشل في تفسير سبب شكوى الكثير من الكتّاب (فولكمان، على سبيل المثال) من هذا الاعتماد

نظراً لصداقتي مع (فولكمان) الرجل الرائع، إذا أعطى النشر المبكر لعملي أفضلية السبق لي *ظاهريًا*».[1] (نيتشه من قام بالتأكيد) وتبعاً لذلك فقد طلب الإذن لـ(فولكمان) لينشر مقالًا باسمه [باسم فولكمان] لاستكمال عمله [عمل نيتشه]. وافق (ريتشل)، ولكن ما سبب الإزعاج لـ(نيتشه)، أن (فولكمان) قام بالمماطلة، ثم قرر ألا ينشر المقال بعد كل شيء، مما تسبب بوقف نشر جزء (نيتشه) أثناء ذلك. وقد أصيب (نيتشه) بالدهشة أن أستاذاً من (شولبفورت) يمكن أن يسيء إدارة وقته إلى هذا الحد، عادت زمام الأمور إلى (نيتشه) مرة أخرى.[2] فقام بإرسال النسخة النهائية من عمله إلى (ريتشل)، مضيفاً إليها ملحقاً في الربيع.

ومع ذلك فإنه من الممكن أن تلك التجربة دفعته إلى النظر في الواجب المفترض على الباحث وهو أن يعترف بالمصادر. في دفاتر ملاحظاته جادل (نيتشه) أنه من عدم الأمانة للباحث العادي ألا يثني على سلفه « المتفوق فكرياً»، ولكن من جهة أخرى فعندما تعاد صياغة الأفكار فإن الإشارة إلى مصدرها يصبح أمراً غير ذي بال.[3] يمكن للمرء أن يلاحظ مصدراً واحداً على الأقل لكره (نيتشه) اللاحق للحواشي السفلية. ومن الغرابة بالنسبة للمؤرخ، أن اهتمامه يبدو منصباً على المواضيع المتعلقة بالأصالة، في حين أنه على الأقل منذ (رانك Ranke) ويمكن القول منذ (نيبور Niebuhr) فإن وظيفة الحواشي السفلية كانت نوعاً ما تقديم أدلةٍ مؤكدةٍ بحيث يستطيع الباحثون اللاحقون أن يتتبعوا مصادر الفكرة.[4]

في الوقت نفسه، وفي العديد من المداولات العصية على الحصر، فإنه يبدو أن (نيتشه) أخذ علم اللغة على عاتقه بمعنى أنه حاول أن يقرر لنفسه الأصل، والوظيفة، والوسيلة، والحدود. يمكنه فعل ذلك فقط بسؤال نفسه ما هي جوانب علم اللغة التي بدت صحيحةً في نظره ويتابع إلى النتائج المترتبة عليها. (يمكن للمرء أن يتذكر ادعاءه أن طرق البحث كانت تقوم على أساس الجمال في النهاية). وإلى حدٍ ما، فهو كان يستحضر شعار «اغْدُ ما أنت عليه» ليس فقط فيما يتعلق بسلوكه الخارج عن الأطر الأكاديمية، ولكن لكي يضعه في مواجهة «Wissenschaft» «ويسنشافت» أيضاً. في ربيع عام 1867 كان قد وحّد الهدفين حرفياً ـ عن طريق طباعة شعارٍ رسميٍ على أوراق بحثية مقدمة للأكاديمية ـ والآن خلال عامه

---

(1) KSAB II: 244

(2) KSAB II: 251, 255 ولرسالة (فولكمان) انظر KGB I - 3: 228

(3) KGW I - 5: 38 ولكن انظر 367

(4) يعرض Grafton 1997: 15 ما كان يمكن أن يكون وجهة النظر القياسية في وقت (نيتشه): «النص يقنع، الملاحظات تثبت»

في (نامبورغ) عمل على تقريب هذين العالمين من بعضهما أكثر. على الصعيد الشخصي، سوف يعمل على قيمه، بينما أكاديمياً سوف يكتشف منهجاً في علم اللغة يعتبره صالحاً بناءً على حدسه.[1]

كان (نيتشه) يعرف القواعد المعمول بها، وكان يعمل بها عندما يريد ذلك. وباستخدام أدواته الخاصة، اغتنم الفرصة ليرى الأمور بشكلٍ مختلف، مستكشفاً الأسس التي يقوم عليها البحث العلمي في ضوء استجاباته الخاصة [استجابات نيتشه].

لسوء الحظ كان لديه زملاء وحتى مشرفون ليرضيهم. وكما علم (نيتشه) بشكلٍ مؤكد، فإن طرق وتوجهات البحث ليست من اختراع شخصٍ بعينه ولكنها تعكس بروتكولات مجتمعية قامت ببناء معاييرها على مدى الألف سنة الماضية. وبناءً على ذلك، يمكن للمرء أن ينظر كم هو خطيرٌ على الصعيدين، الأكاديمي، وربما المعرفي، يمكن أن يكون مسار أفعاله. وغنيٌ عن القول إن هذا الشاب كان لامعاً وذا بصيرة ثاقبة. ولكنه مع ذلك كان في الثالثة والعشرين من العمر، وهناك جوانب في النظام الأكاديمي لم يكتسب فيها خبرة مع الوقت وتبعاً لذلك لم يستطع تقديرها حق قدرها.

ومن الممكن أنه لم يدرك ـ أو أنه لم يهتم ـ كيف يمكن أن تستجيب سلطات الجامعة بعمقٍ وبإجماع عندما يضع رؤيته الجديدة قيد التطبيق. ولكنه سوف يكتشف هذا في عام 1872 عندما ينشر كتابه الأول.

5

في أوائل مارس 1868، بعد مرور خمسة أشهر على بدء خدمته، عانى (نيتشه) من حادثٍ خطير.[2] كان أسير المنزل طوال الشتاء وعندما حل الربيع، كان متلهفاً ليعود إلى ركوب الخيل. في أحد الأيام عندما كان يعمل مع ما كان يدعوه «الحيوان الأكثر عناداً وجموحاً في المجموعة»، حاول أن يقفز على ظهر الجواد ولكنه أخطأه، فضرب صدره في مقدم السرج. أحس بفتقٍ مرتجف في جانبه الأيسر ولكن حاول أن يتجاهله. بعد يومٍ ونصف من الألم المتزايد، أغمي عليه مرتين، وفي اليوم التالي وجد نفسه «كأنه مثبت على السرير بمسامير»

(1) للاطلاع على نقد أساسي لعلم اللغة انظر KGW I - 5: 96 - 98

(2) ربما وقع الحادث في 5 أو 6 مارس. انظر Volz 1990: 362 وكذلك KSAB II: 261, 292. ذكرٌ سابق للمرض (KSAB II: 259) لا يشير بشكلٍ واضحٍ إلى الحادثة.

مع ألمٍ شديد وحمى ملتهبة.[1] وكشف طبيب الجيش أنه لديه تمزقاً في عضلتين وكدمةً في عظم القفص الصدري. وسرعان ما ظهر أنه عانى أيضاً من نزيفٍ داخلي والتهاب. ولمدة عشرة أيام عانى (نيتشه) من الألم، الحمى، وأخيراً التهاب المعدة والأمعاء. ولم يكن يعاني فقط من نزيفٍ داخلي، ولكن القيح المنتشر من الإلتهاب كان محصوراً تحت الجلد ولا يجد طريقاً للخروج. واضطر الطبيب إلى شق الجلد عدة مراتٍ لكي يخرجه، وأخيراً رُكبت له قناة تصريفٍ حتى يسيل السائل إلى الخارج. وخلال هذا الوقت كان (نيتشه) يأخذ المورفين ليلاً حتى يتمكن من النوم،[2] وتشير رسائله إلى أنه في عدة مناسباتٍ عانى من الإغماء. وكتب إلى (ريتشل) أنه اضطر إلى إعادة تعلم المشي.[3] والأسوأ من ذلك أن جروحه لم تشف، وفي نهاية المطاف، شخّص الأطباء ضرراً في عظم القص.

في 1 إبريل، بعد أقل من شهر على الحادثة، تلقى ترقيته العسكرية الوحيدة، من جنديٍ إلى جنديٍ أول. وقد ينظر إلى هذه الترقية على أنها مثيرةٌ للسخرية نظراً لضعفه وألمه، فهو لم يكن قادراً على أداء أيٍ من واجباته العسكرية. وبدلاً من ذلك فقد انتهز الفرصة لإعادة توجيه معاناته إلى طاقة غير عادية من الإنتاجية.[4] غير عالم بحالته، أرسل له (رود) دراسةً بعنوان «الحمار The ass»، وهو عملٌ ينسب في ذلك الوقت إلى (لوسيان Lucian)،[5] وطلب منه التعليق عليه. على الرغم من حالته الطبية، استجاب (نيتشه) مكرهاً، كاتباً نصف صفحةٍ من النقد، مستشهداً بالوثائق ومصححاً النقاط التي لم يوفق فيها صديقه في عرضه.[6] خلال الشهر التالي (بين 3 إبريل و12 مايو)، قرأ أطروحةً حول «وجهة نظر (كانت) حول حرية الإرادة»، وراجع طبعة «**ثيوجوني** ـ أصل الآلهة» لـ(هيسيود) لصحيفة جامعة (لايبزيغ)، وأضاف ملحقاً لمقاله حول (ديوغنيس لارتيوس)، وجمع مواد لأطروحةٍ مقترحة «مفهوم الدستورية منذ (كانت) The concept of the organic since Kant» وإعادة صياغة ورقة

---

(1) KSAB II: 292

(2) KSAB II: 262 في بعض الأحيان يلخص (فولز)، وأحياناً أخرى يوسع رواية (نيتشه) نوعاً ما، ويذكر الأدوية التي كان يأخذها: Volz 1990: 153 - 155, 361 - 365

(3) KSAB II: 267

(4) تجدر الإشارة إلى أنه خلال هذه الفترة كان في المنزل وتمت رعايته من قبل والدته وأخته. تذكر (فرانسيسكا) «واحداً وعشرين أسبوعاً قضيت في التمريض» Franziska Nietzsche 1994: 40

(5) هذا لم يعد يعتبر لـ(لوسيان) وتم الاقتباس تحت اسم (بسودو - لوسيان Pseudo - Lucian)

(6) KSAB II: 262 - 264 بعد كتابة هذا، انهار (نيتشه) وكان عليه الانتظار ثلاثة أيام قبل إكمال الرسالة.

بحثه حول (سيمونيدس Simonides) ليحولها إلى مقالٍ لمتحف «رينيشس».[1] وقد عانى بشدةٍ خلال إنجازه كل هذه الأعمال ولكنه استمر بالرغم من ذلك، فكتب إلى (ريتشل) في 26 مايو» الجرح فوق عظم القص ما يزال مفتوحاً وقد بدأ التقيح يغزو العظم، وقد أدهشني مؤخراً بروز جزء صغير من هيكلي العظمي». وأضاف ببعض الفخر وبحقيقة لا تنكر «لقد نفد صبري، ولكن مع كل هذه الغمة، فإن نشاطات علم اللغة والفلسفة تبقيني قوياً ونشيطاً».[2] قد تعكس هذه الإنتاجية غير العادية انفراجةً بعد أن كان مرهقاً بأداء واجباته العسكرية. وقد تعكس أيضاً ارتياحه بإنجازه مهماتٍ مميزة بعد إحباطه بسبب مشروع «ديمقريطس» العصي على ربط أجزائه. وبالتأكيد تشير إلى إدراكه بأن وقته قد يكون محدوداً وأنه إذا لم ينتج الآن فإن الفرص قد تضيع منه للأبد. كما كتب لـ(رود):

«ليس فقط أن مرضي لم ينته... ولكن الأسوأ ربما لم يأت بعد. يستمر التقيح، عظم القص مصاب، وحتى أن الطبيب اقترح اليوم إجراء عملٍ جراحيٍ في المستقبل القريب بسبب نتوء قطعة من العظم، وأيضاً يجب عليهم أن يقطعوا الأجزاء الضعيفة و«يصغروها»... وذلك «ببتر» العظام المتأثرة، أي عظم القص. وعندما يكون المرء تحت مبضع الجراح، أنت تعلم كيف يشعر بماهية هذا الخيط الواهن الذي يتعلق بنهايته ذلك الشيء الذي ندعوه الحياة. ها قد اجتاحني القليل من حمى القيح، ويذهب معها القليل من الضوء. مشاعري كانت غريبةً عندما بدأت قطعة العظم من هيكلي العظمي فجأة تسبح خارجةً عبر قناة التصريف وتصبح مع الوقت دليلاً على أن خطط رحلة (باريس) أو التأهيل (شهادة متقدمة تعطي حاملها حق التدريس) ربما أصبحت مستحيلة. لن تعرف مدى هشاشة الوجود حتى ترى قطعة صغيرة من هيكلك العظمي. وبالمناسبة، أنا أعمل بتلهفٍ «خلال النهار» على قضايا علم اللغة... وعموماً فقد كرست بطالتي الإلزامية لأركز بقوةٍ وأرتب دراساتي. تُصبّ نوايا محددة لتصبح قوالب أكثر تحديداً. تطوف رؤىً شبه محسوسة من حولي. ولكن لا يا صديقي العزيز أنا لا أنطفئ بهذه السهولة».[3]

لم تقتصر طموحات (نيتشه) على علم اللغة. هو يذكر في رسالته لـ(ريتشل): « نشاطات في علم اللغة و***الفلسفة***» (تمت إضافة التأكيد)، وخلال فترة ضعفه الجسدي قرر أن يحصل

(1) KSAB II: 265, 266, 267, 274, 279

(2) KSAB II: 280

(3) KSAB II: 289 وللإقتباس من الكتاب المقدس انظر John 9:4

لا على درجةٍ واحدة بل درجتين، الثانية كانت في الفلسفة.[1] وهذا ينطوي على الكثير من العمل وسيشتت تركيزه، وهو نفس الخلط الذي استنكره سابقاً في (بون).[2] ومع ذلك، فقد تصرف بناءً على هذا الطموح لفترة، وليربح درجته في الفلسفة فقد قرر أن يكتب بحثاً بعنوان «مفهوم الدستورية منذ (كانت)» ـ وقد دعاها أيضاً «في الغائية On teleology» ـ وهو «عملٌ نصف فلسفي ونصف علمي» ـ تقريباً كما كان يفعل (لانج).[3] وعلى الرغم من أن (نيتشه) كتب بحثاً مهماً، وكتب إلى (ديوسن) أن النسخة الأولية من أطروحته كانت «مكتملةً على نحو لائق»،[4] فإن الملاحظات التي جمعها كانت صعبةً بشكلٍ كبيرٍ على التفسير إلى درجة أن القليل فقط حاولوا ذلك بجدية.[5] يبدو أنه كان يعتزم رفض أي اقترابٍ غائيٍ من أي نوع، وهذا الموقف يعكس فهمه لـ(لانج) و(ديمقريطس). وبتناغمٍ أقل حماسةً مع (شوبنهاور)، والذي كما قد يتوقع المرء، كان عمله ضمن فلسفةٍ مبنيةٍ على الإرادة مشبعاً بالطريقة الغائية، مع العلم أنه قد تثبت اللاغائية في نهاية المطاف. وربما خلال نفس الفترة كتب نيتشه نقداً موسعاً لميتافيزيقيا (شوبنهاور).[6] وبينما كشف (ساندرو باربيرا Sandro Barbera) أن هذ الملاحظات استندت إلى حجج آخرين (بالأخص رودلف هايم Rudolf Haym)،[7] فإن نيتشه لم يجادل في هذه الإدعاءات، وبينما كان تحليل (هايم) (وتبعاً لذلك نيتشه) غير متوازن بشكلٍ كامل، فإن ذلك نادراً ما يهم. طالما أنه سبق أن اقتنع بحجج (فريدريك لانج) المدمرة فإن كلاً من هذين المخططين الفلسفيين لم يكتمل. لم يذكر (نيتشه) أبداً نقده لـ(شوبنهاور)، وتخلى عن أطروحة (كانت) متعللاً بأنها غير مناسبة.[8]

بينما كان يشاهد شظايا من عظم قصه تخرج ويقارن نفسه في كثير من المرات

---

(1) KSAB II: 265

(2) انظر الفصل 6 القسم 1 و5

(3) في رسائل إلى أصدقائه يسرد (نيتشه) مرتين العنوان باسم «[في] مفهوم العضوية منذ كانت» (KSAB II: 269 and 274) وفي أوراق بحثه تعطى الترويسة كـ«في الغائية»

(4) KSAB II: 269

(5) استثناءات: Crawford 1988 and Swift 2005.

(6) KGW I - 4: 418 - 427, 429 - 430 للاطلاع على ملخص لجدله بالإنجليزية انظر Janaway 1998: 18 - 19 - ولترجمة إلى الإنجليزية انظر Janaway 1998:258 - 265 وCrawford 1988: 226 - 232 وأعيدت الكتابة في Ansell Pearson and Large 2006: 24 - 29

(7) Barbera 1995 and 1999

(8) KSAB II: 274

بـ«فيلوكتيتس Philoctetes » لـ(سوفوكليس Sophocles) [فيلوكتيتس شخصية المسرحية الرئيسية المنفي على جزيرة والمصاب بعضة أفعى]، التفت (نيتشه) وبمفاجأة بالغة إلى صديقٍ قديم، الخطيب والمتعاطف (بول ديوسن). لكي نكون عادلين مع (نيتشه)، فإن (ديوسن) تصرف بطريقةٍ مخادعة، أطلق وعوداً لم يحفظها ـ وخصوصاً تأكيده أنه سيدرس علم اللغة في (لايبزيغ) ـ وتجاهل بصمتٍ وبشكلٍ متكررٍ دعوات (نيتشه) لزيارته في الجامعة أو في (نامبورغ). الآن (نيتشه) يطلب لا بل يتوسل زيارة منه. في بداية يونيو عندما كان مرضه في حالة متقدمة، كتب «عندما تغادر البيت مرةً أخرى [بعد الأعياد] لتتحمل العذاب في (برلين)، أجبر نفسك على السفر إلى (نامبورغ)».[1] بعد ثلاثة أسابيع وفي 22 يونيو، وصف حالته بوضوح «عظمةٌ صغيرةٌ تلو أخرى تخرج من قناة التصريف مما يظهر مدى تضرر عظم القص»، وأضاف كلماتٍ على الرغم من مرحها الظاهر لكنها تكاد تكون استجداءً: «يجب عليك... زيارة (نامبورغ) خلال عودتك إلى (برلين). في الأساس هو عملياً واجبك أن تزور صديقك المريض في وقتٍ ما. سيكون من الفظيع تماماً أن تفعل ذلك. حتى (أفلاطون) المقدس لن يغفر لك هذه الخطيئة»[2]

لم يأت (ديوسن)، ولا توجد أي رسالةٍ توضح أسبابه. وبدلاً من ذلك فقد تلقى (نيتشه) زيارةً من اثنين من الطلبة اللذان وعدا ـ وفشلا ـ بكتابة مقالاتٍ لـ«Festschrift الكتاب التذكاري»، وهو أمر لم يتم أبداً. أحدهما كان (إرنست ويندیش Ernst Windisch)، وكان مخلصاً لـ(نيتشه) وسوف يقدم له عدة خدماتٍ مميزة في العام القادم. (لقد كان هو من قدم صديقه لمنصب ناقدٍ لصحيفة «لايبزيغ» المميزة). في هذه الأثناء، كان (ويندیش) قد حول اختصاصه مؤخراً إلى «السنسكريتية»، وهو الآن يدرس بإشراف (هيرمان بروخهاوس Hermann Brockhaus)، زوج (أوتيلي Ottilie) وهي شقيقة (ريتشارد فاغنر)، وهي علاقةٌ سوف يتضح فيما بعد كم هي هامة. عدا عن هذين الاثنين، يبدو أن نيتشه لم يتلق أي زياراتٍ من أيٍ من أصدقائه في (لايبزيغ)، وهذا مؤشرٌ يدل على قلة اهتمام الطلبة الجامعيين، وأيضاً مؤشرٌ على قلة عدد أصدقائه المقربين.

(1) KSAB II: 282 على الرغم من أن (نيتشه) لا يذكر مرضه في هذه الرسالة، فإنه يختم «اكتب لي في نامبورغ. ستصل رسالتك لي طالما بقيت حياة في داخلي. رغم أن هذا الشيء الخافق يستطيع في بعض الأحيان أن ينطلق خارجاً» (285)

(2) KSAB II: 290

في هذه الأثناء كان (نيتشه) محقاً أن العملية كانت خطيرة. في 25 يونيو، زار الطبيب الجراح (ريتشارد فولكمان) في (هاله)، (فرانسيسكا) هي من اكتشفت (فولكمان)،[1] ومن بين كل أطباء (نيتشه)، كان (فولكمان) مغامراً لا يشق له غبار وكان مستقبله متميزاً أمامه.[2] خلال حرب عام 1866 كان قد عالج الجنود في أعقاب معركة (كونغراتز)، وأصبح خبيراً في معالجة (الغرغرينا). وقد تعرف عليه (نيتشه) في بداية حياته المهنية، وهذا الطبيب المقدام ربما يكون قد أنقذ حياة فيلسوف المستقبل. نصحه (فولكمان) بتأجيل الجراحة واستبدالها بقضاء شهرٍ في منتجعٍ صحيٍ خاص به قرب (باد ويتكيند Bad Wittekind).[3] وإذا لم يتحسن بعدها، فإنه من الممكن أن يقوم بالعمل الجراحي. لم يترك (نيتشه) أي وثيقةٍ حول ردة فعله لهذه المقابلة، ولكنه عاد في ذلك العصر إلى (نامبورغ)، وضب أغراضه، وغادر إلى (لايبزيغ) حيث زار عائلة (ريتشل) وبعض الأصدقاء. ثم تابع إلى (ويتكيند) في 30 يونيو. ولابد أنه كان تحت ضغطٍ استثنائي، ويبدو أنه خلال هذا الوقت تبادل الإعجاب مع زوجة (ريتشل)، (صوفي)،[4] التي قدمت للشاب (نيتشه) كتاباً عن الموسيقا.[5] وبعد دخوله المنتجع بفترةٍ قصيرة، اتبع خطى (صوفي)، وذلك بأن قدم بدوره كتاباً لشخصٍ آخر. يبدو أن اختياره الخاص كان أقل توفيقاً، وتقبله من الطرف الأخر يكشف الكثير عن الديناميكيات في مجتمع (نامبورغ) في ذلك الوقت. بعد عشرة أشهرٍ من إقامته في المنزل، وهي أطول فترة قضاها هناك منذ الثالثة عشرة، لا بد أن رحيل (نيتشه) ترك فراغاً في العائلة. وقد وصفت (إليزابيث) شعور الغياب في رسالة. «أين هي الحوارات النابضة بالحياة بينك وبين والدتنا العزيزة؟ أين نداؤك الجميل: ليزبيث! الذي يجرني من طرف محايدٍ إلى معركة، وأين وجودنا معاً لنقرر إلى أي حدٍ أهينت آلهة الجمال الجميلة؟ الآن كل ذلك انتهى، والباقي صمت».[6] وإذا كانت قد حزنت بالفعل على رحيل شقيقها، فإن هديته لها لا يمكن أن تبهجها. كان عيد ميلاد (إليزابيث) في 10 يوليو، وأرسل لها (نيتشه) الملزم بالمنتجع كتاباً بعنوان «النظام والجمال

---

(1) Franziska Nietzsche 1994: 40

(2) Trieder 2006: 38 - 41 سوف يترأس (فولكمان) لاحقاً مجموعة من الأعمال الجراحية ويتلقى الجوائز. ألّف أيضاً كتاباً عن حكايات الجنيات وتم تقبله بنجاح كبير ولا يزال متاحا بطبعة،) ريكلام Reclam (

(3) إن (ويتيكند) الآن هي جزءٌ من (هاله)

(4) KSAB II: 296

(5) لدراسة موسعة للكتاب واستجابة (نيتشه) انظر Prange 2011

(6) KGB I - 3: 271

في الموقد المحلي Order and beauty at the domestic hearth». (إليزابيث) التي لم تكن لا جميلة ولا تكرس وقتها للأعمال المنزلية، ردت بسخريةٍ على اختياره وذكّرت أخاها أنها لم تكن بدون ذكاء، كما أثبتت ذلك باقتباسها جملةً (جاءت في موضعها) من «باريرغا وباراليبومينا Parerga and paralipomena» لـ(شوبنهاور).[1] ربما تستجيب لخوفٍ خفي وراء هدية شقيقها، كما أخبرته أنها قد تصبح بسهولةٍ «خادمة عجوز» وجعلت هذا التعليق يبدو مرحاً، ولكن القضية كانت خطيرةً بالنسبة لـ(إليزابيث)، ليس لأسباب رومانسية ولكن لأسباب اقتصادية، وإذا كان أخوها قد أثار هذا الإحتمال بشكلٍ غير مباشر، فإن والدتها، التي كانت دائماً تشعر بالقلق إزاء زواجها، ربما لن تجد طريقةً لتعبر عن خوفها من القدر بمثل هذا التفصيل المصور، وهو الاستشهاد بحالتين لفردين من العائلة[2] اللتين لم يسبق لهن الزواج أو الترمل، وأحياناً يعشن في فقر حقيقي وعوز. كانت الحدة تزداد بشكلٍ واضحٍ في بيت (نامبورغ)، وبالنسبة لـ(إليزابيث) فقد ارتحلت قريباً في عطلةٍ إلى (سكسونيا) الشرقية وفي رسالةٍ أرسلتها ذكرت الشجار.[3]

قد يظن المرء أنه إذا كان (نيتشه) محتجزاً في المنتجع محاولاً الشفاء وتجنب الجراحة، فيجب عليه أن يعيش بهدوء، يشرب الماء، ويشرب الشاي، وتُمسح جروحه يومياً باليود.[4] ويبدو أنه بدأ إقامته بهذا الأسلوب، ولكن بعد ثلاثة أسابيع على ذلك، هنأه طبيبه المعالج على شفائه السريع وأخبره أن العمل الجراحي لم يعد ضرورياً.[5] لم يكن (نيتشه) بعد قد أُخرج من المنتجع، ولكنه اغتنم الفرصة وأخذ مغادرةً مؤقتةً ليزور عائلة (ريتشل) وليحضر احتفالاً موسيقياً في (ألتنبورغ).[6] هذا التشافي غير التقليدي يبدو أنه قد حسن حالته. بحلول 29 يوليو، عاد إلى (ويتكيند) وأخبره (فولكمان) أن بإمكانه المغادرة «في أيامٍ قليلة».[7] وبمساعدة من أمه النشطة (ومن المحتمل أخته أيضاً) فقد ودع المنتجع نهائياً في 2 أوغست.

إن المحنة القاسية التي استمرت خمسة أشهرٍ قد انتهت الآن. وعلاماتها الدائمة هي

(1) KGB I - 3: 274

(2) Sidonie Knieling and Lina Nietzsche

(3) KGB I - 3: 282

(4) KSAB II: 300

(5) KSAB II: 308

(6) انظر Prange 2011: 58 ff

(7) KSAB II: 301, 302

ندوبٌ وشق عميق في الصدر حيث فُقدت بعض العظام.[1] كان (نيتشه) مازال ضعيفاً وعرضةً للانتكاس وكان عليه أن يأخذ احتياطاته عند الاستحمام، ولكنه بشكلٍ أساسيٍ فقد شفي.[2] أما بالنسبة للجيش، فقد تطلع إلى أن يتم تسريحه من الخدمة بسبب عدم الملاءمة الصحية،[3] لكنه لن يسرح رسمياً حتى عيد ميلاده بعد عامٍ كاملٍ من دخوله الخدمة.[4] وقد قال «مهنتي كمحاربٍ لم تبلغ مجدها»، [5]على الرغم من أنه حاول مرةً أن يتخلص من سوء حظه عن طريق محاولةٍ مبكرةٍ (فاشلة) ليصبح ضابطاً. خلال هذه الفترة وتحت طلب من (رود)،[6] أخذ صورةً فوتوغرافية بالزي الرسمي للضابط، لأنه تصور مع سيف وبصرف النظر عن الأذى الذي لحق بصدره فإن الصورة ستكون التذكار الوحيد من عامه الشاق في الجيش. لكن مما يدعو للأسف أن هذه الصورة أصبحت غير محببة، وهو حكمٌ أطلقه (نيتشه) عندما حاول أن يشرح لـ(رود) كيف سارت الأمور بشكلٍ خاطئ. لقد أظهرته، باعترافه، بوضعيةٍ عدائيةٍ نوعا ماً، ناظراً إلى صديقه بوقاحة، وبسيف على جنبه، وبتعبير «نزقٍ ومكدر» على وجهه. «ولكن لماذا يجب أن تزعجنا هذه الصورة البائسة...؟ لماذا يجب أن نكون دائماً مستعدين مع سيفنا؟ وعندما نكون على وشك الاندفاع نحو [صديقنا]، ماذا يفعل هو؟ ينحني تحت معطفه ويصرخ، توقف».[7]

(1) KSAB II: 308
(2) KSAB II: 311
(3) KSAB II: 308 - 309
(4) KSAB II: 324 - 325
(5) KSAB II: 292
(6) KGB I - 3: 247
(7) KSAB II: 307

الفصل الرابع عشر

هدية الحصان

[من مبدأ Don't look a gift horse in the mouth اقبل الهدية رغم علتها]

يقبع مستقبلي في الظلام أمامي، لكن ذلك لا يزعجني[1]

1

خلال الأشهر الأخيرة من تعافيه، توفرت لـ(نيتشه) عوامل كافية لتحقيق إرضائه. حيث كانت ترتسم ملامح نهاية حياته العسكرية وتم قبول بحثه الأخير عن (دانيلايد Danaelied) من قبل متحف «رينيشس». ونجا للتو من جراحةٍ كان من الممكن أن تودي بحياته. وبصموده أمام تلك المصاعب، تبدد خوفه من إمكانية إنهاء حياته الدراسية. في ذلك الوقت وفي الولايات الألمانية، كان على (نيتشه) أن يتخطى عدداً من الامتحانات الشاقة ليحصّل شهادتي الدكتوراه والتأهيل.[2] من الجهة النظرية، تتطلب كلا الشهادتين السابقتين رسالة بحثٍ منفصلة، وبالرغم من صعوبة تحصيل الشهادة الثانية (شهادة التأهيل) لم تُثنَ عزيمته. كان من الواضح أن (نيتشه) اعتقد أنه سيتخطى الاختبارات بطريقةٍ أو بأخرى،[3] ولم يبد اهتماماً للأطروحة التي كان عليه تقديمها.[4] لكن بالفعل بعد كل ما سبق كان قد أثبت علو شأنه.

(1) KGW I - 4: 506

(2) لم يمنح «التأهيل Habilitation» بحد ذاته إذناً بالتدريس ولكنه شرطٌ مسبق. - Paulsen 1885: 130 131 وللاطلاع على تاريخ موجز انظر Boockmann 1999: 211 - 214

(3) KSAB II: 276 لقد تجنب (نيتشه) الامتحانات في الواقع. وعلى كلٍ فإن هذا الاستثناء كان فريداً في تاريخ الجامعة. Heise 2000: 181

(4) كثيراً ما تفكر (نيتشه) بمواضيع أطروحةٍ مثل «هيسيشيوس Hesychius» (KGW I - 5: 71 - 73, 310 - 315) و«باترونيميكش patronymics»

ما بعد مرحلته الجامعية لاحت في الأفق بوادر احتمال رحلته الى (باريس). مع أنه لم يكن متأكداً من موعد سفره، لكن ضمن إحدى رسائله على الأقل، ووفقاً لـ(ريتشل) كان قد حدد موعد سفره بحلول الفصح القادم الذي سيحين في أقل من ستة أشهر.[1] كانت رؤيته لهذه الرحلة حالمةً وغير مركزة. كان هو وصديقه (رود) على علمٍ بسمعة المدينة السيئة ـ استشهد (رود) ساخراً بروايةٍ اسمها «محطمٌ في باريس Ruined in Paris» ـ [2] وتصور (نيتشه) أيضاً بشكلٍ فكاهيٍ حياةً من الإنغماس الرومانسي «لأجل معرفة القدرة الإلهية لرقصة الكانكان الفرنسية ولشرب «السم الأصفر» [الأفسنتين ـ شراب مسكر]».[3] غالباً ما تخيل (نيتشه) نفسه مع آخرين من أصدقاء مدعوين[4] إلى هيئة تجمعٍ ألمانيٍ أكاديميٍ في المدينة.[5] وعلاوةً على ذلك تصور نفسه مع (رود) كـ«زوجٍ من الفلاسفة المستهترين اللذان سيراهما الناس سويةً في كل مكان».[6] كانت تلك الخيالات مدعومةً بشكلٍ مشابهٍ من قبل رفيقه الأكثر اندفاعاً، حيث أن هذه المغامرة مشتركةٌ بين الاثنين، وتكمن معظم جاذبيتها في مفهوم الاتحاد. «لكن رجاءً لا تنسى رحلتنا إلى (باريس)»، قال (رود) مترجياً وأضاف، «إن هدفي الحقيقي من وراء الرحلة ليس علم اللغة أو الأخلاق، بل انتهاز فرصة قضاء الوقت معك قبل الشروع بمهامنا الأكثر صعوبة».[7]

بالنظر إلى تلك المعطيات، ليس من المستغرب أنه كان ينبغي على (نيتشه) أن يدخل إلى (لايبزيغ) مرةً ثانية بشكلٍ منتصر.[8] وكما ذُكر سابقاً، كان (نيتشه) قد قرر التخلي عن اللقب البغيض «الطالب».[9] وبذلك أوضح أنه خرج من بوتقة النشاطات الصبيانية التي تماشت مع

(KGW I - 5: 315 - 319, 321 - 328, 329 - 330, 331 - 333) وللحصول على أمثلة أخرى انظر KGW I - 4:437, 32; KGW I - 5: 177, 338, KSAB II: 214, 259, 274, 324 ;356

(1) KGB I - 4: 548; KSAB II: 309, 311

(2) KGB I - 3: 243

(3) KSAB II: 304

(4) أيضاً طُلب من (موشاك وجيرسدورف وديوسن وروموندت وكليباول) الزيارة انظر KSAB II: 205, 309, 313; KGB I - 3: 245 - 246

(5) انظر على سبيل المثال KGW I - 4: 434 - 435

(6) KSAB II: 358

(7) KGB I - 3: 297 - 297 انظر أيضاً 311

(8) KSAB II: 310

(9) الفصل 12 القسم 4

منزلة «الطالب» الأقل شأناً. (سيمتنع عن المسرح والحانات.)[1] وأيضاً وجّه عائلته بمراسلته مستخدمين لقب «السيد الدكتور نيتشه»، طلبه هذا أوضح أنه قيد الانتقال لهويته الجديدة الأكثر تميزاً.[2]

أخيراً، كان قد عزم على «التحول لشخصيةٍ مجتمعيةٍ أكثر مما سبق».[3] لا بد أنه ذكر هذا الطموح لـ(ويندبش)، الذي دبر لـ(نيتشه) غرفةً في سكن (كارل بيدرمان Carl Biedermann) بعد وصوله (لايبزيغ) بيومين، وهو شخصيةٌ مذهبيةٌ ذات تأثيرٍ على المشهد السياسي في (لايبزيغ).[4] بالرغم من سخرية (نيتشه) من مضيفه كان معجباً به وذلك أمرٌ مفهوم.[5] بدايةً رُسمت عن طريق علم اللغة وبدأ (بيدرمان) حياته المهنية كأستاذٍ للفلسفة وفي شبابه كان قد نشر دراسة بمجلدين عن الفلسفة الألمانية من زمن (كانت) لوقته الحالي.[6]

انتقل بعدها إلى السياسة، وخلال ثورة 1848 شغل مناصب ذات تأثيرٍ كبير.[7] وكانت السلطات الملكية قد قامت بتهديده لنشاطاته اليسارية، حيث أنهم خلال 1853 ـ 1854 حكموا عليه بشهرين في السجن وتجريده من منصبه في الجامعة. وتلتها 10 أعوامٍ في المنفى، قام (بيدرمان) خلالها بالإشراف على تحرير العديد من الدوريات من ضمنها كانت «ألغماينه تسايتونغ الألمانية Deutsche Allgemeine Zeitung»، وهي عبارة عن صحيفة تقرأ من قبل الليبراليين في (ألمانيا). واستمرت تلك الحال لحين عودته الى (لايبزيغ) في 1863 وبعدها بعامين استرجع الأستاذية التي سلبت منه.[8]

ولعددٍ من الشهور التي تلت، سكن (نيتشه) في منزل (بيديرمان). انطلقت بيئة (بيدرمان)

---

(1) KSAB II: 330, 331

(2) KSAB II: 326

(3) KSAB II: 321

(4) التالي يستند على Bazillion 1990: 44 - 48, 50 - 53, 63 - 89, 153 - 184, 219, 246 - 251, 313

(5) KSAB II: 331 وكان قد بدأ بالفعل بالسخرية من الرجل في وقت مبكر من أغسطس KSAB II:.1866 150, 159 انظر أيضاً 181

(6) الفلاسفة التي تمت معالجتهم هم (كانت وفيشت وشيلينغ وهيغل وهيربارت)

(7) ودعاه (جيمس شيهان James Sheehan) «المحرك الرئيسي» لثورة 1848 في (ساكسونيا). Sheehan 1989: 670 ومن بين النشاطات الأخرى فقد كان (بيدرمان) عضواً في الوفد الذي قدم تاج العموم الألماني لـ(فريدريك فيلهلم الرابع) - رفض الملك بشكلٍ واضح - كما أشار (نيتشه) فإن زوجته كانت أخت (أوتو كوتش Otto Koch) عمدة (لايبزيغ). KSAB II: 331

(8) بعد التوحد أصبح (بيدرمان) ممثلًا للـ«رايخستاغ Reichstag» [البرلمان]

السياسية والاجتماعية متضمنةً نخبة شخصيات (لايبزيغ) السياسية والثقافية. وحتى ذلك الوقت كان (نيتشه) قد فحص المجتمع الباذخ من موقع الطالب الجامعي ذي المرتبة الأدنى. أما الآن فتراه يجلس مع مجموعةٍ عصريةٍ مرتين في اليوم على الطعام (على الرغم من أن بعض الضيوف ذوو سمعةٍ سيئةٍ اليوم). وفي حين أنه ربما كان يسخر من هذه الشخصيات، إلا أنه كان سعيداً بوجوده بينهم. كان من بين رواد هذه الجلسات الذين انسجم معهم (نيتشه) ممثلة كان قد أعجب بها هو و(رود) سابقاً، ونجل ناشر الموسيقا الباريسية (غوستاف فلاكسلاند Gustave Flaxland).[1] التقى (نيتشه) هناك أيضاً بالكاتب المسرحي والمخرج، والصديق السابق لـ(فاغنر) (هينريك لاوب Heinrich Laube) الذي كان قد انتقل من (فيينا) للتو ليستلم إدارة مسرح (ستادت Stadt) في (لايبزغ).[2] من الواضح أن (نيتشه) كان مستمتعاً بمخالطته لهذه الشخصيات الساحرة: أرسل صورة الممثلة لصديقه (رود) ووصف (لاوب) بإسهابٍ في رسالة.[3] قام (نيتشه) أيضاً بدعوة (غوستاف كروغ) لزيارة مسكنه الجديد ليثني على التغييرات الإيجابية التي طرأت عليه منذ العام الفائت «عندما كنت نصف (شوبنهاور)، ونصف ضابط».[4]

كان (نيتشه) مدركاً أنه في نهاية المطاف سيتوجب عليه تنظيم أموره وإكمال متطلبات تخرجه، وتوقع بعدها أنه سيقضي عدة أعوامٍ كمعيدٍ في الجامعة.[5] إن المعيدين هم مدرسون مؤهلون بدون منصبٍ مأجور، مسموحٌ لهم تدريس الطلاب وإلقاء المحاضرات كالأساتذة في القاعات نفسها.[6] غالباً ما انتظر المعيدون لعقودٍ من الزمن لحين موت أحد أعضاء الهيئة التدريسية حتى يشغلوا مناصبهم، حيث وصف (نيتشه) مجمع المعيدين كواحدٍ من

(1) حصلت (فلاكسلاند Flaxland) على الحقوق الفرنسية في الكثير من موسيقى (شومان) فضلًا عن أربعة من أوبرا (فاغنر) وهي
(Rienzi, Der fliegende Holländer, Tannhäuser, and Lohengrin) وفي رسالةٍ دعا (نيتشه) زميله في الطاولة «أعظم ناشر موسيقا
في باريس» ويبدو أنه أخطأ بين الأب والابن KSAB II: 331

(2) كان (لاوب Laube) في شبابه صديقاً جيداً مع (ريتشارد فاغنر) ومع ذلك كان قد نشر للتو مراجعة سلبية لـ«الموسيقار الكبير» والتي أعيدت
طباعتها في صحيفة «لايبزيغ» ولم يسامحه (فاغنر) أبداً. Newman 1933 - 1946 IV: 143 - 145

(3) KSAB II: 332, 351

(4) KSAB II: 343 كان (نيتشه) برتبة مبتدئ السنة الفائتة على الرغم من أنه كان تحت التمرين ليتلقى ترقية

(5) KSAB II: 329

(6) انظر Paulsen 1895: 126, McClelland 1980: 166 - 168, Fallon 1980: 43 - 44

«الاستحالة المصفاة».[1] لكنه في نفس الوقت لربما تطلع للحصول على مرتبتهم، حيث أن المعيدين شغلوا مرتبةً وسطيةً بين الأستاذ والطالب، وبهذا يخضع لالتزامٍ رسميٍ أقل.[2]

على أي حال أقنع (نيتشه) نفسه بعدم التسرع لتحصيل مرتبة أكاديمية. «هل تريد بالفعل الإرتقاء بسرعةٍ قدر الإمكان بكلتا القدمين مباشرةً لمنصب جامعي؟» سأل (ديوسن). «رغبتي عكس ذلك: الإبتعاد عن القيود الخارجية لأكبر وقت ممكن».[3] يمكن أن يكون (نيتشه) مجتهداً لا يكل لكنه لا يحب الاضطرار أبداً «القيود الخارجية»، وكانت رغبته تأجيل انخراطه بالحياة المهنية قدر المستطاع. كان له في ذلك الوقت ما يشغل باله فهو لم يكمل فهرس (ريتشل) بعد، وخلال الأسبوع الأول من نوفمبر ألقى محاضرةً لجمعية علم اللغة عن (مينيبوس والكلبيون Menippus and the Cynics) [الكلبية أو التشاؤمية هي مذهبٌ فلسفي]. وراجع أيضاً عدة كتب لأجل صحيفة (فريدريك زارنك Friedrich Zarncke) «سينترالبلات الأدبية Literarisches Centralblatt)، التي تنشر دورياً والتي أسهم فيها منذ الربيع السابق.[4] وجليٌ أنه لم ترقَ أيٌ من تلك الأعمال الموجهة لتكون جزءاً من أطروحة، على الرغم من أن (نيتشه) كتب مداخلاتٍ كثيرة عن هذا الموضوع في مذكراته.

لربما عكس اهتمام (نيتشه) بالتميز الاجتماعي تحولاً في وضعه القانوني. ففي 15 أكتوبر 1868 أصبح عمره 24 عاماً، وبالتالي أصبح مسموحاً له أن يُعتق نفسه من سيطرة الوصي القانوني الذي كان قد عُين عند وفاة والده.[5] والذي كان قد أمد (نيتشه) بالمال منذ 1849 حتى ذلك الوقت، غالباً عن طريق (فرانسيسكا) كوسيط. بالرغم من أن وصاية (بيرنارد دايشل) لم تكن جائرة، لكن وجود هذه الفكرة بحد ذاتها تجعل (نيتشه) يستشيط غضباً. يبدو أن نقل الوصاية القانونية المالية استكمل في منتصف نوفمبر، وأخيراً استطاع (نيتشه) التحكم

(1) KSAB II: 276

(2) انظر KSAB II: 329 لتبني (نيتشه) هذا الوضع.

(3) KSAB II: 206

(4) شارك بواجبات نقدية في الـ(سنترالبلات) مع معلمه السابق من (شولبفورت) (ماكس هينز Max Heinze) وفي هذه الأثناء كان قد طلب
(ألفريد فليكسين Alfred Fleckeisen) علمٌ باللاتينية وصديق لـ(ريتشل) الحصول على (حوليات الكلاسيكيات Jahrbücher für classische)
في علم اللغة وهو طلبٌ قبله (نيتشه)، رغم أنه لم يكتب أبداً في ذلك الموقع 21 - 20 :4 - KGB I

(5) على الرغم من أن (نيتشه) احتفل بعيد ميلاده الرابع والعشرين في 15 اكتوبر 1868 فقد استغرقت الإجراءات القانونية حتى منتصف نوفمبر.
وبما أن (نيتشه) كان في (لايبزيغ) فإنه تم القيام بالاجراءات من قبل (فرانسيسكا) غالباً.

بموارده المالية.[1] ذلك كان الوقت الذي وأخيراً بحلوله أخبر (نيتشه) والدته بأنه استطاع أن يقوم بغسل ملابسه بنفسه.[2]

حمل حلول عيد ميلاد (نيتشه) طابعاً رمزياً أيضاً. اعتقد أنه بإتمام المرء لعامه الرابع والعشرين فإنه تم تشكل الإطار الذهني بشكلٍ أساسي ولحدٍ ما بشكلٍ ثابت. وكما كتب بعد عدة أشهر، «من المفروض أن أعتبر أي إنسانٍ بسن الرابعة والعشرين قد مرّ بأهم مجريات حياته من قبل حتى لو لم ينجز ما يجعل حياته ذات قيمةٍ إلا بعد ذلك. لحد ذلك العمر تبقى الروح الفتية تستخلص النماذج من كل التجارب التي تشكل حياتها وأفكارها، وأبداً، لن تخرج من إطار تلك النماذج».[3] ذلك القرار لربما كان تحت تأثير العمر الذي بلغه حينها، وبدا حقاً أن (نيتشه) آمن بأنه يدخل مرحلة نضوجٍ أكبر من مجرد استقلاليته القانونية. متحرراً من خجله السابق، احتضن الحياة الإجتماعية في (لايبزيغ)، لينسجم مع الإطار الأكاديمي ويخالط معلميه،[4] ويعود أيضاً لامتطاء الخيول.[5] بالإضافة لعمله المميز لـ(زارنك Zarncke)، قام (بيدرمان) بتوظيفه كناقدٍ صحفي (لتغطية الموسيقا والمحاضرات) لـ«ألغماينه تسايتونغ الألمانية»، وبذلك ضمن موقعاً بجانب نقادٍ موسيقيين كبار في الحفلات الموسيقية.[6] وجد أيضا في مجالس (لاوب Laube) فأصبح مطلعاً على الكثير من المعلومات والإشاعات وراء الكواليس.[7] ولأول مرةٍ في حياته يُعتبر (نيتشه) شخصيةً مرموقة، وكما يبدو فإنه وقع في غرام هذه الحالة.

---

(1) أنا غير قادرٍ على اكتشاف المبلغ الذي ورثه (نيتشه) من (إردموث) وأصبح الآن تحت تصرفه. ولكنه كان كبيراً كفاية ليلاحظ (ريتشل) ذلك.
Stroux 1925: 35

(2) KSAB II: 333

(3) KGW I - 5: 45

(4) بالإضافة إلى نزهاته مع عائلة (ريتشل) فقد تواصل (نيتشه) اجتماعياً مع أستاذه (جورج كيرتيوس Georg Curtius) وزوجته
(KSAB II: 336) ومع عائلات (بروخهوس) KSAB II: 347

(5) KSAB II: 347 انظر أيضاً KGB I - 4: 534

(6) KSAB II: 332 لم يتم تحديد أي مقالات لـ(نيتشه) تظهر في هذه الصحيفة KGB I - 4: 525

(7) وهكذا، يبلغ (نيتشه) عائلته بأن (بيدرمان) كان شقيقاً غير شرعي لـ(فريدريك فرديناند فون بيوست Friedrich Ferdinand von Beust)
وزير الدولة والشؤون الخارجية السابق لـ(ساكسونيا). KSAB II: 334. ولقبول مجلس (لاوب) انظر KSAB II: 373

2

في لحظة ما خلال عام 1868 أصبح (نيتشه) مغرماً بموسيقا (ريتشارد فاغنر). ومع أنه لا يمكن إثبات عدم محبة أعمال هذا المؤلف من قبل، ولكن الأدلة تشير إلى تذبذب موقفه بين الحماس الفاتر،[1] والرفض المتعالي.[2] وفي وقتٍ متأخرٍ من إقامته الأخيرة في (نامبورغ)ـ وربما في ربيع 1868 ـ كان يمكن أن يعطي قائمةً من ستة مقطوعاتٍ موسيقية والتي كانت عنده بمثابة مقياسٍ لجودة الموسيقا وكلها كانت من تلحين إما (شومان) أو (بيتهوفن).[3]

ومع توالي أيام ذلك العام، بدأ ذوقه يتغير.[4] وفي رسالةٍ إلى (صوفي ريتشل) بتاريخ 2 يوليو 1868 أشار (نيتشه) إلى أخطاء لافتة ويقول «التشوه عند (فاغنر) و(شوبنهاور) صعبٌ إخفاؤه».[5] نظراً لإخلاص الشاب لـ(شوبنهاور)، فإن ربط هذا الأخير مع (فاغنر) يشير إلى ارتفاعٍ غير عاديٍ في أسهم الأخير عند (نيتشه). وبشكلٍ مذهلٍ فإن أوبرا «Die Meistersinger von Nürnberg الموسيقار الكبير في نامبورغ» وهي كما وصفها (نيتشه) في وقتٍ لاحق «الأوبرا المفضلة لدي»[6]، كانت قد عرضت في (ميونخ Munich) لأول مرةٍ قبل أسبوعين فقط، في 21 يونيو. وتمت تغطية هذا الحدث بشكلٍ مركزٍ من قبل «نيو زيتشريفت فور ميوزك Neue Zeitschrift für Musik» وهي الصحيفة المتميزة في شؤون الموسيقا تصدر في (لايبزيغ)،[7] ولا بد أن (نيتشه) كان مطلعاً على الأمر. لقد تواجه أخيراً مع الدراما الموسيقية التي تكلم مع ملحنها شخصياً، وأشار (فريدريك لوف Frederick Love) إلى أنه اشترى وقتها نسخةً من نوتة البيانو هذه المرة.[8] (وبعدها بوقتٍ قصير سيكون قادراً

---

(1) انظر Prange 2011

(2) انظر على سبيل المثال KSAB II: 174, KGW I - 4: 127 - 128, and KGW I - 4: 518 حيث يتشاجر (نيتشه) مع الـ(Wagnerite Hüffer). قبل 1867 يبدو أن (نيتشه) في بعض الأحيان أحب كتابات (فاغنر) ولكن ليس موسيقاه

(3) KGW I - 4: 434

(4) KGW I - 4: 430

(5) KSAB II: 299 ربما كان (نيتشه) معارضاً لكتاب (إهلرت Ehlert) الذي أعطته إياه (صوفي ريتشل) انظر الفصل 13 القسم 5. كان (إهلرت) في أفضل الأحوال خجولاً فيما يخص (فاغنر) Prange 2011: 56 - 57

(6) KSAB III: 4 انظر أيضاً KSAB II: 364 وقارن LOVW 1963: 63

(7) Love 1963: 52

(8) Love 1963: 53 - 54

على عزف «أغنية الجائزة Prize song» من هذه الأوبرا أمام الآخرين). وعلاوةً على ذلك كما نتذكر، فإن الشهر الذي قضاه (نيتشه) في (ويتكيند) ـ يوليو 1868 ـ تمحور حول الموسيقا، وفي إحدى المرات غادر ليحضر مهرجاناً لموسيقا جديدة في (ألتنبورغ).[1] وفي حين أنه لم يتم عزف أي عمل لـ(فاغنر) هناك، ولكن إن جاز لنا القول فإنه كان في عرين الأسد ـ كان (فاغنر) أحد المؤسسين الأربعة للمهرجان ـ[2] وسوف تعتريه حماسةٌ بالغة من سماعه لأوبرا «الموسيقار الكبير» بشكلٍ مباشر.[3]

وأياً كان الذي أدى إلى التغيير، فإنه على ما يبدو أصبح شبه دائم، كما شهدت بذلك رسائله إلى (ديوسن) و(رود).[4] وفي أوائل أكتوبر صادف (نيتشه) بعض الإنتقادات العدائية للملحن بقلم (أوتو جان)، وقد صنفها (نيتشه) على أنها تتميز بقصر النظر.[5] وربما قدم (نيتشه («أغنية الجائزة» من أوبرا «الموسيقار الكبير Meistersinge» لـ(رود) خلال زيارةٍ قام بها الأخير في أغسطس، وقام بالتأكيد بعزفها لـ(صوفي ريتشل) في (لايبزيغ). وإذا كان هناك أي شكٍ من قبل، فإن تجربته في دار الأوبرا قد أتمت تحوله. تحت رعاية صحيفة «الغماينه تسايتونغ »،[6] حضر حفلًا موسيقياً في 27 أكتوبر، وكتب، «في هذه الأمسية... خُلقت من جديد بالمقدمة الموسيقية لـ(تريستان أوند إيسولد Tristan und Isolde) وبافتتاحية أوبرا «الموسيقار الكبير». لا أستطيع إقناع قلبي أن يكون حيادياً تجاه هذه الموسيقا. كل نسيج، كل عصب في داخلي يهتز، وقد مضى وقت طويل منذ أن شعرت بمثل هذه النشوة الموسيقية كما شعرت خلال افتتاحية الأوبرا».[7] بحلول نهاية أكتوبر على أبعد تقدير، كان (نيتشه) قد

(1) كان قد وصل مع الكتاب عن الموسيقا الذي أعطته إياه (صوفي ريتشل) ومباشرةً كتب في الموسيقا وبعد أسابيع غادر لحضور مؤتمرٍ موسيقي

(2) وفقاً لـ(مارتن برانج Martine Prange) فقد أُسس المهرجان من قبل (فرانز ليزت Franz Liszt) و(ريتشارد فاغنر) و(هانز فون بولو Hans von Bülow) و(فرانز بريندل Franz Brendel) في عام 1861. Prange 2011: 583

(3) انظر 306 - 305 :KSAB II حيث يذكر (نيتشه) «ملاحظة جانبية [Excurs]على «الموسيقار العالمي» لـ(فاغنر)

(4) KSAB II: 316, 322

(5) KSAB II: 322

(6) لا يبدو أن تعليقات لـ(نيتشه) نُشرت في هذه الصحيفة. انظر ص 364 الحاشية (6).

(7) KSAB II: 332 هذه لم تكن المرة الأولى التي يسمع فيها (نيتشه) هذه المقطوعات. وبصرف النظر عن تجاربه مع درجات البيانو لـ1862(تريستان Tristan) و1868 «الموسيقار العالمي» فهو بالتأكيد حضر الحفل الموسيقي في نوفمبر عام 1865 والذي عزفت فيه كلتا المقطوعتين KGB I - 4: 385. 56

استسلم لسحر موسيقا (فاغنر) إلى الحد الذي أصبح فيه فاغنرياً متحمساً. وحتى أنه حلم أن يحظى ببعض القرب من الرجل العظيم، لأنه كما ذكر سابقاً، كان (ويندبش) يتابع دراسته للتخرج في اللغة السنسكريتية تحت إشراف (هيرمان بروخهوس)، وهو لذلك عرف زوجة هذا الأخير، السيدة (أوتيلي فاغنر) السابق ذكرها. وكما كتب (نيتشه) قبل مغادرته (نامبورغ)، «أنا... قررت أن أقدم نفسي للمرأة، التي يقال عنها أشياء رائعة، زوجة الأستاذ (بروخهوس) وشقيقة (ريتشارد فاغنر). و(ويندبش)... له رأي استثنائي في قدرات هذه المرأة».[1]

لا يوجد دليلٌ على أن (نيتشه) تابع عزمه هذا. وعلى أي حال، تحققت أمنيته بشكلٍ مفاجئٍ نتيجةً لسلسلة من الأحداث التي لم يكن له علاقة بها، والتي وقعت بمعظمها في (سويسرا)، (بافاريا)، و(إيطاليا). في نوفمبر 1868 وعلى الرغم من النجاح الساحق لأوبرا «الموسيقار الكبير»، فقد وجد (ريتشارد فاغنر) نفسه في مجموعة من الأزمات. فعلى الرغم من أن زوجته الأولى كانت لاتزال على قيد الحياة، فقد انغمس في علاقة عاطفية مع (كوزيما فون بولو Cosima von Bülow) وبعد علاقة استمرت أربع سنوات، وصلت علاقتهم إلى نقطة تحول. (كوزيما) ابنة (فرانز ليزت Franz Liszt)، كانت متزوجة من (هانز فون بولو Hans von Bülow)، وهو عازف بيانو ممتاز وأحد أعظم أبطال (فاغنر).[2] وعلى الرغم من أن (فون بولو) لم يكن سعيداً بعلاقة زوجته العاطفية، فقد تحملها، حتى عندما أنجبت زوجته طفلتين من (فاغنر) في ظروفٍ يصعب التغاضي عنها. تعرض لودفيغ الثاني، ملك (بافاريا) للمساومة أيضاً، لأن (ريتشارد) و(كوزيما) أقنعاه ليوقع بياناً عاماً، بأن الملك نفسه هو الضامن لنقاء علاقتهما.[3]

وفي 3 أكتوبر 1868 بعد أقل من أسبوعين من مغادرة نيتشه لـ(نامبورغ) إلى (لايبزيغ)، كانت (كوزيما) حاملاً بطفل (فاغنر) الثالث، وأخيراً طلبت الطلاق. عارض الزوج المضغوط عليه هذا الطلب في البداية، ولكن السر انفضح. في 1 نوفمبر توجه (فاغنر) إلى (ميونيخ) آملاً في استرضاء الملك، الذي كان الآن قد أدرك أنه قد تعرض للخداع علناً. رفض (لودفيغ) مقابلته، وهذا يعني بالطبع للملحن أنه أيضاً قد يفقد نفقته الملكية، وهو احتمالٌ سيء، باعتبار أنه الجزء الأكبر من دخله. وبمواجهة احتمال فقدانه لـ(كوزيما)، والتعرض للفضيحة

---

(1) KSAB II: 321

(2) أدى (فون بولو Von Bülow) العرض الأول لـ«الموسيقار الكبير»

(3) هذه الفقرة والتي تليها تستند على Gregor - Dellin 1983: 341, 370 - 371, 376, 378 - 382 و Newman 1933 - 1946 IV: 52, 136, 141 - 142, 153 - 173

أمام الناس، وخطورة أن يفقد حظوته عند الملك، كانت ردة فعل (فاغنر) أن الوقت قد حان ليلتقي بعائلته، وقرر السفر عبر (بافاريا) و(تورينجيا) لزيارة (أوتيلي بورخهوس) في (لايبزيغ). (له أيضاً أخت أخرى، لويز هي تعيش في نفس المدينة أيضاً). في 2 نوفمبر، بعد شهرٍ واحدٍ من الرسالة الكارثية التي كتبتها (كوزيما)، غادر (ميونخ)، وبعدها بأسبوعٍ واحد ـ ولايزال لا يوجد أي حلٍ في الأفق ـ حصل التعارف بينه وبين (فريدريك نيتشه).

بما أن (فاغنر) كان يسافر متخفياً ليتجنب العلانية (حتى أن خدم عائلة (بروخهوس) أقسموا على الصمت) لم يكن هناك أي وسيلة لكي يعرف (نيتشه) من تلقاء نفسه أن الملحن كان في (لايبزيغ). كان المقربون من العائلة على دراية بالزيارة، ومن ضمنهم (إرنست ويندیش)، والذي في 6 نوفمبر كتب إلى صديقه: «إذا كنت تريد لقاء (ريتشارد فاغنر) تعال إلى مقهى المسرح، في الرابعة إلا ربعاً».[1] ومن هناك أسرع الرجلان إلى منزل (بروخهوس)، ليجدا أن الملحن غادر للتو. ثم تفضلت العائلة بتوجيه دعوة في الثامن من نوفمبر، ليلة الأحد التالية. وكان استعدادهم للترحيب بالشابين يعكس رغبة (فاغنر) نفسه، والذي في بداية الأسبوع كان قد تعارف مع (صوفي ريتشل). عندما عزف الملحن لـ(صوفي) معزوفة «أغنية الجائزة» من أوبرا «الموسيقار الكبير»، كانت ردة فعلها بأنها كانت تعرف المعزوفة، كونها قد سمعتها سابقاً من قبل المدعو (فريدريك نيتشه). عندها طلب (فاغنر) مقابلة هذا الشاب الرائع، وهذا الطلب تحول إلى (ويندیش) ومن ثم إلى دعوة الأحد.

عندما وصل (نيتشه) و(ويندیش) يوم الأحد، وجدا نفسيهما وحدهما مع أعضاء عائلة (بروخهوس) المقربين ومع «الفنان»، كما كان معظم الحاضرين يدعون الملحن. يمكن أن يكون (فاغنر) ممتعاً للغاية، وقد سحر (نيتشه) تلك الليلة، بسخريته من قادة الأوركسترا الواهنين، من لهجة سكان (لايبزيغ)، ومن فلاسفة الجامعة، واعترف أيضاً بأنه من أشد المعجبين بـ(أرثر شوبنهاور). وقام أيضاً بعزف وغناء مقاطع من أوبرا «الموسيقار العالمي» قبل الطعام وبعده، وفي نهاية الأمسية قرأ مقاطع من سيرته الذاتية كطالبٍ في (لايبزيغ)، وهي قصصٌ أمتعت (نيتشه) لدرجة أنه كان من الصعب أن يذكرها فيما بعد دون أن يضحك. دعى (فاغنر) الشاب لزيارته في الفيلا الخاصة به على بحيرة (لوسيرن Lucerne) أيضاً، وطلب منه أن يعلّم (أوتيلي بروخهوس) وعائلتها كيفية عزف موسيقاه (أي موسيقا (فاغنر)). كانت هذه المجاملات مثيرةً بما فيه الكفاية للطالب الشاب إلى الدرجة التي «قذفت به خارج

(1) KSAB II: 337

الطريق» ـ تعبير يستخدم في حالة النشوة ـ (تعبير نيتشه نفسه)، وكان يستطيع أن يتخلص من هذا التأثير فقط بالكتابة إلى (رود).[1] في أعقاب هذه السهرة لم يتكلم (نيتشه) أبداً عن إعطاء دروس لعائلة (بروخهوس)، لأنه عرضٌ غير مقبول اجتماعياً بما أن الزوج ليس فقط من المتفوقين أكاديمياً ولكن أيضاً ينتمي إلى عائلة مصنفة على أنها من النخبة التجارية في المدينة. (كان أخوة (بروخهوس) الأكبر منه من الناشرين المشهورين أيضاً).[2] وبغض النظر فيما إذا درّسهم (نيتشه) أم لا، لكنه على الأقل تواصل اجتماعياً مع العائلة،[3] وأصغى بشكلٍ جيدٍ عندما قدمت (أوتيلي) معلوماتٍ عن أخيها المشهور.

استمر افتتان (نيتشه) حتى بعد رحيل الملحن. بعد أسبوعين من تلك الأمسية المذهلة، بدأ بقراءة الأوبرا والدراما، وهي نصائح قدمها له الملحن، وفي نهاية يناير 1869 سوف يحضر عرضاً لأوبرا «الموسيقار الكبير» في مدينة (درسدن).[4] وفوق هذا فقد وجد الخصائص التي طرحها (شوبنهاور) في «العبقري The genius» تنطبق بشكلٍ بارزٍ على (فاغنر).[5] لم يدر في خلده أنه سوف يلتقي بالرجل العظيم مرة أخرى، ولكن خياله كان مثاراً. وبدأ أيضاً بإعادة النظر في ولاءاته بحذر، لأنه كان في مرحلة غضبٍ عارمٍ من (ريتشل) إلى الدرجة التي جعلته لا يخفي انزعاجه حتى للأستاذ نفسه.

3

إذا كانت علاقات (نيتشه) الإجتماعية تسببت إلى حدٍ ما في إهمال دراسته، فذلك لأسبابٍ لم ينظر فيها بعد. في 20 أكتوبر، تلقى مذكرةً من (رينولد كلوتز Reinhold Klotz)، الرئيس الحالي لقسم علم اللغة، يشير فيها إلى أنه لا يمكنه الحصول على ترفيعه، والذي هو أقل بكثيرٍ من مؤهلاته، حتى يتسجل في الجامعة كطالبٍ لمدة خمس سنوات على الأقل.[6] وبما أن (نيتشه) تسجل في الجامعة في (بون) 1864، كانت النتيجة ضمناً

(1) KSAB II: 337 - 341

(2) كان (هيرمان) ابن (فريدريك أرنولد Friedrich Arnold) الذي أسس دار النشر (F.A. Brockhaus) وبعد وفاة الوالد قام إخوة (هيرمان) الأكبر سناً (فريدريك وهينريك) بتولي العمل.

(3) KSAB II: 347

(4) KSAB II: 346, 361, 378 - 379

(5) KSAB II: 352 - 353

(6) KGB I - 3: 295

أنه لن يستطيع الحصول على شهادة الدكتوراه على الأقل قبل سنة.[1] وبالتالي أصبح يميل إلى إعطاء أهميةٍ أقل لشؤونه الأكاديمية وأن يملأ وقته بدراساتٍ متفرقةٍ ويترك لنفسه الحرية في البحث بدون تقييد.[2] وهذا لا يعني أنه أهمل السياسة الأكاديمية. فقد حافظ على حضور الاجتماعات ومراقبة أنشطة جمعية علم اللغة، وعلى الأقل في مرة ساعد طالباً من خلال مراجعة عمله في (سينتربلات Centralblatt).[3] كما حثّ زميلًا له على تقديم مقالٍ إلى متحف «رينيشس».[4]

ولكن سيكون لإحدى هذه المداخلات أثرٌ بعيد. كما نذكر أنه في منتصف مارس أرسل (رود) بحثاً إلى (نيتشه) بعنوان «الحمار» وهو خيالٌ يعتقد أن كاتبها هو (لوسيان Lucian). وكانت هذه مساهمة (رود) في الكتاب التذكاري لـ(ريتشل)، وعندما أُنجز المشروع، ظن (رود) أن بإمكانه استخدامه لواحدةٍ من أطروحاته. (وكان بالفعل قد فاز بجائزة من الجامعة، وأثار انبهار كلية كيل Kiel). ولكن (نيتشه) اعتقد أنه من الأفضل أن يوضع المشروع في متحف «رينيشس»، وأكد لصديقه أنه سيعمل على نشرها. نقل (نيتشه) الفكرة إلى (ريتشل) الذي فيما يبدو أعجب بها.[5] بعدها بفترة بسيطة، بدأ حماس (ريتشل) يبرد، وقد يعود ذلك جزئياً إلى أن هناك طالباً آخر قدم أطروحةً حول نفس الموضوع، وهو عملٌ وجده «رائعاً».[6] ثم طلب (ريتشل) من (رود) أن يضع المقال الجديد في الكتاب، وهي رغبةٌ اعتبرها (رود) رفضاً لطلبه. متألماً وغاضباً، أفرغ همومه لصديقه،[7] الذي ذهب بدوره إلى (ريتشل) وتعامل معه بطريقةٍ لم يكن الأخير معتاداً عليها. وكتب (نيتشه) قائلاً «لقد تكلمت معه ببرود شديد»، «مما سبب له صدمةً شديدةً».[8]

لم تكن الحادثة بحد ذاتها مهمة، وعلى أي حال فقد انتهت نهاية سعيدة. والشكر مرة

(1) انظر KSAB II: 337, 368 يعترف (ريتشل) بنفس الشيء Stroux 1925: 32

(2) على الرغم من أن معظم أصدقاء (نيتشه) (رود، روموندت، ديوسن، هوفر Hüffer) حصلوا على تأهيلهم بسن مبكرة نسبياً، ومن الواضح أن هذا غير عادي. يشير (مكليلاند McClelland) أنه خلال «الفترة ما بين 1850 و1869 كان متوسط العمر يصل إلى 28.5 عام McClelland 1980: 350, n.10

(3) KSAB II: 335

(4) KSB II: 278

(5) KSAB II: 280, 286

(6) KSAB II: 304 - 305

(7) KGB I - 3: 302 - 304 أعاد (رود) توجيه رسالة (ريتشل) إلى (نيتشه) وقد اختفت منذ ذلك الحين.

(8) KSAB II: 341

أخرى يعود لـ(ويندیش)، حيث استطاع (نيتشه) أن يجد ناشراً ينشر مقال (رود).[1] وفي الوقت نفسه كان (ريتشل) قد غير رأيه وتلقى نسخةً من المقال، وهي النسخة التي ظهرت أيضاً في متحف «رينيشس» بعد كل شيء. ومع ذلك فإن صدمة (ريتشل) من تلميذه (نيتشه) خلال الاجتماع تبين كيف أنه إلى حد بعيد وربما كلياً كان غير مدرك للنقلة النوعية التي قطعها (نيتشه) خلال الخمس عشرة شهراً الفائتة. كان ما زال ينظر للشاب على أنه نفس الطالب الوفي. فهو لم يكن لديه أي علم بالتأكيد أن هذا الشاب وصفه مؤخراً بأنه «قواد علم اللغة»،[2] وهي إهانةٌ تشير إلى عادة (ريتشل) بالتقرب من الطلبة من خلال مدحهم وإعطائهم مشاريع ممتعة. كانت عملية التخلص من تأثير (ريتشل) تطورت بشكلٍ كبيرٍ خلال إقامته منعزلاً في (نامبورغ)، بعيداً عن تأثير أستاذه. وكما سيحدث قريباً، عندما سيرحب (ريتشل) بحرارة بطالبه، سيكون غير عالمٍ بأن الأخير تخلص من أوهامه بشأن أستاذه. وبعيداً عن مفاجأة (ريتشل)، فإن الحادثة الأخيرة عززت العدائية التي يكنها (نيتشه) لأستاذه. خلال الفترة التي قضاها في (نامبورغ) سخر (نيتشه) من (ريتشل) لأسبابٍ مهنية. لكن الآن فإن الأستاذ استخف بصديق (نيتشه) المقرب، وأوحت قلة ثقة (نيتشه) بأستاذه بأن الأمر أصبح شخصياً.[3] وأخيراً عندما قبل (ريتشل) مخطوطة (رود)، فإن (نيتشه) فسر التغير في مشاعره بأكثر الطرق إزدراءً.

في أواخر فبراير، خلال المراحل الختامية للأحداث التي ستحتل القسم التالي، كتب لصديقه، «مؤخراً عبّر الأب (ريتشل) عن رأيه في [مقالك]. وطبعاً، فهو لم يقرأ[ها]».[4] وبما أن (نيتشه) أعطى مثل هذا التعليق الجارح في وقتٍ كان لديه سببٌ لأن يكون ممتناً لـ(ريتشل) بشكلٍ استثنائي، فيمكن لنا الافتراض أن قلة ثقته بالرجل بقيت على حالها ولم تتحسن بالتطورات اللاحقة. أما بالنسبة لـ(رود)، فعندما قام (ويندیش) بإيجاد ناشرٍ لهذا المقال اليتيم (رود ظن أن نيتشه من فعل هذا)، كان مبتهجاً وممتناً جداً وكتب إلى صديقه أنه سيرد الجميل له في أي وقت يحتاج فيه إلى العون.[5] وبالفعل فإن هذا اليوم سوف يأتي عندما

(1) KSAB II: 346, 348, 354 استعرضها (نيتشه) من أجل الـ«سنترالبلات الأدبية» KGB I - 4: 535

(2) KSAB II: 248

(3) يمكن للمرء أن يلاحظ أن KSAB II: 344 - 345، الرسالة الأكثر ضغناً كتبها (نيتشه) خلال سنوات دراسته حول موضوع علماء اللغة، تمت كتابتها بعد أقل من أسبوع من مواجهته مع (ريتشل).

(4) KSAB II: 379

(5) KGB I - 3: 313

يكون على (رود) تقديم العون إلى (نيتشه)، وبينما لا يوجد شكٌ في رغبته دعم صديقه وتقديم المساعدة التي يستحقها، فهو أيضاً تذكر الجميل غير المسدد الذي يقبع بينهما. وفي نهاية المطاف، عندما يوافق (رود) علناً على البحث العلمي لصديقه، فإن ذلك سيكون له بعض الأثر على مستقبله المهني.[1]

4

بعد شهرٍ واحد من مواجهته مع تلميذه، تلقى (ريتشل) رسالةً من (أدولف كيسلينغ Adolf Kiesslin)، وهو طالبٌ سابق له ويدّرس الآن علم اللغة الكلاسيكي في جامعة (بازل). وكان (كيسلينغ) قد قبل وظيفةً في (جوهانيوم Johanneum) في (هامبورغ) ـ نفس (الجمنازيوم) الذي ارتاده (رود) ـ وقد سأل (ريتشل) إذا كان بإمكانه أن يقترح عليه خلفاً له في (بازل). وذكر (كيسلينغ) نفسه اسم (فريدريك نيتشه)، الذي اطلع على مقالاته في متحف «رينيشس»، وزكّى (ريتشل) تلميذه بأقوى ما يمكن.[2] لم يكن (نيتشه) قد تلقى ترفيعه بعد وهو بعيدٌ عن مرتبة التأهيل، ولكن (ريتشل) كتب قائلاً «سوف أراهن بكامل سمعتي في علم اللغة وسمعتي الأكاديمية على أن هذه المسألة سينتهي بها المطاف بشكل رائع».[3]

على ما يبدو أنه في نفس اليوم، تلقى (ريتشل) رسالةً أخرى، هذه المرة من (فيلهلم فيشر ـ بيلفينجر Bilfinger ـ Wilhelm Vischer)، وهو أستاذٌ في الكلاسيكيات في جامعة (بازل)، وكان ذا منصبٍ إداريٍ عالٍ ومسؤولاً عن اختيار المتقدمين لملء نفس الشاغر. لم يطلب (فيشر ـ بيلفينجر) من (ريتشل) أن يقترح له اسماً، ولكنه طلب رأيه فيما يخص مرشحاً قيد النظر (غوستاف أوليغ Gustav Uhlig). وفي رده اعترف (ريتشل) بأنه غير قادرٍ على الحكم على (أوليغ)، ولكنه وضع رده إلى (كيسلينغ) في مغلفٍ متضمنٍ الثناء على مقدرات (نيتشه) بحماسة. وبالرغم من أن هذه التوصية التي جاءت على غير طلب، فإن (فيشر) في البداية لم يأخذ (نيتشه) كمرشحٍ جدي ـ ليس حتى ديسمبر عندما قام (هيرمان أوسينر Hermann Usener)، وهو بديل (ريتشل) في (بون)، باقتراح اسم (نيتشه) ـ وحتى عندها شملت

(1) Calder 1983: 240 - 247; Däuble 1976: 330 (كانت دوبل حفيدة رود) وفقاً لـ(كالدر) فإن (رود) نفسه اعترف بالأذى المهني الذي تسببت به مشاركته في هذا الخصام.

(2) وللإطلاع على سرد مفصل لعملية التوظيف ونسخ من الرسائل المرسلة، انظر Stroux 1925: 7 - 55 ويرد سردٌ أقصر في His 2002: 161

(3) Stroux 1925: 33

القائمة التي أعدها (فيشر) اسم تلميذ (ريتشل) كأحد المرشحين ولكن بأي حال ليس المرشح المفضل. وبكلماتٍ أخرى، وخلافاً للرواية السائدة عن هذه الأحداث، فإن توصية (ريتشل) لم تكن مطلوبة من سلطات جامعة (بازل) ولم تعط لها قيمة حتى دعمت من قبل أستاذٍ آخر.[1]

تلا ذلك مراسلاتٌ مطولة، حيث ناقشت تلك المؤسسات الأكاديمية العالية مصير الطالب الغافل عن كل هذا. في البداية كان (ريتشل) متشككاً أن يقبل زملاؤه أعضاء هيئة التدريس السماح بتخرجٍ مبكرٍ لـ(نيتشه)، وكتب قائلاً «هذا لا يحدث أبداً في ألمانيا».[2] وفي الوقت نفسه في جامعة (بازل) كانت لديهم شكوكهم أيضاً، وفي حدود 9 يناير كانوا لايزالون يناقشون أمر منافسي (نيتشه).[3] (بل إنهم استعلموا من أحد طلبة جامعة (لايبزيغ) عما إذا كان (نيتشه) يملك القدرات التي يدعيها كفيله) وإذا كانوا قد اختاروا (نيتشه) في النهاية، فإن ذلك لمجموعةٍ متنوعةٍ من الأسباب، متضمنةً توصية (ريتشل)، وربما كان السبب الأكثر أهميةً هو عبارةٌ عن فائدة عملية: تبعاً لنقص خبرة (نيتشه) فقد رفضوا إعطاءه اللقب والراتب اللذين كانا من نصيب سلفه صاحب المؤهلات التقليدية الأكبر.[4]

في حين كانت هذه المفاوضات تجري في مسيرتها عبر اللجان، كان الشابان ـ الغافلان عن الخطط العظيمة التي تدبر لأحدهما ـ متلهفين لرحلتهما الوشيكة. وكتب (رود) أنه على غير عادته، فإنه يتطلع قدماً للعام الجديد، متأملاً أن قدومه سيجعله في مواجهة «[السراب أو فتاة مورغانا] أو المعروفة باسم السعادة... لم يسبق لي أن تعرفت عليها، ربما تعيش في (باريس)».[5] تمثلت إجابة (نيتشه) بترنيمة من 123 كلمة وجهها إلى «المعجزة النادرة التي لا تصدق»، ***الصديق*** (التأكيد من نيتشه)، وقرب نهاية القصيدة يعلن أنه قد دعي إلى قلب مدينة (لايبزيغ). «عدت الآن وأطرافي كلها ترتعش، ولا يمكنني حتى أن أريح نفسي بإفراغ محتويات قلبي لك».[6]

شعر (ريتشل) أن من واجبه أن يبلغ (نيتشه) بتعيينه المحتمل، لأن جامعة (بازل) كانت

(1) Stroux 1925: 51 - 52
(2) Stroux 1925: 34
(3) Stroux 1925: 45
(4) Stroux 1925: 46, 49
(5) KGB I - 3: 324
(6) KSAB II: 357

ترغب بالتأكد من موافقته قبل استكمال الإجراءات.[1] بعد سماعه الأخبار، لم يجد (نيتشه) خياراً سوى الموافقة.[2] ومع ذلك فقد كانت استجابته العاطفية على ذلك في بداية الأمر مختلطة ـ وصف نفسه بأنه سعيدٌ وفزعٌ في نفس الوقت ـ لكنها كانت في نهاية المطاف سلبية. فقد شعر بالإطراء من قبل ضربة الحظ غير المتوقعة. كما شعر بالصدمة والغضب من هذا الترفيع المبكر والسابق لأوانه والذي سيلقي به في عالم كئيب من المسؤولية المهنية. ففي نفس اللحظة التي رأى فيها نفسه يخطو خطوةً عملاقة، بتحسين علم اللغة عن الطريقة التي يُمارس بها في ذلك الوقت، فإن (ريتشل) قام بحبسه في عالمٍ ضيقٍ وكئيب. وكان أيضاً حساساً بشكلٍ خاصٍ للألم الذي سوف تسببه الأنباء لصديقه (رود) الذي كان بالفعل محبطاً عندها، والذي سلم بأنه لم يكن متفائلاً بطبعه وأنه نادراً ما صدق بأن الآمال العظيمة يمكن أن تتحقق، فقد اعترف «والآن وهذا الرعب الذي طالما خشيته يواجهني بشكلٍ مادي... وأنا أعزلٌ داخلياً».[3] اعترف الشاب بالشرف العظيم والحظ الجيد الذي حل على صديقه، ولكنه لم يستطع أن يجبر نفسه على إكمال الرحلة الوشيكة بدون (نيتشه). «ماذا عليّ أن أفعل بمفردي في (باريس)؟»[4]

في نفس الوقت كان أمام (نيتشه) واجباتٌ كئيبةٌ ليؤديها. بدلاً من الذهاب إلى (باريس)، كان ذاهباً إلى (بازل)، وكان غارقاً في خضم المهمات، ليس فقط الأوساط الأكاديمية وحزم حقائبه، ولكن أيضاً تأمين مسكنٍ جديد له.[5] قام (ريتشل) بتسهيل الأمور له في كل خطوة، فقد رتب له أن يتلقى ترفيعه مبكراً،[6] وذلك بتقديم مقالين له منشورين في متحف «رينيشس» بدلاً من أطروحات التخرج، وبتجنيبه الامتحانات. فطالب لاحقاً بأن تمنح الدرجة غيابياً، وهذا انتهاك للبروتوكول، وكل هذا يبدو أنه كان كثيراً على أحد أعضاء هيئة التدريس، (جورج كورتيوس Georg Curtius)، الذي رفض الموافقة، على الرغم من أن (ريتشل) جادل بأن (نيتشه) حالةٌ خاصة، وأن روح القانون هي التي يجب أن تطبق وليس حرفيته،[7] لكن

(1) Stroux 1925: 34 - 35

(2) KSAB II: 359

(3) KGB I - 3: 331

(4) KGB I - 3: 341 وفي النهاية يقوم (رود) بجولة في إيطاليا مع (فيلهلم روشر Wilhelm Roscher) أحد المؤسسين الأصليين لمجتمع علم اللغة

(5) KGW I - 5: 167 - 168

(6) لا أرى أي إشارة إلى أن (نيتشه) استلم ترفيعه وهي درجة تعتبر عادةً لا غنىً عنها للأستاذ في الجامعة

(7) Heise 2000: 182

كان رد (كورتيوس) بأن الآراء الشخصية يجب ألا توضع فوق القوانين. ولم يوقع على وثيقة التخرج، على الرغم من أنه سمح لرأي الأغلبية بأن يسود.[1]

مرت الأسابيع الأولى من العام و(ريتشل) يتودد زملاءه الأساتذة في (لايبزيغ)، في حين أن ثلاث هيئاتٍ إداريةٍ في (بازل)[2] كانت تدرس موضوع التعيين. وخلال هذه الفترة المؤقتة التي تسبق التعيين، لم يتمكن (نيتشه) من مقاومة إعلام (رود)، (جيرسدورف)، وأخته، وذلك بشكلٍ سري. وكان قد طبع بطاقات تعريفٍ كتب عليها اسمه ولقبه الجديد. بحلول 21 يناير، سرب أحدهم الأنباء في (لايبزيغ)، وكان معظم زملائه الطلبة متطلعين بحماسٍ لهذا الأفق. (يبدو أن الفاعل كان الشاب الذي استشاره (فيشر) فيما يتعلق بسمعة (نيتشه) بين الطلاب الجامعيين)[3]. وهذا وضع كلًا من (نيتشه) و(ريتشل) في موقفٍ محرج، لا بد وأن التوتر ساد بين الجميع بانتظار النتيجة. بحلول 10 فبراير، كانت اللجان الثلاث في (بازل) قد نسقت فيما بينها ووصلت إلى قرار. وسعى (فيشر) لإعلام (نيتشه) مقدماً،[4] وعلى الرغم من أن العرض لم يصبح بعد رسمياً حتى الثالث عشر من الشهر،[5] فقد كان بإمكان (نيتشه) سحب بطاقاته بدءاً من الثاني عشر من الشهر، واضعاً حاشيةً عليها بشكلٍ مناسب، ومرسلاً إياها إلى سبعةٍ من المقربين والأصدقاء على الأقل. كان على الأغلب سعيداً عندما راسلهم ـ إن مجرد إعلامهم هو احتفالٌ بالنسبة له ـ ولكن سرعان ما عاد له هذا المزاج الكئيب، وقد رد على بعض رسائل التهنئة التي وردته بمرارةٍ مفزعة. وعندما انفجرت والدته تبكي بدموع الفرح وسارعت لإخبار الجيران، وبخها قائلاً: «أخشى أن الناس في (نامبورغ) يسخرون من فرحتك، ولا تسيئي فهمي إذا سخرت أنا أيضاً منها».[6] عندما لم يجب (ديوسن) بما اعتبره (نيتشه) الإحترام المناسب، كان رد (نيتشه) «أيها الصديق المقدر، إذا لم تكن رسالتك الأخيرة بسبب بعض الاضطرابات الفكرية العرضية، فأنا يجب أن أطلب منك أن نعتبر أن علاقتنا بهذه الطريقة انتهت».[7]

إن رد (فرانسيسكا) غير موجود، ولكن (ديوسن) ذكر أنه كان مذعوراً. غير عالمٍ بما جعل

(1) Heise 2000: 189 توجد نسخة من الترفيع في كتاب (هيس Heise) الصفحات 184 - 188
(2) The Kuratel, the Erziehungskollegium, and the Kleiner Rat
(3) Stroux 1925: 37 - 38
(4) KSAB II: 368
(5) Stroux 1925: 50, 53
(6) KSAB II: 373
(7) KSAB II: 374

صديقه (نيتشه) يُستفز وينفجر غاضباً، فقد حاول أن يؤكد لصديقه دعمه وأرسل اعتذاراته له وقبلها (نيتشه) على مضض. لابد أن (نيتشه) نفسه كان مرتبكاً. فمع كل إحباطه، كان مدركاً للشرف الذي مُنحه.[1] وكان أيضاً مدركاً لميزةٍ في انتقاله إلى (بازل): «مدينة (لوسيرن) [مسكن فاغنر] لم يعد بعيداً عن متناول يدي».[2] ومع ذلك كان غاضباً أيضاً، وكان غيظه المتصاعد بسبب الفرح العارم لعائلته وأصدقائه وزملائه، الذين افترضوا أنه يجب أن يكون مبتهجاً بهذا الحظ. «أعيش هنا في سحب الوحدة الرمادية». وكتب مقارناً بين الجو الاحتفالي الظاهري لحالته، الذي يسبق عمله المهني، بالكرنفال الجامح قبل أربعاء الرماد (أول يوم من زمن الصوم المسيحي). كان متألماً بشكلٍ خاص لأن لا أحد من معارفه شعر بما يعتريه من يأس. «لقد تركوا أنفسهم تعمى بلقب الأستاذ ويعتقدون أني أسعد رجل تحت الشمس».[3]

وفي الوقت نفسه وبعيداً عن درجته الجامعية، كان لدى (نيتشه) ثلاث مهامٍ عملية يجب أن يكملها. فبعد عامٍ ونصف من التأجيل الطويل، لايزال فهرس متحف «رينيشس» غير منتهياً، وهو عمل عليه بمساعدةٍ من أخته.[4] كما أنه يحتاج أيضاً إلى تأمين مسكنٍ له في (بازل)، وقد تمكن من الحصول على شقة سلفه المغادر (كيسلينغ).[5] وأخيراً طلب منه (فيشر بيلفينغر Vishcer Bilfinger) أن يتخلى عن جنسيته البروسية حتى لا يتم تجنيده في حال اندلعت الحرب. وهذه لم تكن سياسة الجامعة، ولكنها كانت بالفعل الممارسة المتجهمة لكلٍ من حكومتي (زيورخ) و(بيرن)، اللتان كانتا لا توافقان على إقامة المهاجرين من غير جنسية على الأراضي السويسرية. وفوق هذا فإن (كيسلينغ) ـ والذي هو بروسيٌ وعسكريٌ سابق ـ قام بنفس هذه التضحية من قبل، ويبدو أن جامعة (بازل) طلبت من (نيتشه) القيام بنفس الشيء، (طلب فيشر لما يعد موجوداً). وافق (نيتشه) بدون اعتراض. ومع ذلك فهو لن يستطيع الحصول على الجنسية السويسرية (والتي يمكن أن تعطى فقط بعد ثماني سنوات من الإقامة)، وبقي رجلاً بلا وطنٍ لما تبقى من حياته.[6]

---

(1) KSAB II: 359

(2) KSAB II: 360. See also 371

(3) KSAB II: 377, 379

(4) Förster - Nietzsche 1895 I: 301 - 303 ولنقاش موسع حول الفهرس انظر - Brobjer 2000: 157 - 161; Benne 2005: 54, n. 87

(5) KSAB II: 383

(6) His 2002: 163, 168 - 173

5

في خضم الكثير من الإرتباك، وجد نيتشه ملجأ حيث يمكن أن يضع لنفسه، إن لم يكن مساراً عبر العاصفة، فعلى الأقل خريطةً تريه الطريق. طلبت سلطات (بازل) من (نيتشه) بياناً مقتضباً عن حياته، وقد اغتنم الفرصة لينغمس في متعة كتابة السيرة الذاتية.

ومن المحتمل أن (نيتشه) كتب تاريخاً للأحداث الأخيرة على أي حال. لقد أثبت نفسه خلال فترة مراهقته ككاتب سيرةٍ شخصيةٍ لا يتعب، سواء من حيث التفاصيل أو الخطوط العامة. وسيكون من غير طبيعته إذا كان في هذه المرحلة، نهاية طفولته وشبابه، لم ينتج شيئاً يشبه النصب التذكاري. طبعاً فإن ظروف كتابة ذلك النصب ـ لمحةٌ موجزة لصاحب العمل المستقبلي وأخرى تركز على مستقبله المهني ـ لم تسمح له بأن يكون منطلقاً كما قد يرغب. لا تذكر روايته أي فردٍ من أفراد الأسرة إلا والده، ولا تمس أياً من المؤثرات الجانبية مثل (شوبنهاور) و(لانج)، وحتى (روز). ومن الجلي أنه يحاول أن يقمع أحزانه، في كونه أجبر على مهنة ويحاول أن يبقيها تحت السيطرة، وفوق كل هذا فهو لا يستطيع أن يعترف بشكوكه فيما يتعلق بعلم اللغة. وبالفعل، فإن النسخة الأخيرة، وهي التي أرسلها إلى جامعة (بازل)، كانت ملطفة جداً لدرجة أنها لا تستحق القراءة.[1] وستركز المناقشة هنا على المسودات الأبكر، والتي على الرغم من القيود الذاتية التي فرضت عليها، تقدم سرداً لرؤيةٍ ومدىً كبيرين.

في ملاحظةٍ افتتاحية، يحيي (نيتشه) الدافع الذي يراه أساسياً وملحاً، ومفيداً لأقصى درجة من ناحية النتائج التعليمية التي يجلبها، ويصفه قائلاً «حالةٌ فلسفيةٌ محددةٌ ذات أهميةٍ بالغة، [لا] ترضى إلا بمواجهة الحقيقة المجردة، [وبدون] خوف تعانق الصعاب والنتائج المزعجة». ويلاحظ أن هذه النزعة القاسية هي التي «أنقذت... مواهبي... من أن تتفرق متسربةً في كل اتجاه».[2] هذه الجدية المشابهة هي التي سوف تعطي ميزات مذهلة لهذه السيرة الذاتية الشخصية، فمحورها ليس مدح كاتبها، ولكن إلقاء نظرةٍ على تطوره بشكلٍ غير شخصي. وفي نصٍ تمهيدي آخر فإن (نيتشه) يحدد نطاقاً من الدوافع التي سوف تغري الطالب على اختيار علم اللغة كمهنةٍ له. وينطلق هذا النطاق من حاجةٍ بسيطةٍ لإيجاد عمل مجزٍ نحو الوصول إلى الثقة المريحة كشخصٍ متمرس، والذي يصبح قادراً على أن يكتشف حقيقة دواخل النفس

(1) KSAB II: 366 - 368; KGW I - 5: 55 - 57 قارن Stroux 1925: 38 - 39

(2) KGW I - 5: 42

والأشياء بمجرد الغريزة. بخجلٍ يعترف (نيتشه) أنه لا يقع ضمن هذا التصنيف الأخير، ولكنه يضع نفسه في الرتبة التي تليه. «ليس من السهولة الإعتراف [بهذا]، ولكنها الصراحة».[1]

هذا التصميم لكي يكون «صريحا»، مقروناً مع قسوة النقد الذاتي، واضحٌ بشكلٍ خاصٍ في القسم الافتتاحي للسيرة الذاتية. وفيها، لا يعطي (نيتشه) أي رحمةٍ للأحلام المحببة، كما أمله في أن يصبح موسيقياً، أو ادعاؤه أن مهنته في علم اللغة هي نتاجٌ لحاجته الفطرية. كانت هذه هي السيرة الذاتية الختامية لشبابه، وهي تظهر التناقض المحزن مع سيرته الذاتية الأولى، التي كتبها كصبيٍ في الثالثة عشرة. وهو الآن يستغرب من الطريقة التي قدم بها تاريخه مرآةً لما دعاه الذات، وهي التي تصورها كمستقبلٍ واعد. والآن تظهر الذات بشكلٍ مختلفٍ تماماً، ككائنٍ مثبتٍ على طاولة التشريح. كانت لهجته تهكمية، أو يمكن القول إنها كانت تقطر بالمرارة، وهو يزيل الطبقات ليظهر ذاتاً مجردةً من الحجج أو من أي أعذارٍ مراوغة.

«لقد أوكلت مهمة تنشئتي لي في جوانبها الرئيسية»، حيث يبدأ بمقطع استشهد به سابقاً. «أبي، كاهنٌ بروتستانتي في ثورنيجيا، توفي في وقتٍ مبكرٍ جداً، حيث افتقدت صرامة إشراف وتوجيه العقل الذكوري. وكصبيٍ قدمت إلى (شولبفورت)، عرفت فقط البديل الأبوي في تربيتي، الانضباط المنظم لمدرسة صارمة. ولكن هذا الانضباط شبه العسكري، والذي لأنه يفترض أنه يتعامل مع المجموع، فإنه يتعامل مع الفرد ببرودٍ وسطحية، قادني مرة أخرى إلى العودة إلى نفسي».[2]

كما لوحظ سابقاً، فإن (نيتشه) يُبعد عائلته بشكلٍ كبيرٍ من المشهد. وتأثير هذا هو لتقديم نفسه كأنه ربي من قبل المدارس. وكونه أيضاً أظهر التناقض المحوري في مهنته الأكاديمية ـ أي السبل التي من خلالها تناوب على اعتماد ومقاومة تدريبه ـ فإنه يظهر حبه للتعلم والفنون، ويتعامل مع هذه الأمور ليس كأمورٍ محببة ولكن كمناورةٍ متمردة، صممت لتبقي الانضباط ضمن السيطرة. «أنقذت حياتي العلمية وأنشطتي من القانون الرتيب، عشت كراهبٍ في محراب بعض الفنون، كافحت من خلال الإدمان المجهد على المعرفة الجامعية وعلى متعة كسر صلابة النظام المفروض قهراً وطريقة استخدام الوقت».[3]

---

(1) KGW I - 5: 44

(2) KGW I - 5: 52

(3) KGW I - 5: 52

من بين كل دوافعه اللاأكاديمية فإن (نيتشه) يقدم فقط دافعاً واحداً مستقلاً وليس دفاعياً ولا كردة فعلٍ في أساسه. «افتقدت في حياتي بعض الأحداث الخارجية المؤثرة، ولولا ذلك لكنت قد تجرأت أن أكون موسيقياً، لأنني ومنذ بلوغي التاسعة شعرت بانجذابٍ هائلٍ تجاه الموسيقا». حتى هذه الرغبة انتهت إلى لا شيء، لأنه كما ذكر للتو، افتقد للدعم المطلوب، وهو يسخر من محاولاته إثبات خلاف ذلك. «في تلك الحالة السعيدة حيث لا يدرك المرء بعد حدود موهبته ويعتبر أن كل شيء يحبه قابل للتحقيق، لقد كتبت عدداً لا يحصى من المقطوعات الموسيقية وامتلكت ما هو فوق معرفة الهاوي في النظرية الموسيقية. وفقط وقرب ختام حياتي في (بفورتا) وبالمعرفة الكاملة لذاتي تخليت عن كل الخطط الفنية في حياتي، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً ردم علم اللغة الفجوة الناتجة عن ذلك».[1]

أخذ (نيتشه) بعين الإعتبار إغراء اختصاصه الجديد الذي اختاره. فمن وجهة نظر عملية تركز (شولبفورت) على الإغريقية واللاتينية مقدمةً بيئةً غنية للكلاسيكيات الناشئة. ومع ذلك فإن الموجه الأعمق للمهنة يكمن فيما تعرضه أخلاقياً، كمصحح لدوافعه المشتتة.

«لقد بحثت عن ثقلٍ أوازن به أهوائي المبكرة المتبدلة والقلقة، مجالٍ يمكن أن يكون معززاً بالرصانة اللطيفة، مع برودة المنطق، بعمل مستقر، بدون أن تكون نتائجه ملامسةً للقلب مباشرةً. ثم ظننت أني أستطيع إيجاد كل هذا في علم اللغة». ومع ذلك فإن الحافز الأكثر إقناعاً يعود إلى حاجة الصبي للتوجيه الذكوري. «لقد وجدت معلمين رائعين في مجال علم اللغة، وقد حكمت على انضباطهم بناءاً على شخصياتهم». ملهماً بهؤلاء الأساتذة، وبنفسيةٍ معززةٍ برصانة أدائهم، قدم أبحاثاً عن (إرماناريش)، و(ثوغنيس)، وهي أعمالٌ كان يفخر بها بكل وضوح.[2]

بعد تخرجه من (شولبفورت) ذهب (نيتشه) إلى (بون)، حيث واجه مشاكل لم تُعدّه مدرسته السابقة لها. كان يعرف الكثير، ومع ذلك فقد وجد نفسه غير قادرٍ على التعبير عن هذه المعرفة، عدم التطابق بين الداخل والخارج إلى درجة أنه سيبذل جهداً كبيراً لتحليل ذلك بعد خمس سنوات.[3] وهو أيضاً يشير إلى أن اهتمامه الرئيسي في (بون) كان على مقاربة علم اللغة لدراسات العهد الجديد، وهو اهتمامٌ يبدو مشكوكاً فيه، كونه لم يتلق أي دروسٍ

(1) KGW I - 5: 52 - 53

(2) KGW I - 5: 53 - 54

(3) UO II: 4

في الدين بعد الفصل الأول. وعلاوةً على ذلك، فـ(نيتشه) يقلل من أهمية عودته إلى علم اللغة الكلاسيكي، مشيراً إلى أنه كان فقط مستمعاً (أي ليس مسجلاً) في محاضرات علم اللغة. وهو يوضح أنه أكنّ هناك احتراماً كبيراً لـ(فريدريك ريتشل). (لم يأت على ذكر أوتو جان).[1]

بعد أن أعطى الكثير من الإهتمام لتطوره النفسي في (شولبفورت) و(بون)، ينحّي (نيتشه) هذا الموضوع جانباً بشكلٍ كبيرٍ عندما يصل إلى سنواته في (لايبزيغ). وهذا يعني أنه وجد منزله، وهذا يعني أيضاً أنه حل الكثير من مشاكله المبكرة. «في (لايبزيغ) أستطيع التنفس مرةً أخرى»، ويبدأ بوصف المواهب التي طورها خلال تفاعله مع زملائه الطلاب والإثارة التي اختبرها عندما امتدح (ريتشل) بحثه حول (ثوغنيس). من هذه النقطة فصاعداً، تصبح روايته للأحداث سطحية وروتينية: مقال «ديوغنس»، انخراطه في الجيش، الحادثة، وأعماله اللاحقة، وبالأخص عمله على (دانيلايد) ومساهمته في صحيفة «سنتربلات الأدبية». واختتم بالأسباب التي دعته لتأجيل إكمال الترفيع والتأهيل.[2]

والرواية أعلاه تدمج أربع مسوداتٍ، كلها مكتوبةٌ بوضوحٍ رشيقٍ وبسموٍ يميز معظم كتابات (نيتشه) في هذه الفترة. إن وصفه لأول تسع عشرة سنة من عمره على وجه الخصوص يظهر اقتضاباً وحدةً قاسية وهذا يوحي بأنه يصدر حكماً على آمال وعبث الطفولة. مناقشته حول الوقت الذي قضاه في (بون) وبالأخص في (لايبزيغ) على سبيل المقارنة، أكثر حيادية. وهو يسرد بنبرةٍ متسارعةٍ الأحداث الرئيسية، كأنه فقد الإهتمام وهو يريد فقط أن يكمل المهمة. لقد كان مشغولاً جداً وهو يكتب هذه المقاطع (يناير 1869)، وربما كان ينقصه الوقت ليتحقق ويبحث أكثر. ولكن سطحيته غير المألوفة، قد تعكس أيضاً قلقاً اعتراه سابقاً، ثم تخلص منه. ففي خريف عام 1867 كان (نيتشه) قد اعتنق مفاهيم تقوض كل فكرةٍ لكتابة سيرةٍ ذاتيةٍ شخصيةٍ موثوقةٍ ناهيك عن الإشكالية التي صنعها احتمال وضعها قيد الاستخدام. وهذا الظن الذي اعتراه، والذي سوف يتعامل معه فيما بعد، قد يكون خفف حماسته لكتابة آخر سيرةٍ ذاتيةٍ من نوعها.

6

على أي حال، خلال يناير وأوائل فبراير فإن هذا الشاب الذي كان يكره العمل تحت الضغط، أصبح مجبراً على الإسراع نتيجةً لبعض الإلتزامات الأكاديمية التي اقترب موعدها.

---

(1) KGW I - 5: 54, 47 - 48

(2) KGW I - 5: 48 - 50

وعلى كلٍ فإن قبول (بازل) به في 13 فبراير وضع حداً لهذه الضغوطات، لأنه وصل قبل أكثر من شهر من حصوله الفعلي على درجته في 25 مارس. بحلول هذا الوقت كان (نيتشه) قد غادر بالفعل إلى هدوء (نامبورغ) حيث مازال لديه عملٌ لينهيه «الفهرس»، ولكن على الأقل كان سينعم بالسكينة والهدوء اللذين سوف توفرهما له أمه وأخته. لكن حتى هذه الفترة في الفردوس كان لها وقت محدود. ففي 12 أبريل بعد أقل من شهر من وصوله إلى (نامبورغ)، أخذ العربة إلى محطة القطار حيث استقل أول وسيلة نقلٍ مع عدة وسائل سوف توصله بالنهاية إلى (سويسرا). الطريق من (نامبورغ) إلى (بازل) كان غير مباشرٍ بشكلٍ كبيرٍ ويتضمن المرور على عدد من المواقع الأثرية والإنتقال عبر المناظر الخلابة لنهر (الراين). من الصعب عدم ملاحظة أن هذه الرحلة كانت رحلة وداعٍ من الأماكن التي كان قد عرفها، مستعرضاً ذكريات حياته في (ألمانيا) التي كان على وشك مغادرتها. سافر من (نامبورغ) إلى (كولونيا Cologne)، ثم إلى (بون)، حيث كانت سعادته بزيارة أماكن تسكعه القديمة توحي بأن ذكرياته عن سنته الأولى التي قضاها هناك كانت أكثر سعادة مما اعترف به عادة. ومن ثم استقل الباخرة إلى (بيبريتش Biebrich) ـ اندمجت هذه المدينة لاحقاً مع مدينة (فيسبادن Wiesbaden) ـ ومن هناك بالقطار إلى (فيسبادن) نفسها، والتي هي أيضاً تقع على نهر (الراين). وفي (هايدلبرغ Heidelberg) التقى أصدقاءه من (لايبزيغ) وعمل على «هوميروس وعلم اللغة الكلاسيكي»، وهي أول محاضرة عامة سيلقيها في موطنه الجديد. آخر مرحلةٍ في الطريق إلى (سويسرا) كانت أيضاً بالقطار، حيث سمع بعض الشبان يقولون إن أوبرا «الموسيقار الكبير» كانت تعزف في (كارلسروه Karlsruhe) القريبة. غير قادرٍ على مقاومة هذه الإثارة الأخيرة، تأكد (نيتشه) من أن تذكرة سفره ستبقى صالحة وقام بتحويلةٍ لكي يتمكن من الإستمتاع بأداء «الأوبرا المفضلة لدي». وبعدها فقط أكمل المرحلة النهائية من رحلته، حيث وصل (بازل) في 19 أبريل 1869 في الساعة الثانية بعد الظهر.[1] هنا، كما توقع، سوف تأخذ قصته منعطفاً جذرياً. لقد كانت نهاية مرحلة شبابه.

بدلاً من ترك (نيتشه) في هذه الرحلة الطويلة، والتي تنتمي إلى المرحلة التالية من سيرته، يبدو أنه من الأفضل أن ندعه ينسحب في 11 أبريل، ليلته الأخيرة في (نامبورغ)، عندما استعرض ماضيه وكتب ثلاث رسائل. عنون الأولى إلى (فيلهلمن أولر)، جدته لأمه، والتي منذ ترحيلها من (بوبلز Pobles) عاشت مع العديد من أبنائها والآن تعيش في (مريسيبورغ

(1) KSAB III: 3 - 4

(Merseburg).[1] الرسالة نفسها مليئةٌ بالعموميات ومن الواضح أنها كتبت كنوعٍ من الواجب. وعلى أي حالٍ فهو واجبٌ يجب أن يقوم به. وأرسل (نيتشه) نسخةً من الشهادة التي حصل عليها إلى جدته.

الرسالة الثانية إلى (جيرسدورف) وهي أكثر مكاشفةً. بدأها بكتابة «صديقي العزيز»، ثم تابع، «جاء الموعد النهائي، المساء الأخير الذي سأقضيه في منزلي، في وقت مبكر غداً سأكون منطلقاً إلى العالم الواسع العريض... في أجواء صعبة وجائرة من الواجب والعمل». يُظهر في الرسالة قلقاً من أن يفقد «استنارته» ويتحول إلى عضوٍ مملٍ وضيق الأفق في عالم البالغين، هذا العالم الذي يحب الطلبة أن يسخروا منه.[2] يبدو أن (نيتشه) كان يعتقد أن جديته الفلسفية سوف تحميه من مصير كهذا، ولكن بعض أشكال التشوه المهني سوف تأخذ ضريبتها منه. هو يدرك تماماً أن الأبواب على وشك الإغلاق، وأفضل ما يمكن أن يأمله هو المحافظة على قدرة إيصال الإحساس «بالحقيقة والمشاكل الأساسية للحياة والفكر» إلى طلابه. «[د]عونا نحاول استخدام هذه الحياة بحيث أننا عندما نُعتق من قيدها بسعادة، سيقول الآخرون مباركة، لقد كانت تستحق العيش».[3]

الرسالة الثالثة كانت إلى (ديوسن)، والذي حصل مؤخراً على ترفيعه (ولكن لم يحصل بعد على تأهيله كأستاذ)، وكان عمله الأول كمدرسٍ مساعد،[4] حيث يقوم (نيتشه) بوداع (ديوسن) بأبسط من سابقيه. وهو يرى أن كلاهما يواجهان نفس المصير ويتشاركان نفس النظرة الأخلاقية الأشمل. «دعنا نحاول، كلٌ في مكانه، كلٌ بطريقته، أن نتنفس ونعوّد أنفسنا على العيش مؤقتاً في محيطٍ مناهضٍ لنا». ثم يتذكر أوقاتهم في (بفورتا)، وعندها يبدأ خطابه لصديقه يصبح أكثر حميمية. «وهكذا، ابدأ مهنتك، بمنتهى الإخلاص والإهتمام الذي أعرفه فيك منذ أيام الدراسة، ضع نصب عينيـ[ك] الفكرة المثالية، وضع في نفسك الرغبة لتحقيقها».

بقراءة هذه الرسائل يستطيع المرء أن يلاحظ كيف أن (نيتشه) ينظر باستصغارٍ إلى المقبل من حياته الجديدة. ما رآه أصدقاؤه مناسبةً وفرصةً للاحتفال، رأى هو فيه أداءاً لواجبٍ مقيت، الأمر الذي كان حدثاً سعيداً للآخرين، ولكن ليس له على أية حال. وطبقاً لمبادئ

(1) وللإطلاع على سردٍ حول تحركات (فيلهيلمين أولر) بعد وفاة زوجها انظر Rosmiarek et al. 2003: 357

(2) لوصف «الاستنارة philistine» بهذا المعنى انظر (نيتشه) نفسه في UO I: 2; KSA I: 165 - 167

(3) KSAB II: 385, 386

(4) Feldhoff 2008: 67

(شوبنهاور)، لم يبد أي أثرٍ في توقعات مفرحة أو حماسةٍ للمستقبل. بل على العكس فإن مزاجه غارق في الحزن، وهذا قد يقود المرء للتفكير بأنه بالرغم من كل تفانيه المتوقع لما هو آتٍ، فإن (نيتشه) كان أكثر ارتباطاً بالماضي مما يعترف به.

بالطبع، لقد كان على درايةٍ عميقةٍ بـ(لايبزيغ)، في حين أن أي انطباعاتٍ عن (بازل) كانت تخيلية، وأن يصبح أستاذاً لا يبدو أنه المستقبل الذي كان يأمل به. ومع ذلك فإن الحنين إلى ماضيه كان عنصراً مستمراً وقوياً في البناء المبكر لنفسية (نيتشه). لقد عانى من الحزن مراراً بسب الرحيل، من (روكن)، من (بوبلز)، ومن الماضي نفسه من خلال وفاة العديد من عماته، اللواتي كانت وفاتهن في نظره نوعاً من الإنقراض الذي تركه وحيداً. حتى حبه للاحتفالات بالأعياد وتأليف السير الذاتية الشخصية يميل إلى التذكير ـ والاحتفال ـ بنفس الماضي الذي يفترض أنه تجاوزه. وضمن هذا الحد فإن التمزق العنيف نسبياً الذي أدى إليه الإنتقال إلى (بازل) قد يكون له أثر إيجابي بعد كل شيء. سوف تؤكد جهود (نيتشه) للتغلب على حزنه العنيد إحدى أهم المهام الحيوية لوجوده. الآن وقد انتُزِع نهائياً من كل ما كان قد أحبه، سوف يستطيع أن يبدأ حياته من جديد.

خاتمة: كاتب السيرة الذاتية الشخصية

سيكون من المستغرب إذا كان أكثر ما يفضل المرء القيام به وأكثر ما يجيد عمله، لم يظهر من جديد في الصورة الشاملة لحياته.(1)

1

مع مغادرة (نيتشه) لـ(لايبزيغ) وذلك لتولي واجباته المهنية، فإن المرحلة الأولى من حياته ستكون قد انتهت.

إلى هذه النقطة ستكون السيرة التي نتناولها قد اكتملت، وهذه الخاتمة ستتعامل مع بعض المواضيع الأدبية التي من الأفضل أن نتناولها بشكلٍ منفصل. لماذا هجر (نيتشه) فن كتابة السيرة الذاتية في هذا الوقت بالذات؟ هل استبدلها تالياً بشكلٍ آخر من التعبير؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكننا أن نميز هذه المحاولات المبكرة من الناحية التصويرية عن تلك التي يخطها لاحقاً؟ هذه أسئلةٌ مشروعة، ولكن يمكن أن يكون هناك إشكالية في تفسير نص مكتوب من قبل (نيتشه) إذا كان المرء ليس متمكناً من السياق الذي كتب فيه هذا النص. وبما أن الإجابة على السؤالين الثاني والثالث ستتطلب الغوص عميقاً في مدوناته اللاحقة ـ ولفترةٍ قد تمتد لفترة كالتي تطلّبها هذا الكتاب ـ وأي محاولاتٍ لمعالجة أحداث جرت بعد 1869 يجب أن ينظر لها على أنها غير نهائية.

ومع ذلك يمكن للمرء أن يقول التالي. مهما كانت أسباب (نيتشه) للتوقف عن كتابة سيره الذاتية، يبدو أنه لم يتخل عن مبادئه المنطقية، على الأقل ليس خلال الفترة التي يغطيها هذا الكتاب. ومع ذلك، فهو وضعها قيد المساءلة.

في وقتٍ مبكرٍ من خريف 1867، أقل من عامٍ قبل مشروعه النهائي في رسم صورته الذاتية، اجتاحته الشكوك، ولكن سرعان ما نبذها. في ذلك الوقت، اضطرب نتيجةً للأفكار التي

(1) UO IV: 2; KSA I: 435

واجهها في (جوته) وفي كتاب (جوليوس باهنسن Julius Bahnsen)،[1] بدأ يتسائل فيما إذا كان على خطأٍ منذ البداية. تظهر هذه الأسئلة الاستهلالية في ملاحظاته التي جمعها تقريباً في نفس الوقت الذي كتب فيه «استذكارٌ لعاميّ في (لايبزيغ)»، وهذا الوقت تقريباً في أواخر صيف وبداية خريف عام 1867:

مراقبة ذاتية

إنها مخادعة

اعرف ذاتك.

من أفعالها لا بمراقبتها.

هؤلاء الذين يقيسون ذاتهم بمقدار ما يحملون من أفكار مثالية، يتعلمون معرفة ذاتهم من خلال نقاط ضعفهم فقط. ولكن لن يعرفوا أبداً ماهي حدود هذه النقاط بالنسبة لهم.

ـ المراقبة تحرمك من قوتك: إنها تفرق وتحطم إلى أجزاء.

ـ غريزتك هي أفضل ما فيك.

ـ مراقبة ذاتك، هي سلاحك ضد المؤثرات الخارجية.

ـ مراقبة ذاتك، مرض يتآكلك من الداخل.

ـ اللاوعي يجب أن يكون مصدر أفعالنا.[2]

للوهلة الأولى تبدو هذا الملاحظات غير مركزة وحتى متناقضة بعض الشيء. بإعادة القراءة نكتشف أنه بالرغم من العنوان، كان (نيتشه) أقل انغماساً في مراقبة الذات مقارنةً مع العنوان الثانوي، «اعرف ذاتك».[3]

لقد استوعب على وجه الخصوص إلى أي درجة تساعد مراقبة الذات على معرفة الذات وإلى أي درجةٍ تكون مثل هذه المساعدة مؤذية. إن مراقبة الذات لها استخداماتها، خصوصاً

(1) BAW IV: 635

(2) KGW I - 4: 489

(3) يتوافق التباعد هنا مع مخطوطة (نيتشه). تغير النسخة KGW التباعد بين العنوانين. وللحصول على نسخة من الأصل أنظر BAW IV: 228 - 229

كسلاح ضد المؤثرات الخارجية. ومع ذلك فهو يؤكد على أماكن وأوجه القصور في إيمانه بالإستجابة اللاانعكاسية. (اللاواعية) «[المراقبة الذاتية] خادعة». «يجب أن نعرف ذاتنا من خلال أفعالنا، وليس بمراقبتها، (استعراضها Betrachten). «اللاوعي يجب أن يكون مصدر أفعالنا». «غريزتك هي أفضل ما فيك».[1]

يجدر القول إن العنوان الألماني لهذا النص (Selbstbeobachtung) وهو يترجم غالباً (التأمل الباطني) وهذا قد يعطي الإنطباع للقارئ بأن (نيتشه) يكرر نفس وجهة نظره التي كان يعتمدها منذ 1858. وبالفعل منذ «من حياتي» كان (نيتشه) يفترض أن الفهم الأفضل للذات من خلال تحليل أفعالها بطريقة موضوعية بدلاً من محاولة سبر أغوارها. لم يؤمن بأن المرء يجب عليه أن ينظر إلى ما في قلبه ثم يبدأ بالكتابة. وهذا هو السبب في أنه ركز على تأليف السير الذاتية الشخصية في المقام الأول بدلاً من إنتاج أعمالٍ تسبر الذات كما في «في الأمزجة». وهكذا، وكما قد نتوقع، فإنه يضع مراقبة الذات كنقيضٍ للأفعال، كما عندما يكتب، «اعرف ذاتك بأفعالها، لا بمراقبتها». ولكن هذا لا يمكن أن يكون الموقف هنا. وإذا كانت هذه هي نقطة البحث لدى (نيتشه)، فإنه يبدو معارضاً مراقبة الذات (سبر أغوارها) لاستخدامه الشخصي في السيرة الذاتية [عندما يكون الأمر مناسباً له]. وهذا الموقف الأخير بحد ذاته هو الوسيلة المفضلة لاختبار الأفعال. وفي الحقيقة فإن شرط التمايز هو الغريزة، وتفسر هنا على أنها بدل الوعي. وبكلماتٍ أخرى هو يشكك في أي محاولةٍ واعية لفهم وتوجيه الذات، ومن المحتمل أن ذلك يشمل حتى تجاربه السابقة في سيره الذاتية المبكرة. ومتأثراً بهذا، فهو يعتبر كل المحاولات المتعمدة لتوجيه الذات محاولات تخريبية، وبالتالي فهو ينصح نفسه ضمنياً بأن تتخلى عن هذه التوجهات. وإذا كانت هذه هي كلمة (نيتشه) الأخيرة في هذا الموضوع، فإننا لا نحتاج لأي أسبابٍ أخرى لنحدد لماذا ترك (نيتشه) كتابة السير الذاتية. تفسيره لها على أنها منتج لاختبار الوعي ـ وأي تفسيرات لها ستكون بالتأكيد أيضاً نتاج الوعي ـ وسوف يعتبرها تدخلاً ومن المحتمل إعاقةً لعمل الذات اللاواعية الأكثر فعالية. فالذات سوف تعتني بالذات بشكلٍ أفضل من دون تدخل «الأنا» الواعية.

ولكن ما حدث فعلاً هو أن الشكوك التي خطها في «مراقبة الذات» كانت عرضية، ولم تكن على سبيل تقرير حالة في ذلك الوقت. ونحن نعلم هذا لأن (نيتشه) عرض وبشكلٍ شديد

(1) قارن الصيغ في KGB I - 3: 236, KSAB II: 265

الوضوح رفضه لهم في «استذكارٌ لعاميّ في (لايبزيغ)»، وكُتبت سيرته الذاتية في نفس الوقت تقريباً 1867.[1] وتبدأ هذه المذكرات على النحو التالي:

«يقبع مستقبلي في الظلام أمامي، ولكن هذا لا يزعجني، وهذا نفس موقفي تجاه ماضيّ. في المجمل أنا أنسى الماضي بسرعة، وفقط التغيرات وثوابت الشخصية هي ما تريني من وقت لآخر أني عشت هذه الأحداث. بهذا الأسلوب في الحياة فإن المرء سوف يتفاجأ بعملية تطوره [Bildungsgang]، بدون أن يفهمها، وأنا لا أنكر أن لهذا ميزات، ذلك بأن المراقبة المستمرة وتقييم التعابير البسيطة للشخصية يميل إلى إزعاجها ويبدو أنه يعيق نموها».[2]

وهذا مشابهٌ إلى حدٍ كبيرٍ لوجهة النظر التي عرضها في «المراقبة الذاتية». تقف محاولات فهم وتوجيه الذات في طريقها وعلى الأغلب يجب تجنبها. وفي الحقيقة إذا كان المقطع قد انتهى هنا، يمكن للمرء أن يسأل لماذا لم يضع (نيتشه) قلمه أرضاً. سوف لن يكون عنده أي سببٍ يدفع لتخليد حنينه، أو بقايا اهتمامٍ ليكتب أي كلمةٍ بعد هذا. ولكن كما يوضح المقطع التالي، فإن (نيتشه) لم يؤمن بما كتبه للتو. فهو يقدم وجهة نظرٍ فقط لكي ينقضها. فقد تابع مباشرة بعدها:

«ومع ذلك، فإنه يخطر لي أن مثل هذا السلوك الواعي في الحياة هو مزعجٌ فقط في الظاهر وفقط لبعض الوقت. خذ مثالاً الجندي في النظام المنضم، فهو في البدء يخاف أن ينسى كيفية المشي تماماً، لأنه يُوجه إلى رفع قدمه بوعي منه وبالتالي تصبح أخطاؤه مرئيةً له. ولكن ما يهم هنا هو غرس ما سيكون طبيعةً ثانيةً فيه، وعندها سوف يمشي المشية العسكرية كما كان يمشي مشيته العادية تماماً. من السهل جداً فهم المغزى الأخلاقي من هذه الحكاية الرمزية. والصفحات التالية سوف توضح أني فعلت ذلك. أريد أن أراقب (استعرض) ذاتي، لا لكي أبدأ بدون تدخلٍ خارجيٍ «اليوم»، ولكنني سوف أبدأ بمسار العامين الفائتين».[3]

مع هذا التصريح الجريء نوعاً ما عن تلك الجملة الأخيرة، يبدأ في إطلاق سردٍ غني بالتفاصيل لأعوامه الأولى في (لايبزيغ)، والتي سوف تؤسس ما يمكن القول إنه السيرة الذاتية الأكثر أناقةً وشمولاً التي أنتجها في شبابه.

---

(1) انظر الفصل 12 القسم 4

(2) KGW I - 4: 506

(3) KGW I - 4: 506 - 507

في خريف 1867، كان (نيتشه) مازال يؤكد على الممارسات القديمة ولكن ليس بدون تحفظات. وقد شككت في أن هذه الهواجس كانت أعمق مما كشفه نصه وأنها بالفعل كانت عاملاً في هجره لهذا النوع من السير الذاتية المكتوبة في ذلك الوقت. كان يمكن أن يبقي شكوكه تحت السيطرة بتحديد نطاقها ضمن التوجيه الذاتي، إن الأوامر الموجهة نحو الذات كانت بشكلٍ حتميٍ واعية وقد تكون بصورة ما تدخلية. هناك استخدام آخر للوعي والذي هو على أي حال لا يتطرق إليه. السيرة الذاتية، إذا جاز لنا القول، بكماء، مجرد تقريرٍ عن وقائع يجب تحليلها قبل أن توضع قيد الاستخدام، ومثل هذا التحليل في حد ذاته عملٌ من أعمال الوعي والذي من الممكن أن يفرض وجهة نظره على المعنى الجوهري للفعل (والذي هو لغاية اللحظة غير معروف). فقط باستخدام الوعي يمكن للمرء أن يحدد ما يعبر عنه الفعل. ولكن (نيتشه) في حقيقة الأمر لا يقول ذلك، وإذاً فإن أي محاولة لفرض ذلك المفهوم على النص ستكون مجرد تخمينات. ما هو مؤكد أنه بمغادرته إلى (بازل)، فإن (نيتشه) توقف عن ممارسة ما يمكن أن نسميه بالسيرة الذاتية الشخصية،[1] وقد أبقى أسبابه مخفيةً في الآخر. ويجب ألا يسبب صمته أي مفاجأة، فقد كان يكتب لنفسه وحدها ولم يكن من عادته أن يسجل شرحاً هو بالأصل يعرفه. قد يكون عند (نيتشه) وفرة في الأسباب الخارجية اللافلسفية ليهجر هذه الممارسة. وقد يكون توقف عن كتابة السير الذاتية فقط لأنه لم يعد يمتلك الوقت الكافي في (بازل). لعل ارتباطه مع (ريتشارد فاغنر) فتح له طرقاً أقنعته بترك طرقه القديمة خلفاً. وقد يكون ببلوغه سن الرابعة والعشرين، اقتنع أن شخصيته تأسست وأن المزيد من البحث في ماضيه كان مضيعةً للوقت.

هناك احتماليةٌ أخرى ولو أنها غير مرجحة. في الوقت الذي ارتبط فيه (نيتشه) مع (رود) كان متبنياً للقول «اغْدُ ما أنت عليه» كشعارٍ شخصي.[2] وقد يجادل المرء بأنه وجد في هذه النصيحة المستقبلية الموجهة مكملاً وحتى بديلاً عن منهج الماضي المركز الذي كان يعتمده في السير الذاتية. وتبعاً لهذا فقد تجاهل واحداً من أجل الآخر. وهذا الإحتمال مقبولٌ تماماً على المدى الطويل. في مقطع في UO III: 1 يشير إلى أن (نيتشه) قد تبنى هذه السياسة في (بازل).[3] وإذا كان الأمر كذلك، فمن غير المحتمل أن يحدث التحول خلال الفترة قيد

(1) أدين بهذه العبارة لـ(لي كوينبي Lee Quinby)
(2) انظر الفصل 13 القسم 2
(3) انظر بداية الفقرة، «ولكن كيف سنجد أنفسنا مرةً أخرى» KSA I: 340 - 341

الدراسة. إذا كان «اغْدُ ما أنت عليه» مهماً له في (لايبزيغ)، فإن المرء يتوقع منه أنه يستشهد به مراراً في مدوناته ورسائله وأن يظهر بشكلٍ بارزٍ عندما توقف عن كتابة السير الذاتية. وفي واقع الأمر، يبدو أنه أعطى هذا الشعار الصدارة فقط خلال فترة واحدة، في ربيع 1867 عندما كان يكتب بحثه عن (ديوغنس لارتيوس).

ومع أنه ذكره بعد ذلك ثلاث مرات،(1) فإن هذا الاستشهادات كانت وليس على سبيل الجزم مجرد حنينٍ إلى الماضي، واختفت بعدها هذه الجملة من رسائله المكتوبة، ولم تظهر حتى 1874، وحتى عندها ظهرت في إعادة صياغة.(2) لا توجد أرضيةٌ للإعتقاد بأنها استبدلت أو حتى هددت نظرة (نيتشه) للسير الذاتية حتى عام 1869.

إذاً في نهاية المطاف، نحن ببساطة لا نعرف لماذا توقف (نيتشه) عن الإنخراط في البورتريه الذاتي (رسم صورة لذاته) من هذا النوع. نحن يمكن أن نلاحظ فقط حصول الأمر. وهذا ليس إنكاراً أنه انخرط لاحقاً في شكلٍ آخر من أشكال تقديم الذات بطريقة السيرة الذاتية، ولكن كان لهذا النوع جمهوره المختلف، وأسبابه المختلفة، وأشكاله المختلفة.

2

كما أسلفنا، يبدو أنه من التهور أن نصدر حكماً فيما يخص استخدامات (نيتشه) اللاحقة للسيرة الذاتية بدون فحصٍ دقيقٍ لكل النصوص. يمكن للمرء أن يفترض على سبيل المثال، أن الأعمال المنشورة بتعريفها كتبت لأشخاص آخرين وإلى هذا الحد فإنها غير قادرة على تلبية الاستخدامات الخاصة التي أدتها الأعمال الأبكر. وبالتأكيد هذا يعطينا سبباً لنعتبر أن السير الذاتية الأخيرة لـ(نيتشه) في أساسها مختلفة عن التي كتبها في شبابه.

ولسوء الحظ فإن مثل هذا الرأي لم يأخذ في حسبانه الملاحظات التي كتبت على خلفية العمل قبل نشره. وعلى سبيل المثال، فقد رأينا للتو، مثالاً عن هذه الوثيقة العامة في النبذة عن حياته التي كتبها عن جامعة (بازل). سبقتها نصوصٌ مختلفةٌ عنها تماماً (وأكثر حيويةً منها). ويبدو أن بعض السير الذاتية اللاحقة لـ(نيتشه) كتبت في ظروفٍ أقل شهرة ولكن مباشرة بشكلٍ مشابه.

(1) KSAB II: 235, 237, 247

(2) على الرغم من أن التعبير لا يظهر بشكلٍ صريح، إنه يؤكد المطالبة التي حدثت في UO III: 1

ونظراً لطبيعة الرسم الذاتي الأخير لـ(نيتشه)، فيبدو أن هذا أيضاً بعيد الاحتمال. تميل هذه التصويرات الأخيرة إلى تمثيل ماضيه كعمليةٍ مستمرة توقفت الآن وانتهى منها، وهو ينظر لها الآن من مسافة. وهكذا فإنه يصور نفسه أنه كان في السابق مخلوقاً تحت أرضي ينقب عن المعرفة تحت أقدام البشر،[1] أو كشخصٍ أربكته شكوكه الخاصة وأمضى وقتاً طويلاً في النقاهة.[2] وخلافاً للصور الذاتية السابقة، فإن هذه نادراً ما تكون متابعةً لحالته النفسية لحظة بلحظة. يبذل (نيتشه) الجهد ليؤكد على التناقض في افتتاحيته لأي ***بشر، كله من فعل البشر* II**. في تلك النقطة، هو يصرح الآن « ***كتاباتي*** تتكلم ***فقط*** عن انتصاراتي... [هذه العملية] دائماً تتطلب الوقت، النقاهة، العزلة، المسافة، حتى تتحرك الرغبة في داخلي... ـ لإعادة تمثيل ـ (سمها ما شئت)، مراجعة لمعرفة شيء كنت قد اختبرته ونجوت، أي شكلٍ من أشكال الفعل أو المصير. إلى هذا الحد كل كتاباتي، باستثناء واحد، ولكنه استثناء أساسي، يجب أن ***تنظر لها من الماضي***، دائماً تتحدث عن شيء يجري خلفي».[3] (التأكيد من نيتشه نفسه).

هذا الموقف بمراجعة الماضي يبدو جوهرياً في السير الذاتية المنشورة لـ(نيتشه)، سواء المتضمنة في «المراقبات القديمة *Unfashionable observations*» أو في افتتاحية كتبه وفي الإستعراض الأخير، «اغْدُ ما أنت عليه» لقد كان دائماً يعامل الماضي كشيءٍ نجا منه أو تجاوزه، وفي كل الأحوال انتهى منه تماماً. وعلى النقيض فإن السير الذاتية في شبابه تُقرأ كلمحاتٍ في حياةٍ يعيشها بلحظتها، والمعنى الأساسي لها هو أنها في خطر ويجب حل هذه المشكلة بأي ثمن. هذه اللمحات تحكي قصةً ليس لها نهاية بأي شكلٍ من الأشكال، وكل شيءٍ يعتمد على المؤلف ليكتب لها نهاية ناجعة. إن القلق المتضمن في هذه الروايات يبدو بعيداً كل البعد عن صفاء سبر الذات الأخير لـ(نيتشه).

من المحتمل أن السير الذاتية اللاحقة لـ(نيتشه) كانت مختلفةً لسببٍ آخر. كانت جهوده الأولى قد اعتمدت على نوعٍ مخصصٍ من علم النفس الذي أتى على تعديله بشكلٍ كبير ثم هجره في النهاية.[4] وكان مفهومه للذات في تغيرٍ مستمر أساساً في فترة مراهقته، كما رأينا

---

(1) D: Preface, 2

(2) HAH I: Preface, 2 - 7

(3) HAHII: Preface, 1 الترجمة لـ(جاري هاندويرك Gary Handwerk)

(4) انظر على سبيل المثال Liebscher 2010; Acampora 2013: ch. 5; Jensen 2013: 192 - 201

في محاولتيه للتكيف ولتفادي التهديدات الحتمية المحيطية. وقد شمل رأيه بُعداً أكبر عندما اقترح أن المرء يستطيع أن يخلق محيطه الخاص (طبيعته الخاصة) [الطبيعة هنا بمفهومها العلمي وليس النفسي] عن طريق الانخراط في مجالات من شأنها أن تعزز دوافع وقدرات معينة لديه على حساب الأخرى. ومما لا شك فيه أنه استكشف إيمانه بطريقةٍ أكثر تفحصاً بشكلٍ لا واعي بعد قراءته لـ(شوبنهاور). في السنوات اللاحقة، كانت تعديلاته أكثر جذرية، كما حصل عندما رفض الإعتقاد الديكارتي في الأنا، تاركاً الذات في نظام تحريكٍ من قبل دوافع متنافسة. وقد لاحظ القرّاء فعلاً الطريق التي حاولت فيها «Ecce homo» أن تُعرف وتتوسط بين طرق علم النفس المختلفة.[1] يمكن أخيراً أن نخمن، أنه كما أن وجهات نظر (نيتشه) المختلفة عن الذات تطورت، كذلك كانت هناك أنواعٌ مختلفةٌ من الصور الذاتية التي أنتجها.

لهذه الأسباب أنا أعتقد أني محق في ادعائي بأنه بعد 1869 توقف (نيتشه) عن كتابة السير الذاتية الشخصية من النوع الذي كان يكتبه أثناء شبابه. على أي حال فإن كتابة شيءٍ مشابهٍ لهذا ستكون كروايةٍ عن ماضيه، كُتبت هذه الذكريات المبكرة لتتوافق مع نهاياتٍ أكثر عمقاً، كوسائل لتحقيق معرفة الذات وتوجيه الذات في الوقت الحاضر. عندما توقف عن استخدامها لهذه الأهداف ـ ونحن لا نعرف لماذا، نعرف فقط أن هذا صحيح ـ فقد توقف أيضاً عن كتابة السير الذاتية من النوع المتناظر. لكنه لم يخسر عادته في كتابة المذكرات، وكتب أحياناً مذكرات متباعدة. حتى أنه كتب في نهاية المطاف سيراً ذاتيةً شخصية أخرى، مع العلم أنها اتخذت شكلاً آخر. تحولات الذات من النوع الذي كان يتبعه في شبابه والمرايا الأدبية التي ألهمها، وصلت لنهايتها. كان مستعداً لتجربة شيءٍ جديد.

---

(1) انظر على سبيل المثال Wright 2006

Bibliography

- Acampora, Christa Davis 2013. Contesting Nietzsche. University of Chicago Press
- Agthe, Kai, Rittig, Roland, and Ziemann, Rüdiger eds. 2006. Ich dichte fort, bis dieses Leben schwindet: Beiträge zu Leben und Werk Ernst Ortlepps für Hermann Josef Schmidt. Schriften der Ernst-Ortlepp-Gesellschaft zu Zeitz. No. 3. Halle: Mitteldeutscher Verlag
- Andler, Charles 1958. Nietzsche: sa vie et sa pensée. Vol. I. Paris: Gallimard
- Anrich, Ernst 1960. Die Idee der deutschen Universität und die Reform der deutschen Universitäten. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft
- Ansell Pearson, Keith and Large, Duncan eds. 2006. The Nietzsche reader. Oxford: Blackwell Publishing
- Babich, Babette E. 2003. "Nietzsche's imperative as a friend's encomium: on becoming the one you are, ethics, and blessing." Nietzsche-Studien 32: 29–58
- Baird, William 1992. History of New Testament research. 2 vols. Minneapolis, MN: Fortress Press
- Barbera, Sandro 1995. "Eine Quelle der frühen Schopenhauer-Kritik Nietzsches: Rudolf Hayms Aufsatz 'Arthur Schopenhauer.'" Nietzsche-Studien 24: 124–136
- 1999. "Eine Quelle der frühen Schopenhauer-Kritik Nietzsches. Rudolf

Hayms Aufsatz 'Arthur Schopenhauer'" in Entdecken und Verraten: Zu Leben und Werk Friedrich Nietzsches. Andreas Schirmer and Rüdiger Schmidt eds. Weimar: Verlag Hermann Böhlaus Nachfolger: 59-66

- Barclay, David E. 1995. Frederick William IV and the Prussian monarchy: 1840-1861. Oxford: Clarendon Press
- Barnes, Jonathan 1986. "Nietzsche and Diogenes Laertius." Nietzsche-Studien 15: 16-40.
- Bazillion, Richard J. 1990. Modernizing Germany: Karl Biedermann's career in the Kingdom of Saxony: 1835-1901. New York/Bonn/Frankfurt-am-Main/Paris: Peter Lang
- Beiser, Frederick C. 2014. After Hegel: German philosophy 1840-1900. Princeton University Press
- Benders, Raymond J. and Öttermann, Stephen; with Reich, Hauke and Spiegel, Sibylle (Stiftung Weimarer Klassik) 2000. Friedrich Nietzsche: Chronik in Bildern und Texten. Munich/Vienna: Carl Hanser Verlag (hardbound), Stiftung Weimarer Klassik bei Deutscher Taschenbuch Verlag (paperback)
- Benne, Christian 2005. Nietzsche und die historisch-kritische Philologie. Berlin/New York: Walter de Gruyter
- Bergmann, Peter 1987. Nietzsche, "the last antipolitical German." Bloomington,
- IN: Indiana University Press
- Berry, Jessica 2010. Nietzsche and the skeptical tradition. Oxford University Press
- Bezold, Friedrich von 1920. Geschichte der Rheinischen

Friedrich-Wilhelms-Universität: von der Gründung bis zum Jahr 1870. Bonn: A. Marcus & E. Webers Verlag

- Biller, Thomas and Häffner, Hans-Heinrich 2001. "Die Stadtbefestigung von Naumburg - Geschichte und Erhaltung" in Naumburg an der Saale: Beiträge zur Baugeschichte und Stadtsanierung. City of Naumburg ed. Petersberg: Michael Imhof Verlag: 239-260
- Bishop, Paul ed. 2004. Nietzsche and antiquity: his reaction and response to the classical tradition. Rochester: Camden House Blackbourn, David and Evans, Richard J. 1991. The German bourgeoisie: essays on the social history of the German middle class from the late eighteenth to the early twentieth century. London/New York: Routledge
- Blue, Daniel 2007. "What was Nietzsche's nationality?" Journal of Nietzsche Studies 33: 73-82
- 2012. "Biography and scholarship: a reply to Professor Young." Journal of Nietzsche Studies: 43(2) 368-372
- Blunck, Richard 1953. Friedrich Nietzsche: Kindheit und Jugend. Munich/ Basel: Ernst Reinhardt Verlag
- Bödeker, Hans Erich 1989. "Die 'gebildeten Stände' im späten 18. und frühen 19. Jahrhundert: Zugehörigkeit und Abgrenzungen, Mentalitäten und Handlungspotentiale" in Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. IV. Jürgen Kocka ed. Stuttgart: Klett-Cotta: 21-52
- Bohley, Reiner 1976. "Über die Landesschule zur Pforte: Materialen aus der Schulzeit Nietzsches." Nietzsche-Studien 5: 298-320
- 1980. "Nietzsches Taufe. 'Was meinst du, will aus diesem Kindlein werden?'" Nietzsche-Studien 9: 383-405

- 1987. “Nietzsches christliche Erziehung.” Nietzsche-Studien 16: 164-196
- 1989. “Nietzsches christliche Erziehung.” Nietzsche-Studien 18: 377-395
- 2007. Die Christlichkeit einer Schule: Schulpforte zur Schulzeit Nietzsches. Kai Agthe ed. Jena/Quedlinburg: Verlag. Dr. Bussert & Stadeler
- Bollack, Jean 1998. Jacob Bernays: un homme entre deux mondes. Villeneuf d’Ascq (Nord): Presses Universitaires de Septentrion
- Boockmann, Hartmut 1999. Wissen und Widerstand: Geschichte der deutschen Universität. Berlin: Siedler Verlag
- Borkowsky, Ernst 1897. Geschichte der Stadt Naumburg an der Saale. Stuttgart: Hobbing & Büchle
- Bornmann, F. 1989. “Nietzsches metrische Studien.” Nietzsche-Studien 18: 472-489
- Borsche, Tilman, Gerratana, Federico and Venturelli, Aldo eds. 1994. ‘Centauren-Geburten: Wissenschaft, Kunst und Philosophie beim jungen Nietzsche. Berlin/New York: Walter de Gruyter
- Bowra, C. M. 1960. Early Greek elegists. Cambridge: W. Heffer & Sons Ltd
- Breazeale, Daniel 1989. “Lange, Nietzsche, and Stack, the question of ‘influence.’” International Studies in Philosophy 20(2): 91-101
- Briggs, Ward W. and Calder, William M. III eds. 1990. Classical scholarship: a biographical encyclopedia. New York/London: Garland Publishing Inc.
- Brobjer, Thomas H. 1998. “An undiscovered short published autobiographical presentation by Nietzsche from 1872.” Nietzsche-Studien 27: 446-447
- 1999. “Nietzsche’s education at the Naumburg Domgymnasium 1855-1858.” Nietzsche-Studien 28: 302-322

- 2000. "Nietzsche's forgotten book: the index to the Rheinisches Museum für Philologie." New Nietzsche Studies 4(1, 2): 157–161
- 2001a. "A discussion and source of Hölderlin's influence on Nietzsche. Nietzsche's use of William Neumann's Hölderlin." Nietzsche-Studien 30: 397–412
- 2001b. "Why did Nietzsche receive a scholarship to study at Schulpforta?" Nietzsche-Studien 30: 322–328
- 2008. Nietzsche's philosophical context: an intellectual biography. University of Chicago Press
- Brose, Eric Dorn 2013. German history 1789-1871: From the Holy Roman Empire to the Bismarckian Reich. Revised. Providence, RI/ Oxford: Berhahn Books
- Bruford, W. H. 1975. The German tradition of self-cultivation: 'Bildung' from Humboldt to Thomas Mann. Cambridge University Press
- Burrow, J. W. 1969. "Editor's introduction" in Wilhelm von Humboldt, The limits of state action. J. W. Burrow ed. Cambridge University Press. vii–xliii
- Butler, Nicholas Murray 1895. "Introduction: the relation of the German universities to the problems of higher education in the United States" in Friedrich Paulsen, The German universities: their character and historical development. Edward Delavan Perry tr. New York/London: Macmillan and Co: ix–xxxi
- Calder, William Musgrave III 1983. "The Wilamowitz-Nietzsche struggle: new documents and a reappraisal." Nietzsche-Studien 12: 214–254
- 1991. "What did Ulrich von Wilamowitz-Moellendorff learn from Otto

Jahn?" in Otto Jahn (1813-1868). William M. Calder III, Hubert Cancik and Bernhard Kytzler eds. Stuttgart: Franz Steiner Verlag: 195-203

- Calder, William M. III, Cancik, Hubert and Kytzler, Bernhard eds. 1991. Otto Jahn (1813-1868). Stuttgart: Franz Steiner Verlag
- Campioni, Giuliano, D'Iorio, Paolo, Fornari, Maria Cristina, Fronterotta, Francesco, Orsucci, Andrea and Müller-Buck, Renate eds. 2003. Nietzsches persönliche Bibliothek. Berlin/New York: Walter de Gruyter
- Cancik, Hubert 1985. "Erwin Rohde - ein Philologe der Bismarckzeit" in Semper Apertus: Sechshundert Jahre Ruprecht-Karls-Universität Heidelberg 1386-1986. Berlin/Heidelberg/New York/Tokyo: Springer-Verlag: 436-505
- Carr, William 1987. A history of Germany: 1815-1985. 3rd edn. London/ New York/ Melbourne/Auckland: Edward Arnold (A division of Hodder & Stoughton) 1991. The origins of the wars of German unification. London/New York: Longman
- Cate, Curtis 2002. Friedrich Nietzsche. London: Hutchinson
- Clark, Christopher 1993. "The politics of revival: Pietists, aristocrats, and the state church in early nineteenth-century Prussia" in Between reform, reaction, and resistance: studies in the history of German conservatism from 1789 to 1945. Larry Eugene Jones and James Retallack eds. Providence, RI: Berg Publishers: 31-60
- 2004. "Religion" in Germany 1800-1870. Jonathan Sperber ed. Oxford University Press: 162-184
- 2006. Iron kingdom: the rise and downfall of Prussia, 1600-1947. Cambridge, MA: Belknap Press

- Cocks, Geoffrey and Jarausch, Konrad H. eds. 1990. German professions, 1800–1950. Oxford University Press
- Colson, Bruno 2013. Leipzig: La bataille des nations: 16–19 octobre 1813. Paris: Perrin
- Conway, Daniel W. and Rehn, Rudolph eds. 1992. Nietzsche und die antike Philosophie. Trier: Wissenschaftlicher Verlag
- Cousin, Victor 1833. "Rapport sur l'état de l'instruction dans quelques pays d'Allemagne, et particulièrement en Prusse." Tr. unknown. Edinburgh Review: 116: 505–542
- Crawford, Claudia 1988. The beginnings of Nietzsche's theory of language. Berlin/New York: Walter de Gruyter
- Däuble, Hedwig 1976. "Friedrich Nietzsche und Erwin Rohde: mit bisher ungedruckten Briefen." Nietzsche-Studien 5: 321–354
- Daum, Andreas W. 2004. "Wissenschaft and knowledge" in Germany 1800–1870. Jonathan Sperber ed. Oxford University Press: 137–161
- Deussen, Paul 1901. Erinnerungen an Friedrich Nietzsche: mit einem Porträt und drei Briefen in Faksimile. Leipzig: F.A. Brockhaus
- 1922. Mein Leben. Dr.Erika Rosenthal-Deussen ed. Leipzig: F. A. Brockhaus
- Diehl, Carl 1978. Americans and German scholarship 1770–1870. New Haven, CT: Yale University Press
- Diethe, Carol 2003. Nietzsche's sister and the will to power: a biography of Elisabeth Förster-Nietzsche. Champaign, IL: University of Illinois Press
- Diogenes Laertius 1925. Lives of eminent philosophers. 2 vols. R.D. Hicks tr. (Loeb Classical Library, Harvard University Press.) London: William Heinemann Ltd

- Dorgeloh, Annette 2003. Das Künstlerehepaar Lipsius: Zur Berliner Porträtmaleri um 1900. Berlin: Akademie Verlag GmbH
- Ebers, Georg 1969. Richard Lepsius: Ein Lebensbild. Osnabrück: O. Zeller
- Edmunds, J.M. ed. and tr. 1931. Elegy and iambus, being the remains of all the Greek elegiac and iambic poets from Callinus to Crates excepting the choliambic writers, with the Anacreonta. Vol. I. Cambridge, MA: Harvard University Press
- Elias, Norbert 1996. The Germans: power struggles and the development of habitus in the nineteenth and twentieth centuries. Michael Schröter ed. Eric Dunning and Stephen Mennell tr. Columbia University Press
- Emden, Christian J. 2008. Friedrich Nietzsche and the politics of history. Cambridge University Press
- Emerson, Ralph Waldo 1983. Essays and lectures. Joel Porte ed. New York: The Library of America
- Engelhardt, Ulrich 1986. "Bildungsbürgertum": Begriffs- und Dogmengeschichte eines Etiketts. Industrielle Welt 43, Stuttgart: Klett-Cotta
- Erdman, Bart 2005. Misquoting Jesus: the story behind who changed the Bible and why. HarperSanFrancisco
- Esdaile, Charles J. 1995. The wars of Napoleon. London: Longman
- Fallon, Daniel 1980. The German university: a heroic ideal in conflict with the modern world. Boulder, CO: Colorado Associated University Press
- Feldhoff, Heiner 2008. Nietzsches Freund: Die Lebensgeschichte des Paul Deussen. Cologne/Weimar/Vienna: Böhlau Verlag GmbH & Cie

- Feuerbach, Ludwig 1956. Das Wesen des Christentums. 2 vols. Berlin: Akademie-Verlag
- 1957. The essence of Christianity. George Eliot tr. New York: Harper
- Figes, Orlando 2010. The Crimean War: a history. New York: Metropolitan Books Figl, Johann 1984. Dialektik der Gewalt: Nietzsches hermeneutische Religionsphilosophie mit Berücksichtigung unveröffentlichter Manuskripte. Düsseldorf: Patmos Verlag
- 1995a. "Die Abteilung I im Kontext der Kritischen Gesamtausgabe der Werke Nietzsches." Nietzsche-Studien 24: 315–323
- 1995b. "Geburtstag und Totenkult: zur Religiosität des Kindes Nietzsche." Nietzscheforschung 2: 21–34
- 1999. "Das religiös-pädogogische Kindheitsmilieu Nietzsches. Eine biographischphilosophische Interpretation früherer Aufzeichnungen" in Entdecken und Verraten: Zu Leben und Werk Friedrich Nietzsches. Andreas Schirmer and Rüdiger Schmidt eds. Weimar: Verlag Hermann Böhlaus Nachfolger: 24–36
- 2007. Nietzsche und die Religionen: Transkulturelle Perspektiven seines Bildungs- und Denkweges. Berlin/New York: Walter de Gruyter
- Figueira, Thomas J. and Nagy, Gregory eds. 1985. Theognis of Megara: poetry and the polis. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press
- Flaig, Egon 2003. "Jacob Burckhardt, Greek culture and modernity" in Out of Arcadia: classics and politics in Germany in the age of Burckhardt, Nietzsche and Wilamowitz. Ingo Gildenhard and Martin Rühl eds. London: Institute of Classical Studies, School of Advanced Study, University of London: 7–39

- Förster-Nietzsche, Elisabeth 1895. Das Leben Friedrich Nietzsche's. Vol. 1. Leipzig: C. G. Naumann
- 1912. The young Nietzsche. Anthony M. Ludovici tr. London: William Heinemann
- Fortlage, Carl 1852. Genetische Geschichte der Philosophie seit Kant. Leipzig: F. A. Brockhaus
- Frei, Hans W. 1974. The eclipse of Biblical narrative: a study in eighteenth and nineteenth century hermeneutics. New Haven, CT: Yale University Press
- Gagliardo, John G. 1980. Reich and nation: the Holy Roman Empire as idea and reality, 1763–1806. Bloomington, IN: Indiana University Press
- Gerber, Douglas E. 1999. Greek elegiac poetry: from the seventh to the fifth centuries B.C. Cambridge, MA: Harvard University Press: 326–350
- Gerratana, Federico 1994. "'Jetzt zieht mich das Allgemein-Menschliche an': ein Streifzug durch Nietzsches Aufzeichnungen zu einer 'Geschichte der literarischen Studien'" in Centauren-Geburten: Wissenschaft, Kunst und Philosophie beim jungen Nietzsche. Tilman Borsche, Federico Gerratana, and Aldo Venturelli eds. Berlin/New York: Walter de Gruyter: 326–350.
- Gigante, Marcello 1994. "Friedrich Nietzsche und Diogenes Laertius" in Centauren-Geburten: Wissenschaft, Kunst und Philosophie beim jungen Nietzsche. Tilman Borsche, Federico Gerratana, and Aldo Venturelli eds. Berlin/New York: Walter de Gruyter: 3–16
- 1999. "Nietzsche und die klassische Philologie" in "Jedes Wort ist ein Vorurteil": Philologie und Philosophie in Nietzsches Denken. Manfried Riedel ed. Cologne/Weimar/Vienna: Böhlau Verlag

- Gildenhard, Ingo and Rühl, Martin 2003. Out of Arcadia: classics and politics in Germany in the age of Burckhardt, Nietzsche and Wilamowitz. London: Institute of Classical Studies, School of Advanced Study, University of London
- Gildersleeve, Basil L. 1884. "Friedrich Ritschl." American Journal of Philology 5(3): 339–355
- Gilman, Sander L. 1979. "Pforta zur Zeit Nietzsches." Nietzsche-Studien 8: 398–426
- Gilman, Sander L. ed. 1987. Conversations with Nietzsche: a life in the words of his contemporaries. David J. Parent tr. Oxford University Press
- Gilman, Sander L. and Reichenbach, Ingeborg eds. 1981. Begegnungen mit Nietzsche. Bonn: Bouvier Verlag Herbert Grundmann
- Gladen, Paulgerhard with Becker, Ulrich 1986. Gaudeamus igitur: die studentischen Verbindingun einst und jetzt. Munich: Callwey
- Glucker, John and Laks, André with Véronique Barre eds. 1996. Jacob Bernays: Un philologue juif. Villeneuf d'Ascq (Nord): Presses Universitaires de Septentrion
- Goch, Klaus 1994. Franziska Nietzsche: ein biographisches Porträt. Frankfurt am Main: Insel Verlag
- 1995a. "Franziska Nietzsche in Röcken. Ein Blick auf die deutsch-protestantische Pfarrhauskultur." Nietzscheforschung 2: 107–140
- 1995b. "Lyrischer Familienkosmos: Bemerkungen zu Nietzsches poetischer Kindheitserfahrung." Nietzscheforschung 3: 103–125
- 2000. Nietzsches Vater oder Die Katatstrophe des deutschen Protestantismus: Eine Biographie. Berlin: Akademie Verlag

- Goldfrank, David M. 1994. The origins of the Crimean War. London: Longman
- Grafton, Anthony 1997. The footnote: a curious history. Cambridge, MA: Harvard University Press
- Green, Abigail 2001. Fatherlands: state-building and nationhood in nineteenthcentury Germany. Cambridge University Press
- 2004. "Political and diplomatic movements, 1850–1870: national movement, liberal movement, great power struggles, and the creation of the German empire" in Jonathan Sperber ed., Germany 1800–1870. Oxford University Press: 69–90
- Gregor-Dellin,Martin 1983. RichardWagner: his life, his work, his century. J.Maxwell Brownjohn tr. San Diego, CA: Harcourt Brace Jovanovich, Publishers
- Gregory, Frederick 1977. Scientific materialism in nineteenth century Germany. Dordrecht/Boston, MA: D. Reidel Publishing Company
- Hahn, Scott W. and Wiker, Benjamin 2013. Politicizing the Bible: the roots of historical criticism and the secularization of scripture, 1300–1700. New York: Crossroad Publishing Company
- Hamilton, John 2004. "Ecce philologus: Nietzsche and Pindar's second Pythian ode" in Nietzsche and antiquity: his reaction and response to the classical tradition. Paul Bishop ed. Rochester: Camden House: 54–69
- Harris, Horton 1973. David Friedrich Strauss and his theology. Cambridge University Press
- 1975. The Tübingen School. Oxford: Clarendon Press
- Hart, James Morgan 1874. German universities: a narrative of personal

experience, together with recent statistical information, practical suggestions, and a comparison of the German, English and American systems of higher education. New York: G. P. Putnam's Sons

- Hayman, Ronald 1980. Nietzsche: a critical life. Oxford University Press
- Hege, Fritz 1958. Naumburg: Stadt und Dom. Mit Bildern von Fritz Hege und einem Vorwort von Rosemarie Schuder. Weimar: Volksverlag Weimar
- Heise, Ulf 2000. "Ei da ist ja auch Herr Nietzsche": Leipziger Werdejahre eines Philosophen. Beucha: Saxe-Verlag
- Henrich, Dieter 2003. Between Kant and Hegel: lectures on German idealism. David S. Pacini ed. Cambridge, MA: Harvard University Press
- Herter, Hans 1975. "Aus der Geschichte der Klassischen Philologie in Bonn" in Kleine Schriften. Ernst Vogt ed. Munich: Wilhelm Fink Verlag: 648–664
- Heumann, Hans, Bohner, Claus, Ilgen, Christoph, Maser, Peter, and Weihe, Justus 1994. Schulpforta: Tradition und Wandel einer Eliteschule. Erfurt: Verlagshaus Thüringen
- His, Eduard 2002. Friedrich Nietzsches Heimatlosigkeit. Basler Zeitschrift für Geschichte und Altertumskunde. Vol. 40. Basel: Verlag der historischen und antiquarischen Gesellschaft, Universitätsbibliothek Basel, 1941; reprinted Basel: Schwabe & Co. AG
- Hödl, Hans Gerald 1994a. "Dichtung oder Wahrheit? Einige vorbereitende Anmerkungen zu Nietzsches erster Autobiographie und ihrer Analyse von H. J. Schmidt." Nietzsche-Studien 23: 285–306
- 1994b. "Nietzsches Gervinuslektüre 1862 im Kontext seiner

geschichtsphilosophischen Reflexionen in 'Fatum und Geschichte.'" Nietzscheforschung 1: 365-382

- 1998. "Der Alte Ortlepp war es übrigens nicht . . . Philologie für Spurenleser." Nietzsche-Studien 27: 440-445
- 2009. Der letzte Jünger des Philosophen Dionysos: Studien zur systematischen Bedeutung von Nietzsches Selbstthematisierungen im Kontext seiner Religionskritik. Berlin/New York: Walter de Gruyter
- Hollingdale, R. J. 1973. Nietzsche. London/Boston, MA: Routledge & Kegan Paul 1999. Nietzsche: the man and his philosophy. Cambridge University Press
- Howitt, William 1969. Life in Germany; or scenes, impressions, and every-day life of the Germans, including the popular songs, sports, and habits of the students of the universities. New York: AMS Press, reprinted from the London edition of 1849
- Hübinger, Paul Egon 1964. "Heinrich v. Sybel und der Bonner Philologenkrieg." Historisches Jahrbuch 83: 162-216
- Humboldt, Wilhelm von 1960-. Werke in fünf Bänden. Andreas Flitner and Klaus Giel eds. Stuttgart: J. G. Cotta'sche Buchhandling
- 1969. The limits of state action. J. W. Burrow ed. with introduction and notes. Cambridge University Press
- Janaway, Christopher 1998. "Schopenhauer as Nietzsche's educator" in Willing and nothingness: Schopenhauer as Nietzsche's educator. Christopher Janaway ed. Oxford: Clarendon Press: 13-36
- 2010. "The real essence of human beings: Schopenhauer and the unconscious will" in Thinking the unconscious: nineteenth-century

German thought. Angus Nicholls and Martin Liebscher eds. Cambridge University Press: 140–155

- Janaway, Christopher ed. 1998. Willing and nothingness: Schopenhauer as Nietzsche's educator. Oxford: Clarendon Press
- Janz, Curt Paul 1972. Die Briefe Friedrich Nietzsches: Textprobleme und ihre Bedeutung für Biographie und Doxographie. Zürich: Editio academica
- 1978. Friedrich Nietzsche: Biographie. 3 vols. Munich: Carl Hanser Verlag
- Janz, Curt Paul ed. 1976. Friedrich Nietzsche: der musikalische Nachlass. Basel: Bärenreiter-Verlag
- Jarausch, Konrad H. 1974. "The sources of student unrest, 1815–1848" in The university in society: Europe, Scotland, and the United States from the 16th to the 20th century. Vol. II. Lawrence Stone ed. Princeton University Press: 533–569
- 1982. Students, society, and politics in imperial Germany: the rise of academic illiberalism. Princeton University Press
- 1984. Deutsche Studenten: 1800–1970. Frankfurt am Main: Surhkamp Verlag
- 1990. "The German professions in history and theory" in German professions, 1800–1950. Geoffrey Cocks and Konrad H. Jarausch eds. Oxford University Press: 9–24
- Jeismann, Karl-Ernst 1990. "'. . . der gelehrte Unterricht in den Händen des Staates': zum Bildungsbegriff in den preussischen Gymnasialprogrammen des Vormärz" in Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. II. Reinhart Koselleck ed. Stuttgart: Klett Cotta: 317–345

- Jensen, Anthony K. 2013. Nietzsche's philosophy of history. Cambridge University Press
- Jensen, Anthony K. and Heit, Helmut eds. 2014. Nietzsche as a scholar of antiquity. London: Bloomsbury
- Kamenka, Eugene 1969. The philosophy of Ludwig Feuerbach. New York: Praeger Publishers
- Kenney, E. J. 1974. The classical text: aspects of editing in the age of the printed book. Berkeley/Los Angeles: University of California Press
- Kjaer, Jørgen 1990. Nietzsche: die Zerstörung der Humanität durch "Mutterliebe." Opladen: Westdeutscher Verlag
- Klencke, Hermann 1851. Alexander von Humboldt: ein biographisches Denkmal. Leipzig: Verlag von Otto Spamer
- Kocka, Jürgen 1989. "Bildungsbürgertum - Gesellschaftliche Formation oder Historikerkonstrukt?" in Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. IV. Jürgen Kocka ed. Stuttgart: Ernst Klett Verlag für Wissen und Bildung GmbH u. Col, KG
- Kocka, Jürgen ed. 1989. Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. IV. Stuttgart: Ernst Klett Verlag für Wissen und Bildung GmbH u. Col, KG
- Kocka, Jürgen and Mitchell, Allan 1993. Bourgeois society in nineteenth-century Europe. Providence, RI/Oxford: Berg Publishers Ltd: 9-20
- Köhler, Joachim 2002. Zarathustra's secret: the interior life of Friedrich Nietzsche. Ronald Taylor tr. New Haven, CT: Yale University Press
- Köhnke, Klaus Christian 1986. Entstehung und Aufstieg des Neukantianismus: die deutsche Universitätsphilosophie zwischen Idealismus und Positivsmus. Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag

- Koselleck, Reinhart 1990. "Einleitung - Zur anthropologischen und semantischen Struktur der Bildung" in Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. II. Reinhart Koselleck ed. Stuttgart: Klett Cotta: 11–46
- Krentz, Edgar 1975. The historical-critical method. Philadelphia, PA: Fortress Press
- La Vopa, Anthony J. 1980. Prussian schoolteachers: profession and office, 1763–1848. Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press
- 1990. "Specialists against specialization: Hellenism as professional ideology in German classical studies" in German professions, 1800–1950. Geoffrey Cocks and Konrad H. Jarausch eds. Oxford University Press: 27–45
- Lange, Friedrich Albert 1866. Geschichte des Materialismus und Kritik seiner Bedeutung in der Gegenwart. Iserlohn: Verlag von J. Bädeker
- 1892. The history of materialism and criticism of its present importance. 3rd edn of English version. Ernest Chester Thomas tr. New York: The Humanities Press
- Large, D. 1995. "Nietzsche and the figure of Columbus." Nietzsche-Studien 24: 162–183
- Law, David R. 2012. The historical-critical method: a guide for the perplexed. London: Continuum
- Legrelle, Arsène 1866. A travers la Saxe, Souvenirs et études. Whitefish, MT: Kessinger Legacy Reprints
- Leiter, Brian 1998. "The paradox of fatalism and self-creation in Nietzsche" in Willing and nothingness: Schopenhauer as Nietzsche's educator. Christopher Janaway ed. Oxford: Clarendon Press: 217–257
- Lepsius, M. Reiner 1992. "Das Bildungsbürgertum als ständische

Vergesellschaftung" in Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. III: M. Rainer Lepsius ed: 8-18

- Levinger, Matthew 2000. Enlightened nationalism: the transformation of Prussian political culture, 1806-1848. Oxford University Press
- Liébert, Georges 2004. Nietzsche and music. David Pellauer and Graham Parkes tr. University of Chicago Press
- Liebscher, Martin 2010. "Friedrich Nietzsche's perspectives on the unconscious" in Thinking the unconscious: nineteenth-century German thought. Angus Nicholls and Martin Liebscher eds. Cambridge University Press: 241-260
- Love, Frederick R. 1963. Young Nietzsche and the Wagnerian experience. Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press
- Maier, Gerhard 1977. The end of the historical-critical method. Edwin W. Leverenz and Rudolpf F. Norden tr. St. Louis, MO: Concordia Publishing House
- Mandelkow, Karl Robert 1990. "Die bürgerliche Bildung in der Rezeptionsgeschichte der deutschen Klassik" in Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. II. Reinhart Koselleck ed. Stuttgart: Klett Cotta: 181-196
- Marchand, Suzanne L. 1996. Down from Olympus: archaeology and philhellenism in Germany, 1750-1970. Princeton University Press
- Mathien, Thomas and Wright, D.G. eds. 2006. Autobiography as philosophy: the philosophical uses of self-presentation. Abingdon: Routledge
- McClelland, Charles E. 1980. State, society and university in Germany: 1700-1914. Cambridge University Press

- Middleton, Christopher ed. and tr. 1969. Selected letters of Friedrich Nietzsche. Indianapolis, IN: Hacket Publishing Company, Inc.
- Migotti, Mark 1991. The early Nietzsche and the question of redemption. Doctoral thesis for Yale University
- Müller, Carl Werner 1990. "Otto Jahn" in Classical scholarship: a biographical encyclopedia. Ward W. Briggs and William M. Calder III eds. New York/ London: Garland Publishing Inc.: 227-238
- 1991. Otto Jahn: mit einem Verzeichnis seiner Schriften. Stuttgart/Leipzig: B. G. Teubner
- Müller, Detlef K. and Zymek, Bernd with Hermann, Ulrich 1987. Datenhandbuch zur deutschen Bildungsgeschichte, Bd II: Höhere und mittlere Schulen: 1. Teil: Sozialgeschichte und Statistik des Schulsystems in den Staaten des Deutschen Reiches, 1800-1945. Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht
- Müller, H. von 2002. "Nietzsches Vorfahren." Evelyn S. Krummel and Richard F. Krummel eds. Nietzsche-Studien 31: 253-275
- Müller, Renate G. 1994. "'De regus gestis Mithridatis.' Ein lateinischer Schulaufsatz Nietzsches im Spannungsfeld zwischen Quellenstudium und Selbstdarstellung." Nietzscheforschung 1: 351-363
- Müller-Buck, Renate 1998. "'Naumburger Tugend' oder 'Tugend der Redlichkeit': Elisabeth Förster-Nietzsche und das Nietzsche-Archiv." Nietzscheforschung 4: 319-335
- Nehamas, Alexander 1985. Nietzsche: life as literature. Cambridge, MA: Harvard University Press
- Neill, Stephen 1964. The interpretation of the New Testament, 1861-1961. The Firth Lectures, 1962. Oxford University Press

- Newman, Ernest 1933-1946. The life of Richard Wagner. 4 vols. New York: Alfred A. Knopf
- Nicholls, Angus and Liebscher, Martin eds. 2010. Thinking the unconscious: nineteenth- century German thought. Cambridge University Press
- Niemeyer, Christian 1998. Nietzsches andere Vernunft: Psychologische Aspekte in Biographie und Werk. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft
- 2014. "Elisabeth Förster-Nietzsche im Kontext. Eine Antwort auf Robert C. Holub." Nietzsche-Studien 43: 152-171
- Nietzsche, Franziska 1994. Der entmündigte Philosoph: Briefe von Franziska Nietzsche an Adalbert Oehler aus den Jahren 1889-1897. Gernot U. Gabel and Carl Helmuth Jagenberg eds. Hürth: Gabel Verlag
- Nipperdey, Thomas 1996. Germany from Napoleon to Bismarck: 1800-1866. Daniel Nolan tr. Princeton University Press
- Oehler, Adalbert 1940. Nietzsches Mutter. Munich: C. H. Beck
- Oehler, Ralf 2002. "Ein Beitrag zu Nietzsches Großvater David Ernst Oehler (1787-1859)." Nietzsche-Studien 31: 276-277
- O'Flaherty, James C., Sellner, Timothy F., and Helm, Robert M. eds. 1979. Studies in Nietzsche and the classical tradition. 2nd edn. Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press
- Pahncke, Robert 1956. Schulpforte: Geschichte des Zisterzienserklosters Pforte. Leipzig: Köhler & Amelang
- Parkes, Graham 1994. Composing the soul: reaches of Nietzsche's psychology. University of Chicago Press
- Paulsen, Friedrich 1885. Geschichte des gelehrten Unterrichts: Auf den

deutschen Schulen und Universitäten vom Ausgang des Mittelalters bis zur Gegenwart, mit besonderer Rücksicht auf den klassischen Unterricht. Leipzig: Verlag von Veit & Comp.

- 1895. The German universities: their character and historical development. Edward Delavan Perry tr. New York/London: Macmillan and Co.
- Pernet, Martin 1989. Das Christentum im Leben des jungen Friedrich Nietzsche. Opladen: Westdeutscher Verlag. Studien zur Sozialwissenschaft, Bd. 79
- 1990. "Friedrich Nietzsche über Gustav Krug, seinen 'Ältesten Frund und Bruder in Arte Musica': Aus dem Nachlass der Familie Krug." Nietzsche-Studien, 19: 488–518
- Peters, John C. and McClellan, Ely 1875. "A history of the travels of Asiatic cholera: in Asia and Europe" in The Cholera epidemic of 1873 in the United States. John M. Woodworth, United States Surgeon General's Office. Washington, DC: Government Printing Office: 514–705
- Pfeiffer, Dr. Ludwig 1867. "Beschreibung der hauptsächlichtsten Ortsepidemien mit den Lokal-Verhältnissen: Naumburg" in Die Cholera-Verhältnisse Thüringens. Munich: R. Oldenbourg: 32–42
- Pfeiffer, Rudolf 1968, 1976. History of classical scholarship. 2 vols. Oxford: Clarendon Press
- Pletsch, Carl 1991. Young Nietzsche: becoming a genius. New York: The Free Press
- Podach, Eric F. 1930. Nietzsches Zusammenbruch: Beiträge zu einer Biographie auf Grund unveröffentlicher Dokumente. Heidelberg: Niels Kampmann Verlag

- 1932. Gestalten um Nietzsche: Mit unveröffentlichten Dokumenten zur Geschichte seines Lebens und seines Werks. Weimar: Erich Lichtenstein Verlag
- Porter, James I. 2000a. Nietzsche and the philology of the future. Stanford University Press
- 2000b. The invention of Dionysus: an essay on The birth of tragedy. Stanford University Press
- Prange, Martine 2011. "Was Nietzsche ever a true Wagnerian? Nietzsche's late turn to and early doubt about Richard Wagner." Nietzsche-Studien 40: 43–71
- Reich, Hauke 2004. Nietzsche-Zeitgenossenlexikon: Verwandte und Vorfahren, Freunde und Feinde, Verehrer und Kritiker von Friedrich Nietzsche. Basel: Schwage, AG
- Reynolds, L. D. and Wilson, N. G. 1974. Scribes and scholars: a guide to the transmission of Greek and Latin literature. 2nd edn. Oxford: Clarendon Press
- Ribbeck, Otto 1969. Friedrich Wilhelm Ritschl: ein Beitrag zur Geschichte der Philologie. 2 vols. Neudruck der Ausgabe 1879–1881. Osnabrück: Otto Zeller
- Rich, Norman 1985. Why the Crimean War? A cautionary tale. Hanover, NH: University Press of New England
- Ringer, Fritz K. 1969. The decline of the German mandarins: the German academic community, 1890–1933. Cambridge, MA: Harvard University Press
- Rosenberg, Hans 1958. Bureaucracy, aristocracy and autocracy: the Prussian experience 1660–1815. Cambridge, MA: Harvard University Press

- Rosmiarek, Ralf, Heimer, Falko, and Buchta, Alexander 2001. "Fundstücke – 'Mein lieber Herzensfritz'; Unveröffentliche Briefe: Elisabeth Förster-Nietzsche an Franziska und Friedrich Nietzsche: Aus den Jahren 1891 und 1892." Nietzsche-Studien 30: 364–380
- 2003. "Wie man mit Herrn Hammer datiert –: Neudatierungen und Bemerkungen zu Briefen von und an Nietzsche aus dem Jahr 1858 innerhalb der Kritischen Gesamtausgabe von Nietzsche's Briefwechsel (KGB)." Nietzsche-Studien 32: 313–364
- Ross, Werner 1980. Der ängstliche Adler: Friedrich Nietzsches Leben. Munich: Deutscher Taschenbuch Verlag
- Safranski, Rüdiger 1989. Schopenhauer and the wild years of philosophy. Ewald Osers tr. Cambridge, MA: Harvard University Press
- 2002. Nietzsche: a philosophical biography. Shelley Frisch tr. New York: W. W. Norton & Co.
- Salaquarda, Jörg 1978. "Lange und Nietzsche." Nietzsche-Studien 7: 236–253
- Schirmer, Andreas and Schmidt, Rüdiger eds. 1999. Entdecken und Verraten: Zu Leben und Werk Friedrich Nietzsches. Weimar: Verlag Hermann Böhlaus Nachfolger
- Schlechta, Karl 1954–1956. "Philologischer Nachbericht" in Friedrich Nietzsche: Werke in drei Bänden. Munich: Carl Hanser Verlag. Vol. III: 1383–1432
- Schmidt, Hermann Josef 1991–1994. Nietzsche absconditus oder Spurenlesen bei Nietzsche. 4 vols. Berlin/Aschaffenburg: IBDK Verlag
- 2001. Der alte Ortlepp war's wohl doch, oder, Für mehr Mut, Kompetenz

und Redlichkeit in der Nietzscheinterpretation. Aschaffenburg: A Libri Verlag. [Copyright by author, 2000]

- Schnädelbach, Herbert 1984. Philosophy in Germany: 1831–1933. Eric Matthews tr. Cambridge University Press
- Schopenhauer, Arthur 1969. The world as will and representation. 2 vols. E.F.J. Payne tr. New York: Dover Publications
- Schröter, Axel 2011. August von Kotzebue: Erfolgsautor zwischen Aufklärung, Klassik und Frühromantik. Weimarer Verlagsgesellschaft
- Schubert, Ernst 1989. Naumburg: Dom und Altstadt. Photography by Fritz Hege. 2nd edn. Leipzig: Köhler & Ameling
- Schulze, Hagen 1991. The course of German nationalism: from Frederick the Great to Bismarck, 1763–1867. Sarah Hansbury-Tenison tr. Cambridge University Press
- 1998. Germany: a new history. Deborah Lucas Schneider tr. Cambridge, MA: Harvard University Press
- Schweitzer, Albert 1960. The quest of the historical Jesus: a critical study of its progress from Reimarus to Wrede. W. Montgomery, tr. New York: Macmillan Company
- Sheehan, James J. 1989. German history 1770–1866. Oxford: Clarendon Press
- Simms, Brendan 1998. The struggle for mastery in Germany, 1779–1850. New York: St. Martin's Press
- Sommer, Andreas Urs 2000. "Vom Nützen und Nachteil kritischer Quellenforschung." Nietzsche-Studien 29: 302–316
- 2013. Kommentar zu Nietzsches Der Antichrist, Ecce homo,

Dionysos- Dithyramben, Nietzsche contra Wagner. Berlin: Walter de Gruyter GmbH

- Sorkin, David 1983. "Wilhelm von Humboldt: the theory and practice of self-formation (Bildung), 1791–1810." Journal of the History of Ideas. 44(1): 55–73
- 1987. The transformation of German Jewry, 1780–1840. Oxford University Press
- Sperber, Jonathan ed. 2004. Germany 1800–1870. Oxford University Press
- Spranger, Eduard 1928. Wilhelm von Humboldt und die Humanitätsidee. 2nd edn. Berlin: Verlag von Reuther & Reichard
- Stack, George J. 1983. Nietzsche and Lange. Berlin: Walter de Gruyter
- 1992. Nietzsche and Emerson: an elective affinity. Athens, OH: Ohio University Press
- Stern, Fritz 1961. The politics of cultural despair: a study in the rise of the Germanic ideology. Oakland, CA: University of California Press
- Stone, Lawrence 1974. The university in society: Europe, Scotland, and the United States from the 16th to the 20th century. 2 vols. Princeton University Press
- Strauss, David Friedrich 1970. The life of Jesus, critically examined. Marian Evans tr. 2 vols. New York: Calvin Blanchard. 1860 Repub. St. Clair Shores, MI: Scholarly Press
- 2005. Das Leben Jesu für das deutsche Volk bearbeitet.Orig. Leipzig: F.A. Brockhaus. 1864 Repub. Elibron Classics Replica Edition, Adament Media Corporation
- Stroux, Johannes 1925. Nietzsches Professur in Basel. Jena: Frommannsche Buchhandlung (Walter Biedermann)

- Sweet, Paul Robinson 1978 and 1980. Wilhelm von Humboldt: a biography. 2 vols. Columbus, OH: Ohio State University Press
- Swift, Paul A. 2005. Becoming Nietzsche: early reflections on Democritus, Schopenhauer and Kant. Lanham, MD/Boulder, CO/New York/Toronto/ Oxford: Lexington Books
- Taylor, A.J.P. 1945. The course of German history: a survey of the development of Germany since 1815. London: Hamish Hamilton
- Teuteberg, René 1986. Basler Geschichte. 2nd edn. Basel: Christoph Merian Verlag
- Thatcher, David S. 1974. "Nietzsche and Byron." Nietzsche-Studien 3: 130–151
- Timpanaro, Sebastiano 2005. The genesis of Lachmann's method. Glenn W. Most ed. and tr. University of Chicago Press
- Trieder, Simone 2006. Richard von Volkmann-Leander. Chirug und Literat. literarisches Porträt. Halle: Mitteldeutscher Verlag GmbH
- Turner, R. Steven 1974. "University reformers and professorial scholarship in Germany 1760–1806" in The university in society: Europe, Scotland, and the United States from the 16th to the 20th century. Vol. II. Lawrence Stone ed. Princeton University Press: 495–531
- 1980a. "The Bildungsbürgertum and the learned professions in Prussia, 1770– 1830: The origins of a class." Histoire sociale – Social History 12(25) 105–135
- 1980b. "The Prussian universities and the concept of research." Internationales Archiv für Sozialgeschichte der deutschen Literatur 5: 69–93

- Van Rey, Manfred 2001. Bonner Stadtgeschichte kurzgefasst: von der Vorgeschichte bis zur Gegenwart. Bonn: Bouvier Verlag
- Verrecchia, Anacleto 1986. Zarahustras Ende: die Katastrophe Nietzsches in Turin. Peter Pawlowsky tr. Vienna/Cologne/Graz: Hermann Böhlaus Nachf.
- Vierhaus, Rudolf 1972. "Bildung" in Geschichtliche Grundbegriffe: Historisches Lexicon zur politisch-sozialen Sprache in Deutschland. Vol. I. Otto Brunner, Werner Conze, and Reinhart Koselleck eds. Stuttgart: Ernst Klett Verlag: 508–551
- Vogt, Ernst 1990. "Friedrich Ritschl" in Classical scholarship: a biographical encyclopedia. Ward W. Briggs and William M. Calder III eds. New York/ London: Garland Publishing Inc.: 389–394
- Volz, Pia Daniela 1990. Nietzsche im Labyrinth seiner Krankheit: Eine medizinischbiographische Untersuchung. Würzburg: Könighausen & Neumann
- Wagner, Siegfried 2001. Stadtmuseum Naumburg: Führer durch die Dauerstellung im Haus zur Hohen Lilie. 1. Das bürgerliche Naumburg von den Anfängen der Stadtgeschichte bis zum Ende des 19. Jahrhunderts. Naumburg: Druckservice A. Schirmer
- Wawro, Geoffrey 1996. The Austro-Prussian War: Austria's war with Prussia and Italy in 1866. Cambridge University Press
- Weber, R.G.S. 1986. The German student corps in the Third Reich. Houndsmills/ Basingstoke: MacMillan Press Ltd
- Wehler, Hans-Ulrich 1989. "Deutsches Bildungsbürgertum in vergleichender Perspektive-Elemente eines 'Sonderwegs'" in

Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert. Vol. IV. Jürgen Kocka ed. Stuttgart: Klett-Cotta: 215–237

- Weil, Hans 1967. Die Entstehung des deutschen Bildungsprinzips. 2nd edn. Bonn: H. Bouvier & Co. Verlag
- Wilamowitz-Moellendorff, Ulrich von 1928. Erinnerungen: 1848-1914. 2nd edn. Leipzig: Verlag von K.F. Köhler
- Willey, Thomas E. 1978. Back to Kant: the revival of Kantianism in German social and historical thought, 1860–1914. Detroit, IL: Wayne State University Press
- Williamson, David D. 2005. Germany since 1815: a nation forged and renewed. Houndmills/Basingstoke: Palgrave Macmillan
- Winkler, Heinrich 2006. Germany: the long road west, Vol. 1, 1789–1933. Alexander J. Sager tr. Oxford University Press
- Wollek, Christian 2010. Die lateinischen Texte des Schülers Nietzsche: Übersetzung und Kommentar. Marburg: Tectum Verlag
- Wright, D.G. 2006. "The subject of Nietzsche's Ecce homo" in Autobiography as philosophy: the philosophical uses of self-presentation. Thomas Mathien and D.G. Wright eds. Abingdon: Routledge: 211–229
- Young, Julian 2010. Friedrich Nietzsche: a philosophical biography. Cambridge University Press
- Zammito, John H. 2002. Kant, Herder, and the birth of anthropology. University of Chicago Press
- Zimmermann, Heinrich 1967. Neutestamentliche Methodenlehre: Darstellung der historisch-kritischen Methode. 3rd edn. Stuttgart: Verlag Kath. Bibelwerk

فهرس الأعلام

أ

ج

د

ز

س

ش

ص

غ

ل

م

و

ي

A

D

E

R

فهرس الأماكن

أ

ب

ص

ط

غ

ف

ق

ك

ل

فهرس المصطلحات

أ

ب

ت

ث

ج

خ

السيرة الذاتية

المؤلف دانيال بلو:

باحثٌ مستقل، كتب العديد من المقالات عن (نيتشه) في المجلات ومن ضمنها مجلتا "دراسات نيتشه Nietzsche Studies" و"الحوار Dialogue" بالإضافة إلى ذلك هو متخصص في التاريخ الألماني، من أعماله أيضاً كتاب البحث عن الهوية الصادر أيضاً عن مطبعة جامعة كامبريدج

المترجم محمد الفشتكي:

مترجم ومهندس سوري، تخرج من جامعة دمشق في العام 2000 قسم الهندسة الكهربائية، يعمل حالياً على ترجمة عدد من المقالات والبحوث.

DANIEL BLUE

تشكّل فريديريك نيتشه

السعي للهوية، 1844 - 1869

كيف جاء (نيتشه) الفيلسوف إلى حيز الوجود؟ إن (نيتشه) المعروف اليوم لم يتطور (بشكلٍ طبيعيٍ) من خلال النضج التدريجي لطابعٍ فطريٍ ما. وبدل ذلك، ومنذ نعومة أظفاره انهمك في صراعٍ خجولٍ ليسترشد بتوجيهه الخاص، وبالتالي صقل قدراته الانتقادية ورؤيته الذاتية والتي ظهرت جليةً في كتبه. وكنتيجةٍ لذلك، فإن أعماله المنشورة مشبعةٌ بالقيم التي اكتشفها قبل وقتٍ طويلٍ من تحقيق نتائجها. وبالفعل، قد يقول المرء إن العمل الأول الذي ألّفه لم يكن كتاباً على الإطلاق ولكنه كان شخصيته الخاصة.

وبناءً على دراسةٍ متاحةٍ سابقاً فقط باللغة الألمانية، فإن هذا الكتاب يتحرى طفولة (نيتشه) غير المستقرة، وعزمه على الترقي عبر صياغة ذاته، والأساليب التي أثّرت بالتناوب وأعاقت بها بيئته جهوده لإيجاد طريقه الخاص وخصوصاً نظام التعليم البروسي. ستكون هذه دراسةً أساسيةً لكل مهتمٍ بـ (نيتشه).



ISBN 978-1-7732238-9-6

